بصائر
الاسلام الكبرى
في ضوء القرآن والسنة

للفقير الى عفو ربه
محمد ابن ابراهيم التويجري

الجزء الثاني

الطبعة الاولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٢م

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع
مصر - المنصورة

بصائر الإسلام الكبرى

الباب الرابع

ويشتمل هذا الباب على البصائر الآتية :

٢٥- النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه.

٢٦- فقه الأبصار والبصائر.

٢٧- فقه اليقين.

٢٨- القراءة بين العبادة والثقافة.

٢٩- الفتوى تأصيل وتطبيق (١).

٣٠- الفتوى تأصيل وتطبيق(٢).

٣١- الوقت أمانة وتجارة (١).

٣٢- الوقت أمانة وتجارة (٢).

٣٣- عظمة الله بين صفات الجلال والجمال.

البصيرة الخامسة والعشرون

النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : صفات المنافقين في القرآن.

الثاني : صفات المنافقين في السنة.

الثالث : أنواع النفاق.

الرابع : حكم النفاق والمنافقين.

الخامس : عقوبات المنافقين.

السادس : كيف يتخلص الإنسان من النفاق؟.

٢٥ - النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه

١ -صفات المنافقين في القرآن

جميع ما ورد فى القرآن الكريم من ذكر المنافقين المراد به النفاق الأكبر، الذى هو إظهار الإسلام؛ وإبطان
الكفر؛ ولخطر النفاق وأهله كشف الله صفات المنافقين فى القرآن من أول يوم هاجر فيه النبى ﷺ إلى المدينة، فذكر القرآن بالتدريج حسب الأحوال والمناسبات أكثر من سبعين صفة، تميز المنافقين عن المؤمنين؛ وذلك ليحذر المؤمن من تلك الصفات وأهلها .

ومن صفات أهل النفاق في القرآن :

الأول : الاستهزاء بالله، وبآياته، وبرسوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

الثانية : الاستهزاء بالمؤمنين، والوقوع فى أعراضهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) ﴾ [البقرة:١٤].

الثالثة :الكذب بإظهار الإسلام، وإبطان الكفر : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) ﴾ [البقرة:٨-١٠].

وقال عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) ﴾ [المنافقون:١].

الرابعة :الفساد في الأرض : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١١-١٢].

الخامسة : الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧].

السادسة :البخل : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء:٣٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة:٧٥-٧٧].

السابعة : حب إشاعة الفاحشة فى المؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩].

الثامنة : نسيان الله عز وجل، فالمنافق يعرف كل شيء إلا عظمة ربه، وأمور دينه : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧].

التاسعة : التكذيب بوعد الله ورسوله : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب:١٢].

العاشرة : تفريق شمل الأمة، وتمزيق صفوفها : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب:١٣].

الحادية عشرة : الاهتمام بالظاهر، وإهمال الباطن : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون:٤].

الثانية عشرة : التفاصح والتفيهق فى الكلام، كبرا وعلوا على الناس، وتلبيسا للحقائق : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

الثالثة عشرة : الرياء فى الأقوال والأعمال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء:١٤٢].

الرابعة عشرة : من صفات المنافقين الاستخفاء من الناس، وعدم الاستخفاء من الله : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء:١٠٨].

الخامسة عشرة : الفرح بمصيبة الإسلام والمسلمين، وكراهية الخير للمسلمين : ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة: ٥٠].

السادسة عشرة : الطعن فى أعمال الصالحين من المؤمنين، ومدحهم فى وجوههم : ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩].

السابعة عشرة : التثاقل والتخلف عن جماعات المسلمين للجهاد أو الصلاة : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال ﷺ :" لقد هَممتُ أن آمُر بحطب فيحطبَ، ثم آمر بالصَّلاةِ فتُقَامَ ،ثم أخالف إلى رجال لا يشهَدون الصَّلاةَ ، فأُحرِّقَ عليهِم بيوتَهم بالنَّارِ" متفق عليه (١)

الثامنة عشرة : الهمز واللمز للمؤمنين : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة: ٥٨].

التاسعة عشرة : العجب، والكبر، والإفساد، والغرور : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

العشرون : الإكثار من الحلف، لتأكيد صدق ما فعلوه : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المنافقون: ٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٢٤)، وأخرجه مسلم برقم (٦٥١) .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة:٩٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [التوبة:٩٥].

الحادية والعشرون : الخوف الشديد من الحوادث التى تقع : ﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [التوبة:٥٦ -٥٧].

الثانية والعشرون : الاستكبار عن الحق : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾[المنافقون:٥].

الثالثة والعشرون : العلم بالدنيا، والتمرغ فى شهواتها، وحب الحديث عنها، والغفلة عن الأخرة : ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٧].

الرابعة والعشرون : الاعتذار عن الجهاد فى سبيل الله كذبًا : ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة:٤٩].

الخامسة والعشرون : خداع المؤمنين عن دينهم : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة:٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة:١٤].

السادسة والعشرون : قلة ذكر الله : ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢].

السابعة والعشرون : إيذاء الأنبياء، وأهل الحق، بالقول والفعل : ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾ [التوبة:٦١].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨].

الثامنة والعشرون : الفجور في الخصومة : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة:٢٠٤].

التاسعة والعشرون : الإنفاق للمال كرها : ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٣ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة:٥٣-٥٥].

الثلاثون : كراهيتهم ظهور الحق : ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٤٨﴾ [التوبة:٤٨].

الحادية والثلاثون : عدم الرضا بحكم الله ورسوله ودينه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾ [النساء:٦١].

الثانية والثلاثون: الإرجاف بالمؤمنين بالمبالغة في ذكر قوة العدو، والمبالغة في ذكر ضعف المؤمنين: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١].

وقال عز وجل: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة:٤٨].

الثالثة والثلاثون: الاعتراض على القدر: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران:١٦٨].

الرابعة والثلاثون: موالاة الكافرين، وبغض المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء:١٣٩].

الخامسة والثلاثون: الظن السيء بالله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦].

السادسة والثلاثون: الفرح بالقعود عن نصرة الدين، والتواصي بخذلانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة:٨١-٨٢].

السابعة والثلاثون: الخوف والهلع والجبن والرعب من المسلمين: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة:٥٦-٥٧].

وقال عز وجل : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة:٦٤].

الثامنة والثلاثون : السخرية والاستهزاء من العمل القليل الصادر من بعض المؤمنين : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة:٧٩].

التاسعة والثلاثون : الرضا بالقعود عن نصرة الدين : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [التوبة:٨٦-٨٧].

الأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهود : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [التوبة:٧٦].

الحادية والأربعون : قطع الأرحام : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد:٢٢].

الثانية والأربعون : طاعة الكفار في بعض الأمور : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [محمد:٢٧].

الثالثة والأربعون : اتباعهم كل ما يسخط الله ورسوله. : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٨].

الرابعة والأربعون : شدة أضغانهم على الإسلام وأهله : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾ [محمد: ٣٠].

الخامسة والأربعون : من صفات المنافقين التباطؤ عن الخروج مع المؤمنين للجهاد في سبيل الله : ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)﴾ [النساء: ٧٢-٧٣].

السادسة والأربعون : أن قلوب المنافقين لا تتأثر بالقرآن، ولا تنتفع به، بل يزيدهم القرآن رجسا إلى رجسهم : ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

السابعة والأربعون : التناجي والتواصي بالإثم والعدوان، ومعصية الرسول : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)﴾ [المجادلة: ٨].

الثامنة والأربعون : الاعتذار للمؤمنين بالأعذار الكاذبة عند التخلف عن الجهاد ونحوه : ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾ [التوبة: ٩٤].

التاسعة والأربعون : مرض القلب بحب الدنيا، واتباع الهوى، وبغض الدين : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: ١٠].

الخمسون : من صفات المنافقين حب الجلوس مع المستهزئين بآيات الله ومشاركتهم فى ذلك : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠].

الحادية والخمسون؛ اللدد فى الخصومات للحصول على الدنيا : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

الثانية والخمسون : الإصرار على الباطل، وعدم الأوبة للحق : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة:٢٠٦].

الثالثة والخمسون : التحاكم إلى الطاغوت : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ٦١﴾ [النساء: ٦٠ -٦١].

الرابعة والخمسون : إثارة الفتن بين المؤمنين : ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [التوبة:٤٧].

الخامسة والخمسون : نسيانهم لربهم، واعراضهم عن دينه : ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة:٦٧].

السادسة والخمسون : أنهم يظنون أن الله لا ينصر دينه وأولياءه أبدا : ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفتح: ١٢-١٣].

السابعة والخمسون : الرياء بالقول والفعل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون: ٤-٧].

الثامنة والخمسون : تغيير الحقائق، وتلبيسها على الناس؛ بإظهار الصادقين المخلصين على أنهم خونة مخربون : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء: ٦١-٦٣].

التاسعة والخمسون : من صفات المنافقين الاستهزاء بشعائر الدين : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [المائدة: ٥٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤].

الستون : الصد عن سبيل الله بأموالهم وأنفسهم : ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة: ٩-١٠].

هذه أعظم صفات المنافقين في القرآن، وهي تزيد على أكثر من سبعين صفة ذكرها الله عز وجل في كتابه؛ لنحذر منها، ونتخلص منها، ونحذر الناس منها فاعرض نفسك عليها، فإن سلمت منها فأنت على خير عظيم ، وإن كان فيك شئ منها فتب إلى الله، وتخلص منها، لئلا تصيبك عقوبتها.

فنعوذ بالله من النفاق، والمنافقين، والمنافقات : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾[البقرة:١٦].

ويكاد القرآن كله أن يكون حديثا عن المنافقين ؛ لشدة خطرهم، لأنهم يلبسون لباس الإسلام، ويخدعون المسلمين بظواهرهم : ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ [المنافقون: ٤].

والمنافقون أعظم خطرا من الكفار، وأغلظ كفرا، وأشد عذابا ؛لأن نفاقهم كفر بلباس الإسلام : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ ﴾ [النساء: ١٤٥].

٢ - صفات المنافقين في السنة

بين النبى ﷺ بعض صفات المنافقين، لنحذر منها، ونسلم من عقوبتها .

ومن ذلك قال النبى ﷺ قَالَ : (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتمِنَ خَانَ) متفق عليه [(١)].

وقال النبى ﷺ : «أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» متفق عليه [(٢)]

وقال النبى ﷺ :«تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» أخرجه البخاري [(٣)]

وقال ﷺ : «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ المنافق الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ، طَعْمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا» متفق عليه [(٤)].

فليحذر المؤمن صفات المنافقين الواردة فى القرآن، والواردة فى السنة، ويبتعد عن مجالس المنافقين والمنافقات : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام:٦٨].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣)، وأخرجه مسلم برقم (٥٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩)، وأخرجه مسلم برقم (٥٨).

(٣)أخرجه البخاري برقم (٢٤٩٣).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٠)، وأخرجه مسلم برقم (٧٩٧).

٣- أنواع النفاق

النفاق نوعان :

الأول : نفاق أكبر، مخرج من الملة، وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر ، وهو كفر موجب للخلود فى النار، ويسمى النفاق الاعتقادى، وهو المذكور فى القرآن.

الثانى : نفاق أصغر، غير مخرج من الملة، وهو النفاق العملى ، ومن آثاره وعلاماته :

إذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر ، وإذا حدث كذب، والرياء بالقول والفعل .

والمنافق أخطر إنسان فى المجتمع الإسلامى، لأنه ذو وجهين .

والمنافقون موجودون فى كل زمان ومكان، ويزداد ظهورهم عند ما تظهر قوة الإسلام ، ولا يستطيعون معارضته فى الظاهر، فيدخلون فيه من أجل الكيد له من الداخل كما قال الله عنهم : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾** ﴾ [البقرة:١٤].

والمنافقون يظهرون فى كل زمان ومكان بثياب مختلفة، من الرؤساء والأمراء، والوزراء والمدراء، والفقراء والأغنياء، والعلماء والعباد، والوجهاء والأدباء، وغيرهم ﴿ **وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾** ﴾ [محمد: ٣٠].

٤ - حكم النفاق والمنافقين

حكم الله على أهل النفاق الأكبر بأربعة أحكام هى :

الأول : نفى الإيمان عن المنافقين كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة:٨].

الثانى : الكفر الصريح كما قال سبحانه : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [التوبة: ٧٤].

الثالث : الفسق المؤكد كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧].

الرابع : الكذب كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون:١].

ومن كان نفاقه الأكبر ظاهراً فإنه لا يصلى عليه كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:٨٤].

أما إذا كان نفاقه مجرد تهمه، أو كان نفاقاً أصغراً، فإنه يصلى عليه، لأنه مسلم فى الظاهر .

والنفاق الأكبر مخرج من الملة، أما النفاق الأصغر ففيه اثم، لكنه لا يخرج من الملة .

٥ - عقوبات المنافقين

المنافقون ينقسمون إلى قسمين .

الأول : المنافقون النفاق الأكبر، وهم الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، وعقوباتهم كما يلى :

فى الدنيا لهم أحكام المسلمين، أما فى الآخرة فهم فى النار ، بل فى الدرك الأسفل من النار ؛ لأنهم جمعوا بين الكفر، والنفاق، والكيد للإسلام من داخله، ومظاهرة الكفار على المسلمين، ونقل أخبار المسلمين إلى أعدائهم .

والمنافق ساوى الكافر في كفره، وزاد عليه بالخداع، والتضليل، والإفساد؛ لهذا فعقوبة المنافقين نفاقا أكبر في الآخرة بحسب شناعة كفرهم وجنايتهم وجرمهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٧].

وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة:٦٨].

وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحديد:١٣-١٥].

وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٨].

وقال سبحانه : ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦].

وقال سبحانه : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:١٠].

وقال سبحانه : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة:٦٢-٦٣].

فهذه أعظم عقوبات أهل النفاق الأكبر الاعتقادي .

الثاني : عقوبات أهل النفاق الأصغر ، وهم الذين بين الرسول ﷺ صفاتهم .

وهى أن المنافق إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا أؤتمن خان، ونحوها .

فهؤلاء المنافقون نفاقا أصغر ، وهؤلاء من تاب منهم فى الدنيا تاب الله عليه ، ومن لم يتب فحكمه يوم القيامة حكم أهل الكبائر، وعصاة الموحدين ، فيعذب بقدر ذنوبه، ثم يخرج من النار ، وقد يعفو الله عنه، فلا يدخله النار : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

فليحذر العبد النفاق كله بنوعيه الأكبر والأصغر ، وخطورة النفاق أن الإنسان يتصف به وهو لا يشعر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨].

٦ - كيف يتخلص الإنسان من النفاق؟

يتخلص العبد من النفاق بعد توفيق الله له بأمور منها :

أولا : الدعاء بسؤال الله أن يخلصه منه، فالله سبحانه كريم يجيب كل من دعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

ثانيا : تقوية الإيمان فى القلب، بالنظر فى الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية.

وبذلك يزيد الإيمان، ويخرج النفاق : ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

والإيمان والنفاق لا يمكن أن يجتمعا فى نفس واحدة ، فهما ضدان، فإما إيمانٌ وإما نفاق : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت:١١].

وكلما زاد الإيمان في القلب خرج النفاق، وكلما زاد النفاق في القلب خرج الإيمان : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

وتقوية الإيمان تكون مع ما سبق بمعرفة أركان الإيمان الستة يقيناً ، فمن جاءت في قلبه خرج منه النفاق، ودخل فيه الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

ثالثاً : الإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن .

فذكر الله كثيراً يثمر الشعور بعظمة الله وكبريائه، ورقابته واطلاعه عليه في كل حال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

رابعاً : استحضار مساوئ النفاق، وسقوط المنافقين من عين الله ، واستحضار عذابهم يوم القيامة، وما لهم من الخزي فى الدنيا والآخرة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة:٦٨].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

خامساً : حمل النفس على الاتصاف بصفات المؤمنين الحسنة النبيلة . فإذا اتصف الإنسان بالصفات الإيمانية، وذاق حلاوة الإيمان ، أثمر له ذلك بغض النفاق، وصفات المنافقين السيئة، وشناعة أعمالهم التى أوجبت لهم العذاب ولعنة الله فأقلع عنها ، واستبدلها بما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والأخلاق الحسنة : ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك:٢٢].

سادساً : النظر فى حياة الأنبياء والرسل وأتباعهم ، الذين جمعت حياتهم محاسن الأعمال و الأقوال والأخلاق، والأمن والطمأنينة ، ولهم يوم القيامة جنات النعيم ورضوان رب العالمين : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام:٩٠].

ثم النظر فى حياة الطغاة والمفسدين، والمنافقين والمجرمين، الذين جمعت حياتهم مساوئ الأقوال والأعمال والأخلاق، والخوف والقلق والاضطراب، ولهم يوم القيامة نار الجحيم، وسخط رب العالمين : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة:٦٨].

والنظر فى هذا وهذا، يسهل الانتقال من النفاق إلى الإيمان ، ومن الصفات السيئة إلى الصفات الحسنة .

سابعا : التوبة النصوح من النفاق، فمن تاب تاب الله عليه : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

ومن عرف أخطار النفاق وأضراره وعقوبته سارع إلى التوبة منه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم:٨].

ثامناً : التخلص من صفات المنافقين تدريجياً

فكل يوم يتخلص العبد من صفة، ويستبدلها بضدها، ويحاسب نفسه كل يوم على ذلك، وبذلك ينتقل من صفات المنافقين إلى صفات المؤمنين : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢].

تاسعاً: ترك الغناء، وترك سماع الغناء ؛ فإن الغناء ينبت النفاق في القلب وينسي العبد ذكر الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٦-٧].

عاشراً : التبرؤ من الحول والقوة، والانكسار بين يدي الله الذي بيده مقاليد الأمور، أن يرزق من أبتلي بذلك الإخلاص، وأن يخلصه من النفاق : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

فالذي يغير الأحوال، ويغير الليل والنهار، هو رب العالمين ، وإذا سأل العبد ربه أن يخلصه مما أبتلي به أجابه، لأن الله عز وجل كريم لا يخيب سائلا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة:٢-٧].

الحادي عشر : تغيير الصحبة الفاسدة، ولزوم البيئة الصالحة التى يزيد فيهاالإيمان والطاعات ، وتقل فيها المعاصى والسيئات : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

اللهم املأ قلوبنا بالتوحيد والإيمان واليقين، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب، وجوارحنا من المعاصي ، واوقاتنا من كل سوء، يا ذا الجلال والإكرام .

البصيرة السادسة والعشرون

فقه الأبصار والبصائر

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : معنى البصر والبصيرة .

الثاني : الفرق بين البصر والبصيرة .

الثالث : أقسام البصيرة .

الرابع : تفاوت الناس في البصيرة .

الخامس : درجات البصيرة .

السادس : طرق تحصيل البصيرة .

السابع : ثمرات البصيرة .

الثامن : جزاء أهل البصيرة .

التاسع : الأمور التي تضعف البصيرة .

العاشر : أسباب طمس البصيرة.

٢٦ - فقه الأبصار والبصائر

١ - معنى البصر والبصيرة

معنى البصر والبصيرة .

البصر : هو ما خلقه الله في عين الإنسان والحيوان، ليرى به الأشياء المحسوسة الظاهرة كالسماء والأرض، والنبات والحيوان وغيرها.

والبصيرة : نور خلقه الله في قلب الإنسان، يرى به حقائق الأشياء، ويرى به أن لهذا الخلق خالق ، ولهذه الصور مصور ، ولهذا المُلك ملك : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

ورؤية البصر للمخلوقات تقوي البصيرة : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

والأبصار جمع بصر، ويطلق البصر على نور العين، وعلى نور القلب : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

والبصائر جمع بصيرة، وتطلق على النور الذى يقذفه الله في قلب العبد، فيرى به حقائق الأشياء، ويرى به الخالق من خلال المخلوق ومن عاش في الدنيا بهذا النور أبصر الأشياء، وأدرك الحقائق .

ومن عاش أعمى البصر والبصيرة عاش في الظلمات، ومن عاش في الظلمات هلك وأهلك، فهو إما أن يحطم ما تحته من الأشياء الصغيرة، أو يحطمه ما

فوقه من الأشياء : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

فبالبصر نرى صور الأشياء، وبالبصيرة نرى حقائق الأشياء :

فالطفل يرى الصورة ، ويتعلق قلبه بحبها، أما العاقل فينظر إلى الصور، ويتجاوزها إلى المصور، ويرى الدنيا، ويتجاوزها إلى الآخرة : ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤].

والبصيرة تتعلق ببواطن الأشياء لا بظواهرها، والبصيرة نور في القلب يبصر به الإنسان حقيقة الدنيا والآخرة، وحقيقة الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في الجنة لأوليائه، وما أعده في النار لأعدائه : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

والإنسان في هذه الدنيا مأمور أن يتحرك ببصيرته لا وفق بصره وشهواته، وأن يمشي وفق بواطن الأشياء لا وفق ظواهرها.

فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأى العين، والبصيرة من أعظم نعم الله على العبد ، فهي التي يميز بها بين ما ينفعه وما يضره ، وبين ما يسعده و ما يشقيه : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

وأصل البصيرة من الظهور والبيان، ولهذا وصف الله القرآن كله بأنه بصائر أي : هدى، وبيان، وأدلة تدل على الخالق، وتقود إلى الحق، وتهدي إلى الرشد : ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم

بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال الله عز وجل : ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠].

والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين، فهي عين القلب التي يبصر بها الحقائق ، كما أن البصر عين البدن الذي يبصر به الأشياء .

وكمال الإنسان يرجع إلى أصلين :

الأول : معرفة الحق الذي أرسل الله به رسله إلى خلقه .

الثاني : العمل بهذا الحق، وإبلاغه للناس .

وهذا هو الكمال الحقيقي كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

فالأيدي هي القوة في تنفيذ الحق، والعمل به ، والأبصار هي البصائر في الدين التي يدرك بها حقائق أحكامه وأسراره، ومعرفة الخالق من المخلوق: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فأعلم الناس هو أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس فيه.

وجماع البصيرة هي الأمر الكاشف الذي يعرف به الإنسان ربه ، ويعرف به حقائق الأشياء ، ويعرف به الطريق الموصل إلى الله ، ويعرف به الدار الآخرة دار الثواب والعقاب .

والقرآن كله بيان لهذه البصائر العظيمة : ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

٢ - الفرق بين البصر والبصيرة

البصر : هو الرؤية و المشاهدة للأشياء المحسوسة الظاهرة من خلال حاسة العين.

أما البصيرة : فهي نور يقذفه الله في القلب يرى به الإنسان حقائق الأشياء، ويصل به من الفعل إلى الفاعل، ومن المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، وهذا من نور الله بصيرته.

أما أعمى البصيرة، فهو الذي يرى الصور لا الحقائق كالبهائم : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

ويطلق البصر على العلم ببواطن الأمور، كما قال سبحانه : ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور:٤٤].

وتطلق البصيرة على قوة اليقين والعلم كما قال سبحانه : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

فالبصر هو نظر العين إلى الأشياء المحسوسة، الذي يمتلكه كل مبصر، والذي يمكن استعماله في الخير والشر .

أما البصيرة فهي نورٌ في القلب، يهبه الله لمن شاء من عباده : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

ونظر القلب أصدق من نظر العين، لأن البصر يريك ظاهر الأشياء، والبصيرة تريك حقائق الأشياء .

فكل مؤمن يملك بصيرة، وأي إنسان يملك بصرًا، فكل كافر أو شاردٍ عن الله يعيش مع ظواهر الأشياء ويتمتع بها، ولا علاقة له بما بعد الموت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ [محمد:١٢].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف : ١٧٩].

أما المؤمن فيعيش مع حقائق الأشياء ، فهو الذي عرف الخالق من خلال النظر إلى المخلوق فآمن بالله وعبده وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس:٣١-٣٢].

٣- أقسام البصيرة

البصيرة تنقسم إلى قسمين :

الأول : بصيرة وهبية ، وهبها الله عز وجل لمن شاء من عباده، بأن يفتح قلبه للحق، ويبصره به، ويرزقه حسن الاستقامة عليه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

الثانية : بصيرة كسبية ، تحصل للعبد بقوة المجاهداة، والصبر على طلب العلم الإلهي، وكثرة النظر في كتاب الله المنظور، وتدبر كتاب الله المسطور، والاطلاع على حياة الأنبياء والرسل، وحياة العلماء الربانيين : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وأسعد الناس من رزقه الله هذه، وهذه فاشتغل بامتثال أوامر ربه في كل أوقاته، ولم يبال بما سوى ذلك : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

وكل مؤمن مبصر، وكل كافر أعمى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف : ١٧٩].

وقال عز وجل : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد:١٩-٢٠].

٤ - تفاوت الناس في البصيرة

الناس يتفاوتون في البصيرة كما يتفاوتون في البصر، والذكاء، والقوة، والفهم، والحفظ، والغنى، والفقر، فكما يمرض البصر كذلك تمرض البصيرة، وكما يعمى البصر كذلك تعمى البصيرة.

فتارةً تكون البصيرة صحيحة مبصرة، تميز بين الحق والباطل، وبين الخالق والمخلوق، وتارة تكون البصيرة عمياء لا تبصر شيئاً كالعين إذا عميت.

وتارة تكون البصيرة مريضة ضعيفة الإبصار : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧].

وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال سبحانه عن المنافقين : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة:١٥].

والعمى عمى العين، و العمه عمى البصيرة، كمال قال سبحانه : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد:١٩].

فمن عميت بصيرته تخبط في حياته كالأعمى الذي لا يهتدي إلى طريقه.

وبصائر الناس بالنسبة لنور الإيمان تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : مَن عدِم البصيرة الإيمانية بالكلية، فاضمحلت بصيرته، وصار أعمى يعيش في ظلمات الجهل والغفلة والمعاصي ، فهو ميت بين الأحياء : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ

بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال الله عز وجل عن الكفار : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦].

فهؤلاء لم يقبلوا هدى الله الذي هدى الله به عباده، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لم يؤمنوا بها، لأنها سبقت لهم من الله الشقاوة : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة:٤١].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:٩٦-٩٧].

الثاني : أصحاب البصائر الضعيفة الخفاشية :

فهؤلاء من قوة النور لا يبصرون الأشياء كالخفاش، وهم الذين نشؤوا على دين الآباء والأجداد والأسلاف، كما قال سبحانه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠].

فهؤلاء ورثوا دينهم وراثة من غير أن يكون لهم معرفة وبصر وبصيرة بدين الله الحق : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان:٢١].

الثالث : أهل البصائر القوية الثاقبة النافذة، وهؤلاء هم خلاصة الوجود، ولُباب بني آدم، الذين عرفوا الحق بدلائله، وأبصروه على حقيقته، فاتبعوه، ودعوا الناس إليه : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٣-٥].

فهؤلاء هم الذين يثبتون إذا وردت عليهم فتن الشبهات، أو عرضت لهم فتن الشهوات، أو عصفت بهم الأهواء التي تعصف بكثير من الناس : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

والناس في الدنيا اثنان :

إما ناظر إلى الدنيا بعين بصره، فهذا أضل من الأنعام ، وإما ناظر إليها بعين بصيرته، وشتان بينهما .

فالذي ينظر إلى الدنيا بعين بصره يراها أشباحاً وشهوات مختلفة كما قال سبحانه : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران:١٤].

والذي ينظر إلى الدنيا بعين بصيرته يراها حقائق تشير إلى خالقها ، وصورًا تدل على مصوها : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:١-٤].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

فالذي عميت بصيرته لا يستفيد من قول ربه : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ

﴿وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

فكل من رأى الدنيا ببصره لا ببصيرته إنما يعيش في سجن مظلم ضيق، لأنه وإن أسعد بدنه، فقد أشقى قلبه : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

فكثير من الناس قد سجن نفسه في شهوات بدنه، وسجن نفسه في شؤون أهله وولده ، فلا هم له إلا في تكميل شهواتهم، ولو كان على حساب دينهم، وسجن نفسه في عمله وتجارته غافلاً عن ربه وأوامره ودينه وشرعه، ومنهم من سجن نفسه في شهواته و ملذاته، فلا يرى الحياة إلا فيما يشتهي ويريد : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

وأعظم سجن يسجن الشيطان فيه الإنسان هو الجهل بالله ، فلا يعرفه، ولا يعبده، ولا يتعلم شرعه، ولا يعمل بموجبه، ولا يدعو إليه، فيكون بذلك أضل من الأنعام، وأخسر الخاسرين : ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر:١٥].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

أما من يرى وينظر إلى الدنيا بعين البصيرة، فهو يسارع إلى عبادة ربه بكل عمل

صالح ، ويسابق إلى الخيرات في ليله ونهاره كما قال الله عز وجل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

من رأى الدنيا ببصيرته لا يقف عند المال وكثرته ، ولا عند الولد وشهوته ، ولا عند السكن والمركوب وزينته ، ولا يشتغل بالشهوات البهيمية عن امتثال الأوامر الإلهية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

من رأى الدنيا ببصيرته تجاوز المخلوقات إلى الخالق فآمن به، وعبده وحده لا شريك له ، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، وتجاوز محبوبات النفس إلى محبوبات الرب، فبادر إلى كل عمل صالح، وقدم مراد الله على مراد نفسه ، وقدم ما يحبه الرب على ما تحبه النفس ، وأكمل محبوبات الرب من الإيمان والأعمال الصالحة، على محبوبات النفس من الأموال والأشياء والشهوات ، واستغنى بالآخرة عن الأولى ، وأرضى الله ورسوله بحسن الطاعة : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

وقال الله عز وجل : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: ٦٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

أهل البصائر التي استنارت قلوبهم بنور التوحيد والإيمان، ليس همهم فيما يؤكل ويشرب، ولا فيما يلبس ويركب، ولا في شهوات البطن والفرج ، إنما

همهم في تحقيق التوحيد، وزيادة الإيمان، وتكميل الأعمال الصالحة، والدعوة إلى الله وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله، والمحافظة على الباقيات الصالحات : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وبعض الناس لا فرق بينهم وبين الحيوان إلا اعتدال القامة، ونطق اللسان .

فهؤلاء همهم قضاء الشهوات بكل طريق حلال أو حرام ، هؤلاء نفوسهم حيوانية ، لم تترقى عنها إلى النفوس الإنسانية، فضلا عن النفوس الإيمانية الربانية : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

فهؤلاء أخسر الناس، لأنهم لم ينتفعوا بأبصارهم ولا ببصائرهم، فضلوا وأضلوا، وخسروا ولم يربحوا وهلكوا ولم ينجوا وكفروا ولم يؤمنوا : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

وهؤلاء أصناف؛ وهم متفاوتون في صفاتهم .

فمنهم من نفسه كلبية، تنبح على من أحسن إليها، أو أساء إليها .

ومنهم من نفسه حمارية كلما زيد في علفه، زاد في كده وتعبه .

ومنهم من نفسه سبعية، همته العدوان على الناس، وسفك دمائهم، ونهب أموالهم .

ومنهم من نفسه فارية ، فاسق بطبعه، مفسد لما جاوره .

ومنهم من نفسه سمية، تلدغ الناس كالحية والعقرب .

ومنهم من نفسه نفس خنزير، يرى الطيبات فينصرف عنها، ويرى الخبائث فيقع عليها ويقمها.

ومنهم من نفسه على طبيعة الطاؤوس همه التجمل والتزين في كل أوقاته .

ومنهم من نفسه على طبيعة الجمل حقود غليظ .

ومنهم من نفسه على طبيعة الدب أو القرد أو الجعل أو النمل .

فهؤلاء كلهم نفوسهم خبيثة رديئة سفلية : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

فهنيئا لمن اجتهد على هذه النفوس السفلية، وكان سببا لرفعها بالإيمان إلى الدرجات العلية : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وهنيئا لمن كان سببا لخروجها من الفساد والإفساد إلى الصلاح والإصلاح، ومن الضلال والظلمات إلى الهدى والنور والنجاة والجنات : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة:٢٥].

من أنار الله بصيرته بنور التوحيد والإيمان، سعى في إصلاح نفسه، وإصلاح غيره ، وسارع إلى كل عمل صالح ، وأوصل الخير إلى الغير تعبداً لله عز وجل : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

من رزقه الله نور البصيرة صار قلبه كالمراءة صفاءً ، وكالشمس إضاءة ، وكالقمر إنارة ، وكالسماء علوًا ، وكالأرض تواضعًا ، وكالجبال ثباتًا ، وكالبحر كرمًا ، وكالليل سترًا ، وكالفضاء سعة ، وكالغيث اينما حل نفع : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة:٤].

والقلوب خزائن الإرادات ، والإرادات ألوان .

فمنها ما هو سماوي يتلألأ، ومنها ما هو شيطاني يتفحم، وبحسب حياة القلب أو موته يكون النور أو الظلام، أو الربح أو الخسران : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة:١٠٩].

وقال الله عز وجل : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢﴾ [يونس:١٢].

والإنسان كلما هبط مستواه اعتمد على البصر كالحيوان ، وكلما علا مستواه اعتمد على البصيرة ، وكلما صح فكر الإنسان قاده إلى البصيرة ، وكلما ضعف فكره قاده إلى شهوات الدنيا وملاذها : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ [مريم:٥٩].

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

والمؤمن يعيش ببصره وبصيرته مع ربه، مع آياته ومخلوقاته ، مع دينه وشرعه ، مع ثوابه وعقابه : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

أما الكافر فهو كالأنعام يعيش لحظته بعينه غارقًا في شهوات الدنيا ، غافلًا عن ربه، وكفيف البصر هو من فقد بصره ، أما كفيف القلب فهو من فقد بصيرته ، فيرى الخلق ولا يرى الخالق ، ويرى الأرزاق ولا يرى الرازق : ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٌ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦].

وفقد البصر أهون من فقد البصيرة ، ومن جمع الله له بين البصر والبصيرة، فقد أتم الله له النعمة المادية والروحية، والدنيوية والأخروية : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

وأضل الناس من فقد البصر والبصيرة : ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه : ١٢٤ – ١٢٦] .

فما أضل من فقد البصر والبصيرة : ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا

﴿يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ [الحج:١٢-١٣].

والعامل في الدين بغير بصيرة كالسائر عكس طريقه، لا تزيده سرعة سيره إلا بعدًا عن مقصده : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

ومن ضل عن الصراط المستقيم، جره الشيطان الى الصراط المعوج : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

وأصحاب البصائر والعقول، هم أصحاب القلوب التي امتلأت بالتوحيد، والإيمان والتقوى، وتحركت ألسنتهم وجوارحهم بما يحبه الله ورسوله .

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقوة البصيرة ثمرة التفكر والتدبر، والنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية.

وليس الأعمى من فقد بصره، بل الأعمى من فقد بصيرته، فخسر الدنيا والآخرة.

وأفضل أصحاب البصائر من آمن بربه، وعبده وحده ، وتبصر بعيوب نفسه فأزالها، وعرف نعم الله فشكرها، وعرف ذنوبه فاستغفر الله منها ، وعرف أن البلاء نعمة فشكرها، بل هؤلاء هم أصحاب البصائر، وكل ما سواهم عمي البصائر .

والبصر والبصيرة نعمتان من نعم الله على الانسان : ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ

﴿ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ [الملك:٢٣].
وقال الله عز وجل : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

والبصيرة أعظم من البصر، لأن البصر فيه سبع نواقص :

فالبصر يرى الأشياء ولا يرى نفسه ، والبصر يرى الشاهد دون الغائب ، ولا يبصر البعيد جدًا، ولا القريب جدًا، وإنما يرى ما بينهما ، ويرى البصر الظاهر دون الباطن ، والبصر يرى الصور دون المصور، ويبصر المخلوق دون الخالق .

ويرى الصور دون الحقائق ، ويبصر بعض المخلوقات دون بعض ، ويبصر الكبير صغيرًا، والصغير كبيرًا ، ويرى المتحرك ساكنًا، والساكن متحركًا ، ويرى المستقيم أعوجًا ، ولهذا يشترك فيه الإنسان مع الحيوان

أما البصيرة فهي من أعظم نعم الله على عباده ،فهي نور في القلب يرى بها حقائق الأشياء ، ويعرف ربه ومعبوده، والبصيرة في القلب بمنزلة البصر في العين

والبصيرة أن تري الحق حقًا وتتبعه، وترى الباطل باطلًا وتجتنبه ، وترى الخالق من خلال المخلوق، وتشاهد المدبر من خلال التدبير: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

والعلم يزيد البصيرة نورًا وقوة ، والبصيرة أعلى درجات العلم ، والبصيرة تكمل بالتفكر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد:٢٤].

٥ - درجات البصيرة

البصيرة على ثلاثة درجات :

الأولى : بصيرة في معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله .

الثانية : بصيرة في معرفة الأمر والنهي الشرعي .

الثالثة : بصيرة في معرفة وعد الله ووعيده .

الدرجة الأولى: البصيرة في أسماء الله وصفاته وأفعاله أن يشهد قلب العبد أن الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

وأن يشهد قلب العبد أن الله عليم بكل شيء ، قادر على كل شيء ، بصير بكل شيء ، سميع لكل شيء ، محيط بكل شيء ، قاهر لكل شيء ، مالك لكل شيء، غني عن كل شيء : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وأن يرى القلب ربه العظيم مستوٍ على عرشه العظيم ، يرى كل ذرة في ملكه العظيم ، ويبصر كل ذرة ومجرة ، ويسمع كل مخلوق في العالم العلوي والعالم السفلي ، ويعلم بكل سر أو جهر : ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

وأن يشهد قلبك الملك الحق المبين مستوٍ على عرشه يأمر وينهى ، ويعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، وينصر ويخذل ، ويحيي ويميت ، وينجي ويهلك ، ويهدي ويضل : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

وأن يشهد قلبك ربك العظيم الذي له وحده الملك كله ، وله الخلق كله، وله الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وبيده الخير كله : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣].

وأن يشهد قلبك أن الله وحده هو الملك الحق، الذي تسبح له جميع مخلوقاته بالتحميد والتقديس ، و التكبير والتمجيد ، والشكر والثناء ، والتعظيم والكبرياء : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

وأن يشهد قلبك أن جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي شاهدة بوحدانية ربها ، وساجدة لعظمته ، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره ، وذليلة لعزته ، ومتصاغرة لكبريائه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

وأن يشهد القلب أن ربه الغني الكريم الرحمن الرحيم، الذي له ملك السماوات والأرض، الذي أنعم بكل نعمة، وأحسن إلى خلقه بأنواع الإحسان وأكرم الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى، الرحمن الذي وسعت رحمته كل مخلوق في ملكه العظيم : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ﴾ [النحل:٥٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم:٣٤].

وأن يرى قلبك أن ربك الحق المبين كل ذرة في ملكه دالة عليه ، وكل مخلوق من مخلوقاته يشير إليه ، وكل شيء يهدي إليه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

فهذه البصيرة من أعظم محركات القلوب إلى الله ، إلى عبادة الله ، إلى توحيد الله، إلى حب الله، إلى تعظيم الله، إلى الإيمان بالله، إلى تقوى الله : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح:١٥-٢٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

فهذه الدرجة أعظم درجات البصيره، لتعلقها بمعرفة الرب، وما يجب له:

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

الدرجة الثانية : البصيرة في أمر الله ونهيه الشرعي .

فالمؤمن الذي قذف الله في قلبه نور الإيمان، فرأى الحق حقًا ، والباطل باطلًا ؛ يمتلئ قلبه بحب الله ، وتعظيمه ، وحمده، وشكره، وتوحيده، ويبادر إلى امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه ؛ لأنه يرى أن ربه هو الإله الحق الذي يجب أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن عرف الله عظمه، ومن عظمه عظم كتابه ، وعظم أمره ونهيه ، وعظم وعده ووعيده ؛ وكل أوامر الله في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف:٤٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

وثواب الأعمال الصالحة عائد على العبد، والله غني عن العبد، وعن عمله : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

الدرجة الثالثة : البصيرة في الوعد والوعيد

بأن تشهد أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، وسوف يحاسب كل إنسان على عمله الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة إلى أن يوفى الإنسان الصابر أجره بغير حساب ، والسيئة

بمثلها : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٥-٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

فمن تيقن على وعد الله ووعيده سارع إلى كل طاعة ، واجتنب كل معصية، وحفظ قلبه ولسانه وجوارحه من كل سوء، وَعَبَد ربه كأنه يراه، واستقام على أوامره في كل حال : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

فمن أكرمه الله بهذه البصائر والدرجات الثلاث، آمن بالله حقًا ، وأحب الله حقاً، وعظمه حقاً، وعرف الله حقًا، وامتثل أوامره حقًا ، وراقب الله في كل حال ، وسارع إلى طاعته بكمال الحب والتعظيم والذل له، واجتنب معصيته : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

وقال الله عز وجل في صفة الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

إن شهادة العقل بالجزاء يوم القيامة كشهادته بالتوحيد : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧].

٦ - طرق تحصيل البصيرة

أهم الطرق لتحصيل البصيرة ما يلي :

الأول : تحقيق الإيمان بالله عز وجل .

فالإيمان بالله هو الذي يفتح القلوب فتعرف ربها وفاطرها وخالقها، وينير البصائر، وينبه أجهزة الاستقبال عند الانسان، فتعرف الخالق من المخلوق، والملك من العبيد، والعالي من السافل، والغالي من الرخيص، فينتفع العبد بسمعه وبصره، وعقله وحواسه : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤** ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ **قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١** ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠** ﴾ [الأنبياء:٣٠].

الثاني : تقوى الله عز وجل : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩** ﴾ [الأنفال:٢٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ **وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٨٢** ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فبقدر تقوى الله عز وجل تنفتح بصيرة العبد، وتزيد هدايته، ويرقى إيمانه، وتصلح أعماله .

والتقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك ، وأن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله ، وتجتنب معاصي الله، على نور من الله،

تخاف عقاب الله: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾[البقرة:١٧٧].

وكل شر وبلية وفتنة إنما تزول وتتقى بالتقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» أخرجه مسلم (١)

فالواجب على المسلم أن يعد نفسه لاتقاء الفتن قبل وقوعها برصيد من تقوى الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾ [يوسف:٩٠].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف:٢٠١].

الثالث: سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، وأن يرزقه بصيرة في الدين، و يجنبه الشبهات والشهوات، فخزائن كل شيء بيد الله وحده: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)﴾[الحجر:٢١].

فالعبد بحاجة كل لحظة إلى أن يسأل ربه الهداية كما أمرنا الله بذلك في كل صلاة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾[الفاتحة:٢-٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٨).

وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ،إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم (١)

الرابع : التلقي من نصوص القرآن والسنة، وترك ما سواهما : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

وقال الله عز وجل : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٤].

الخامس : التفكر في آيات الله الكونية، ومخلوقاته العظيمة، والتدبر لآياته الشرعية : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

السادس: أكل الحلال

فأكل الحلال ينور البصيرة، وأكل الحرام يعمي البصيرة، ويورث ظلام السريرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال عز وجل : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين: ١٤].

السابع : التقلل من الفضول بأنواعه :

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

فضول الأكل والشرب ، وفضول النظر والكلام، وفضول الخلطة ، وفضول النوم، وغير ذلك فهذه الفضول كلها تورث الغفلة والكسل عن الطاعات، والخروج من المباح إلى الحرام .

الثامن : الرغبة فيما عند الله من الجنات والرضوان: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

قال عز وجل : ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾ [التوبة:٥٩].

التاسع : الصبر على كل ما يرضي الله، وما يقدر الله، فالصبر لقاح البصيرة : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

العاشر : كمال اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد : ١٩] .

فهذا اليقين يقوي بصيرة العبد، ويعلق قلبه بمن له الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن:١٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام : ٧٥] .

الحادي عشر : الاطلاع على سير الأنبياء والمرسلين، لمعررفة كمال توحيدهم، وإيمانهم بالله عز وجل : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

الثاني عشر : تحقيق التوكل على الله في كل شأن : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن:١٣].

٧- ثمرات البصيرة

من أنار الله بصيرته عرف أن الكون كله بما فيه من أنواع المخلوقات والتدبيرات مظهر لآثار أسماء الله وصفاته وأفعاله، فلولا اسم الله العليم لما كان علم ولا علماء، ولولا اسمه الخالق لما كان خلق ولا مخاليق، ولولا اسمه الرزاق لما كان رزق ولا مرازيق، ولولا اسمه القوي لما كانت قوة ولا أقوياء، ولولا تجلي الله باسمه الحكيم لما عرفت الحكمة ولا الحكيم، ولولا تجلي الله باسمه الكريم لما عُرف الكرم ولا الكريم، ولو لا تجلي الله باسمه الرحمٰن الرحيم لما عرفت الرحمة ولا الرحيم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ (٨)﴾ [طه:٨].

فخلق الله عز وجل الكون وما فيه، من أجل معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ثم عبادته بموجب ذلك: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم الكبير والعظيم، والغني والكريم، آمنتم به، وأحببتموه، وعظمتموه وتقربتم إليه بأنواع الطاعات: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٥)﴾ [غافر:٦٥].

ومن أعظم ثمرات البصيرة حب الله عز وجل، وتعظيمه، وتكبيره، و حسن عبادته والإكثار من ذكره، واستغفاره، وحمده، ولزوم تقواه، والتوكل عليه، والاستعانة به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ [الأنفال : ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن أنار الله بصيرته عرف الحلال من الحرام ، والسنة من البدعة ، والحسن من السيئ ، والمعروف من المنكر ، والأحسن من الحسن : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

[آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

وللبصيرة آثار وثمرات وبركات منها :

الأول : الانتفاع بالمواعظ والتذكير، فحي القلب حي البصر والبصيرة، ومن طاب قلبه طابت أقواله، وأفعاله، وصفاته : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل:٩٧].

الثاني : إذا صحت البصيرة أورثت زيادة اليقين في القلب، وأثمرت كل عمل صالح، وكل أجر كبير : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ [الملك : ١٢] .

الثالث : من رزقه الله البصيرة النافذة ميّز بين ما ينفعه وما يضره، وفرق بين الحق والباطل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال:٢٩].

الرابع : من أكرمه الله بنور البصيرة فإنه يتصف بصفات الأنبياء والرسل والملائكة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

فأهل البصائر زكت نفوسهم بعلوم الأنبياء، واستنارت بصائرهم بنور الوحي، فهم يبصرون الحق، ويعملون به، ويدعون إليه، فهم ورثة الرسل في كل عمل صالح : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٨].

الخامس : الثبات على الحق مهما هبت الفتن، وزادت العواصف وكثُرت الشبهات، وحضرت الشهوات : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

وقال الله عز وجل : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٥].

السادس : قوة الاعتبار ، فصاحب البصيرة يعتبر إذا رأى الأموات، وإذا رأى النبات يخرج إذا نزل الغيث، وإذا رأى الليل بعد النهار وهكذا : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

السابع : صدق الفراسة، فان البصيرة تنبتها في القلب، فتفرق بين الحق والباطل، والصادق من الكاذب : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ [الحجر:٧٥].

وقال الله عز وجل : ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠﴾ [الجاثية:٢٠].

الثامن : أن من صحت بصيرته تعلق قلبه بربه، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت لأحد سواه : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء : ٢١٧ – ٢٢٠].

٨- جزاء أهل البصيرة

أهل البصائر هم أهل التوحيد والإيمان والتقوى، هم أولو العقول والألباب .

فلهم في الدنيا الحياة الطيبة، والأمن، والهداية، ولهم في الآخرة جنات النعيم، ورضوان رب العالمين، ورؤوية وجهه الكريم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال سبحانه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

وقال سبحانه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وقال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وقال سبحانه عن المؤمنين : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

٩ - الأمور التي تضعف البصيرة

الأمور التي تضعف البصيرة كثيرة ومنها :

أولًا : الكفر بالله وشعبه، فالكفر ظلمة وضلال، لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة:٦-٧].

ثانيًا : النفاق، وساق النفاق ينبت على الكذب والرياء، وذلك ثمرة ضعف البصيرة، وضعف العزيمة، فإذا ضعفت البصيرة ضعفت العزيمة : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

ثالثًا : فعل المعاصي والمحرمات، فقلب المؤمن كله نور، والمعاصي تطفئ نور الإيمان في القلب : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤].

وغض البصر يورث نور القلب، وإطلاق البصر في المحرمات يورث عمى القلب، وفساد العقل، وطمس البصيرة : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣٠-٣١].

رابعاً : اتباع الهوى، والإعراض عن الهدى، فمن غلب عقله على نفسه استنارت بصيرته، واستضاء بنور الله، وإذا غلبت نفسه على عقله عميت بصيرته، فلم يفرق بين الحسن والقبيح ، ولا بين الحق والباطل : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

خامسًا : التعصب للباطل وأهله، وذلك سبب لصرف العبد عن الحق، وإعراضه عنه ، وتزيين صورة أهل الباطل في نظره ، ورؤية أهل الباطل أهل حق، ورؤية السيء من عمله حسنًا : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر:٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة:١٠٩].

﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك:٢٢].

سادساً : تقديم الرأي على الوحي : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء : ١١٥] .

سابعاً : فله النظر والتفكر والتدبر للآيات الكونية، والآيات القرآنية : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦-٨].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

١٠ - أسباب طمس البصيرة

أسباب طمس البصيرة يكون بأمور منها :

الكفر وشعبه .. والشرك وشعبه .. والنفاق وشعبه .. والصد عن سبيل الله .. وترك الواجبات والقربات .. وفعل المعاصي والمحرمات ..والتعلق بالشهوات: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم:٥٩ -٦٠].

وكذا البعد والإعراض عن تلاوة وتدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والنظر إلى المحرمات كالنساء الكاسيات العاريات، وسماع المحرمات، من الأغاني التي تستثير شهوة الرجال والنساء : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء:١٤٥ -١٤٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء:١٧٢ -١٧٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ ﴾ [محمد:١].

ومن ذلك إضاعة الأوقات في الغفلات، والشهوات، واللغو، والغيبة، والنميمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون:١-٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾ [محمد:١].

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ۝٨٨﴾ [النحل:٨٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران:٨].

اللهم إنا نسالك إيمانًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وحلالًا طيبًا، ونسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولانا.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، يا أرحم الراحمين.

البصيرة السابعة والعشرون

فقه اليقين

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

أولًا : أبواب الدين

ثانيًا : معنى اليقين

ثالثًا : منزلة اليقين

رابعًا : درجات اليقين

خامسًا : أقسام اليقين

سادسًا : أركان اليقين

سابعًا : أبواب تحصيل اليقين

ثامنًا : صفات أهل اليقين

تاسعًا : اليقين المحمود، واليقين المذموم

عاشرًا : ثمرات اليقين.

٢٧ - فقه اليقين

١ - أبواب الدين

دين الإسلام له أربعة أبواب هي :

الإسلام .. ثم الإيمان .. ثم الإحسان .. ثم اليقين

فأول أبواب الدين : الإسلام، وأعلاها : اليقين

فاليقين ثمرة الإحسان، والإحسان ثمرة الإيمان، والإيمان ثمرة الإسلام

فالإسلام كما قال الله سبحانه : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات:١٤].

والإيمان كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥].

والإحسان كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال سبحانه : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة:٩٣].

واليقين كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤].

فالإسلام يحصل بمعرفة وتطبيق أركان الإسلام الخمسة.

والإيمان يحصل ويكمل بمعرفة وتطبيق أركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة.

والإحسان يحصل و يكمل بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

واليقين ثمرة الإحسان، ويحصل ويتحقق بعد الابتلاء الشديد، فيرى العبد قدرة الله عز وجل عياناً تغير الأحوال من ذلة إلى عزة، ومن هزيمة إلى نصر، ومن خوف إلى أمن، ومن مرض إلى شفاء، ومن ليل إلى نهار .

فالإيمان يكون قبل النصرة، واليقين نراه بعد النصرة : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٣].

والعلم النظري يثمر الإيمان، والعلم العملي يثمر اليقين : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

والأنبياء لما تحركوا في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله بين البشر، نقلهم الله من الإيمان الذي يزيد وينقص إلى اليقين الراسخ الثابت : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام:٧٥].

وهذا اليقين هو الذي حصله موسى صلى الله عليه وسلم من الخضر حينما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار .

وكذلك رجح إيمان أبي بكر بإيمان الأمة، لبلوغه درجة اليقين، فثبت حين اعترض بعض الصحابة على صلح الحديبية، وثبت حين مات رسول الله ﷺ فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

والفرق بين الإيمان واليقين أربعة أصابع

فالإيمان : ما سمعته أذنك، وصدق به قلبك؛ واليقين : ما رأته عينك: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [الجاثية: ٣-٦].

فهذه أبواب الدين الإسلامي

الإسلام، ثم بعده الإيمان، ثم بعده الإحسان، ثم بعده اليقين : ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ذَاتَ يَوْم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إلى النَّبِيِّ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلام. فَقَالَ رَسُولُ الله : «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا» قال : صَدَقْتَ. قال فَعَجِبْنَا لَهُ. يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قال : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قال : «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الاخِرِ. وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قال : صَدَقْتَ.

قال فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحْسَانِ. قال : «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» أخرجه مسلم [١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٨) .

٢ - معنى اليقين

اليقين : هو العلم بالله الذي ليس فيه شك أو ريب، الموجب للعمل الصالح، المقرون بالحب والتعظيم والذل لله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

واليقين : هو النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

اليقين : هو التصديق بالغيب، بإزالة كل شك و ريب، والثقة بالله وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

اليقين : هو التوكل على الله، والتوجه إليه في كل حال : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

اليقين : هو كمال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، واليقين على أن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى .

فإذا عز المطلوب وتسلط المرهوب، أحجم بعض الناس عن الدعاء، ظنًا منه أن الأمر لن يتغير، لأن الباب أغلق في الظاهر، لكن من حسن ظنه بالله، وتيقن على كمال قدرته، دعا ربه فأجابه : ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

وقال الله عز وجل عن يونس صلى الله عليه وسلم: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال سبحانه عن زكريا: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

فالمؤمن موقنٌ أن الله سميع بصير، وأنه عليم خبير، وأنه قادر على كل شيء، وأنه محيط بكل شيء، وأنه قاهر لكل شيء، وأنه رحمن رحيم، وأنه يحب أن يقضي حاجات خلقه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

فمفتاح حسن الظن بالله أن يتيقن العبد أن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه وحده القادر أن ينجي بأسباب الهلاك كما أنجى إبراهيم من النار، وأن يهلك بأسباب النجاة كما أهلك فرعون مع ملكه وقارون مع ماله، وأن يعز بأسباب الذلة كما أعز أنبيائه ورسله مع قلة الأسباب، ونصرهم على أعدائهم، وأن يذل بأسباب العزة كما أذل فرعون وهامان وجنودهما: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦].

والدراية تأتي بالقراءة، والهداية تأتي بالمجاهدة.

واليقين يحصل بقوة المجاهدة، لا بكثرة المُدارسة : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

واليقين فضل من الرب يعطيه الله من يشاء من عباده، ممن جاهد في سبيل الحصول عليه : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

فاليقين هو العلم الذي لا شك فيه، وهذا اليقين هو الذي يدفع العبد لكل عملٍ صالحٍ : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد:٢].

والمؤمن حقًا يعلم أن أحكام الله القدرية، والشرعية، والجزائية، هي أحسن الأحكام، وأعدلها، وأكملها، وأصدقها : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

وقال عز وجل : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٥٠].

فمن أيقن أن اللع بيده كل شيء أقبل عليه، وترك كل شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

٣- منزلة اليقين

الدين نصفان : نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر.

واليقين هو الإيمان كله، لأن الصبر والشكر ثمرة من ثمرات اليقين فاليقين يشمل الإيمان كله، ويشمل الدين كله

قال النبي ﷺ : «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة قالوا : يا رسول الله وما إخلاصها قال : أن تحجزه عن محارم الله» أخرجه البخاري [١] .

وأعظم اليقين هو اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وهذا اليقين يملأ القلب طمأنينة، ويحرق كل شبهة، ويمحو كل شك أو ريب أو شرك : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام:٧٥].

واليقين أعلى مراتب العلم، ومقصود العلم أن يصل المؤمن إلى أعلى درجات اليقين، بأن يترقى من علم اليقين، إلى عين اليقين، إلى حق اليقين .

فمفتاح العبودية الأعظم أن تعلم أن الله على كل شيء قدير : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة:١٠٦].

وقال الله عز وجل : ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة:١٢٠].

وقال عز وجل : ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩):

نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩].

وزبدة اليقين حسن الظن بالله عز وجل، فإن الله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

ومن حسن الظن بالله أن يتيقن العبد أنه سيلقى الله، فإذا كان قد أودع عند الله شيئاً من العمل الصالح، فإنه يحب أن يلقى ربه، ليحظى بوديعته التي عنده من الإيمان والعمل الصالح، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق:٦].

فما تيقن عبد على ربه حقًا إلا أعانه، ولا أيقن عبد بالله إلا كان الله له : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وبكمال اليقين تحصل للعبد حلاوة الإيمان، وحلاوة العبادة، فأعلى درجات الإيمان هو اليقين، لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، بأن تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك على حد سواء، فتعبد الله كأنك تراه وهذا هو مقام الإحسان، فإذا صار ما أخبر الله به من الغيب فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر، بمنزلة المشاهد، فهذا هو كمال اليقين، وحق اليقين : ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

فاليقين من أعظم ثمرات الإيمان والإحسان .

قال النبي ﷺ : «ذَاقَ طعْم الإِيمَانِ مِنْ رَضي بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَام دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ : «ثُلَاث مَنْ كُنَّ فِيه وجد حَلَاوَةُ الإِيمَانِ : أَنْ يكون اللهُ وَرَسُولهُ أَحَب إِلَيْه مِمَّا سِوَاهمُا. وَأَنْ يحُبَّ المَرْء لَا يحُبُّهُ إلا لله. وَأَنْ يكْرَه أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يكْرَهُ أَنْ يقْذفَ فِي النَّارِ» متفق عليه (٢) .

والله سبحانه حكيم عليم، يُربي عباده باليقين في حالتين :

أحداهما : حال الفقر ، فإذا أردت اليقين، فكن أفقر الخلق إلى الله، يقضي الله حاجتك، ويسد فقرك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥].

الثانية : حال الغنى، فاستغن بالله عما سواه، ومن تعلق بالغني أغناه عما سواه : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ -٥١].

وكلما اشتدت بك الكروب، ونزلت بك الهموم، وتكاثرت عليك المصائب، فاعلم أن الله قريب منك، وأنك في عناية الله، فاصبر لحكم ربك، فإن الله يربيك ليوصلك إلى اليقين، ويرفع درجاتك، ويكفر سيئاتك : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور:٤٨ -٤٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) و أخرجه مسلم برقم (٤٣) .

فاليقين هو أعلى مراتب الدين، وما من عبد يدعو الله موقنا في كرب أو شدة إلا أعطاه الله إحدى الحسنيين :

الأولى : إن علم الله أن مصلحته في تفريج كربته عاجلاً، فرج الله عنه كربته : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

الثانية : إن علم الله أن تأخير الفرج أصلح له؛ رزقه الصبر واليقين والتسليم، فيصبح له البلاء رحمة، وترفع درجاته، وتكفر سيئاته ويصفوا توحيده : ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور:٤٨-٤٩].

وأسعد الناس من عرف الله في البلايا والعطايا؛ فإذا ابتلي صبر، وإذا أُعطيَ شكر : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٣١﴾ [لقمان:٣١].

وأشقى الناس من إذا أحاطت به البلايا والهموم، والغموم والمصائب، لم يزدد من الله إلا بعدًا، وتعلقًا بغير الله، وشكوى حاله للناس، فهذا أكثر الناس تعبًا وعذاباً، وشقاءً وخذلانًا : ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ۝٢٢﴾ [الإسراء:٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ۝١٣﴾ [الحج:١١-١٣].

فاصدُق أيُّها العبد مع الله، وأصلح حالك معه ؛ فالله وحده بيده مفاتيح كل

شيء، وسيجعل بعد كل عسر يسرا : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

وقال الله عز وجل : ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥- ٦].

ومن استقام على أوامر الله كما أمر، وصبر على البلاء، وشكر عند النعماء، لم يصبه أذىً في الدنيا ولا في الآخرة : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

٤ - درجات اليقين

اليقين له ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : علم اليقين، كعلمنا بحلاوة العسل، أو علمنا بالجنة والنار .

الثانية : عين اليقين، كأن ترى العسل، أو ترى الجنة والنار يوم القيامة .

الثالثة : حق اليقين -كأن تذوق العسل أو تدخل الجنة أو النار : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٩٥-٩٦].

فاليقين أخص من الإيمان، وأعلى مرتبة منه، فإن اليقين ثابت، والإيمان يزيد وينقص، ويحصل اليقين بالاعتبار والتفكر في آيات الله الكونية والشرعية : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٨].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

فهذه مراتب اليقين

علم اليقين : وهو ما يحصل بالخبر الصادق

وعين اليقين : وهو ما يحصل بالرؤيا والمشاهدة.

وحق اليقين : وهو ما يحصل بالمباشرة كأكل العسل ونحو ذلك.

فاليقين ذروة الإيمان، وأعلى درجات الإيمان، وثمرة المجاهدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

ﭐلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

والمطلوب من المسلم أن يترقى من علم اليقين، إلى عين اليقين، إلى حق اليقين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

فبحسب قوة اليقين يكون كمال التوحيد والإيمان، وتكون قوة العبادة، وقوة الطاعة لله ولرسوله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١].

وبحسب اليقين تكون قوة المجاهدة، وقوة الأعمال الإنفرادية والاجتماعية : ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

وقال عز وجل : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

٥ - أقسام اليقين

اليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : اليقين الحسي، وهذا اليقين أدواته الحواس الخمس، من السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس؛ وهذا اليقين يشترك فيه الإنسان مع الحيوان: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١].

الثاني : اليقين العقلي، وهو كل شيء غابت عينه، وظهرت آثاره، مثل الروح، والهواء، ومثل الكهرباء، والغاز، فنحن لا نرى الروح لكن نحس بأثرها، ولا نرى شخص الهواء لكن نحس بأثره، وكذا نحن نرى النور لكن لا نري الكهرباء، ونرى النار تخرج من الغاز لكن لا نرى الغاز، فهذا أداة العلم به العقل.

فاليقين الحسي ظهرت عينه، وظهرت آثاره، كالشمس.

واليقين العقلي غابت عينه وظهر أثره كالروح والهواء : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ [الإسراء:٨٥].

والله غيب لا نراه، لكن نرى أفعاله وآثاره في الخلق، والرزق، والتدبير، والتصريف، والإحياء، والإماتة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾
[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الثالث : اليقين الإخباري وبقدر صدق المخبر تكون قوة اليقين .

فإذا كان المخبر هو الله ورسوله حصل كمال اليقين، كما أخبر الله ورسوله عن خلق السماوات والأرض، وعن خلق الجنة والنار : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال عز وجل : ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٨-٢١].

فاليقين الإخباري هو ما جاء عن الله ورسوله ﷺ وهو الدين.

واليقين العقلي هو ما دل عليه العقل، واليقين الحسي هو المشهود، وأي شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به كأخبار اليوم الآخر، وغيره من أمور الغيب: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١-٥].

٦ - أركان اليقين

أركان اليقين ستة وهي :

الأول : اليقين على ذات الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبموجبه يعبد المؤمن ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه .

فمن رأى الله بقلبه أطاعه ولم يعصه، وخافه وهابه ، وسلّم لأمره ، وتيقن على وعده ووعيده، ونال أعظم ثوابه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وهذا أعظم أركان اليقين، ومن وصل إليه أفلح في الدنيا والآخرة .

الثاني : اليقين على أن الموت حق لا ريب فيه، وكل مخلوق سوف يموت .

فيجب الحذر منه، والاستعداد له بالعمل الصالح، وكفى بالموت واعظًا : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة:٨].

الثالث :اليقين بأن البعث بعد الموت حق .

فيجب الاستعداد لذلك بالإيمان والتقوى، والأعمال الصالحة، والتوبة من جميع الذنوب، خوفًا من الله، وخوفًا من الفضيحة على رؤوس الأشهاد : ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج:٥-٧].

الرابع : اليقين بأن الجنة حق، فيشمر لها بالأعمال الصالحة، والإحسان إلى الخلق : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الخامس : اليقين بأن النار حق، فيسعى للنجاة منها بالمسارعة إلى فعل الأوامر، واجتناب المناهي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:٦].

السادس : اليقين بأن الحساب يوم القيامة حق .

فيحاسب العبد نفسه قبل أن يلقى ربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ [الحشر:١٨-١٩].

فيجب على المؤمن أن يعرض عمله على نفسه كل يوم وليلة، فإن رأى حسنة شكر الله عليها، واستزاد منها، وإن رأى سيئة استغفر الله منها، وعقد العزم على فراقها، والتوبة عنها فيحاسب العبد نفسه قبل أن يحاسبه ربه إذا قدم عليه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي : «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» أخرجه مسلم (١).

واليقين ضد الشك كما أن العلم ضد الجهل، والصدق ضد الكذب : ﴿ إِنَّمَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وأعظم أنواع اليقين هو اليقين الجازم على ذات الله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، واليقين على دينه وشرعه، واليقين على وعده ووعيده: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فمن تيقن على مجموع ذلك أقبل بقلبه وجوارحه على مولاه، وأعرض عن كل ما سواه، ففاز برضوان ربه والجنة، ونجا من سخط الله والنار: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ ﴾ [التوبة: ٦٨].

٧- أبواب تحصيل اليقين

بحسب قوة اليقين تكون قوة الإيمان، وقوة الذكر، وقوة الدعاء، وقوة العبادة .

وأبواب اليقين مفتوحة في الدنيا لكل من أراد الحصول عليه، وذلك بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية.

فالآيات الكونية كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٨].

أما التدبر للآيات القرآنية فكما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

فمن تَيقَنَ على ذلك آمن بربه، وسارعَ إلى عبادته وحده لا شريك له، بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا

رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وإذا ضَعُفَ هذا اليقين أو عُدِم ظهرت أعراض هذا المرض على حياة الإنسان، وسلوكه، وأخلاقه، بظهور النفاق، والكذب، والظلم، وارتكاب المعاصي، والفواحش، والتمرغ في الوَحل والشهوات، والتقصير في الواجبات والمستحبات : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس:٧-٨].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء : ١٤٢-١٤٣].

٨- صفات أهل اليقين

أهل اليقين هم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، جمع الله لهم صلاح الظاهر والباطن، وحسن الاستقامة، وكمال الانقياد والتسليم لله عز وجل، وعبادة الله بالحب، والتعظيم والذل له.

وهؤلاء هم الذين اشتراهم الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

وقال في صفاتهم، العظيمة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

وقال في ثوابهم العظيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقد وصف الله أهل اليقين في القرآن الكريم بصفات كثيرة منها:

الأولى: أنهم يؤمنون بالغيب ويستقيمون على أوامر الله، كما قال سبحانه:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٢-٥].

الثانية: أن دأبهم التفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام:٧٥].

الثالثة : أنهم مطمئنون على أرزاقهم، وأنها سوف تصل إليهم في وقتها ومكانها، وفي مقدارها ونوعها غير منقوصة : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

وقال الله عز وجل : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف : ٣٢].

الرابعة : أنهم ثابتون على الحق، لا يزيغون عنه، ولا يقبلون غيره، ويحكِّمُونه في جميع أمورهم : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال عز وجل : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

الخامسة : أن أهل اليقين هم أَئِمة الحق والهدى، لحُسن صفاتهم، وكمال يقينهم على ربهم : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

السادسة : أنهم أهل الأبصار والبصائر التي بها يعرفون الخالق من المخلوق والصور من المصور : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران : ١٩٠ – ١٩١].

وقال عز وجل : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

السابعة : أهل اليقين هم الذين يعتقدون أن النفع والضر، والعطاء والمنع، بيد الله وحده : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

وقال الله عز وجل : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

الثامنة : أهل اليقين هم الذين يعتقدون أن مفاتيح كل شيء بيد الله وحده لا شريك له : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

التاسعة : أنهم يؤمنون بأن كل خلق أو أمر كائنٌ بقضاء الله وقدره : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

العاشرة : راحة النفس، وطمأنينة القلب بذكر الله، والصبر في ذات الله : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠].

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد : ٢٨ – ٢٩] .

الحادية عشرة : من صفات أهل اليقين، قوة التوكل على الله في حالة الشدة والرخاء : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢].

الثانية عشرة : كثرة إنفاقهم في سبيل الله، لعلمهم التام أن الرزق كله بيد الله وحده : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

الثالثة عشرة : الخشوع لله، والاستقامة على أوامره : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وقال عز وجل : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

الرابعة عشرة : الزهد في الدنيا، وقصر أملهم فيها، لعلمهم أنها دار ابتلاء وفناء وأنهم مسافرون منها إلى غيرها : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال عز وجل : ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٠-١٣٢].

الخامسة عشرة : مسارعتهم إلى الخيرات، وكثرة البكاء، والدعاء، والخشوع، والانكسار بين يدي الله والأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وتحصيل اليقين يحتاج إلى أمرين :

الأول : العلم بالله وآياته ومخلوقاته، بكثرة النظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، ليحصل للعبد كمال اليقين : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: بذل الوسع في فعل الواجبات والمستحبات واجتناب المحرمات والمكروهات لأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وأعظم مفتاح لتحصيل اليقين هو العناية بكلام رب العالمين تلاوةً، وتدبرًا، وعلمًا، وعملاً، ودعوةً، وتعليمًا : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وقال الله عز وجل : ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٦].

٩ - اليقين المحمود، واليقين المذموم

اليقين نوعان :

الأول: يقين محمود، وهو اليقين على ذات الله، لأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وزبدة اليقين هو حسن الظن بالله عز وجل، فمن أحسن الظن بربه صدق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وسلم لأمره: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

ومن أساء الظن بربه كفر به، وأشرك معه غيره، وقعد عن طاعته، وأشغل وقته باتباع هواه، وجره الشيطان إلى حزبه: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨].

وقال عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

وشتان بين حسن الظن بالله، وسوء الظن به: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٥-٦].

الثاني: اليقين المذموم، وهو اليقين على كل ما سوى الله من الأصنام، والأشخاص، والأموال، والمناصب وغيرها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا ، ويقينًا صادقًا ، وقلبًا خاشعًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وحلالًا طيبًا ، وحياةً طيبةً في الدنيا والآخرة.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، واغفر لنا وارحمنا، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١] .

١٠ - ثمرات اليقين

اليقين أعلى مراتب الدين، وهو من الدين بمنزلة الروح من الجسد، فمن عاش بلا يقين عاش جسدًا بلا روح، وعاش في ظلمة بلا نور : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

فعلى العبد أن يتيقن على أخبار الله ورسوله، وعلى أوامر الله ورسوله، وعلى وعد الله ووعيده، ومن تيقن على ذلك سارع إلى امتثال أوامر الله، وعلم أن الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، وأنه لن يأخذ منها إلا ما كتب الله له فيها، ونذر نفسه لعمارة الدار الآخرة : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

ومن رزقه الله اليقين علِم أن الله وحده له الخلق كله، وله والأمر كُله، وله الملك كُله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، وعلم أن كل معبود سوى الله باطل، وأن كل ما سوى الإسلام جاهلية : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

صاحبُ اليقين يدرك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، وأن أفعال الله كلها حكمة ورحمة وعدل وإحسان، سواء كانت حلوة أو مُرة محبوبة أو مكروهة : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

صاحب اليقين يعلم أن الله ما ابتلاه إلا ليعافيه، وما أخذ منه إلا ليعطيه، وما أغلق عليه بابًا إلا فتح له من الخير أبوابًا: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥-٦].

صاحب اليقين يعلم أن ما أكرمه الله به فهو ابتلاء، وما زوي عنه من الدنيا فهو فراغ له، ليسارع إلى مرضات الله عز وجل بكل عمل صالح: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

وأكمل الناس يقيناً هم الأنبياء والرسل، ثم من آمن بهم من المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

صاحب اليقين يعلم أنه سيرجع إلى ربه بعمله، حسنا كان أو سيئا، وسوف يجزى عليه بحسب عمله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وبقوة اليقين يترقى المسلم من طاعة، إلى طاعة ومن عبادة إلى عبادة، ويسارع إلى كل فضيلة، ويبتعد عن كل رذيلة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وبحسب ضعف اليقين يتردى العبد من معصية إلى معصية، ومن صغيرة إلى كبيرة، ومن حلال إلى حرام، ومن سنة إلى بدعة، لأن اليقين روح أعمال القلوب، التي هي روح أعمال الجوارح.

وهى حقيقة الصديقية الذين وصف الله أهلها بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

واعلم أن الله عز وجل جعل الرَوح والراحة في الرضا واليقين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة:٨].

وجعل سبحانه الهم والحُزن في السخط والشك كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال عز وجل: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنعام:٧٢].

ومن علامات ضعف اليقين:

أن ترضيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على ما أعطاك الله من دون الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، فالمفاتيح كلها بيد الواحد الأحد، والعطاء والمنع كله من الواحد الأحد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

إن اليقين إذا دخل القلب امتلاء نورًا وطمأنينة وسكينة، وخرج منه كل ريب وشك، وسخط وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وتعظيمًا له، وخوفًا منه، ورضًا به، وحمدًا له، وتوكلًا عليه، وإنابة إليه، وأُنسًا به، وفِرارًا إليه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

من أيقن أن الله سيثيبه على عمله الصالح الجنة، وسيعاقبه على معاصيه بالنار، أطاعه ولم يعصه، وذكره ولم ينسه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وكلما زاد العلم بالله زاد اليقين عليه، وكلما زاد اليقين قوي الثبات على الدين،

وازداد العمل الصالح ، وزاد حب الله في قلب العبد، والخوف منه، والرجاء له، والانكسار بين يديه، وزاد حب الدعوة إليه، ودِلالة الناس عليه، وتعليم شرعِهِ، والإحسان إلى خلقه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

فاليقين أعظم مراتب الدين، وهو يحصل بالنظر وبالتدبر في الآيات الكونية، والنظر والتفكر في الآيات الشرعية : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

أما جزاء أهل اليقين فكما قال سبحانه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ –١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

البصيرة الثامنة والعشرون

القراءة بين العبادة والثقافة

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فضل القراءة النافعة

الثاني: خصائص القراءةالنافعة

الثالث: آداب القراءة النافعة

الرابع: أقسام القراءة

الخامس: أقسام القراء

السادس: طرق القراءة النافعة

السابع: الأسباب التي تعين على الإقبال والحب للقراءة

الثامن: ثمرات القراءة النافعة وتشمل ما يلي:

١ - ثمرات قراءة وتدبر القرآن الكريم.

٢ - ثمرات القراءة بشكل عام.

٢٨ – القراءة بين العبادة والثقافة

١ – فضل القراءة النافعة

القراءة هي مفتاح العلوم كلها، ولهذا أول ما أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق:١ –٥].

فكلمة اقرأ تمثل بداية الوحي الإلهي، ومولد النبوة ، والباب الأكبر الذي خرجت منه البشرية من الكفر والشرك، والضلال والظلم، إلى نور التوحيد والإيمان، والهدى والعدل، وخرجت من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن سوء العادات والتقاليد إلى سمو القيم والأخلاق، ومن عمى القلوب إلى بصائر الإيمان : ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة:٢].

فسورة اقرأ تشبه سورة الفاتحة في اشتمالها على عظيم المسائل العلمية الإلهية وأصولها، من علم التوحيد والإيمان، والأحكام والأخلاق، وغيرها من أصول الدين .

إن موضوع القراءة أول أمر إلهى أمرالله به رسوله الكريم ، وأمته تبعٌ له، وبه تحولت أمة أمية جاهلية إلى خير البرية، وخير أمة أخرجت للناس، سادت الناس بعلمها ودينها وأخلاقها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ [البينة:٧].

وقال الله عز وجل : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران:١١٠].

وبذلك انحسرت أمية الحرف بين أهلها، وكثر من يجيدون القراءة والكتابة

فيها، خاصة في هذا العصر، وأصبحت القراءة والكتابة سمتها وشعارها .

والقراءة: هي النطق بالحروف والكلمات والآيات، وجمع بعضها إلى بعض، وفهم معانيها، واتباع أحسن ما جاء من دلائلها : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٦-١٩].

والواجب على كل مسلم قراءة القرآن، وتدبره، وفهم معانيه، سواءً كان قارئًا أو مستمعًا : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقد أمر الله عباده بالقراءة في أول كلمة من الوحي، وعلى قراءة القرآن خاصة: بقوله سبحانه : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق:١-٢].

ثم كرر الأمر بالقراءة مرة أخرى تأكيدًا لأهمية القراءة بقوله : ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:٣-٥].

وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تحث على قراءة القرآن وتلاوته بالتدبر، وبصفة دائمة ومستمرة، كقوله سبحانه : ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقوله سبحانه : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [المزمل:٢٠].

وقوله سبحانه : ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف:٢٧].

وقوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

وقال النبي ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ» أخرجه مسلم (١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٤) .

وقال النبي ﷺ مرغبًا في قراءة القرآن : «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وميمٌ حَرْف» أخرجه الترمذي (١).

والقراءة من أهم طرق التعليم، وهي الوسيلة الكبرى للتعرف على ما جاء عن الله ورسوله من أخبار صادقة، وأحكام عادلة، وأخلاق كريمة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩].

ولهذا كان أول ما أمر الله رسوله به هو الأمر بالقراءة بقوله : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١﴾ [العلق:١].

وقد وردت كلمة القراءة ومشتقاتها في عشرة مواضع من القرآن الكريم، وكذلك وردت كلمة التلاوة المرادفة لها في مائة وأربعين موضعًا، وكلاهما مرتبط بالتأكيد على قراءة القرآن الكريم، لما فيه من الأخبارالصادقة والأحكام العادلة والأخلاق الكريمة، والقصص النافعة : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام:١١٥].

وذلك كله إشعار بأهمية القراءة، والكتابة، والتلاوة، والاستماع لكلام الله عز وجل والترغيب في ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ٣٠﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

وقال سبحانه : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف:١٧٠].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) .

٢ - خصائص القراءة النافعة

القراءة أعظم غذاء للقلوب والعقول .

ومن أبرز ثمارالقراءة وفوائدها وخصائصها ما يلي:

أولاً: أن القراءة أول تكليف رباني من الله لعباده للتعبد لله بها، كما قال سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق:١].

وهذا يدل على أهمية القراءة وخصوصيتها من بين سائر التكاليف، ويؤكد وجوب المبادرة إليها، لأنها أعظم أبواب العلم الإلهي، وسبيل المسارعة إلى الخيرات، ولأن العلم قبل القول والعمل : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ⑲﴾[محمد:١٩].

وهي أول أمر كلف الله به عباده من أول يوم كما قال سبحانه في أول ما نزل : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق:٣-٥].

ثانيًا: أن القراءة من خصائص الإنسان دون سائر الحيوان

فالله سبحانه شرف الإنسان دون غيره بالقراءة والكتابة والعقل فقال سبحانه مخاطبًا الإنسان: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق:١].

والقراءة والكتابة من التكريم الذي شرف الله به بني آدم دون غيرهم ،كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ⑦⓪﴾[الإسراء:٧٠].

ثالثاً: أن القراءة عملية اختيارية لا إلزامية فكل يختار ما يقرأ من العلوم الدينية والدنيوية متى شاء، والله سبحانه أمر ورغب في قراءة كتابه الذي فيه جميع ما يصلح الدنيا والأخرة فقال : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق:١].

أما ما يسمعه الإنسان فقد يفرض عليه، وقد يسمع ما لا يحب ، بخلاف القراءة فإنها اختيارية، وما يختاره الإنسان يجد فيه اللذة والمتعة

رابعًا: أن القراءة نعمة كبيرة يتعرف الإنسان من خلالها على نفسه، وعلى عظمة ربه، وعظمة نعمه، وعظمة رحمته، وعظمة ملكه وسلطانه ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق:١].

خامسًا: أن القراءة من المهارات التي تكتسب بالتعلم، فالقراءة تكتسب عن طريق التعلم بالتدريج، فيتعلم الإنسان الحروف، ثم الكلمات، ثم الجمل، ثم تسهل عليه القراءة والكتابة، ويشعر بنعمة الله عليه في ذلك : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨].

ولهذا صارت القراءة من دلائل النبوة فإن الله علمها النبي صل الله عليه وسلم مباشرة من غير تعليم أحد، فصار النبي ﷺ قارئًا بمجرد أمر الله له بالقراءة بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق:١].

وقوله سبحانه : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت:٤٨].

سادسًا: أن القراءة سريعة التأثير على الإنسان، فالقارئ يتأثر بما يقرؤه، أو يقرؤه عليه غيره، ومن هنا شرعت تزكية النفوس من خلال قراءة القرآن، والأدعية والأذكار، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وقال عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

والقراءة تحدث تأثيرًا مباشرًا وسريعًا وكبيرًا على الإنسان، سواء كانت محمودة أو مذمومة، لأن القارئ يتأثر بما يقرأ، فمن أكثر من قراءة القرآن مثلا زاد إيمانه، وقوي توحيده، وزاد حبه وتعظيمه لربه، وكثر ذكره لله عز وجل، وحسنت عبادته، وكثرت أنواع طاعته، وعظمت أجوره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠] .

ومن أكثر من قراءة حديث الرسول صل الله عليه وسلم زادت محبته له، وتوقيره له، ومعرفته له، والعمل بسنته، والعمل بكل ما جاء عنه .

ومن أكثر من القراءة لعالم أو فقيه تأثر بأفكاره، ونزل حبه في قلبه، لانتفاعه بواسطته.

سابعًا: أن القراءة أنيس القلب، وصاحب لا يمل في الوحدة والغربة .

فالقراءة يجد الإنسان من خلالها عيون الحكم، وغذاء القلب، ومتعة النفس، ونشاط العقل، وزيادة العلم .

والقراءة تزيل الجهل، وتنور القلب، وتؤدي إلى المحافظة على الوقت، ولهذا نجد القراء أقل الناس نومًا وكسلًا، وأكثرهم تبصرًا بأمور الدين والدنيا، واحفظهم للمجالس في العلم والخير، وأحسنهم إيمانًا وتقوى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

٣- آداب القراءة النافعة

القراءة النافعة أول عبادة أمر الله بها رسوله ﷺ بقوله : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق:١].

وللقراءة آداب ومقاصد وثمار كثيرة، وهذه أهم آداب القراءة النافعة :

الأول: البدء باسم الله عز وجل

أمر الله عز وجل بذكر اسم الله عز وجل عند القراءة والكتابة، والتعلم والتعليم، وكل أمر ذي بال، كما قال سبحانه : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق:١].

فاسم الله عز وجل مبارك ، تتبارك به الأمور، وتطمئن به النفوس، وتخنس الشياطين، وتقوى عزائم المؤمنين : ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ⑦⑧﴾ [الرحمن:٧٨].

وأمر الله عز وجل بذكره عند القراءة، لأن في ذكر اسم الله قوة على القراءة، وأنس بالله عز وجل، وشعور بمعيته : ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ⑧﴾ [المزمل:٨].

الثاني: الاستعانة بالله عند القراءة والتعلم والعمل .

فالله هو المستعان في كل الأمور، ومن استعان بالله أعانه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٣].

وقال عز وجل : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ⑤﴾ [الفاتحة:٢-٥].

فأمر الله كل قارئ أن يستعين بالله على القراءة، لأن ما يقرأه يحتاج إلى فهم وإلى حفظ، وبقايا الحواس تعمل وذلك كله بيد الله وحده : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق:١].

الثالث: أن تكون القراءة خالصة لله عز وجل، فقد أمر الله عز وجل بذكر اسم

الله عند القراءة، ليكون اللسان منبها للقلب في كل عمل، ليصرف العمل لله وحده،ويستعين بالله وحده، لينال أجره، ويتحقق مراده، فمن جعل قراءته لله أثيب عليها، ومن جعلها لغير الله فإنه لا يثاب عليها، لأن الأعمال بالنيات :
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].
وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه (١).

ومن قرأ ليقال قارئ، فهو أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» أخرجه مسلم (٢).

فالمؤمن يتعبد لله بقراءة القرآن مبتدأبسم الله، ومستعينًا بالله، ومخلصًا عمله لله وبذلك ينشرح صدره، ويطمئن قلبه، ويصلح باله، ويقوى عقله، ويزيد إيمانه، ويحسن عمله، لأنه بذكر الله تتبارك الأعمال، وبالاستعانة بالله تسهل الأعمال وبالإخلاص لله تُقبل الأعمال، ويحصل التوفيق والسداد، وعظيم الأجر والثواب : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

الرابع : العناية بأحسن مقروء وهو القرآن الكريم قراءةً وتجويدًا، وفهمًاوتدبرًا، فأعظم مقروء يقرؤه الإنسان في حياته هو كلام الله عز وجل

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

وقد رتب الله عز وجل على قراءة القرآن الكريم من الأجر ما لم يرد في غيره فجعل بقراءة الحرف الواحد حسنة،والحسنة بعشر أمثالها .

قال النبي ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» أخرجه الترمذي (١).

وجعل الله عز وجل تلاوة القرآن تجارة رابحة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

فعلينا أن نتعبد لله بالإكثار من قراءة القرآن، ونصدق أخباره، ونطبق أحكامه، ولا نهجر القرآن لئلا ننساه، ثم نعاقب على نسيانه : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠].

فأفضل القراءة ما كانت لكلام الله عز وجل، لأنه أعظم ما تحويه الصدور، وتقر به العيون، وتحيا به القلوب، وتردده الألسنة : ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف:٢٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

ومما يؤسف له كثرة القراءة في كلام الخلق، والغفلة عن قراءة كلام الخالق الذي كله نور وهدى، وحق وعدل، وإحسان وصدق : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام .

وقال عز وجل : ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١].

الخامس : الإكثار من القراءة وتعاهد المقروء .

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) .

فكلما أكثر الإنسان من القراءة زاد فقهه، واستنار عقله، وكثر علمه ، وكلما أكثر من تكرار المقروء ثبت مضمونه في القلب، وعلق في الذهن، وصار حاضرًا في القلب، بعيدًا عن النسيان، مثمرًا لكمال القنوت : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

ولهذا أمر الله عز وجل بتكرار القراءة بقوله : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق:١-٢].

ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:٣-٥].

وقال النبي ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا» متفق عليه [1].

السادس: تحديد الهدف من القراءة والتعلم .

فمن أعظم آداب القراءة تحديد الهدف من كل قراءة ، فلا يقرأ الإنسان للتسلية، ولا لإشباع هوى النفس ، ولا يقرأ من باب الفضول ، ولا من أجل تحقيق مآرب دنيوية فقط ، لأنه عبد الله خلقه الله لعبادته بأنواع العبادات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

لهذا فهو يقرأ القرآن من أجل أن توصله القراءة إلى معرفة ربه العظيم، وعبادته بموجب تلك المعرفة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

يقرأ القارئ لتحصيل العلم النافع، المثمر للعمل الصالح ، يقرأ ما يحقق به الخير لنفسه ولغيره، يقرأ ما تصلح به أمور دينه ودنياه .

وكل قراءة لاتصل العبد بربه، ولا توصله إلى أهداف سامية، فهي قراءة مذمومة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٣٣)، وأخرجه مسلم برقم (٧٩١).

توقعه فى الخسارة في الدنيا والآخرة : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

السابع : تحديد أولويات القراءة، فينبغي لطالب العلم أن يبدأ بقراءة القرآن الكريم، ثم بقراءة علم التوحيد والإيمان، ثم بقراءة السيرة النبوية، ثم بقراءة علم الفضائل،ثم بقراءة علم الأحكام والمسائل، وهكذا ترتب الأولويات في القراءة، ومن فقه هذا، وعمل بموجبه، أدرك من العلم أصوله وفروعه، وأوله وآخره : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

فلا ينبغي لطالب العلم أن يبدأ بقراءة علم الحديث، قبل تعلم القرآن، ولا يبدأ بقراءة علم الأحكام، قبل تعلم علوم العقيدة والفضائل، ولايبدأ بالقراءة في العلم الواحد بكبار العلم قبل صغاره، وبذلك يأتي العلم من أبوابه، و يصل إلى مقاصده وغاياته : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

٤ -أقسام القراءة

القراءة من حيث موضوعها أنواع :

الأولى: قراءة مشروعة، وهي كل قراءة شرعية، يتم من خلالها معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، ومعرفة كتبه ورسله، وهى كل ما جاء فى القرآن والسنة من الأخبار، والأحكام، وشروحات العلماء المتعلقة بذلك : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الثانية: قراءة ممنوعة، وهى كل قراءة تفسد حياة الإنسان، أو تضيع أوقاته فيما لا خير فيه ولا نفع .

والقراءة من حيث نوعها نوعان:

قراءة عامة في كل الفنون والعلوم، وقراءة خاصة في علم من العلوم كعلم التوحيد، أوالفقه، أو الأخلاق، أو الطب، أوالصناعة ونحو ذلك .

والقراءة من حيث فعلها نوعان

قراءة جهرية .. وقراءة صامته

فالقراءة من حيث نوعها تنقسم إلى قسمين :

الأولى: قراءة بسم الله ولله، وهي القراءة التي تحقق للقارئ وغيره مصالح ومنافع دنيوية وأخروية، وهي القراءة التي يتعرف المسلم من خلالها على أمور التوحيد والإيمان وأحكام الإسلام وجميل الأخلاق ونحوها .

وهي القراءة في كتاب الله عز وجل، والقراءة في سنة الرسول ﷺ، والقراءة في العلوم النافعة من كتب العلماء والفقهاء، وكذا القراءة في العلوم النافعة من الطب والصناعة والزراعة ونحوها مما ينفع الإنسان في دار المعاش .

وهذه القراءة أنفع القراءات وهي التي أمر الله عز وجل بها في قوله سبحانه وتعالي : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى

عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:١-٥].

وهذه القراءة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأولى: قراءة البحث والإيمان، وهذه القراءة تكون بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، وذلك يثمر توحيد الله، والإيمان به،وتعظيمه، ومحبته، وحمده وشكره : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

وقال سبحانه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال عز وجل : ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ:١-١٧].

الثانية: قراءة الشكر والعرفان، وهذه القراءة تكون بالنظر فى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وعظيم إحسان الرب إلى خلقه بأنواع الإحسان، وهذه القراءة تثمر حب الله، وحمده، وشكره على نعمه التي تعد ولا تحصى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣١-٣٢].

فكما ملأ الله لنا الكون بنعمه المادية والروحية، فيجب علينا أن نملأه بحبه وحمده وشكره، وأنواع طاعته، بالقلب واللسان والجوارح: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)﴾ [الملك:٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام:١٠٢].

الثالثة» قراءة التسليم والإذعان، فالله هو العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر فوق كل شيء، أعلمنا بأشياء، ومنعنا من أشياء، كمعرفة العقل، والروح، وعالم الغيب: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ [الإسراء:٨٥].

فمن عرف الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ودينه وشرعه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، سلم قلبه وجوارحه لمولاه: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ [المؤمنون:٨٤-٩٢].

وهذه القراءة تثمر كمال التسليم والإذعان، لمن خلق هذا الكون العظيم، وعلم كل شيء فيه، من ظاهر أو باطن: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)﴾ [لقمان:٢٢].

وهذه القراءات الثلاث العظيمة كلها محمودة، ومأمور بها شرعًا، وهي من أعظم العبادات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:١-٥].

الثانية: من أنواع القراءة قراءة باسم الشيطان وفي سبيله .

وهذه القراءة قراءة الظلم والطغيان والعدوان، وهي كل ما سوى القراءات الثلاث السابقة.

وكل قراءه ليست باسم الله ولا لله، من قراءة كتب السحر، والشعوذة، وقراءة الكتب المنحرفة، والصحف الماجنة، والحيل الماكرة، والمخططات المدمرة، وغيرها مما يدمر الحياة، ويفسد الناس، ويهلك الحرث والنسل، كلها باسم الشيطان، وفي سبيله، وهي محرمة : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٦-٧].

فالقراءة إما أن تكون عبادة لله، يثاب الإنسان عليها في الدنيا والآخرة، وإما أن تكون عبادة للشيطان بكل قراءة محرمة : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١١٩-١٢١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨].

فالإنسان لله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥٦].

والوقت لله وصرفه لغير الله تعد لحدوده : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

فيجب علينا الوقوف عند حدود الله، وعدم تعديها إلى غيرها : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق:١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٢٩].

٥ -أقسام القراء

- **القراء في القرءان ثلاثة أقسام :**

الأول: قراء على هدى من ربهم .

وهؤلاء صفوة نادرةفي الخلق، يقرءون باسم الله، ويستعينون بالله، ويخلصون عملهم لله، يتتقون ما يقرءون من قراءة كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ وغيرهما مما هو نافع ومفيد ومثمر : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق:١].

وهذه القراءة أحسن قراءة، وأعظم تجارة، لأنها تزيد المعلومات، وتوسع الفهم وتنير العقل، وتهذب السلوك، وترفع الجهل، وتثمر التوحيد والإيمان، وصالح الأعمال، وعظيم الأجر والثواب : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

فهؤلاء خير القراء، وأنفعهم لأنفسهم ولغيرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:٥].

الثاني :قراءٌ على غير هدى .

وهؤلاء قوم لهم شغف وحب للقراءة، لكنهم لا يميزون بين ما ينفع وما يضر، فهم يحبون أن يقرؤواكل شيء، كالذي يحب أن يأكل كل شيء، فيغرق في شهواته .

وهؤلاء يصرفون أوقاتهم في قراءات غير نافعة، مثل كتب الأحاجي، والألغاز، والمسرحيات، والمجلات الفنية، والرياضية، والمجلات الماجنة وغيرها من الكتب والمجلات الفارغة المنحرفة التي امتلأت بها أسواق المكتبات .

وهؤلاء : ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم:٧].

هؤلاء يقرؤون لكن دون هدى، أو لهدف معوج، فما وصلوا إلى المطلوب، وقرؤا لكنهم لم يفهموا مقصد الحياة، وقرؤا مع القراء، لكنهم وصلوا إلى سراب وضيعة وخسارة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس:٧-٨].

فهؤلاء أهدافهم غائبة أو معوجة، يقرؤون كل شيء إلا القرآن والسنة، وإن قرؤوا كلام الله قرؤه من غير فهم ولا تدبر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد:٢٤].

وهؤلاء ضلوا عن الصراط المستقيم، وتعلموا مالا ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، فاحذرهم ولا تكن منهم: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

وهؤلاء أخسر الناس علمًا وعملًا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة:١٦].

الثالث: قوم هجروا القراءة، وأعرضوا عنها، وهجروا كتاب الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان:٣٠].

وهؤلاء اذا قرئ عليهم القرآن لا يحسنون الاستماع ولا الفهم: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾ [الأنفال:٣١].

وهؤلاء قد امتلأت قلوبهم بالكبر، والإعراض عن دين الله، فعذاب الله ينتظرهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٧].

وهؤلاء أقل الناس حظًا في العلم، المتعلم منهم أقرب ما يكون إلى الجاهل، لأنه معرض عن التفكر والتدبر، ومعلوماته محدودة، لهذا فهو يسلم غالبًا لكل ما يقرؤه أو يسمعه، لفقده الميزان الذي يزن به الحق من الباطل، والنافع من الضار، والجيد من الرديء : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق:٢٠-٢١].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

وقال الله عز وجل : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية:٦].

وهؤلاء من أخسر الناس، وأقل الناس حظًا من العلم والعمل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك:٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

٦ - طرق القراءة النافعة

أفضل الطرق النافعة للقراءة هي ما هدى الله رسوله ﷺ إليها ، بقوله سبحانه : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٨].

والنبي ﷺ هداهُ الله في كل شيء إلى أحسنه وأنفعه وأكمله، ثم جعله أسوة لنا في كل شيء، كما قال سبحانه : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

لهذا علينا التعرف على هذه الطريقة التي هدى الله إليها نبيه ﷺ من خلال سنته القولية والفعلية لقراءة القرآن الكريم .

ومن أصول هذه الطريقة النافعة ما يلي:

الأول:قراءة القرآن بالترتيل، وقراءة القرآن بترتيل هي أن يقرأ القارئ مترسلًا في قراءته، مع إخراج الحروف من مخارجها، وإعطائها حقها من الإظهار، أو الإخفاء، والوقف السليم بين الكلمات والجمل والآيات، دون عجلة بالنطق، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:١-٤].

فالترتيل في القراءة من أعظم سبلِ الفهم، والحفظِ، والأداءِ الصحيح ،كما قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٦].

الثاني:أن يقرأ بصوتٍ واضحٍ حسن، وهذه الطريقة في القراءة مدح الله بها داود ﷺ حين قرأ الزبور، وكان لها أثر علي الجبال والطيور ، كما قال سبحانه : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء:٧٩].

وقال سبحانه : ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ:١٠].

ومن ذلك التغني بالقرآن، والتغني بالقرآن أن يجهر الإنسان بصوته ويندية ويحسنه، ويجعله خاشعًا، لأن النفوس تميل إلى سماع الصوت الحسن، وتتأثر به أكثر من غيره، فيستحب ذلك بشرط ألا يخرج إلى حد التمطيط

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «حسّنوا القرآنَ بأصواتِكم فإنَّ الصوتَ الحسنَ يزيدُ القرآنَ حُسْنًا» أخرجه ابن ماجه (١).

وقال النبي ﷺ : «ليس منا من لم يتغنى بالقرآن» أخرجه البخاري(٢).

الثالث: اختيار الأوقات الفاضلة للقراءة، والأماكن المباركة، والأحوال المناسبة .

فأفضل الأوقات للقراءة وقت الفجر، لأنه بعد النوم والراحة، فيكون الذهن مستعداً للفهم، كما قال سبحانه : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء:٧٨].

والثلث الأخير من الليل أحسن الأوقات ،كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل:٦].

وأفضل الأماكن المساجد، والأماكن المهيأة للقراءة، البعيدة عن الأصوات المزعجة .

وأفضل الأحوال أن يكون الإنسان مطمئنًاغير مشغول بشيء، وأن يكون في وقت النشاط والصحة والراحة، ليركز في قراءته، ويفهم ما يقرأ، ويتأثر به كما نزل أول الوحي على النبي ﷺ في غار حراء حيث السكون والخلوة

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (١٣٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥٢٧) .

وصفاء النفس : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق:١ –٥].

الرابع: تطهير النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة .

فطهارة النفس من المعاصي والذنوب، وطهارة البدن من الحدث الأكبر و الأصغر، وتزكية النفس بالإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، كل ذلك يجمع القلب ويقويه على فهم ما يقرأ، ويبعد عن النفس وساوس الشيطان وصوارفه : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧–١٠].

فالشيطان يُلَبِّس على الإنسان عند القراءة فليستعذ بالله منه : ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل:٩٨–٩٩].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء:٣٨].

فعلى العبد ليستفيد من قراءته أن يحضر عند القراءة بسمعه وبصره وقلبه، ولا يقرأ وهو يدافع الأخبثين أو يشاهد الصور والمناظر التي تصرف الفكرَ عن الفهم والتدبر والاستفادة، وغير ذلك من الصوارف : ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ [الأحزاب:٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق:٣٧].

الخامس: أن يقرأ بتدبرٍ وفهم .

فمن أعظم طرق القراءة النافعة والمؤثرة أن يقرأ القرآن بتدبرٍ وفهم، مستجمعًا سمعهُ، وبصرهُ، وعقلهُ، وقلبه، غيرَ ساهٍ ولا لاهٍ، ولا مشغولٍ و لا غافل : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩].

فليست العبرة بكثرة القراءة، ولكن العبرة كيف نقرأ بفهمٍ وتدبر ،لأن مقصود القراءة الفهم والتدبر، والعمل بموجب ذلك، فاقرأ قراءةً تسمعها أذُنيك، ويعيها قلبك : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق:٣٧].

السادس: أن يعرف قدرَ من يقرأ له، فمن يقرأ القرآن فعليه أن يتذكر من تكلم به، ويحضر بقلبهِ وسمعهِ وبصرهِ حضور من يخاطبهُ من تكلم به : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق:٣٧].

والجبال الرواسي تعلم قدرَ كلام الله جل جلاله لو أنزلهُ عليها ،كما قال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١].

ومن يقرأ السنة فعليه أن يتذكر الرسول ﷺ،ويعرف قدرهُ، ورحمتهُ، وجهادهُ، وحسن أخلاقه، فيوقره، ويوقر كلامه، ويمتثل أمره، ويجتنب نهيه ويتلقى كل ما جاءَ عنه بالقبولِ والتسليم : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

وقال عز وجل : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

فبقدر ما يعرف الإنسان قدر من يقرأ له، بقدر ما يكون لماقرأه أثرٌ عليه في حياته وسلوكه .

السابع :أن يكون للقارئ وردٌ ثابت من القراءة النافعة.

فعلى المسلم أن يكون له وردٌ يومي لقراءة القرآن، يلتزمُ به طيلة حياته وعافيته، يتناسب هذا الورد مع صحته وفراغه، وأعماله وواجباته، ولهذا أمر النبيﷺ أصحابه وأمته بالمواظبة على قراءة القرآن يومياً، وختمه في فترةٍ زمنيةٍ محددة كَسبعةِ أيام، وأن لا يزيدون على ذلك حتى لا يفوت عليهم فهم المعنى والتدبر لما يقرأون، أو يكون على حساب واجباتٍ أخرى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

وقال النبي ﷺ : «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فأن الله لا يمل حتى تملو وأن أحب الأعمال إلى الله ما دوم عليه وإن قل وكان آل محمدﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه» أخرجه مسلم (١).

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ، قُلْتُ:إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ»متفق عليه (٢).

الثامن:تعاهد المقروء فترة بعد فترة، لئلا ينساه .

فالمسلم وهو يقرأ في الجديد عليه أن تكون له مراجعة مستمرة للقديم الذي قرأه وفهمه لئلا ينساه ، وبهذا يحافظ على القديم، ويزيد من الجديد، فيزداد علما وخيرا، فإن لم يفعل ذلك سُرعان ما يذهب القديم، ويصعب عليه إرجاعه.

قال النبي ﷺ«تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا» متفق عليه (٣).

وقال النبي ﷺ : «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صاحب الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٧٨٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٨)، وأخرجه مسلم برقم (١١٥٩).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٣٣)، وأخرجه مسلم برقم (٧٩١).

عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ» أخرجه البخاري [1].

التاسع: تدارس ما يقرأ مع غيره، ليثبت في ذهنه وقلبه .

فالعلوم ترسخ في الذهن بالمدارسة المستمرة مع الغير .

قال النبي ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» أخرجه مسلم [2].

«وكان جبريل يدارس القرآن مع النبي ﷺ في كل سنة مرة ، ودارسه إياه في العام الذي قبض فيه مرتين» أخرجه البخاري [3].

العاشر: تقييد ما يقرأه الإنسان من الفوائد .

فالعلم صيد، والكتابة قيده ،فمن أعظم الطرق لحفظ العلم تقييد الفوائد التي تمر به أثناء القراءة ،أو المعاني التي تفتح عليه أثناء القراءة من الفتوحات الربانية ،فإن لم يكتبها نسيها وذهبت عنه فخسرها، لهذا ذكر الله عز وجل القلم بعد الأمر بالقراءة تنبيهًا لكتابة العلم لئلا ينسى، فقال : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق:١-٥].

وقال الخليل أحمد ما سمعت شيئاً إلا كتبته ،ولاكتبت شيئاً إلا حفظته ، ولاحفظت شيئاً إلا انتفعت به .

وإذا كان الله أوصانا بكتابة الدَّين، ليحفظ ولا ينسى ولا يضيع، فكتابة العلم الإلهي أولى، لأن حفظه أولى، ونسيانه أسرع .

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٥٠٣١).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٣)أخرجه البخاري برقم (٣٢٢٠).

٧- الأسباب التي تعين على الإقبال والحب للقراءة

مما يعين على الإقبال والحب للقراءة ما يلي:

أولاً: أن يعلم العبد أن القراءة النافعة عبادة لله عز وجل، فالقراءة والتعلم والتعليم عبادة أمر الله بها، بل هي أول عبادة أمر الله بها رسوله ﷺ بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق:١].

وقال عز وجل: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

فالقراءة للقرآن والسنة عبادة والمذاكرة تسبيح، والهجرة في سبيل طلب العلم هجرة في سبيل الله: ﴿۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة:١٢٢].

ومن شعر أن ذلك كله عبادة، حمله ذلك على الإسراع في طلب العلم، والمداومة على القراءة، وعلى الصبر والتحمل، لأن القراءة طريق العلم النافع، والعمل الصالح، والأجر العظيم، وغياب هذا الشعور يؤدي إلى عزوف الأمة عن القراءة والتعلم، ومن ثم ينشغل بالشهوات المهلكات: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام:٤٤].

ثانيًا: مما يعين على حب القراءة تهيئة الأمة لتكون القراءة سلوكًا اجتماعيًا وذلك بإنشاء المراكز و الدور والمكتبات العامة، وإعداد المكتبات في البيوت، حتى تكون الأجواء علمية يستفيد منها كل فردٍ في أي مكان وتجذب كافة

الطبقات إليها : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

ثالثًا:مواصلة القراءة واستمرارها يجعلها محبوبة للنفس، لما تثمره من المعارف والعلوم النافعة، وذلك أكبر دافع ومحفز لطلب المزيد من العلوم .

رابعًا:إدراك الإنسان حاجته إلى القراءة التي تزيد في علمه، وترفع منزلته، وتحسن سلوكه، فالعمر قصير، والوقت محدود، والطاقة سرعان ما تذهب، وماتجده اليوم سهلًا قد يكون غدًا صعبًا، والعاقل يملأ أوقاته بالعلم النافع، والعمل الصالح، والذكر الحسن، وتحصيل الأجر : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقَالَ النبي ﷺ: ((اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ،وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)) أخرجه الحاكم(١)

خامسًا: علو الهمة، والثقة بالنفس .

من أعظم الدوافع المشجعة على القراءة علو الهمة، والثقة بالنفس، لأن النفوس المنهزمة والفارغة والغافله والضالة قلماتستفيد من حياتها وأوقاتها : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

---

(١)صحيح: أخرجه الحاكم برقم (٧٨٤٦).

سادسًا: ومما يعين على القراءة إدراك قيمة الوقت، وحسن استغلاله فيما ينفع في كل الظروف والأحوال، فالوقت كالإناء من وضع فيه خيرًا وجده، ومن وضع فيه شرًا وجده: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

سابعًا: ومما يعين على القراءة تحديد الأهداف في الحياة.

فمن لا هدف له لا عمل له، ومعرفة أهداف الإنسان في الحياة أكبر مشجع على القراءة التي تُعرفه بمقصد وجوده في هذه الحياة الدنيا.

وعدم معرفة الهدف، وعدم ترتيب الأولويات، يؤدي بالإنسان إلى التأخر والتراجع، والتراخي والكسل، والاستسلام لحياة البطالة والكسل، وإضاعة العمر والأوقات وغيرها مما حاربه الإسلام بقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح/ ٧-٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢﴾ [محمد:١٢].

٨ - ثمرات القراءة النافعة

الأولى :ثمرات قراءة وتدبر القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم قراءته وتلاوته لها فوائد وثمرات وبركات عظيمة.

فالقرآن كتاب عظيم وكريم، ومبين وحكيم، فيه تبيان كل شيء،وتفصيل كل شيء وعلم كل شيء وأخبار كل شيء : ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١].

وهو معين لا ينضب، لا يمل حديثه، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، كلما ردده المسلم زاد نورًافي قلبه، ومحبةلربه، وذكرًاله بلسانه، وعملًا بجوارحه، لأن ألفاظه محكمة، وأخباره صادقة، وأحكامه عادلة، وعلومه نافعة: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

ولهذا أمر الله عز وجل بتلاوة كتابه كل حين بقوله : ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المزمل:٢٠].

والقرآن الكريم كتاب محكم البيان، محفوظ من الزيادة والنقصان : ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

القرآن كتاب محكم، يصدق بعضه بعضًا، لا اختلاف فيه ولا تعارض : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء:٨٢].

القرآن كتاب عظيم يهدي لأحسن الأقوال، والأعمال، والأخلاق : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

فهو غذاء للقلوب الحية، وشفاء للقلوب المريضة، وهدًى ورحمة للعالمين : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وكتابٌ هذا وصفه، وهذه آياته وسوره، وهذه أخباره وأحكامه، حق علينا أن نقرأه ونتلوه حق تلاوته بفهم وتدبر لما فيه : ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد:١٦-١٧].

ومن أعظم ثمرات وفوائد قراءة القرآن الكريم وتدبره ما يلي:

أولاً: اطمئنان القلب في الدنيا والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

ثانيًا: زيادة الإيمان، وحب الأعمال الصالحة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ثالثًا: نزول السكينة والرحمة عند تلاوته ومدارسته .

قال النبي ﷺ: «ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» أخرجه مسلم [(١)].

رابعًا: ذكر الله عز وجل لمن يتلون كتابه ويذكرونه : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

خامسًا: غفران الذنوب، وزيادة الأجور : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

وقال النبي ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف؛ ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» أخرجه الترمذي [١].

سادسًا: رفع المنزلة والدرجة في الدنيا والآخرة : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١].

وقال النبي ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بها» أخرجه الترمذي [٢].

سابعًا: الإمامة في الدين : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤].

وقال النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أخرجه البخاري [٣].

وقال النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة» أخرجه مسلم [٤].

ثامنًا: الفوز بشفاعة القرآن في الآخرة :

قال النبي ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ» أخرجه مسلم [٥].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٠).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٤) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٦٧٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٨٠٤).

تاسعًا: وقاية المسلم من شياطين الإنس والجن: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥].

عاشرًا: التداوي بالقرآن من الأمراض الحسية والجسدية والقلبية: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[الإسراء:٨٢].

وعن عائشة رضي الله عنهاقالت: كان النبيﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده. متفق عليه (١).

الحادي عشر: أن قراءة القرآن تكشف للقارئ أحوال الماضي، والحاضر، والمستقبل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فقراءة أحوال الماضي للتثبيت: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود:١٢٠].

وقراءة الحاضر للتطبيق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

فبعد العلم والقراءة يكون التطبيق بالعمل الصالح الذي أمر الله ورسوله به.

وقراءة المستقبل للترغيب والتشويق: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

الثاني عشر: حصول الهداية لمن قرأ القرآن: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:١-٢].

هذه هي أهم الثمرات والفوائد التي تحصل بقراءة القرآن الكريم وتدبره.

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠١٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢١٩٢).

الثانية: ثمرات وفوائد القراءة بشكل عام

للقراءة النافعة ثمرات كثيرة أهمها :

أولًا: حفظ الوقت، وبذله في الأمور النافعة، فالوقت رأس مال الفرد والأمة، فحفظه بالقراءة فيه ربح عظيم، وضياعه من غير فائدة خسران مبين : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

وكلما أعطى الإنسان وقتا للقراءة شعر بحاجته إلى مزيد من القراءة، لأنها تبصر الإنسان بحاجته إلى أنواع العلوم التي يتغذى بها قلبه وعقله، وتعمل بها جوارحه.

ثانيًا: أن القراءة تثمر حب العلم والعلماء، لأن العلم نور، والعلماء ورثة الأنبياء، ولا تزال الأمة بخير ما اهتدت بعلمائها الربانيين : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

فإذا اتخذت الأمة رؤوسا جهالا ضلت وأضلت، وخسرت ولم تربح، وأطاعت الشيطان، وعصت الرحمن : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩﴾ [النساء:١١٩].

ثالثًا: أن قراءة أحوال الماضي، وما كان فيه من دروس وعبر، من أعظم سبل المعرفة، وأقو ى أسباب التقدم والرقي والسلام : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج:٤٦].

والسير يكون بالأقدام، ويكون من خلال قراءة الأوراق التي تكشف أحوال الماضين، وما جرى لهم، كما قال سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى

ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [يوسف: ١١١].

رابعًا: أن القراءة تعرفنا بخطط أعداء الإسلام، وتكشف لنا مكرهم وكيدهم للإسلام وأهله، فنأخذ بالحيطة والحذر من ذلك .

وإذا عرفنا ذلك استطعنا الصمود في وجه الغزو الفكري الماكر، المقرون بألوان الصناعة والأشياء المادية النافعة التي ينخدع بها الإنسان .

فبالقراءة نكون متبصرين بما يصدر إلينا ، فنأخذ ما يوافق الشريعة، ونرد كل صور الجاهلية التي تخالف الشريعة، وذلك بأخذ ما يوافق القرآن والسنة، وهدي السلف الصالح : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

ونأخذ بكل ما يكون سببًا لعِزتنا ورِفعتنا، من كل علم مادي نافع، سبق إليه أعداؤنا، وقعدنا بسبب سوء الفهم عن تحصيله.

خامسًا: أن القراءة تُعرِفنا بأحوال الناس من حولنا، وما هم عليه من الكفر والشرك، والضلال والعذاب، والظلم والطغيان .

وإذا عرفنا ما هم عليه سارعنا إلى دعوتهم إلى دين الإسلام، دين الرحمة والعدل والإحسان : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

سادسًا: أن القراءة والتعلم تفتح لنا أبواب تحسين مستوى المعيشة، وتسهيل أسباب كسب الرزق، لأن المِهَن غالبًا مرتبطة مباشرة بالقراءة والتعليم، والجاهل لا حظ له في ذلك، فيبقى عالةً على غيره، لا يعطيه شيئاً حتى يذله ويستعبده : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ

ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢].

سابعًا: أن القراءة سببٌ لزيادة العلم، وتجديد المعارف، وتقوية اللغة، وترقية الفهم، ونضج الفكر، ورفعة الدرجات.

القراءة تضيف إلى عمر الإنسان أعمارًا أخرى بعناوين مختلفة، هي أعمار الكُتاب والمفكرين، والعلماء والفقهاء، الذين يقرأ لهم الإنسان : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال سبحانه : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١].

وقال عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

ولهذه الثمرات والفوائد العظيمة للقراءة، ولِكون القراءة أول عبادة في الإسلام، ومن أعظم الأسباب لمعرفة الدين، ومعرفة مصالح الدنيا، فإنه يجب علينا أن نحافظ على القراءة، وحسن القراءة، وأن نربي أولادنا على حب القراءة، وتدريبهم عليها في البيوت والمدارس، والجامعات والمساجد، خاصة قراءة القرآن والسنة، مع سلوك كل الحوافز المشجعة على ذلك، وتوفير الكتب النافعة بأعداد كافية، لتكون في متناول الجميع، مع الاستفادة من الوسائل الحديثة، لجذب نفوس الشباب إليها، وربط سائر العلوم بالقرآن والسنة، لتكون البداية سليمة، والنتائج مثمرة، والحياة سعيدة.

وبهذا تعلو الأمة وتسود،كما ساد أسلافها لما ربطوا حياتهم بالقرآن والسنة : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم:١].

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ [الأنبياء: ١٠].

فتحصيل الخير كله، ودفع الشر كله، بقراءة القرآن الكريم، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥
يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا.

اللهم عملنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

البصيرة التاسعة والعشرون

الفتوى تأصيل وتطبيق (١)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول :فقه الإفتاء .

الثاني: تأصيل الإفتاء .

الثالث: الأصول التي تقوم عليها الفتوى .

الرابع: مجالات الفتوى .

الخامس: الفتوى في الماضي والحاضر .

السادس: صفات ومؤهلات المفتي .

السابع: أسباب الضلال في الفتاوى.

٢٩- الفتوى تأصيل وتطبيق (١)

١ - فقه الإفتاء

الشريعة الإسلامية هي دين الله الكامل إلى أهل الأرض جميعًا إلى يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وفي دين الإسلام من الأصول والقواعد والأحكام ما يجعله قادرًاعلى الوفاء بحاجات الناس المتجددة في كل زمانٍ و مكان .

وقد خص الله علماء الإسلام ببيان أصول هذا الدين، ومعرفة أسراره، وكشف ما خفي منه، وبيان أحكامه، وتعليم سننه : ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل:٤٣].

وفي زماننا هذا نعيش في فوضًى عارمة في مجال الفتوى الشرعية ،حيث نجد من ليس أهلًا للفتوى قد وظف نفسه للإجابة على أسئلة الناس، من خلال أجهزة الاتصال الحديثة، والقنوات المختلفة، طلبًا للمال، أو للشهرة، أو المصلحة، أو المكانة، أو التصدر، أو حب الظهور .

وهؤلاء يفتون الناس في كل صغيرة وكبيرة، ويحكمون بالحل والحرمة بلا علم ولا دليل ولا برهان من كتاب أو سنة : ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة:٧٩].

وهؤلاء أضر شيء على أنفسهم، وعلى الأمة، وسوف يحاسبهم الله على ما فعلوه وقالوه من إضلال الناس : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النحل:١١٦-١١٧].
فالفتوى بغير علم من أعظم الذنوب، لما فيها من الضلال والإضلال، والفساد والهلاك: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣].
وكل أحد سوف يُسأل عن قوله وفعله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء:٣٦].
وقال عزوجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

ولا ريب ولا شك أن دخول من ليس أهلًا للفتوى في الإفتاء، أدى إلى توسيع دائرة الخلاف بين الناس التي يجب أن تضيق، فلو أفتى من يعلم، وسكت من لا يعلم،لقل الخلاف،وزال الجدل،وحصل الائتلاف: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].
إن منصب الفتوى من أعظم مناصب الدين، وهو أمانة عظيمة، ومنزلة شريفة، خص الله بها من هم أهل لها من العلماء: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ [آل عمران:٧٣].
وقال الله عز وجل: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].
والفتوى: هي تبيين المشكل من الأحكام الشرعية، بالإخبار بالحكم الشرعي المبني على دليل من القرآن أو السنة من غير إلزام به.
والمفتي: هو من يتصدى للفتوى بين الناس، ويبين لهم الحكم الشرعي فيما

يُسأل عنه من المسائل في العبادات أو المعاملات وغيرهما من أمور الشريعة .
والمفتون الذين يحق لهم الفتوى هم:
الله عزوجل، و الرسول ﷺ، والعلماء الربانيون .
فالله عزوجل يفتي عباده في مسائل كثيرة كما جاء في القرآن : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النساء:١٢٧].
والنبي ﷺ هو أول مفتٍ من البشر، وأعظم مفتٍ من البشر، وكذلك ورثته من العلماء الربانيين.
وأركان الفتوى ثلاثة :
السائل : وهو المستفتي
والمسؤول: وهو المفتي
والمسألة : وهي المسألة التي عرضها السائل على المسئول، ليجيب عليها.
فأعظم من قام من الناس بمنصب الفتوى العالي الشريف سيد الأنبياء والرسل والناس أجمعين محمد ﷺ، فكان أعلم وأعظم بمن قام بهذا المنصب الشريف، فكانت فتاويه جوامع الأحكام، وفصل الخطاب في كل شيء : ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣].
ثم قام بذلك من بعده أكابر الصحابة، والعلماء الربانيون، الذين تعلموا شرع ربهم، وتفقهوا في دينه، وحفظوا مسائلة،ونهضوا للتوقيع عن رب العالمين بما في سنة سيد المرسلين، فحفظوا على الأمة دينها صافيًا من غير كدر، وحموه من التغيير والتبديل، والكدر والبدع : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

٢ - تأصيل الإفتاء

لحفظ منصب الإفتاء، وتقويم الاعوجاج الذي أصابه، وتأصيله في ضوء القرآن والسنة، وتحديد من يقوم به من العلماء الربانيين، لهذا وغيره لابد من القيام بالأمور الهامة الآتية:

الأول: تحديد مرجعية الفتوى، ليسألها الناس، ولا يسألون غيرها .

وذلك باختيار طائفةمن أهل العلم العدول، المبتغين وجه ربهم وحده لا شريك له، الذين يبينون للناس ما نُزِّل إليهم، ابتغاء مرضات الله، وينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩].

وفرقة الأمة أمر عظيم، ولا يجمعها على الحق إلا العلماء الربانيون : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء:٨٣].

الثاني: إقالة الأمة من عثرتها الدينية والدنيوية .

وذلك بفهم مقاصد الشريعة الإسلامية التي تحقق للناس الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

فكما يجب أن نعرف نواقض الإسلام، ونواقض الوضوء، كذلك يجب أن نعرف نواقض التقدم والعمران والحضارة، حتى تستعيد الأمة مجدها وعزها بين الأمم في ضوء تعاليم الإسلام : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢].

ويتم ذلك بتفعيل آلية الفتوى التي تطهر الأمة من الفهوم الخاطئة المخالفة لصريح القرآن والسنة : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

الثالث:يجب أن تصدر الفتوى في المسائل العامة والخاصة، عن اجتهاد جماعي يحقق القول السديد في كل نازلة : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

الرابع: حسن الظن بالغير، والأخذ بأدب الحوار حين الاختلاف، بحيث لا يصير الحوار تحارشًا، ولا الاختلاف قطيعة وعداوة : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

الخامس: أن تكون الفتوى خالصة لله عزوجل، من غير ميل إلى هوى حاكم، أوهوى العامة : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

السادس: قراءة التراث الإسلامي، والإستفادة منه، من غير تقديس ولاتبخيس،لأنه جهد عظيم نافع، نأخذ منه ما يشهد له الدليل من القرآن

والسنة، ونعرض عما سوى ذلك : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

السابع: السعي لوحدة مصدر الفتوى،لأن مسائل الدين حق لكل إنسان، من كان، وحيث كان : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٣-٤٤].

الثامن: نشر الفتاوى الصادرة من علماء الأمة الربانين في وسائل الإعلام المختلفة، ليستفيد منها أهل الأرض جميعًا ويعملوا بموجبها وبذلك تجتمع الأمة، ويزول عنها الخلاف : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم:١].

والفتوى دواء لكل مستفتٍ من الأمة، فيجب بذلها له في ضوء القرآن والسنة، ليتم شفاؤه من جهله : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

ويحرم على العالم كتمان العلم الذي علمه الله، وحرمان الناس منه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

٣-الأصول التي تقوم عليها الفتوى الشرعية

للفتوى الشرعية أصول تقوم عليها ومنها :

الأول :أن الفتوى ميثاق للبيان، وعدم الكتمان.

فالبيان كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال الله عز وجل : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران:١٨٨].

وعدم الكتمان كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

الثاني: أن المفتي نائب النبي صلى الله عليه وسلم في أمته ،وبقدر شرف الإفتاء وعظيم أجره، يكون خطره ووزره لمن تولاه بغير علم : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

الثالث : الفتوى قائمة على الكتاب والسنة ، فإذا كان النص قطعي الثبوت والدلالة لم تجز مخالفته، وإن كان النص ظني الثبوت، أو ظني الدلالة، فهو محل لاجتهاد المجتهدين بلا إنكار بينهم .

الرابع :أنه لا ينكر ولا يعنف على المخالف في القضايا الاجتهادية .

فما أجمعت عليه الأمة، وما علم من الدين بالضرورة، فيجب العمل به، والإنكار على من خالفه، كوجوب الصلاة والزكاة ونحوهما، وتحريم الربا والزنا ونحوهما ، كل ذلك شذوذ يجب التصدي لمن قال بخلافه، ومحاورته بالحسنى للعدول عنه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) متفق عليه [1]

السادس: لا تعتبر الفتوى الصادرة من أي جهة صحيحة إلا إذا اعتمدت على دليل شرعي صحيح، وتوافقت مع مقاصد الشريعة الإسلامية : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمًا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

السابع: الفتوى فرض كفاية، فإذا قام بها من يكفي من العلماء سقط الإثم عن الباقين : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

٤ - مجالات الفتوى

ضوابط اصدار الفتوى :

الأول:مجالات الاجتهاد مقصورة على الأحكام الشرعية الظنية والمصلحية والقياسية والمبنية على العرف، والأدلة المختلف فيها .

الثاني : يجب العمل على إحياء عملية التجديد في الأحكام الفقهية المرتبطة بعلل متغيرة ،كالعرف، والمصالح، والضرورات .

الثالث : حرية التعبير والصراحة في الإفتاء أمر مطلوب شرعًا من المفتي، بشرط أن لاتضر الصراحة بالآخرين، ولا تفتح أبواب فتنة تمزق الأمة : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

الرابع : لا تصدر الفتوى في أمر عام إلا بعد سؤال أهل الخبرة، فالفتوى أقرب للصواب إذا اجتمع عليها فقهاء الشرع، وخبراء الواقع : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

الخامس : وجوب التشاور مع أهل الفتوى في المسائل النازلة، والتي تحتاج إلى نظر جماعي، لتكون أقرب للصواب .

السادس : يجب تفعيل دور المجامع الفقهية في البلاد الإسلامية، لتستعيد الأمة ثقتها في مرجعيتها الشرعية.

السابع : يجب دعم مراكز ومؤسسات ومجامع الإفتاء بالعلماء الثقاة، المؤهلين للفتوى،وتعزيز واجبها الشرعي بنصح الراعي والرعية، بلا محاباة ولا مبالاة : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وقالَ النَّبِيَّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لمَنْ؟ قَالَ للهِّ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [١].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٥٥).

٥ - الفتوى في الماضي والحاضر

مع تغير أحوال العالم، وتطور الأسواق التجارية، والمواصلات العامة، واقتراب الأسواق، وتطور وسائل الاتصال الحديثة، وسهولة البيع، والشراء، والاستلام، والتسليم، مما يوجب على العلماء سرعة إصدار الفتاوى الشرعية في كل جديد ونازلة لم تكن من قبل .

فاقتصاديًّا أصبح العالم كأنه سوق واحد متكامل، تجري فيه المعاملات المالية بين الناس في كل مكان وزمان، مما أدى إلى الوقوع في المعاملات المحرمة، التي أكلت الأخضر واليابس، وخفي على الناس بسببها الحلال من الحرام .

ودينيًّاأدت هذه الثورة التجارية والصناعية إلى تغليب المادة على الروح، وتقديم العاجل على الآجل، والاشتغال بالشهوات عن أوامر الله، حتى صار كثير من الناس عبدًا لشهواته لا لربه، مما أدى إلى كثرة الشبهات، والوقوع في المحرمات : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم:٥٩].

وسياسيًّا بسط أهل الكفر والشرك سيطرتهم وحضارتهم على من سواهم من المسلمين، فتحكموا في أسواقهم وأموالهم، وتجارتهم وحياتهم، فدخل الناس في الحلال والحرام والجائز والممنوع من حيث لا يعلمون .

واجتماعيًّا دخلت في حياتنا أمور وعادات من أهل الغرب والشرق، وتزاحمت العادات والتقاليد مع سنن الإسلام وآدابه، حتى أشبهت حياة المسلم حياة الكفار في كل شأن، وذلك كله بسبب ترك الدعوة إلى الله، وعدم رحمة الناس، وعدم فهم مقاصد الإسلام، وعدم إيصال الخير إلى الغير، فلما منعنا عنهم خير ما عندنا وهو الإسلام، أرسلوا إلينا شر ما عندهم مقروناً بالصناعة والتجارة التي تحبها النفوس : ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ ﴾ [البقرة:١٠٩].

٦ - صفات ومؤهلات المفتي الشرعي

للمفتي الشرعي صفات ومؤهلات أهمها :

أولًا: إخلاص العمل لله عز وجل، وصدق التوكل عليه، والضراعة إليه في فهم المسائل، وبيان أحكام الشريعة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

ثانيًا:الفقه في العلم الشرعي ؛ فمن لا يَعْلَم لا يُعلِّم،ومن لم يتبين لا يُبيِّن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات:٦].

ثالثًا : معرفة أحوال الواقع، لتكون الفتوى مطابقة له.

رابعًا : معرفة آثار الفتوى على المستفتي وغيره، في الحاضر والمستقبل، وما يترتب عليها من المصالح أو المفاسد.

خامسًا: الاتصاف بالصفات العاصمة من الانحراف العلمي والعملي والأخلاقي من الإيمان والعدالة، والرزانة والحصافة، والورع والتقوى.

ومن أعظم الصفات : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

سادسًا : الاستغناء عن أموال الناس، صيانة لمقام الفتوى من التشوف لما عند الغير، وترفعًاعن مزاحمة الناس في أمور دنياهم، وإن كان من المباحات :

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

سابعًا: التثبت من صحة الفتيا، وموافقتها للشرع.

فإن أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً، وأجرؤهم على الفتيا أسرعهم إلى النار.

ثامنًا: إيضاح الفتوى، وتجنب الألفاظ التي توهم بضدها، أو توقع في الإيهام: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

تاسعًا: الرفق بالناس، والحرص على تأليف قلوبهم على طاعة الله ورسوله، والصبر على كثرة الأسئلة وتكرارها، والإرشاد إلى البدائل المشروعة إذا تعلقت بعقود أو تصرفات غير مشروعة.

عاشرًا: تجنب التساهل في الفتيا بتتبع الرخص الشاذة.

فإن من فعل ذلك اجتمع فيه الشر كله، ومن عرف بذلك حرم سؤاله وتقليده، لئلا يُضل الناس بغير علم.

الحادي عشر: عدم الطعن في المخالفين من أهل العلم، والحذر من التعريض بهم، أو الاستعداء عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

الثاني عشر: تنبيه الناس على ما يراه المفتي مجانبًا للصواب، تبرئةً للذمة، ونصحًا للأمة، وخروجًا من إثم كتمان العلم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢].

الثالث عشر: تجنب العجلة في إصدار الفتوى في الخصومات القائمة، قبل الإحاطة في ملابساتها وأطرافها.

الرابع عشر: لا يجوز للمفتي اتخاذ فتاويه للإضرار بالآخرين، وسقوطهم من أعين الناس، أو إيغار الصدور عليهم.

الخامس عشر: قول الحق ولو كان مرًا،ومن لم يقدر على قول الحق فلينكر الباطل بقلبه، وليسكت عن قول الباطل .

قال النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم (١).

السادس عشر: صيانة الفتوى عن الأهواء الشخصية أو الفكرية أو السياسية، وعدم الانصياع وراء أهواء العوام أو الحكام أو أصحاب المصالح، ليكون المفتي عبداً لمولاه لا لهواه : ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

وأهل الإفتاء في زماننا ينقسمون إلى قسمين :

أحدهما: من يريد إخضاع أحكام الشريعة لقيم الغرب وحضارته، دون التزام بثوابت الدين، بحجة تطويره لمسايرة أحوال أهل العصر، وهذا تفريط مذموم.

الثاني :من أخذ بظواهر النصوص الشرعية، وصرف النظر عن مقاصدها، غير آبه بالواقع وتبدل الأوضاع، وتطور الأحوال، وهذا إفراط مذموم .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٤٩).

وبهذا وهذا يضيع أمر الإفتاء بين إفراط الغلاة، وتفريط الجفاة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة:٧٧].

والإفتاء الحق العدل،هو ما كان صادرًا من أهله، وفي محله، في ضوء القرآن والسنة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال عز وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:١٩].

وكل ما صدر من الفتاوى من غير أهلها، أو في غير محلها، فهي فتاوى مردوده، لأنها صدرت من أهلها بمجرد الهوى والتشهي، فهي ضد الحق الذي يجب العمل به: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص:٥٠].

وقال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ» متفق عليه [١].

وقال ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» أخرجه مسلم [٢].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

٧- أسباب الضلال في الفتاوى

لا شك ولا ريب أن هناك عثراتٍ علميه، ومزالق فكرية، وانحرافات عقدية، أدت ببعض المتصدرين للفتوى إلى القول على الله بلا علم، والكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتورط غلوًاوجفاءً في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو إسقاط ما أوجب الله، أو تشريع ما لم يأذن به الله أو تكذيب ما أخبر به الله عز وجل

وكل ذلك قد حذر الله ورسوله منه، وبين عقوبته، وعظيم ضرره، بقوله : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وقال سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار» متفق عليه (١).

وسبب الضلال والاعوجاج والميل في الفتاوى أمور:

الأول: الجهل بأحكام الشريعة ومقاصدها،فالفتوى خاصة بالعلماء : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الثاني: الجهل بخطورة منصب الفتوى، فهي منصب عظيم تولاه الله بنفسه، كما قال سبحانه : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾ [النساء:١٧٦].

وتولى النبي ﷺهذا المنصب بموجب الرسالة حيث قال الله له : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

ثم خلف النبي ﷺ في منصب الإفتاء كوكبة من أصحابه رضي الله عنهم، فكانوا

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٢٩١)، وأخرجه مسلم برقم (٣).

سادة المفتين، وخير مبلغ لهذا الدين، أولئك أصحاب محمد ﷺ،أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم أختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، فقد كانوا على الهدي المستقيم، ورضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثم جاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان من العلماء الربانيين، والفقهاء المجتهدين، فأفتوا في دين الله تعالى بما أتاهم الله من علم غزير، وقلب مستنير، ورقابة لله العليم الخبير .

وأهل الإفتاء هم خلفاء النبي ﷺ في أمته، وهم ورثة الأنبياء و الرسل في إبلاغ الدين وأحكامه وسننه وآدابه .

قال النبي ﷺ : «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًاوإنَّما ورَّثوا العلم» أخرجه الترمذي (١).

فالمفتي قائم مقام النبي ﷺ، وهو وارثه في الإفتاء، وبيان أحكام الله للناس، واستنباط الأحكام من القرآن والسنة، وتبليغها للناس : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

فالعالم بين الله وخلقه، يتعلم من وحيه، ويبلغه إلى خلقه، والمفتي موقع عن رب العالمين بإظهار أحكام الدين .

وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك في الدنيا عظيم، فالتوقيع عن رب العالمين، وسيد المرسلين، أعظم وأكبر وأخطر : ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٢).

ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٩].

فليتق الله عز وجل من ابتلي بمنصب الإفتاء للناس، وليعد لذلك عدته، وليعلم عمن ينوب في فتواه، وليعلم أنه مسؤول غدًا بين يدي ربه عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

الثالث: من أسباب الضلال في الفتوى؛ ضعف التأهيل العلمي الشرعي.

فالعلم بالشريعة عقيدةً وأحكامًا وأخلاقًا أفضل العلوم على الإطلاق، ولهذا العلم أهله الذين أختارهم الله لتعلمه وتعليمه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء:٧].

وليس هذا العلم الإلهي كلأً مباحًا لكل من هب ودب، ممن يريد حب الظهور، والتصدر، والتعالم، وهو ليس بأهل لذلك،فيزل في فتواه، ويضل غيره عن الحق.

فعلى من تصدى للفتوى طلب العلم الشرعي من مظانه، والتزود منه في كل باب كل يوم، والصبر على تحقيق المسائل الشرعية، والتضرع إلى الله وسؤاله أن يرزقه العلم الصحيح، والفهم الصحيح من نصوص الوحي.

وعلامة هذا في العبد تقوى الله عز وجل، وخشيته في السر والعلن، وإعطاء الأوقات لتعليم الناس، ورحمتهم، والشفقة عليهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الرابع: عدم التفريق بين الإفتاء والقضاء

فالقاضي وظيفته إصدار الأحكام الشرعية في قضايا الحقوق المالية والجنايات والحدود والطلاق ونحوها، والإلزام بها بين الخصمين، إحقاقًا للحق، وإبطالًا

للباطل وقطعًا للنزاع والخلاف والخصام بين المتخاصمين : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

ومن هنا لا يجوز للمفتي أن يفتي في شيء بما يخالف القضاء الشرعي،لأن حكم القضاء لا يجوز نقضه، لأن حكم القاضي يقطع النزاع بين الناس، ويلزمهم به، والفتوى بخلاف ذلك تثير النزاع بين الناس مرة أخرى، خاصة في مسائل الحقوق والقصاص والجنايات والطلاق والوصايا ونحوها

أما المفتي فهو الذي يبين الحكم الشرعي، ولا يلزم به؛ فالفتوى من باب الإعلام لا من باب الإلزام، وإن كانت ملزمة لمن اعتقد أنها حق يجب العمل بموجبه

وعلى المفتي أن يفهم سؤال السائل، ومراده من السؤال، ليكون جوابه مطابقًا لسؤال من استفتاه .

وينبغي للقضاة أن يرجعوا إلى العلماء الربانيين المخلصين الأمناء، في المسائل الكبرى التي تتطلب اجتهادًا خاصًّا في بيان حكمها، ومن ثم إلزام الخصوم بها: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» أخرجه البخاري.

الخامس : عدم استيفاء النصوص الشرعية الواردة في موضوع الفتوى

فكثير ممن يتصدى للفتوى يغفل عن كثير من النصوص الشرعية الصريحة، أو يجهلها، فيقع في الخطأ، ويصدر الفتاوى المضلة التي تنم عن جهلٍ بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة .

فالواجب على أهل الفتوى أن يتقوا الله عز وجل، وأن يعلموا أنهم يوقعون عن رب العالمين، فلا يوقعوا عنه إلا بما يعلمون من وحيه : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾[الأنبياء: ٥٤]

وعلى من تصدى للإفتاء أن يطالع كثيرًا في كتب السنة، وكتب الفقه، فإن ذلك يثمر له ثروة علمية شرعية من أحكام الله ورسوله : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

السادس: عدم التفريق بين وظيفة المفتي، ووظيفة الداعية، فليس كل داعٍ مفتٍ كما أنه ليس كل مفتٍ داعية .

فالدعاة والوعاظ يقومون بعمل عظيم بين الناس، لكن لا يشترط فيه ما يشترط في أهل الافتاء من معرفة أحكام المسائل الشرعية الواردة في أبواب الفقه؛ فلايجوز لكل داعٍ الى الله أن يقحم نفسه فيما لايحسن من دقائق مسائل الفقه، ولا يفتي إلا فيما يعلم من الأحكام الشرعية : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال النبي ﷺ: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه [(١)].

السابع: الخلط بين الثابت والمتغير من الأحكام، فأحكام الشرعية كلها جاءت لتحقيق المصالح، ودرء المفاسد، في المعاش والمعاد، فكل ما هو مصلحة تواردت النصوص على طلبه، والحث على فعله، وكل ما هو مفسدة وردت النصوص بتركه، والنهي عن فعله، لكن المصالح والمفاسد ليست على درجة واحدة .

فهناك أحكام ثابتة لا تتغير بتغير الزمان، والمكان، وأحوال الناس، لما فيها من

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٢٩١)، وأخرجه مسلم برقم (٣).

جلب المصالح، ودرء المفاسد كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، ومن ذلك تحريم الشرك والنفاق، والسحر والخمر، وأكل الميتة، وأكل لحم الخنزير، وأكل الربا، والسرقة، وفاحشة الزنا، وقتل النفس بغير حق، والغيبة والنميمة، وقطع الأرحام ونحو ذلك من المحرمات التي مفاسدها محققة وثابتة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣].

وكذا يندرج في ذلك وجوب الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج،وصلة الرحم،وبر الوالدين،ومكارم الأخلاق من الصبر، والصدق، والحياء، والعفة، والأمانة وغير ذلك من الواجبات التي مصالحها متحققة وثابته لا تتغير .

وهناك مصالح ومفاسد متغيرة، تتغير بتغير الزمان، والمكان، وأحوال الناس .

فهذه لم يأت الشرع لها بأحكام ثابتة تحكم تلك التصرفات، وإنما وضع لها قواعد تشريعية عامة تتكفل بجلب كل ما هو مصلحة، ودفع كل ما هو مفسدة وضابط ذلك مقرر في قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

ومن ذلك القواعد الشرعية التي استنبطها علماء الشريعة من خلال مقاصد الإسلام الكبرى، والتي تتحقق بها المصالح،وتُدرأ بها المفاسد، حسب تغير الأحوال .

ومن تلك القواعد الشرعية العظيمة:

أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم، وما أفضى إلى المباح أو المأمور به فهو مأمور به، والضرر يُزال، والضرورات

تبيح المحظورات، ويُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ونحو ذلك : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

ولا ريب أن تغيير الثابت طامة كبرى، وجناية على الدين، لأنه يقتلع الدين من جذوره : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

ولاريب أن تثبيت المتغير يجعل الناس يعيشون كما عاش أسلافهم في حياتهم، وذلك خلاف سنة الله في خلقه .

فلكل زمان أحكامه الثابتة والمتغيرة، فالإسلام منهج وسط يناسب كل زمان ومكان وحال، فلا تغيير للثوابت بحال، ولا تثبيت للمتغيرات بحال، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين .

قال النبي ﷺ: «مَن يُرد الله به خيرًا يفقه في الدين» متفق عليه [1].

الثامن : الجهل بفقه الواقع ،فواقع الناس يتجدد كل يوم

فعلى المفتي أن يكون عالماً بأحوال الناس، وما يتجدد في حياتهم، كما يكون فقيهًا في الأمر والنهي الشرعي، وبذلك يستطيع تطبيق أحكام الشريعة على واقع الناس المشهود : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

وقال الله عز وجل : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

ومن ذلك ظهور معاملات جديدة مثل التأمين بأنواعه، وأنواع الشركات، والبنوك المصرفية، فعلى المفتي أن يكون لديه علم بذلك، حتى لا يحلل ولا يحرم إلا بعلم : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

التاسع:الجهل بفقه المقاصد الشرعية، فالفقه في الدين هو معرفة أحكام الشريعة، وحكمة الشريعة ومقاصدها ومحاسنها .

فالشريعة كلها إنما جاءت لرعاية مصالح البشر في الدنيا والآخرة،ومعرفة مقاصد الشريعة الإسلامية هو روح الفقه الإسلامي .

فهو الذي يساعد على فهم النصوص الشرعية، ويعين على تفسيرهابشكل واضح، ويساعد على تطبيقها على الوقائع المتجددة .

لهذا من ليست له معرفة بمقاصد الشريعة، فعليه أن لا يتصدر للفتوى، حتى لا يزل ولا يَضِل ولا يُضِل .

العاشر: عدم رؤية ما يترتب على الفتوى من آثار.

فالنظر إلى عواقب الأمور يجعل المفتي قريباً من التيسير بعيداً عن التشديد، أو الغلو، أو الجمود، أو الهوى .

ومن ذلك أن الله حرمَ سب آلهةِ المشركين، لكونه ذريعةً إلى سب الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام:١٠٨].

ومن ذلك امتناع النبيﷺ عن إعادةِ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، لما في ذلك من فتنةِ القوم الذين أسلموا حديثاً .

ومن ذلك امتناعهِ ﷺ عن قتل المنافقين في زمانه، لِئلا يقال أن محمداً يقتلُ أصحابه، فيبتعد الناس عنه، ونحوِ ذلك من الوقائع التي تتغير الفتوى فيها بحسب الأحوال والمآلات التي يراعى فيها تحقيق المصالح، ودفعُ المفاسد.

فعلى المفتي إدراك ذلك، والعمل بموجبه، حتى لايكون فتنةً تمزقُ الأمة، وتأكل الأخضر واليابس : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

الحادي عشر :الجمود على التراث الإسلامي.

إن موقف المفتي من التعامل مع التراث الإسلامي العظيم هوالاختيار والانتقاء بعد الاطلاع عليه، دون جحود له، ولاجمودٍ عليه، ودون تقديسٍ أو تبخيس : ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

فلا تقديس لآراء الرجال والمذاهب، وإن تجلت فيها روائع الحكمة، ولا تبخيسَ لآرائهم وإن بدا فيها قصور البشر، فلا ريبَ أن الزمان غيرَ زمانهم، والمشكلات غيرَ المشكلات، ونحنُ علينا أن نجتهد لزماننا كما اجتهدوا لزمانهم.

والعلوم منحٌ إلهيه، ومواهبُ ربانية، يعطي الله منها من شاءَ من عباده في كل زمانٍ ومكان، وقد يدخرُ الله من العلم والفقه لبعضِ المتأخرين، ما عسُرَ على كثيرٍ من المتقدمين : ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

الثاني عشر : جحود التراث الإسلامي،فالتراث الإسلامي أعظم خزانة للعلم الشرعي وبعض المفتين يعرضون عن هذا التراث، ويزهدون بما فيه، فتكون عندهم الجرأة على اقتحام ما لا يحسنون، وانتقاص تراث الفقهاء السابقين بدعوى التخلص من تعدد المذاهب، أو بحجة أنهم رجال، ونحنُ رجال، أو بحجة لكل زمانٍ رجاله .

لهذا الواجب على أهل الإفتاء ألا يتجاهلوا تراث سابقيهم من العلماء الربانيين من أهل الفتوى، كما يجب عليهم ألا يجمدوا عليه،بل يأخذون منه ما يناسب زمانهم وأحوالهم، ويجددون الأحكام بما يناسب الوقائع النازلة في ضوءِ القرآن والسنة .

الثالث عشر :الإفتاء المباشر عبر وسائل الإعلام.

إن الإفتاء المباشر عبر وسائل الإعلام المختلفة في مسائل وأحوال الأمة الكبرى مزلقٌ خطير، يؤدي إلى عدم استكمال النظر في أدلة المسائل المعروضة، ومن ثَمَ يقع الخطأُ والزلَلُ، ويشيع ذلك في أوساط الأمة، فيتداولون الباطل مكان الحق .

لهذا على من يتصدر الإفتاء ألا يتسرع في فتواه، لِئلا يَزِل في فتواه، ويقول على الله بلا علم، وينتشر الباطل بين الناس بسببه .

فعلى المفتي أن ينظر في فتواه، ويتدبر ما يقول، ولا يُفتي إلا فيما يعلمُ صحته ودليله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

الرابع عشر: من أسباب الضلال في الفتاوى: اتباع الأهواء في الفتوى .

فاتباع المفتي لهواه، أو لهوى غيره في الفتوى، من أعظم ما يضل به المفتي والمستفتي : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

إن الهوى إذا دخل في القلب أخرج الهدى، وبدل الأحكام، وزيف الحقائق، وحرف الكَلم عن مواضعه، وأضلَ الأمة .

سواءً كان ذلك بالترخص في موضع العزيمة أو التشديد في موضع التيسير أو تحليلِ ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله .

وكم وقع في هذا الفخ من المفتين طمعًا في ثوابٍ، أو خوفًا من عقاب : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

هذه أهم أسباب الوقوع في الزلل في الفتوى، وأهم عثرات المفتين، وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، عسى الله أن يرفع هذا البلاء والخلاف عن الأمة ، وأن يجمعها على الحق والهدى، في كل زمانٍ ومكان : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء:٩٢].

البصيرة الثلاثون

الفتوى تأصيل وتطبيق(٢)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول :آداب المفتي .

الثاني آداب المستفتي .

الثالث: الفتوى بين الواقع والواجب .

الرابع: أصول النهوض بالفتوى .

الخامس: فقه التيسير في الفتوى.

٣٠- الفتوى تأصيل وتطبيق(٢)

- آداب المفتي

يجب أن تتوفر في المفتي الصفات والآداب الآتية حسب الإمكان:

الأول: إخلاص العمل لله وحده؛ والاستعانة به في كل حال؛ وداوم الضراعة إليه؛ وصدق التوكل عليه؛ فإنما الأعمال بالنيات؛ وإنما التوفيق بيد الله وحده: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

ومن لم تكن له نية لم يكن عليه نور؛ ولا على فتواه نور؛ ولا على مجالسه نور. قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه [١].

الثاني: طلب العلم بالدراسة، والمُدارسة، والقراءة؛ والتزود منه في كل وقت؛ وتعليمه للناس: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

الثالث: التحلي بالوقار، والسكينة؛ والإقلال من اللغو، وفضول الكلام، والضحك، والعبث، ونحو ذلك؛ صيانة لمقام الفتوى مما يشينها؛ وتعظيمًا لشعائر الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢].

الرابع: قول الحق خالصًا لوجه الله عز وجل؛ وصيانةً الفتوى من التأثر بالأهواء، والأحزاب، وأهواء الخاصة والعامة: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر:١١].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

الخامس: التثبُت في الفُتيا؛ فلا يُفتِ المفتي إلا بعد إيقانٍ وإتقان؛ لأنه موقع عن رب العالمين، وعن رسول رب العالمين.

السادس: رد العلم إلى الله فيما خفي عليه من الأحكام؛ وذلك خيرٌ له من اتباع الظن والقول على الله بلا علم.

السابع: تجنُب الطعن في المخالفين له في الفتوى؛ والحذر من التعرِيض بهم في مجلسه؛ أو استعداء الناس عليهم بفتواه؛ مع بيان الصواب بدليله، وتقريره بالحكمة؛ فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

قال النبي ﷺ: «مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثلُ الجسدِ إذا اشتكَى منه عضوٌ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى» متفق عليه (١).

الثامن: تجنُب التساهل في الفُتيا، بتتبع الرخص، وشواذ المسائل؛ ومن عرف بذلك حَرُم استفتاؤه وتقليده، والعمل بفتواه.

التاسع: الرفق بالناس، والتيسير عليهم

فالفقه هو الرخصة من العالم الرباني؛ أما التحريم والتضييق فيُحسِنه كل أحد؛ والتحريم والتحليل بلا دليل، كلاهما قول على الله بلا علم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

العاشر: الحرص على التشاور مع إخوانه العلماء وأهل الفتوى؛ وإحالة الفتاوى التي تحتاج إلى نظرٍ جماعي إلى لجان الفتوى، أو المجامع الفقهية؛ فإن نظر الجماعة أقرب إلى الصواب من نظر الفرد: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦).

الحادي عشر: صيانة الفتوى عن أن تكون وسيلة للصولِ على الآخرين؛ أو تكون وقودًا لفتنة تأكل الأخضر واليابس.

الثاني عشر: الرفق بالمستفتين ووعظهم قبل الإجابة على فتواهم، والحرص على تأليف القلوب على طاعة الله ورسوله، والصبر على كثرة أسئلتهم، وتكرارها، وسوء عرضها.

الثالث عشر: عدم العجلة في إصدار الفتاوى في الخصومات القائمة قبل الإحاطة بمُلابسَاتِها، وأطرافِها؛ كمسائل العقود المالية، ومسائل الطلاق، والوصايا ونحوها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات:٦].

الرابع عشر: دعم الفتوى بالدليل الشرعي من القرآن والسنة ما أمكن؛ ليطمئن المستفتي لصحة الفتوى.

الخامس عشر: الاستغناء عما في أيدي الناس من أموال ومصالح؛ صيانةً لمقام الفتوى من الحاجة إلى الناس، ومزاحمتهم في أمور دنياهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

هذه أهم صفات وآداب المفتي الذي يتصدر للفتوى بين الناس.

٢ – آداب المستفتي

ينبغي للمستفتي أن تتوفر فيه الصفات والآداب الآتية حسب الإمكان:

الأول: أن يكون قصده من الاستفتاء رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، وإزالة الشُبه والمشكلات عن نفسه، لا مجرد إعنات المفتي، أو كشف جهله أو إسقاط منزلته.

الثاني: حُسن البيان للسؤال، وتحري الدقة في عرضه؛ فبقدر دقة المستفتي في عرض سؤاله، تكون دقة إجابة المفتي لسؤال المستفتي.

الثالث: سؤال من غلب على ظنه أنه يُفتيه بِحكم الله ورسوله؛ وذلك بسؤال الأعْلَم، والأتقى، والأورع من العلماء الربانيين.

الرابع: تجنُب التنقُل بين المفتين، حتى لا يقع في الحيرَةِ والاضطراب؛ فيسأل واحدًا ممن يثق بدينهِ وعلمهِ وورعهِ من العلماء الربانيين : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الخامس: التجرُد لطلب العلم الشرعي فقط، وتجنُب السعي لإسباغ المشروعية على الأهواء المضادة للهدى.

السادس: اجتناب ما نُهي عنه من الأسئلة والأُغلوطات ونحوها مما لا يكون العلم به مفيدًا، ولا الجهل به ضارًّا، ولا يُبنى عليه عمل صالح

السابع: تجنب القصد إلى إعنات المفتي، أو امتحانه، أو تجهيله، أو إحراجه على الملأ.

الثامن : تجنب الأسئلة التي يقتضي الجواب عليها استعداء الظلمة على أهل العلم والفتوى؛ فإن اضطُر إلى ذلك فليسأل المفتي فيما بينه وبينه، لا على الملأ؛ رفعًا للحرج وحصول الفتنة.

التاسع: تجنب الأسئلة التي فيها تعريض ولمز بالهيئات الخيرية أو الأشخاص، ويقتضي الجواب عنها إثارة الحاكم، أو الناس عليه؛ خصوصًا أيام الفتنة.

العاشر :تجنب الصيال بفتاوى المفتين على الآخرين؛ أو إقحام المفتين في معارك لم يكونوا طرفًا فيها .

الحادي عشر : توقير أهل الفتوى، وإنزالهم منازلهم، واحترامهم؛ لما يحملونه من العلم الشرعي؛ ومن ذلك إجلالهم في حسن الخطاب، واختصار السؤال، والدعاء لهم بعد جوابهم ونحو ذلك.

الثاني عشر :اختيار الوقت الملائم للاستفتاء: كبعد الفراغ من أذكار الصلوات الخمس، أو في مجالس العلم، أو في أوقات الفراغ؛ فلا يسأل المفتي وهو يؤدي الأذكار، أو مشغول بالحديث مع غيره؛ ولا حين استغراقه بعارض ألمّ به من وجع، أو هم، أو غضب ونحو ذلك.

الثالث عشر: تفهم صمت المفتي، وإعراضه عن الفتوى، أو تجاهله للفتوى أحيانًا؛ وعدم الإلحاح عليه في طلب جوابها؛ فإن من المسائل ما يكون جوابها الصمت أو التجاهل.

الرابع عشر: حسن الجلوس بين يدي المفتي؛ واختيار أحسن العبارات في السؤال؛ والترفع عن الألفاظ التي لا تليق بأهل العلم والفتوى والتقوى.

هذه أهم صفات وآداب المستفتي بين يدي المفتي .

٣- الفتوى بين الواقع والواجب

عرفنا فيما سبق أحوال الإفتاء، وأحوال المفتين؛ وما أصاب المفتين من خلل، وعوج، وقصور، أدى إلى فتح باب الإفتاء لكل من هبّ ودب من الناس؛ فانتشر الخطأ والخلاف؛ وكثر الجدل والزلل؛ ووقع الناس في البدع والضلالات؛ وظهرت العصبية للأشخاص، والمذاهب، والبلاد .

لهذا وجب إصلاح هذه الأحوال، وإصلاح أمور الفتوى، لتكون عن علم بالكتاب والسنة؛ والحرص على التيسير في الفتوى، مراعاةً لحال المستفتي، وبعدًا به عن الحرج؛ ليسهل له تطبيق الأحكام الشرعية التي سأل عنها.

وليس المقصود بالتيسيرالإتيان بشرع جديد، أو إسقاط ما فرض الله، أو تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ إنما المقصود الوسطية في الفتوى؛ وتقديم الأيسر على الأحوط؛ والتيسير فيما عمت به البلوى؛ وعدم تكليف الناس بأعمال لا دليل عليها من كتاب أو سنة.

والتيسير يكون في الفتوى لا في الحكم؛ وهناك فرق بين الحكم والفتوى .

فالحكم الشرعي ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان، والأشخاص والأحوال .

أما الفتوى فتتغير بتغير الزمان والمكان، والأشخاص والأحوال .

فمثلاً شرب الخمر في ذاته محرم شرعًا، لا يتغير حكمه أبدًا إلى يوم القيامة، ولكن الفتوى قد تبيح شرب الخمر في حال الضرورة لإنقاذ العطشان من الموت؛ ولكن ذلك لا يغير أصل حكمها؛ وهكذا في بقية المسائل كأكل لحم الميتة للمضطر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ ﴾ [البقرة:١٧٣].

والتيسير ينصبّ على الفتوى، لا على أصل الحكم؛ لهذا يجب على المفتي الذي يفتي بالتيسير أن يتحرى الحق والصواب، وما يحقق المصلحة، ويدفع المفسدة.

فالفقيه حقًا هو من يحمل الناس على المعهود الوسط من الشرع؛ فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣].

٤ - أصول النهوض بالفتوى

لتقويم واقع الفتوى وأهل الإفتاء بشكل كامل؛ ليظهر للناس بشكل أحسن، وتصل منافعه إلى كل مكان، ويثق الناس به من كانوا وحيث كانوا، وتعم منافعه، وثماره، وآثاره، في كل مكان وزمان، يجب القيام بما يلي:

الأول: اختيار المفتين من كل بلد من ذوي العلم والخبرة والكفاية؛ وتفريغهم للإفتاء لسد حاجة المسلمين في هذا المجال في العالم.

الثاني: إنشاء المجامع الفقهية، ومؤسسات الإفتاء؛ لتكون الفتوى صادرة عن مجموعة لا عن فرد واحد؛ وحثّ أهل الإفتاء المختصين من الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة في نشر الفتوى باللغات المختلفة .

الثالث : التحذير من فوضى الإفتاء بلا علم في وسائل الإعلام المختلفة؛ بإبراز آثارها السيئة، وخطرها على الناس.

الرابع : إنشاء مجلس أعلى للإفتاء يشرف على الفتاوى، ويراقب ما يصدر من الفتاوى الشاذة والمخالفة لنصوص الوحي، ويصدر الفتوى الصحيحة الموافقة للكتاب والسنة.

الخامس : إنشاء موسوعة شاملة للفتاوى المعاصرة؛ تجمع الفتاوى الصادرة عن المجامع الفقهية، ومؤسسات الإفتاء؛ ليسهل على الناس الاستفادة منها في كل زمان ومكان، وترجمتها إلى اللغات المختلفة.

السادس: إعلان عناوين وهواتف المجامع الفقهية، ولجان الفتوى، وأهل الإفتاء المختصين؛ ليسهل على الناس معرفة ما يريدون من الفتاوى من مصدرها المعتمد في وقت يسير.

السابع : عقد مؤتمرات وندوات؛ تناقَش فيها المسائل الكبرى؛ ويناقِش فيها أهل الإفتاء في كل بلد المسائل المستجدة، لإصدار فتوًى جماعية بشأنها.
الثامن: حث المفتين على القنوات الفضائية على دعم فتاواهم بقرارات المجامع الفقهية المعتمدة.
التاسع: دعوة المؤسسات الإعلامية لفتح المجال لأهل الفتوى المختصين فقط؛ وعدم فتح الباب لغير المؤهلين للإفتاء، لئلا يضلوا الناس عن الحق؛ أداءً للأمانة، وتعاونًا على البر والتقوى بين الجهات العلمية والجهاتالإعلامية.
العاشر: إصدار ميثاق للفتوى من المجامع الفقهية؛ يبين فيه ضوابط الإفتاء، وصفات المفتين؛ حتى لا يدخل في مجال الإفتاء كل من هب ودب من الناس.
الحادي عشر: وضع مناهج علمية لتدريس أصول الإفتاء في الجامعات الإسلامية، وكليات الشريعة، والمعاهد العلمية الشرعية .
الثاني عشر: إنشاء كليات ومعاهد متخصصة في التدريب والتأهيل للفقه والإفتاء؛ حتى نسد حاجة الأمة في مجال الإفتاء .
هذه أهم الأسباب للنهوض بالفتوى، وتأهيل المفتين في عصرنا الحاضر.

٥ - فقه التيسير في الفتوى

الأصول التي يقوم عليها التيسير في الفتوى كثيرة وهذه أهمها:

الأول: أن الفتوى تتغير بتغير الزمان، والمكان، والأشخاص، والأعراف .

فالشريعة الإسلامية مبناها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد؛فكل أحكام الشريعة عدل وإحسان، وحكمة ورحمة، في كل أمر ونهي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى القسوة، وعن المصلحة إلى ضدها، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة في شيء .

فالشريعة الإسلامية عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وحكمته الدالة على كمال عدله ورحمته وإحسانه .

والفتوى التي تتغير،هي الأحكام الاجتهادية؛أما الأحكام القطعية من الأحكام، فلا تتغير أبدًا: كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات؛ المعلومة من الدين بالضرورة.

والفتوى التي تتغير لها أحوال :

الأول:الفتوى تتغير بتغير الزمان .

فمثلًا تجوز الصلاة للرجال في البيوت في الليلة الباردة، أو المطيرة، أو عند المرض، أو العذر؛ مع أن الأصل وجوب صلاة الجماعة في المسجد .

ومن ذلك: نهي النبي ﷺ أن تقطع الأيدي في السرقة في الغزو .

ومن ذلك: نهي النبي ﷺ عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث عند الفاقة .

ومن ذلك: جواز تولية الفاسق للقضاء عند فساد الزمان.

ومن ذلك: تحريم بيع السلاح في زمن الفتنة؛ مع أن الأصل جواز بيعه، وأمثال ذلك.

الثاني : تغير الفتوى بتغير المكان.

ومن ذلك تغير دار الإسلام في الأحكام عن دار الكفر، أو دار الحرب.

فللمسلم في دار الإسلام أحكام، وللمسلم في دار الكفر أحكام غيرها.

ومن ذلك: إخراج زكاة الفطر من قوت البلد الذي يسكن فيه الصائم؛ لأنه أنفع للفقراء، وأيسر على المتصدقين؛ فكل بلد يخرج أهله من الصدقة من قوت بلدهم من قمح، أو ذرة، أو أرزٍ، أو شعيرٍ أو غيره؛ وذلك من التيسير على الأمة.

ومن ذلك: كراهة الزواج من الكتابية في دار الحرب مع أن الأصل جوازه؛

ومن ذلك: تأكد الضيافة على أهل البادية، وعدم تأكدها على أهل الحضر؛ لوجود الفنادق والمساكن التي تؤجر فيها.

ومن ذلك: تحديد أوقات الصلاة والصيام في الأماكن التي لا تطلع عليها الشمس إلا قليلًا، أو تبقى طويلًا ونحو ذلك؛ مما يجلب التيسير، ورفع الحرج عن الأمة.

الثالث : تغير الفتوى بتغير الأشخاص.

فمن التيسير في الفتوى تغير الفتوى بحسب حال الأشخاص؛ فالناس منهم الغني والفقير، والقوي والضعيف، والقادر والعاجز .

والشريعة الإسلامية راعت هذه الأحوال، ولم تخص أحداً لشخصه وإنما لوصفه؛ فعلى المفتي أن يراعي تغير الفتوى بتغير أوصاف الأشخاص؛ فليس حكم القوي كالضعيف، وليس حكم الغني كحكم الفقير، وليس حكم الآمن كالخائف، وليس حكم من كان في السعة كحكم من كان في حال الحاجة والضرورة وهكذا.

ومن ذلك: مما ورد في السنة:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الصَّلاةِ ، فَقَالَ : «صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» أخرجه البخاري (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت سودة النبي ﷺ ليلة جمع وكانت ثقيلة ثبطة، فأذن لها» متفق عليه (٢).

ومن ذلك: تأجيل إقامة الحد على المريض الذي يرجى برؤه إلى أن يبرأ؛ فهذا كله يدل على جواز تغير الفتوى بحسب حال الشخص.

الرابع: تغير الفتوى بتغير العرف.

إن تغير الفتوى بتغير الأعراف من دعائم التيسير في الفتوى على الناس .

ومن ذلك: أنواع الإحسان والمعاشرات بالمعروف : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩].

ومن ذلك : متعة المطلقة : ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة:٢٣٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» متفق عليه (٣).

والعرف يعمل به إذا لم يخالف نصًّا شرعيًّا؛ فإن خالفه فلا يعمل به؛ بل يقدم النص عليه .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١١٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦٨٠)، ومسلم برقم (١٢٩٠).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٢٥)، ومسلم برقم (١٧١٤).

وبهذا نعلم تغير الفتوى بتغير الزمان، والمكان، والأشخاص، والأعراف.

الثاني من فقه التيسير في الفتوى: ترجيح الأيسر على الأحوط، فمن دعائم تيسير الفتوى، تقديم الأيسر على الأحوط.

فالنبي ﷺ ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما، مالم يكن إثما .

وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم الأئمة في صلاة الجماعة أن يخففوا الصلاة على المأمومين؛ لأن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة؛ بل عنف ﷺ على بعض الأئمة الذين يطيلون الصلاة على المأمومين كما قال لمعاذ رضي الله عنه حين أطال الصلاة على الناس: «أفتان أنت يا معاذ» متفق عليه [1].

وقد يفتي العالم بالأحوط أحياناً لبعض أهل العزائم والقدرة .

أما عموم الناس الأولى به الأخذ بالأيسر؛ كما كان يفعله ﷺ مع من كان حديث عهد بإسلام، أو حديث عهد بتوبة؛فكان ﷺ لا يكثر عليه الواجبات، ولا يثقل عليه بكثرة الأوامر والنواهي .

وكان ﷺ إذا سأله أحد عما فرض الله عليه اكتفى بتعريفه بالفرائض الأساسية دون النوافل، وإذا قال له الرجل لا أزيد على هذا ولا أنقص قال «أفلح إن صدق» متفق عليه [2].

الثالث: مراعاة ما يترتب على الفتوى .

النظر إلى العواقب يجعل المفتي بعيدًا عن التشدد، قريبا من التيسير؛ لأن الشريعة مبناها على جلب المصالح، ودرء المفاسد ومن ثم فإن على المفتي أن لا يفتي بما يترتب على فتواه من مفاسد وأضرار، بل ينظر في عواقب فتواه؛ فإن

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠١)، ومسلم برقم (٤٦٥).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦)، ومسلم برقم (١١).

أيقن أن مآلها يؤدي إلى فتنة، أو وقوع ضرر، أو مصالح غير مشروعة، فليمتنع عن هذه الفتوى ، وبذلك يكون قد سلك سبيل التيسير على الناس.

ومن ذلك امتناع النبي ﷺ في أول الإسلام عن إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم ﷺ؛ خشية فتنة القوم الذين أسلموا حديثًا كما قال ﷺ لعائشة: «لو لا حِدثانُ قومك بالكفر لنقضتُ الكعبة ولجعلتها على قواعد إبراهيم» متفق عليه (١).

فتغيير بنيان الكعبة مطلبٌ شَرعي مأمورٌ به؛ لكن تركه ﷺ لما يترتب عليه من أضرار، ومفاسد؛ وفتنة تفرق الناس، وتصدهم عن دين الله.

الرابع: مراعاة أحوال الناس عند الإفتاء؛ فالناس مختلفون في القوة والضعف، فلا يعامل الناس كلهم بمستوى واحد؛ ولا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء.

فمن التيسير في الفتوى مراعاة أحوال الناس؛ فَيُفتي للضعفاء بالرُخَص، وللأقوياء بالعزائم، فلكل شخص حكمه حسب حالته .

قال النبي ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» أخرجه ابن حبان (٢).

فعلى المفتي أن يقدر الأمور؛ وينظر في حال الشخص المستفتي، هل يصلح له الترخُص لضعفه؛ أم تصلح له العزيمة لزجرهِ عن المعصية : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥٨٥)، ومسلم برقم (١٣٣٣).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم (٣٥٤).

وقال الله عز وجل : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

الخامس: حسن صياغة الفتوى.

فمن التيسير في الفتوى: أن تكون الفتوى مفهومة للمستفتي؛ بحسن عرضها، وبساطة طرحها، وبيان دليلها، وإيضاح حكمتها؛ خاصةً إذا كان المستفتي بعيد الفَهم، قليل العلم .

قال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذب اللهُ ورسُوله» أخرجه البخاري (١).

السادس: الرفق بالمستفتي

فمن التيسير في الفتوى حسن الرفق بالمستفتي، وهذا هو الأصل في الفتوى كما قال سبحانه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [الإسراء:٥٣].

وقال النبي ﷺ : «إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه» أخرجه مسلم (٢)

وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» متفق عليه (٣).

وشواهد الرفق بالمستفتي؛ والتلطف في التعليم، والتأليف على الدين، ومراعاة أحوال الناس كثيرة : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ الله! قالَ: «وَمَا أَهْلَكَكَ؟». قال: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قال: «هَلْ تجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟» قال: لا، قال: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟». قال: لا، قال: «فَهَلْ تجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟». قال: لا، قال: ثُمَّ جَلَسَ، فَأتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تمرٌ، فَقَالَ: «تَصَدَّقْ بهَذَا». قال: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قال: «اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ» متفق عليه [1] .

وأحيانًا قد يلجأ المفتي إلى التغليظ في الفتوى إذا رأى أن التغليظَ على المستفتي فيه علاجٌ له؛ فإذا رأى المستفتي من أصحاب التساهل والترخُص؛ فعليه أن يخوفهُ ويُغلظ عليه، زجرًا له عن الوقوعِ فيما حرم الله، وتجاوز حدود الله .

ومن ذلك أن يذكر المفتي للمستفتي مساوئ أمرٍ، وينهاهُ عن فعله، دون أن يُفتيه بتحريمه؛ كما لو سأل رجلٌ مفتيًا عن حكم الزواج بالمرأة الكتابية فلم يخبره بجواز ذلك؛ لكنه حدثهُ عن نشأةِ الأولاد، وتربيتهم؛ و سأله: من يتزوج المسلمات؟

فالرفق بالمستفتي هو الأصل؛ والتغليظ عليه له أحوالٌ خاصة.

السابع: دل المفتي للمستفتي على البدائل الشرعية المباحة؛ فإذا حرم المفتي شيئاً على المستفتي، فمن التيسير في الفتوى أن يدله على البديل الحلال؛ لئلا يتركه حائرًا لا يدري ماذا يصنع، فبيان البديل الحلال عن الحرام تيسيرٌ على المستفتي، ورفعٌ للحرج عنه؛ وهو سنةٌ جاءت بها سنة النبي ﷺ.

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٣٦)، ومسلم برقم (١١١١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء بلالٌ إلى النبي ﷺ بتمرٍ برني فقال له النبي ﷺ: «من أين هذا؟ قال بلال :كان عندي تمرٌ رديء فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي ﷺ؛ فقال النبي ﷺ عند ذلك :أوه أوه عين الربا لا تفعل ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيعٍ آخر ثم أشتره» متفق عليه (١).

فأرشد النبي ﷺ بلالًا أن يبيعَ التمر الرديء بدراهم، ثم يشتري بتلك الدراهم تمرًا آخر أطيب منه، وبذلك يتخلص من الربا.

وفي زماننا هذا كثرت المعاملات و التصرفات المحرمة؛ فعلى المفتي إذا بين حرمتها أن يبين البديل الشرعي عنها؛ لئلا يقع الناس في الحرج حين لا يجدون البديل عنها.

الثامن: التضييق في مجال الإيجاب والتحريم

فما شهدت له النصوص الشرعية بأنه واجب أو محرم فيجب بيانه للناس، ليعملوا بموجبه؛ أما ما دليله غير قطعي ولا ظاهر، فيقول للمستفتي: يعجبني، أو أحبه، أو أكرهه، أو لا أحبه، أو أجد نفسي تعافُه ونحو ذلك، ولا يصرح بالوجوب أو التحريم إلا ما علم جزمًا بوجوبه أو تحريمه من النصوص القطعية : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

التاسع : الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في ضوء القرآن والسنة

فيجب على المفتي أن ينظر إلى نجاة نفسه قبل أن يفتي الناس؛ لأن الفتوى توقيع عن رب العالمين وعن رسول رب العالمين؛ والتيسير في الفتوى هو ما وافق الشرع أما ما صادم الشرع فيجب إنكاره : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣١٢)، ومسلم برقم (١٥٩٤).

﴿ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومن ثم فينبغي للمفتي أن يكون شعاره فيما فيه نص ، بيان الحق من الباطل؛ ولا يكون شعاره فيما لا نص فيه،افعل ولا حرج، لأن المقصود من الشريعةإخراج المسلم من داعية هواه ليكون عبداً لمولاه؛ والعمل بالحق، واجتناب الباطل : ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود:١١٢].

وإذا كان التيسير في الفتوى مأمورًا به؛ فإن التيسير المصادم للشرع منهي عنه، ويجب إنكاره : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

وقال ﷺ: «مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم [(١)].

العاشر: البشاشة في وجه المستفتي.

فمن التيسير في الفتوى أن يتلقى المفتي المستفتي بوجه طلق، وتواضع جم، وحسن خلق؛ لأن المستفتي باب تجارته؛ بجوابه السديد تزيد حسنات المفتي، ويغرس في قلبه محبته؛ وكما أن نصف الإجابة فهم السؤال، فكذلك نصف الإجابة حسن الخلق : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

فما أحسن أن يستقبل المفتي المستفتي بوجه طلق؛ ولا يزجره، ولا يرده، ولا يعبس في وجهه، أو يعرض عنه : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٤٩) .

أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٥].

وقد أثنى الله عز وجل على رسوله ﷺ بحسن الخلق، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

وقال النبي ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبعِ السَّيِّئَةَ الحْسنةَ تمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ» أخرجه الترمذي [1].

فهذه أهم أسباب التيسير في الفتوى، وأهم أسباب تقويم الاعوجاج في دار الفتوى.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

---

(١)حسن/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧) .

البصيرة الحادية والثلاثون

الوقت أمانة وتجارة (١)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: حكمة خلق المكان، والزمان، والإنسان.

الثاني: قيمة الوقت.

الثالث: أقسام الناس في الاستفادة من الأوقات.

الرابع: الوقت أمانة وتجارة.

الخامس: أسباب إضاعة الأوقات.

السادس: حسن إدارة الأوقات بالأعمال الصالحة.

السابع: فقه الاستفادة من الأوقات.

٣١- الوقت أمانة وتجارة (١)

١ - حكمة خلق المكان والزمان والإنسان

الله عز و جل هو الخلاق العليم؛ الذي خلق كل شيءٍ بحكمة ولحكمة .

خلق المكان وجعله ظرفًا للمخلوقات من الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والإنس، والجن، والملائكة؛ وجعل سبحانه لكل مخلوقٍ عملًا يخصه، ووظيفة يؤديها : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت:٣٧].

وجميع مخلوقات الرب ساجدة لعظمته، ذليلة لعزته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

والكل من هذه المخلوقات العظيمة يشهد لربه بالوحدانية، ويسبح بحمده، ويخضع لأمره، ويستجيب لمشيئته، ويسرع إلى إرادته : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

وأجرى الله في عالم المكان أمره الملكي على جميع مخلوقاته؛ من تقليب الأحوال على من فيه بالليل والنهار، والأمن والخوف، والصحة والمرض، والحر والبرد، والعطاء والمنع، والحياة والموت : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال الله عز وجل : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور:٤٤].

وخلق سبحانه الزمان، وجعله يدور عل المكان، وطلب من الإنسان الإيمان والعمل الصالح في هذا الزمان والمكان، فقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

فالمكان كله ظرف للأشياء، والزمان كله ظرف للأعمال ؛ والزمان يدور على المكان، لأن الزمان هو الليل والنهار، والأيام والليالي : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والله عز وجل ملأ الكون كله بآياته ومخلوقاته التي تدل على كمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

وكما قسم الله عز وجل المكان إلى برٍّ، وبَحرٍ، وجو؛ فكذلك قسم سبحانه الزمان إلى ليل ونهار، وصيف وشتاء، وحرٍّ وبرد؛ إظهارًا لقدرته، ودلالة على وحدانيته، ومصلحةً لعباده : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

وجعل سبحانه لوقت النهار علامة تدل عليه وهي الشمس، وجعل لليل علامة تدل عليه وهي القمر؛ وجعل سبحانه الشمس للتوقيت اليومي، تدل على وقت الصبح، ثم الضحى، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب؛ وجعل القمر للتوقيت الشهري يدل على أول الشهر، وأوسطه، وآخره: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس:٣٧-٤٠].

هو سبحانه الحكيم العليم الذي خلق الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

فكل شيء خلقه الله لحكمة، وله حكمة، وله وظيفة؛ وهو واقف في محرابه يعبد الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس:٥-٦].

فسبحان الخلاق العليم، الذي خلق السموات والأرض، وخلق الليل والنهار، وخلق الإنسان والحيوان: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

٢ - قيمة الوقت

الوقت أمانةٌ، وخزانةٌ، وتجارة؛ جعله الله بين أيدينا، لنضع فيه خيرًا لأنفسنا ولغيرنا؛والوقت أغلى من الذهب؛ لأن الوقت إذا ذهب لا يعود أبداً؛ والوقت وعاء أعمالنا، وخزانة جواهرنا، ومكان تجارتنا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف:١٠-١٣].

والإنسان وقت؛ فكلما انقضى من العمر يوماً نقص العمر يوماً : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

وأكثر الناس غافلون عن هذه الحقيقة،غافلون عن أن الوقت هو أثمن شيء يملكه الإنسان في الحياة : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

إن قتل الأوقات كقتل النفوس، وأخطر شيء على الإنسان الغفلة عن أمورِ دينه ودنياه؛ فالذاكرُ عبدُ الرحمن، والغافلُ أسيرُ الشيطان يلعب بأوقاته، ويضلُّه عن مصالحه، ويحجبه عن عبادة ربه : ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر:٦].

فأعظم رأس مال الإنسان وقته؛ فإن حفظه ربح، وإن أضاعه خسر: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر:١-٣].

والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك؛ ولأهمية الوقت أقسم الله به في آيات كثيرة فقال ﴿وَالْعَصْرِ (١)﴾ [العصر:١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ (١)﴾ [الفجر:١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ (١)﴾ [الضحى:١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١)﴾ [الليل:١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢)﴾ [الليل:٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)﴾ [التكوير:١٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ [التكوير:١٨].

فالأوقات إناء الأعمال، والطاعات، والقربات التي يقوم بها المسلم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

فيا سعادة من حفظ أوقاته في طاعة مولاه الذي خلقه ورزقه وهداه، ويا خسارة من أضاع عمره، ولم يحسن في عمله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

والليل والنهار خزانتان من خزائن الله، فلينظر أحدكم بمَ يملأ خزانته؛ والليل والنهار يعملان فيك أيها الإنسان، فانظر ماذا تعمل فيهما : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل:١-١٣].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من يومٍ يأتي على ابنِ آدمَ إلَّا يُنادَى فيه : يا بنَ آدمَ ! أنا خلقٌ جديدٌ ، وأنا فيما تعملُ عليك غدًا شهيدٌ ، فاعملْ فيَّ خيرًا أشهدُ لك غدًا ، فإنِّي لو قد مضيتُ لم ترني أبدًا ، قال : ويقولُ اللَّيلُ مثلَ ذلك» أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء .[1].

إن الوقت يطول ويقصر، ويبطئ ويسرع، في وقت واحد؛ ساعة اللذة دقيقة، ودقيقة الألم ساعة؛ وأيام الفرح والسرور تنقضي سريعًا كلمح البصر؛ وأيام الهم والحزن والخوف تطول وكأنها أشهر أو سنوات : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور:٤٤].

الشيء الذي نهمله و نضيعه ونتحسر عليه جميعًا هو الوقت .

فما أعظم تجارة من حفظ أوقاته بالإيمان والأعمال الصالحة؛ و يا خسارة من ضيع أوقاته باللهو، واللعب والاستكثار من الشهوات، والغفلة عن الله وعن دينه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

---

(١) أخرجه ابو نعيم في حلية الأولياء .

والخسران في الشرع هو غبن الإنسان في حظوظه من ربه عز وجل ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر:١٥].

فمن خسر ربه، وخسر دينه، وخسر وقته، وخسر عمره، وخسر دنياه، وخسر الجنة، وخسر رضوان ربه؛ فلا أحد أشد خسارة منه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

وكل إنسان خاسرٌ في الدنيا والآخرة إلا من اتصف بأربع صفات هي: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

فالإيمان والعمل الصالح جهد على النفس؛ والتواصي بالحق والصبر جهد على الغير؛ وقد أعطى الله عز وجل كل إنسان أعظم رأس مال في الدنيا، وهو عمر الإنسان بأيامه ولياليه، وأمره بالتجارة معه في رأس هذا المال، ليسعد في دنياه وأخراه؛ وقد ضمن له على ذلك أعظم الأرباح: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

والناس في تحريك رأس هذا المال صنفان:

الأول: العاقل يحرك رأس هذا المال وهو عمره، وينتفع به مع ربه الكريم الذي

يعطيه على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة إلى أضعاف كثيرة، إلى ما لا يعلمه إلا الله من الحسنات والدرجات العُلى في الجنة، والفوز برضوان الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

فأوقات المؤمن كلها ميدان للتجارة مع ربه؛ فهو تارة في عبادة، وتارة في دعوة، وتارة في تعليم، وتارة في إصلاح وإحسان، وتارة في جهد وجهاد في سبيل الله، وتارة في حوائجه، وتارة في أعمال البر المختلفة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله تعالى: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الثاني: الأحمق وهو الذي يلعب برأس هذا المال، بإنفاق أوقاته في مساخط الله، واتباع الهوى، وشهوات النفس، وطاعة الشيطان: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

٣- أقسام الناس في الاستفادة من الأوقات

الوقت فجرًا وصباحًا، ضحًى وظهرًا، عصرًا ومساءً، مغربًا وعشاءً، ليلًا ونهارًا . كل هذه الأوقات المختلفة إناء للأعمال الصالحة من عبادة، ودعوة، وتعلم، وتعليم، وذكر، ودعاء، وإحسان، وإنفاق، وقضاء الحوائج، وتلاوة القرآن، وحضور مجالس الذكر، والوعظ، وتذكير الناس بربهم، والقيام بنوافل العبادات، وغير ذلك من الأعمال الصالحة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

الوقت مخلوق عظيم يمر بك ولا تستطيع أن تتحكم فيه؛ فهو ماض لا يقف؛ لكنك تستطيع أن تستغله وتستفيد منه فيما ينفعك؛ فهو إناء قابل لفعل الخير أو الشر، وفعل ما ينفع وما يضر، وفعل ما يحل وما يحرم؛ فاحفظه بما أمرك الله، ودلك عليه : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١].

هؤلاء الذين انتفعوا بأوقاتهم، واتبعوا هدى ربهم، فجزاهم على أعمالهم الصالحة الجنة والرضوان : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

أما من أضاع أوقاته في اتباع هواه، وشهواته، والاشتغال بشهواته عن عبادة ربه؛ فهو أخسر الناس ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ

ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال عز وجل: ﴿ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩].

إضاعة الوقت فيما يضر ولا ينفع من صفات السفهاء والمنافقين والغافلين: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال الله عز وجل: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤].

من أضاع أوقاته في اللعب واللهو، وفي القيل والقال، في الغيبة والنميمة، والشهوات والملذات، ومتابعة الأشياء القذرة والمحرمة، والاستمتاع بالمحرمات، والغفلة عن الله وأوامره؛ أولئك جزاؤهم النار: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨].

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥].

ماذا ينتظر هؤلاء السفهاء من السؤال والعذاب: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقال الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢].

أكثرهم يستغل أوقاته فيما يضره ولا ينفعه، من المحرمات، واتباع الشهوات:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا
﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

وكثير من المسلمين يستغل أوقاته في التمتع بالمباحات، وإن كان لا يعصي الله، فهذا غافل يجب أن نذكره لاستعمال وقته فيما يرضي ربه، والاستعانة بنعمه على عبادته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

الوقت شاهد لك أو عليك؛ وكلٌّ سوف يُسأل عن أعماله في عمره الذي قدره الله له: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٦-٩].

وقال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وكل إنسان حي لابد له من عمل؛ فالعمل فرع الحياة، وكل عمل لابد له من وقت؛ وسوف يُسأل العبد عن أوقات عمره، وأعمال قلبه وبدنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٥].

وسوف يُسأل كل أحد عشرة أسئلة.

يُسأل في القبر: من ربك؟، مادينك؟، من نبيك؟.

ويُسأل يوم القيامة عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزولُ قدما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ حتى يُسأَلَ عن خمسٍ ، عن عمُرِه فيم أفناه ؟ و عن شبابه فيما أبلاه ؟ و عن مالِه من أين اكتسبه ؟ و فيم أنفقَه ؟ و ماذا عمِل فيما علمَ ؟» أخرجه الترمذي [1].

ويُسأل الناس جميعًا يوم القيامة : ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾ [القصص:٦٥].
﴿أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤﴾ [النمل:٨٤].

فهذه عشرة أسئلة يُسأل عنها العبد بعد موته وخروجه من الدنيا، فأعد لكل سؤال جوابه : ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

فأعقل الناس من عرف ربه، فآمن به، وبادر إلى تصديق أخباره، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ ونظم أوقاته في علاقته مع ربه، وعلاقته مع خلقه .

فلله عمل بالليل لا يقبله بالنهار، وعمل بالنهار لا يقبله في الليل؛ وله فرائض ونوافل في كل عبادة؛ وله حقوق، ولعباده حقوق .

ولله أوامر انفرادية كالصلاة، والذكر، والدعاء؛ وقراءة القرآن وأمثالها .

وله أوامر اجتماعية من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للغير، والتواصي بالحق، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، وإبلاغ شرعه، ونصر دينه، والذب عن شرعه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١].

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم(٢٤١٧).

ولا بد للمسلم من القيام بهذا وهذا، ليحصل على ثواب هذا وهذا.

فهذه مجامع الخير في دينه؛ من ملأ بها أوقاته فهو أسعد الناس في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال الله عز وجل: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال الله عز وجل: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فهذه أصول حياة المسلم؛ يقوم بها طاعة لله عز وجل؛ فيحفظ الوقت، ويعمره بالعمل الصالح: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

٤ - الوقت أمانة وتجارة

الوقت هبة من الله عز وجل؛ يضع فيه المسلم كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وأعظم من حفظ أوقاته في مرضاة ربه هم الأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

فهم في الليل مع رب الناس دعاءً ومناجاة، وتكبيراً وتمجيداً، وحمدًا واستغفارًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:١-٤].

وقال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

وهم في النهار مع الناس دعوة إلى الله، وتعليمًا لشرعه، وإحسانًا إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر:١-٧].

ثم يليهم في حفظ أوقاتهم بما يحبه الله ويرضاه أتباعهم في دينهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الوقت آنية أعظم تجارة، وآنية أعظم خسارة؛ الوقت آنية تجارة المسلم مع ربه، وآنية خسارة الكافر مع نفسه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٦-٨].

فإنا لله وإنا اليه راجعون بما عملنا من خير أو شر : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه:٧٤-٧٦].

فالأعمال في الأوقات محفوظة؛ وسوف تعرض على الإنسان صوتًا وصورةً : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

إن أعظم الأرباح في حفظ الأوقات بالأعمال الصالحة؛وأعظم الخسائر في إضاعة الأوقات بالأعمال السيئة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

العاقل حقًا يمكن أن يكون أكبر داعية إلى الله في الوقت، وأكبر عالم في الوقت، وأكبر محسن في الوقت، وأكبر عابد في الوقت، وأكبر طبيب في الوقت، وأكبر مصلح في الوقت، وأكبر معلم في الوقت.

والسفيه حقًا يمكن أن يكون أكبر ظالم في الوقت، أكبر مجرم في الوقت، أكبر سارق في الوقت، أكبر فاسق في الوقت، أكبر طاغية في الوقت، أكبر داعية إلى الشر في الوقت .

وشتان بين هذا وهذا ، هذا له عمل وثواب، وذاك له عمل وعقاب : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠].

وقال الله عز وجل ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك: ٢٢].

فاعلم أيها الإنسان أن لك عند الله أجل محدود، ورزق مقسوم، وخطوات محدودة، وأنفاس معدودة، وأقوال معدودة، وأعمال محدودة؛ فاتق الله حيثما

كنت؛ واستعمل قلبك، ولسانك، وجوارحك، فيما يحبه الله ويرضاه، من الدعوة إلى الله، وعبادة الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وتلاوة كتاب الله، والفقه في دين الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقال عز وجل: ﴿۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾ [لقمان: ٢٢-٢٤].

فيا سعادة من حفظ أوقاته بالإيمان والأعمال الصالحة؛ ويا شقاوة من ضيع الأمانة وخانها، وأضاع أوقاته فيما يسخط ربه.

فالوقت كله أمانة، وتجارة، أو خسارة: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٣].

٥ - أسباب إضاعة الأوقات

إن حفظ الأوقات بالأعمال الصالحة، أعظم من حفظ الأموال في الخزائن المقفلة؛ لأن المال يموت الإنسان ويتركه، والعمل الصالح يموت المؤمن ويجده : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة:٦-١١].

إن حفظ الأوقات له أسباب، وإضاعة الأوقات له أسباب .

أما أسباب إضاعة الأوقات، فأعظم أسباب ذلك ما يلي:

الأول: الجهل بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ودينه، وشرعه، ووعده، ووعيده، وثوابه، وعقابه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الكسل بتأجيل الأعمال، والنوم الطويل، وهدر الأوقات، والسهر بلا فائدة، وإضاعة الواجبات والحقوق.

ومن نتائج الكسل: الفقر، والندم، والحسرات، والحسد، والسرقة، وكثرة الثرثرة، والقيل، والقال، والغيبة، والنميمة .

وسبب الكسل الجهل بالمسؤوليات، والجهل بمقصد الحياة، والتعلق بالشهوات، والشعور بثقل الطاعات، وخفة المعاصي والسيئات : ﴿ إِنَّ

ﭐلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

فلا بد للمسلم من المجاهدة، والصبر، والعمل، لتحصل له الهداية، والأجر والثواب : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال الله عز وجل: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠].

الثالث من أسباب إضاعة الأوقات عدم تنظيم العمل؛ فبعض الناس يستبد بكل عمل من أوله إلى آخره، و لا يترك لأحد أن يعينه في العمل؛ فهو إنسانٌ مركزيٌ يقوم بكل عمل؛ ولذلك يتعثر عمله، ويتأخر إنتاجه؛ فهذا من سوء التنظيم؛ فدع غيرك يعينك فيما يستطيع : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» أخرجه البخاري [1].

فكل من لم ينظم العمل، واستبد هو وحده بالعمل، يستهلك وقتًا طويلًا جدًّا، وإنجازه قليل جدًّا: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ [هود:١١٢].

---

(١)أخرجه البخاري.

الرابع: فتح الوقت لكل أحد أن يأتي إليك في حاجة أو في غير حاجة .

فهذا الشخص الذي جاء إليك، أو كلمك فى الهاتف، إنما يأكل وقتك، ويعطل عملك، ويضيع مصالحك؛ ولهذا جعل الله للعبادات أوقاتًا، وللصيام أوقاتًا، وللصلاة أوقاتًا، ولمعاملات الناس أوقاتًا، وللمعاشرات أوقاتًا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣].

وقال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

فمن حفظ أوقاته حصل على كل خير : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

فاحفظ أخي المسلم أوقاتك لمصالح الدين و الدنيا؛ و لا تضيعها بمقابلات ومكالمات لا تغنيك ولا تنفعك : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ومن أضاع وقته فيما لم يخلق له أدَّبَهُ الله في إضاعة وقته بلا فائدة، بمرض له، أو مرض ابنه، أو إشغاله بما لا ينفعه من خراب في بيته أو بستانه أو سيارته : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

ومن حفظ وقته بالأعمال الصالحة بارك الله له في كل أوقاته وأمواله وأعماله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال عز وجل : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فمن حفظ وقته في طاعة الله، وصانه عن كل ما لم يخلق من أجله؛ تولى الله حفظ توفيقه وصيانته، وبارك في جميع أوقاته.

قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «يَا غُلَام! إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي (١).

فاحفظ أوقاتك بكل ما يحبه الله ويرضاه، ولا تضن بوقتك عن طلب علم، أو تعليمه، وعن عبادة ربك، أو عن دعوة الناس إلى الله، أو عن إحسان إلى الخلق؛ فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

واعلم أن إطالة العمر، بحسن استغلال الوقت فيما ينفع النفس والغير؛ فالعبرة بالبضاعة لا بالوقت؛ فكم من الأنبياء والرسل والعلماء أعمارهم قصيرة، لكن تركوا للأمة خيرًا كثيرًا، ونفعًا عظيمًا، وعلمًا نافعًا: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أخرجه البخاري [١].

فما أعظم فضل الله على الأمة بإرسال الرسل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

كم ترك رسول الله ﷺ للأمة من الخيرات، وكم ترك الخلفاء الراشدون للأمة من الخير،وكم ترك الأئمة الأربعة للأمة من الخير، وكم ترك ابن تيمية وابن القيم عليهما رحمة الله للأمة من الخير، وكم ترك غيرهم من الأئمة الأعلام من الخير: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

فمن عرف الله، وآمن به، وعبده بموجب هذه المعرفة، بارك الله له في عمره، وصحته، وأوقاته، بحيث تتسع لجميع أنواع العبادات، والطاعات، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

فمن استغل وقته في القيام بهذه الأعمال الصالحة طال عمره، وإن مات في وقت قصير، فكم يجري له من الحسنات على تلك الأعمال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

فليتقِ العبد ربه فيما بقي من عمره بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

٦ - حسن إدارة الأوقات بالأعمال

إن الوقت من أعظم أصول نعم الله على عباده، وأسعد الناس من كان وقته كله لله إخلاصًا، وفي الله فيما يرضي الله، وبالله مستعينًا بالله في كل عمل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

فإذا كان الله عز وجل قد عافاك وهداك، فاحفظ أوقاتك بما يرضيه.

قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» أخرجه البخاري [١].

الأنبياء الكرام، والعلماء الكبار، أحسنوا الاستفادة من أوقاتهم فيما ينفعهم، وينفع غيرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].

إدارة الأوقات بالأعمال الصالحة هو الدين كله، هو الربح كله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والناس في إدارة الأوقات ثلاثة أقسام:

الأول: منهم من يستغل أوقاته في عبادة الله، والدعوة إليه، ورعاية مصالح دنياه، فهذا هو المؤمن حقًا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٢).

الثاني: من يستغل أوقاته في إقامة دنياه، والاستكثار منها، مع إقامة أمور دينه بأقل قدر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون:٩].

الثالث: من يستغل أوقاته في اتباع هواه، والغرق في إشباع شهواته، والإعراض عن ذكر ربه: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

فالأول هو العاقل، والثالث هو الأحمق، والثاني بينهما.

والإنسان في حياته بين ثلاثة أوقات:

يوم مضى قد فات بما فيه من خير أو شر، والمستقبل غيب لا تملكه، ولك الساعة التي أنت فيها، فاعمل فيها بما أمرك الله به: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود:١١٢].

وكل حدث في الكون لابد له من مكان، ولابد أن يظله زمان؛ ولابد لكل حدث من محدث.

إتلاف الأموال بلا فائدة سفاهة، وإتلاف الأوقات بلا فائدة أشد سفاهة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

وأعظم وأحسن وأكمل من أدار أوقاته بأحب الأعمال إلى الله، هم الأنبياء والرسل وأتباعهم، وأفضل هؤلاء كلهم سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلُقًا، وكان خُلُقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويصدق أخباره، ويعمل بأحكامه، ويحِل حلاله، ويحرم حرامه.

فعلينا إدارة أوقاتنا بما فعله النبي ﷺ في حياته كلها، واتباعه في كل حال، وفي كل ما جاء به من ربه، والاقتداء به في توحيده وإيمانه، وفي نيته وفكره، وفي

أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العظيمة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

فنقضي أوقاتنا يومٌ كيومه، وليلٌ كليله، وذكر كذكره، ودعاءٌ كدعائه، ودعوةٌ كدعوته، وعبادةٌ كعبادته، وإحسانٌ كإحسانه، وصبرٌ كصبره، وحمدٌ كحمده، وصدقٌ كصدقه، و معاملةٌ كمعاملاته، ومعاشرةٌ كمعاشراته : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وكُل من سار على الصراط المستقيم في الدنيا، زين له الشيطان تركه، والسير على الصراط المعوج إلى جهنم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

فإن وجد الشيطان الإنسان مؤمنًا وسوس له بالكفر، فإن رآه موحدًا زين له الشرك، فإن رآه على توحيد وسوس له بالكبائر، فإن رآه على طاعة وسوس له بالصغائر، فإن وجده على ورع وسوس له بالتحريش بين المسلمين .

فإن لم يفلح معه في ذلك كله أشغله بأنواع المباحات و الشهوات، عن الفرائض والواجبات، والسنن والحقوق : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

ومن سار خلف الشيطان، جره إلى المعاصي والمحرمات والكبائر، ثم إلى نار جهنم : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١].

وقال الله عز وجل عن الشيطان : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١١٩-١٢١].

وكل إنسان في هذه الحياة أعماله مخزونة في أوقاته صوتًا وصورة، قولًا وعملًا، خيرًا أوشرًا؛ وستعرض عليه، ويجزى بها يوم القيامة : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

والجزاء يوم القيامة : ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:٤-١١].

فكل ما عملت أيها العبد من خير أو شر ستجده أمامك، وستراه بعينك، وتقرؤه بلسانك : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٥].

واعلم أيها المسلم أن الأيام خمسة:

يومٌ مفقود وهو الماضي، ويومٌ مشهود وهو الحاضر، ويومٌ محدود وهو يوم موتك، ويومٌ موعود وهو يوم القيامة، ويومٌ ممدود وهو بعد الحساب يوم القيامة: إما في جنة يدوم نعيمها، أو في نار يدوم عذابها : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ

يَوْمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾ [الروم:١٤-١٦].

فبادر يا عبد الله إلى كل عمل صالح، وسارع إلى كل طاعة، وشمر إلى كل عبادة، قبل أن يأتيك الموت: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون:١٠-١١].

وقال النبي ﷺ: «اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ شَبَابُكَ قَبْلَ هَرَمِكِ، وَ صِحْتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغَنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَرَاغُكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتُكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» أخرجه الحاكم (١).

فبادر إلى كل طاعة، وسارع إلى كل فضيلة، وسابق في كل قربة: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد:٢١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾ [الواقعة:١٠-١٢].

والناس في إدارة أوقاتهم أربعة أصناف:

الأول: من يعيش عِيشة البهائم، فهو يتقلب بين شهواته ليلاً ونهاراً، غافلًا عن أوامر ربه، فهذا أخسر الناس في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (٧٨٤٦).

وقال عز وجل عن الكفار: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

الثاني: من يعيش عيشة السباع، وهم القادرون من الطغاة، والمفسدين والمجرمين، فهذا ظالم وفاسد ومفسد: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

الثالث: من يعيش عيشة الشياطين فهو فاسد ومفسد، وضال ومضل: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

الرابع: من يعيش عيشة الأنبياء والرسل والملائكة، فهؤلاء أحسن الناس حياة، وأحسنهم عملاً، وأحسنهم ثوابًا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فكن يا عبد القوي ذا همة عالية، ومسابقة ومسارعة إلى كل عمل صالح، واحفظ أوقاتك بما ينفعك في دينك ودنياك، وكن كالنحلة تمشي على هدى، دائبة الحركة والعمل، تأخذ طيبًا، وتُطعم طيبًا؛ ولاتكن كالذباب ضارًّا مؤذيًا يأكل القذر، ويؤذي البشر، ويمشي على الهوى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة:١٠٩].

واعلم أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، ترضي بها ربك، وتنقذ نفسك؛ فالحياة قوس، والموت قوس، وما بين القوسين هو الوقت الذي يجب عليك أن تسعى فيه لما يسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

واعلم أن كل حي سيموت والله حي قيوم لا يموت؛كل مخلوق سيموت، المؤمن والكافر سيموت، والبر والفاجر سيموت، والغني والفقير سيموت، والمحسن والمسيء سيموت، والحاكم والمحكوم سيموت : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وبعد الموت سيكون الحساب والثواب والعقاب : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

ذكر الموت، التفكير بالموت؛ يثمر للإنسان الخوف من الله، يثمر المسارعة إلى طاعة الله، يثمر السير على الصراط المستقيم؛ التفكر في الموت يدفعك إلى طاعة الله، ويمنعك عن معصية الله

قال النبي ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات» أخرجه الترمذي والنسائي (١)

والإكثار من ذكر الله في جميع الأوقات يثمر تعظيم الله، وتكبيره، وحبه، وتمجيد، وحمده وشكره، واستغفاره والتوبة إليه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧)، وأخرجه النسائي برقم (٤/ ٤) .

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

فالعاقل وهو المؤمن يستثمر أوقاته فيما ينفعه في حياته وبعد موته، والكافر الأحمق يستهلك أوقاته فيما يضره في حياته وبعد موته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

وأعظم أبواب الدين بعد الإيمان هو الدعوة إلى الله، فهي أم الأعمال، وأحسن الأقوال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ: «لئن يهدي بك الله رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم» متفق عليه[١]

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٧٠١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٠٦).

٧- فقه الاستفادة من الأوقات

الوقت مخلوق مسخر للإنسان يضع فيه ما يشاء، والله عز وجل اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، ووعدهم على ذلك الجنة : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١].

فعلى المسلم أن يقضي أوقاته على الكيفية التي قضاها رسول الله ﷺ ؛ فيؤدي فرائض الله عز وجل، ويمتثل أمر ربه في كل حال من أحواله كل يوم، عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند الأكل، وعند النوم، وفي سائر أحواله؛ ويصرف جزءاً يسيراً من وقته في أمور الكسب، والمعاش، وجلّ وقته يدعو الناس إلى الله كي يعبدوه وحده لا شريك له ويوحدوه؛ فإذا فرغ أو لم يتيسر له من يدعوه تزود من العلم أو علم غيره من المسلمين أحكام الدين، فإذا فرغ أو لم يتيسر له من يعلمه أو يتعلم منه اشتغل بخدمة إخوانه المسلمين وقضاء حاجاتهم، والتعاون على البر والتقوى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

فإذا فرغ أو لم يتيسر له أن يقوم بذلك اشتغل بنوافل العبادات كالسنن المطلقة، وتلاوة القرآن، والأذكار والأدعية ونحوها من القُرب والأعمال الصالحة ؛ وهكذا يقدم ما نفعه أعم للناس في كل حال كما قال سبحانه في وظيفة المؤمنين والمؤمنات : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

وقد وعد الله على ذلك بالفوز العظيم : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

البصيرة الثانية والثلاثون

الوقت أمانة وتجارة (٢)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: أقسام الوقت.

الثاني: أحوال عُمر الإنسان.

الثالث: كيف نحافظ على أوقاتنا.

الرابع: أهم الأعمال التي تستثمر بها الأوقات.

الخامس: أفضل أوقات الأعمال الصالحة.

السادس: أسعد الناس من حفظ وقته بأحسن الأعمال.

٣٢- الوقت أمانة وتجارة (٢)

١ - أقسام الوقت.

الوقت من حيث العمل ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: وقت محدد للعبادة كأوقات الأذان، وأوقات الصلوات الخمس، ووقت صيام رمضان، ووقت الحج ونحو ذلك؛ من العبادات المحددة بأوقات معلومة كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء:١٠٣].

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٩٧].

الثاني: وقت مطلق، شَرَع الله فيه من النوافل، والقُرُبات، والطاعات، والأذكار وغيرها مما يحبه الله ويرضاه كنوافل الصلاة، والصيام، والصدقات، والحج، والعمرة ونحو ذلك.

فإذا عيّن الله وقتًا للعبادة فلنؤدها فيه، وإذا لم يعين في الوقت فريضة فليُعْلم أنها وقتٌ للنوافل والمستحبات، فليؤدها فيه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

والإنسان في إدارة وقته بين أمرين:

فإما أن يستثمر وقته في حَسَنةِ المعاد، أو في حَسَنة المعاش : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

وعلى المسلم أن يستعين بدرهم المعاش، على حسنة المعاد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون:٥١].

٢ - أحوال عمر الإنسان.

- **الله عز وجل جعل لكل إنسان خمسة أعمار :**

العمر الأول: حين كان الإنسان في ظهر آدم، فأخرج الله ذريته من ظهره، وأشهدهم على ربوبيته فأقروا له بذلك : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢].

فأقروا بالعبودية لله وحده : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس:٦٠-٦٢].

وهذا العمر الأول دخلنا فيه الحياة، وَوُجِه إلينا فيه الخطاب، وقدّمنا فيه الجواب، وهذا العمر لم يبق معنا منه إلا أمران:

الأول: الفطرة على التوحيد، فكل إنسان مفطور على حب الله، وعبادته، وتوحيده : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠].

وهذه الفطرة يُفسدها ثلاثة أمور:

الأول: الكبر، فمن استكبر عن الهدى جره الشيطان إلى الهوى، ثم إلى النار كما قال الله عزوجل : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

الثاني: العناد، فالإنسان يرى الآيات ويعاندها : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤].

الثالث: التقليد، وهو تقليد الآباء والأجداد، وتقليد الرُؤساء والزُعماء، وتقليد الزُملاء والنُظراء، في المحرمات : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾[لقمان:٢١]. وقال عز وجل عن فرعون: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزخرف:٥٤].

فهذه الثلاث مفسدات للفطرة، وبها تنقطع علاقة الإنسان مع ربه، وتتصل حياته بعدوّه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠١-٢٠٢].

الثاني: التعارف،فالأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها اختلف .

قال النبي ﷺ «الأرواح جُنودُ مجُنَّدِهِ فَمَا تَعارَفَ مِنْهَا اِئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اِخْتَلَفَ» أخرجه مسلم (١).

فكم من إنسان عرفناه في عالم الذر، نراه اليوم فنحبه أو نبغضه كما رأيناه من قبل.

العمر الثاني: عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا،بدايته من نفخ الروح في الجنين في بطن أمه، فأرواح بني آدم كلهم حيّة في السماء، ثم تنزل في أجساد الأجنة، سواء كان من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٣٨) .

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

وهذا العمر في هذه الحياة الدنيا ينتهي بالموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

وهذا العمر أقصر الأعمار، وهو العمر الدنيوي، وهو عمرنا الذي نحن فيه الآن، وهو سريع الزوال، وميدان الأعمال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة:٦-٧].

وقد أخفى الله على الإنسان أجله، لكنه موقنٌ أنه سيموت، لكن لا يدري متى يموت، وفي أي مكان يموت، وعلى أي حال يموت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤].

فسبحان من أخفى الأجل، وستره بالأمل، فالإنسان يؤمل الحياة الدائمة، فالأمل ستر الأجل، والأجل يقطع الأمل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١].

وهذا العمر الدنيوي وسيلة النجاة فيه أن يقضي الإنسان عمره في عبادة الله وحده، ويستغل وقته فيما يرضي ربه، وبذلك يفوز برضوان ربه، والجنة، وينجو من النار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال عز وجل : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].

العمر الثالث: عمر الإنسان في البرزخ في القبر تحت الأرض.

والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، كل إنسان حسب عمله.

والقبور مكان انتظار الأموات إلى حين تقوم الساعة : ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه:٥٥].

والإنسان يسأل في قبره عن ثلاثة أمور:

من ربك؟.. وما دينك؟.. ومن نبيك؟

فالمؤمن يجيب بما ينجيه، والكافر يقول: هاه، هاه، لا أدري فيهلك، فيثبت الله المؤمنين، ويضل الظالمين : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

وقال النبي ﷺ عن الميت بعد قبض روحه قال : «فيأتيه آت في قبره فيقول: من ربك؟، ومادينك؟، ومن نبيك؟» متفق عليه [1].

العمر الرابع: عمر الإنسان في الساهرة:

وهذا العمر كله قيام لا جلوس فيه، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين:٦].

فيحشر الناس هناك للحساب والجزاء حفاةً عراةً، غرلًا بهمًا، وهو عمر طويل : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج:٤٧].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٦٩)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٧١).

وقال الله عز وجل : ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج:٤].

أما مقداره للمؤمنين فيكون كما بين صلاة الظهر والعصر.

وفي هذا اليوم الطويل يكون الحساب والوزن، ومعرفة الفائزين من الخاسرين : ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة:٦-١١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

العمر الخامس: الخلود والقرار الأبدي في الجنة أو النار

فالمؤمنون مخلدون في نعيم الجنة أبد الآباد كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

والكفار والمشركون مخلدون في النار أبد الآباد : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة:٦].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فهذه هي الأعمار الخمسة التي يمر بها كل إنسان، وأقصرها هو هذا العمر الذي نحن فيه.

ومراحل حياة الناس بعد خلقهم ثلاث:

الأولى: الحياة الدنيا، وحكم الله عليها بالفناء.

الثانية: حياة البرزخ، وحكم الله عليها بالانتهاء.

الثالثة: حياة الآخرة، وحكم الله عليها بالبقاء.

فالدنيا: لمعرفة الله وعبادته، والبرزخ: للسؤال عن الله، والآخرة: لرؤية الله والفوز بنعيم الجنة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢].

وقال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فالدنيا خلقها الله لمعرفته سبحانه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، وعبادته بموجب ذلك: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فالدنيا: للمعرفة والعبادة، والقبر: للسؤال والانتظار، والآخرة: للجنة ورؤية الله لمن كان مؤمنًا، والنار وسخط الله لمن كان كافرًا.

فهذه ثلاث مراحل يمر بها كل إنسان؛ دراسة، اختبار، نتيجة، والنتائج إما فائز وإما خاسر: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ٩﴾ [الأعراف:٨-٩].

والوقت نعمة عظيمة، والناس مأمورون بحفظه بالأعمال الصالحة .

والوقت إناء الأعمال، ومكان الاستثمار، والوقت أمانة في أيدينا، ونحن مأمورون أن نضع فيه أنواع العبادات في دقائقه وساعاته، وفي أيامه ولياليه، وفي شهوره وأعوامه، كما أمرنا الله ورسوله بذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وقال النبي ﷺ: «اتَّقِ اللهَّ حيثُما كنتَ وأتبعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تمحُها وخالِقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ» أخرجه (١).

ومن لم يقدر على استثمار الوقت كله في الأعمال الصالحة، فعليه أن يستثمر غالب الوقت، فالوقت مخلوق عظيم يأتي على جميع الخلائق، لا يمكن زيادته أو نقصه، أو إيقافه أو استعادته، أو بيعه أو شراؤه أو تقديمه أو تأخيره، ولكن يمكن استثماره بالأعمال النافعة، أو إضاعته بالأمور التافهة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ١٢﴾ [محمد:١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٤٨﴾ [البقرة:١٤٨].

والوقت مخلوق عظيم، دائم الحركة والسير في عبادة ربه، فجرًا وصبحًا، وضحىً وظهرًا، وعصرًا ومساءً، ومغربًا وعشاءً : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، وأخرجه برقم (٢١٣٩٢).

وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ [فصلت:٣٧].

فالسماوات شيء، والأرض شيء، والليل شيء، والنهار شيء، والشمس شيء، والقمر شيء، والله خالق كل شيء.

وكل مخلوق يسبح بحمد ربه، فهو حيٌّ يسمع الأمر، ويعرف الرب الذي فطره على توحيده، كما قال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

فكل مخلوق حي يسبح بحمد ربه، لأن التسبيح فرع الحياة.

فسبحان ربنا العظيم الذي يسجد له كل مخلوقٍ من مخلوقاته: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

فالوقت مخلوق عظيم يعبد ربه، وقد سخرهُ الله لنا، فهذا الوقت كل أحد يملكه، وكل أحد يستطيع العمل فيه، وكل أحد يستطيع أن يربحهُ أو يخسره: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

٣- كيف نحافظ على أوقاتنا؟

نحافظ على أوقاتنا بأمور:

الأول: العلم بأن الدنيا دار الإيمان، والعمل الصالح، والقبور دار الانتظار، والآخرة دار الثواب والعقاب؛ فمن عرف ذلك آمن بالله، واشتغل بما يحبه الله ويرضاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

والوقت إناء الأعمال، والمكان إناء الأشياء، والإنسان آلة الأعمال، وقيمة الإنسان عند الله بقدر إيمانه وعمله، والناس في هذه الدنيا قسمان:

الأول: من يستهلك أوقاته في قضاء شهواته، كما يفعل أكثر أهل الأرض: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

الثاني: من يستثمر أوقاته فيما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وهؤلاء هم المؤمنون حقًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثاني: العلم بأن الدنيا دار الغرور، والآخرة دار السرور، وأن الدنيا دار الفناء، والآخرة دار الخلود: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

والعلم بأن بعد الحياة موت، وبعد الموت حساب، وبعد الحساب ثوابٌ أو عقاب، كل حسب عمله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ

رَاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:١١].

فاحفظ أوقاتك بالأعمال الصالحة، وكن ابنَ وقتك، من طاعة إلى طاعة، ومن حسنٍ إلى أحسن، واعمل في دار الغرور لدارِ السرور : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٥-٦].

وقال الله عز وجل : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث: معرفة قيمة الوقت، فحياة الإنسان كُلها أعمال في أوقات .

فمن عرف قيمة الأوقات استثمرها بأنواع الطاعات والعبادات والقربات، وسارع إلى مرضاة ربه بكل قولٍ وعملٍ صالح كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

ومن جهل قيمة الوقت أضاعه في اتباع هواه وشهواته: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩].

وسيندم هذا يوم القيامة على سوءِ عمله. ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

وسيأخذ عقابه جزاء عمله. كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة:٣٦-٣٧].

الرابع: كمال اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، فمن عرف ربه لم يصرف ثانية واحدة في غير طاعته، ومن عرف وعد الله ووعيده حفظ أوقاته بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا علمتم ذلك آمنتم بالله، وكبرتموه، وعظمتموه، وأحببتموه، وحمدتموه، وشكرتموه. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

الخامس: المبادرة إلى أداء كل عمل في وقته، وعدم التسويف.

فالعبادات لها وقت، والكسب له وقت، وطلب العلم له وقت، وتعليم شرع الله له وقت، والدعوة إلى الله لها كل وقت: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

فكن أول السابقين إلى هذه الخيرات: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة:١٠-١٤].

فإياك والتسويف، فإنك بيومك، ولست بغدك، فعليك بتقوى الله في كل حال، ولا تُؤخر عمل اليوم إلى الغد، فإن سوف من جنود أبليس. ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨].

السادس: العلم بأن العمر يطول بالعمل الصالح، ويقصُر بقلة العمل الصالح، فكُل من دعا إلى الله، وكل من علّم شرع الله، وكل من أحسن إلى خلق الله،كل هذه الأعمال المتعدية من المسلم إلى غيره، يبقى أجرها وثوابها له إلى يوم القيامة : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢].

وقال النبي ﷺ: «إِذَا مَات الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مَنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مثلُ أجورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضلالةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» أخرجه مسلم (٢).

فالأجر والوزر يجريان للعبد حسب عمله في أوقاته : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

فليس مَن بنى مسجدًا، أو معهدًا لِلعلم، كمن بنى ملهى، أو خمَّارة، أو بيت دعارة.

وليس مَن دعا إلى الله بلسانه وقلمِه كمن دعا إلى الشرك بلسانه وقلمِه .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٦٣١) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

وليس من عَلَّم شرع الله لِعباد الله كمن عَلَّم الشرك والسحر وغير ذلك : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

وكُل أحد سوف يحُاسب على خيره وشره : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

السابع: الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره، والنظر في الآيات الكونية التي تُذكِر بمن خلقها وصورها، فذلك كُله يثمر خشية الله وتقواه، وحبه وتعظيمه، وحفظ الأوقات بطاعة الله ورسوله، والإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والتدبر للآيات القرآنية التي تذكر بالله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

الثامن: أن يعلم العبد أن أقواله محفوظة، وأعماله مكتوبة، فمن علِم ذلك سارع إلى حِفظ أوقاته بالأعمال الصالحة التي أمر الله ورسوله بها : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وأعقل الناس من ملأ أوقاته بمحبوبات ربه، من الإيمان، وأنواع الأعمال الصالحة: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

فسبحان من خلق الأوقات، ودعا عباده إلى حفظها بالذكر والفكر، وصالح الأعمال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٢-٦٤].

التاسع: أن يتيقن العبد أن عمره مقرُون بالوقت فكلما انقضى من عُمره يومًا أو أسبوعًا أو شهرًا أو سنة نقُص عُمْرُه وقَرُبَ أجله : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١].

ومن علِم ذلك حفظ أوقاته من الضياع، واشتغل بأنواع العبادات، وأودع في كُل وقت ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الصالحة، لينال مرضاة ربه عز وجل، ويفوز بدخول الجنة : ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وأعظم من حفظ أوقاته بأنواع الطاعات هم الأنبياء والرسل : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

العاشر: تحديد الأهداف في الحياة، والحياة تقوم على سبعة أركان تحصُل بها الطمأنينة والسعادة للعبد:

الأول هدفٌ روحاني: وهو عبادة الله وحده.

الثاني: هدفٌ مادي: وهو كسب المال.

الثالث: هدفٌ مهني: وهو العمل.

الرابع: هدفٌ عائلي: وهو رعاية الأسرة.

الخامس: هدفٌ صحي: وهو المحافظة على الصحة

السادس: هدفٌ اجتماعي: وهو التعاون على البر والتقوى

السابع: هدفٌ أخروي: وهو عِمارة الدار الآخرة بالأعمال الصالحة في هذه الحياة الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

فاجعل أوقاتك وأموالك فيما ينفعك في الدار الآخرة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

فمن جعل هذه الأهداف أمام عينيه، لم يترك لحظة واحدة من وقته إلا جعل فيها عملًا من هذه الأعمال الصالحة والنافعة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال عز و جل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨].

والوقت هو العمر كله من يوم وليلة، وليلٍ ونهار، وصباح ومساء، ولأهمية الوقت أقسم الله به في آيات كثيرة كما قال سبحانه :

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الليل:١-٢].

وقال سبحانه : ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ [الفجر:١-٢].

وقال سبحانه : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [الضحى:١-٢].

وقال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

وقال سبحانه : ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير:١٨].

وغيرها من الآيات في كثير من السور .

الحادي عشر: معرفة فضائل الأعمال الصالحة، و معرفة ثواب الطاعات، وعقوبة المعاصي، فمن عرف ميادين الأرباح والتجارات، سارع إليها، ونافس في الحصول على أعلاها : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

فكن الأول تكن الأول عند الأول : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

الثاني عشر: الإكثار من ذكر الموت.

الموت مخلوقٌ جارٍ على كل حي. ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

الموت مخلوق مأمور، يُنهِي حياة كل حي، يُنهي حُكم الحاكم، ويُنهي غنى الغني، ويُنهي فقر الفقير، ويُنهي قوة القوي، ويُنهي مرض المريض، ويُنهي مهارة الطبيب، وصلاح الصالح، وفساد الفاسد : ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

فمن جعل الموت أمامه، وذكر قدومه إليه، وعرف أن بعده الحساب، وبعد الحساب الثواب أو العقاب، سارع في شغلِ أوقاته بكل ما يحبه الله ويرضاه، والحذر من كل ما يسخط الله ويغضبه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:٩-١١].

وقال النبي ﷺ: «أكثروا من ذكْرِ هادمِ اللذّاتِ» أخرجه الترمذي والنسائي (١)

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧)، وأخرجه النسائي برقم (٤/ ٤) .

الثالث عشر: بادر في حفظ وقتك بالأعمال الصالحة، واحذر التسويف، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد.

ولتستفد من أوقاتك بشكل أفضل ابدأ بالعمل الأهم قبل المهم، وقدم العمل المتعدي على القاصر، وقدم العمل الكبير على الصغير، واعرف أحسن الأوقات لإنجاز العمل، ليكون العمل أسهل عليك، وأغلق الأبواب التي تستهلك أوقاتك بلا فائدة، وأشغلها بالأعمال الصالحة النافعة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون:١-١١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

أدِّ الأعمال الصالحة بالطمأنينة والسكينة، وخذ قسطًا من الراحة بين أعمالك المتوالية، يتجدد نشاطك، وتستمر أعمالك، ويزيد إنتاجك، ولا تحمّل نفسك ما لا تطيق فتكسل عن العمل، ثم تترك العمل: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن:١٦-١٨].

وقال النبي ﷺ: «إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا فاعطِ كل ذي حق حقه» أخرجه البخاري (١).

وأثبت كل عملٍ صالحٍ تعمله، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ .

قال النبي ﷺ «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل» متفق عليه (٢).

الرابع عشر: استحضار النية في كل عمل يقوم به العبد، فيستحضر العبد النية في كل عملٍ بينه وبين ربه، أو في مصالح غيره من الناس، فالنية تجارة العلماء، وأعمال العبد كلها تحسب له عبادة، إذا فعلها خالصة لله على ما جاء في سنة رسول الله ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فكل عبادة لله، ومعاملة مع خلق الله، إذا فقدت الإخلاص بطل ثوابها، وحُرم أجرها .

وبالإخلاص تكون العادات عبادات، إذا استحضر العبد النية في كل عمل صالح يكتب الله له أجره.

قال النبي ﷺ: «إنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَاتِ وإنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه (٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩٦٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١)، وأخرجه مسلم برقم (٧٨٢) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

٤ - أهم الأعمال التي تُستثمر بها الأوقات:

أعظم الأعمال التي تُستثمر بها الأوقات أربعة:

الأول : العبادات فرائضها ونوافلها : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

الثاني : تعلم العلم الشرعي وتعليمه : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الثالث: الدعوة إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

والدعوة إلى الله لها كل الأوقات، وما سواها له أوقات محدودة معلومة.

الرابع: الإحسان إلى خلق الله، فالدين ركنان عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

وأعظم من قام بهذه الأمور الأربعة الأنبياء والرسل وأتباعهم .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فهذه كبرى ما يستثمر به العبد أوقاته، وذلك كله يحتاج إلى المجاهدة والصبر : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

والناس في حفظ الأوقات بالأعمال الصالحة على ثلاث درجات:

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وكل هؤلاء في الجنة، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر:٣٢-٣٤].

والسابقون أعلاهم درجات، ثم المقتصدون، ثم الظالمون لأنفسهم.

ومن عرف قيمة الوقت، وقيمة العمل الصالح، حاسب نفسه كل يوم :

ماذا قدم من العمل، وماذا أخر من العمل، فما قدمه من خير يشكر الله عليه، ويسأله المزيد من فضله، وما أخر من خير يستغفر الله منه، ولا يعود إلى تأخيره، ويبادر إلى فعله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر:١٨-١٩].

ونعمة الزمان كنعمة المكان، أنعم الله بكل منهما على عباده، وكلاهما دليل على وحدانية الله، وكمال قدرته، وعظيم حكمته: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) ﴾ [النور:٤٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) ﴾ [الفرقان:٤٧].

فالمكان محل الأشياء، والزمان مكان الأعمال والأحوال.

والزمان أعظم من المكان، والقَسَم بالزمان في القرآن أكثر من المكان، لما يجري فيه من أعظم الأعمال والأحوال، ولأهمية الزمن أقسم الله بالزمن كله فقال: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر:١-٣].

وأقسم بالليل كله، وأقسم بالنهار كله فقال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) ﴾ [الليل:١-٢].

وأقسم بالأوقات كلها مفصلة:

فأقسم بالفجر، والصبح، والضحى، والعصر.

ولجهل أكثر الخلق بقيمة الوقت، يصرفون الصحة وأوقات الفراغ في غير محلها، ويضيعون ذلك في الشهوات والقيل والقال، والصحة والفراغ والمال أعظم أبواب الشهوات، وإضاعة الأوقات فيما لا ينفع، يسوق بها الشيطان الناس إلى أنواع المحرمات والفواحش والكبائر، ثم إلى نار جهنم: ﴿ إِنَّ

﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر:٦].

فاغتنم رحمك الله خمسًا قبل خمس: شَبَابُكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتُكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغُكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتُكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

والله سبحانه خلق هذه الدنيا، لتدل على خالقها، وخلق الإنسان، وجعله خليفة فيها على ما سواه، يؤمن بمن استخلفه، ويدعو الناس إليه، وبصدق أخباره، ويمتثل أوامره : ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة:٣٠].

والله حكيم عليم خلق الدنيا وجعلها مكانًا للإيمان والأعمال، وعبادة الله وحده لا شريك له، لم يخلقها عبثًا أو لهوًا او باطلًا. ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان:٣٩].

وقال عز وجل: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون:١١٥].

وقال الله عز وجل : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:١١٤].

فالله عز وجل خلق الإنسان، ليكون خليفة في الأرض، وسيدًا في هذا الكون، وسخر له ما في السموات وما في الأرض، ليقوم بعبادة ربه : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان:٢٠]. .

فالله سبحانه جعل الإنسان خليفة في الأرض، ليقيم أمر الله في أرضه، لهذا

كانت مهمة رسل الله الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

فمن أدرك قيمة الوقت اغتنمه في إصلاح نفسه، وإصلاح غيره،بكل عملٍ صالح، واهتم بالدعوة إلى الله، لأنها أم الأعمال، وأحسن الأقوال والأعمال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وكلما ازداد إدراك العبد للغاية التي خُلق من أجلها، ازداد اغتنامًا لأوقاته، بكل ما يحبه الله ويرضاه كالأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

إن كل من أضاع أوقاته في غير حقٍ قضاه، وفي غير واجبٍ أداه، أو علمٍ حصّله، أو خيرٍ أسسه، أو حمدٍ حصّله، فقد عقّ وقته، وظلم نفسه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٨-١٩].

٥- أفضل أوقات الأعمال الصالحة

الله عز وجل يريد من عبده أن يحول أوقاته إلى عبادة، في ليله ونهاره، وفي صباحه ومسائه، ليحصل على أعظم الأجور: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والعاقل حقًا من استثمر يومه بالعمل الصالح في ثلاثة أوقات:

الغدوة، والروحة، وشيءٌ من الدلجة : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)﴾ [الروم:١٧-١٨].

فالغدوة أفضل الأوقات، وأعظمها بركة، وأكثرها نشاطًا، ولذلك الطيور والبهائم تطلب أرزاقها في هذا الوقت .

قال النبي ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعَ نَفْسَهُ فمعتقها أَوْ موبقها» أخرجه مسلم (١).

والروحة هي آخر النهار كما أن الغدوة أول النهار، فمن فاته شيءٌ من العمل غدوة استدركه في الروحة.

وشيء من الدلجة في آخر الليل، فما فاتك من العمل في الغدوة والروحة، استدركه بفعله في الليل، واستغفر ربك من ذنبك: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾ [الإسراء:٧٩].

فهذه الأوقات الثلاثة أحسن الأوقات لقطع المسافات الحسية في السفر مع راحة المسافر، فكذلك هي أحسن الأوقات لقطع السفر الأخروي، أول نهاره،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣) .

وآخر نهاره، وشيء من ليله خاصةً آخر الليل : ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ١٣٠﴾ [طه:١٣٠].
وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بالغدوَةِ والرَّوْحةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ» أخرجه البخاري (١).
وقال النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدعُوني؟ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فأُعْطِيهِ. مَنْ يَسْتَغْفِرُني؟ فَأَغْفِرُ لَهُ» متفق عليه (٢).
فهنيئًا لمن وفقه الله لحفظ أوقاته بالأعمال الصالحة الانفرادية، والاجتماعية، وعبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، وإظهار شعائر الإسلام، ونصرة الدين، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، والمحافظة على الفرائض والنوافل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].
أما إضاعة الأوقات فيما يضر ولا ينفع فهذا أشد من الموت، لأن الموت يقطعك عن الناس، أما إضاعة الوقت فتقطعك عن الله والدار الآخرة.
والوقت يسير بلا توقف، سواء عملت فيه خيرًا أو شرًا أو لم تعمل، وهو شاهد لك أو عليك، والدنيا مزرعة الآخرة، فمن زرع خيرًا وجده، ومن زرع شرًا وجده : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩).
(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

٦ - أسعد الناس من حفظ وقته بأحسن الأعمال

أحسن من أدار وقته بأحسن الأعمال هو النبي ﷺ، فكان إذا دخل بيته جزَّءَ وقته ثلاثة أجزاء: جزء لأهله، وجزء لربه، وجزء لنفسه.

ثم جزّء جزءه لنفسه بينه وبين الناس،لعامة الأمة وقت، وللخواص وقت، يتشاور معهم في أمور الدين، ومصالح المسلمين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة:١٢٨].

فمن حفظ أوقاته في طاعة مولاه أسعده الله في الدنيا والآخرة، ومن أضاع أوقاته فيما يضر ولا ينفع شقي في الدنيا والآخرة، وتقطّع قلبه حسرةً وندمًا في وقتين:

الأول في الدنيا ساعة الاحتضار ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠)﴾ [المنافقون:١٠].

الثاني في الآخرة حيث توفى كل نفس ما كسبت، وتجزى بما عملت. ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار،وحينئذٍ يتمنى كل أحد أن يعود إلى الدنيا، ليعمل صالحًا، ولكن هيهات،انتهى العمل، وبدأ الجزاء والثواب أو العقاب: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

فمن عرف ربه حفظ وقته بما يرضي ربه من الأقوال، والأعمال، وأنواع الإحسان: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾ [الحديد:٢١].

فالله عز وجل هو الملك الحق الذي خلقنا ورزقنا وهدانا، وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان: ٢٠].

والله سبحانه سخر لنا ما في هذا الكون تسخيرين:

تسخير تعريف لنؤمن به، وتسخير تكريم لنشكره على نعمه.

فموقف العاقل من تسخير التعريف أن يؤمن بالله.

وموقفه من تسخير التكريم أن يشكر الله.

فإذا آمن وشكر فقد حقق مراد الله منه، وفاز برضوان الله وجنته، وسلم من غضب الله وعقوبته. ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)﴾ [النساء: ١٤٧].

فاحرص يا عبد الله على حفظ أوقاتك بما يسعدك، ويسعد الناس. فأسعدُ الناس عند رب الناس من أسعَدَ الناس بأنواع الإحسان: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فأسعدُ الناس من عبد رب الناس، وأسعَدَ الناس من قام بما أمره الله ورسوله به. فأسعدُ الناس في الدنيا و الآخرة هم أهل التوحيد والإيمان ومن عبد الله عز وجل، وأحسن إلى خلقه.

فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء: ٣٦].

أسعد الناس في الدنيا والآخرة من أعطى ولم يأخذ وهم الأنبياء وأتباعهم، وأشقى الناس من أخذ ولم يعطِ وهم الكفار والمشركون .

الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء عاش الناس لهم، والأنبياء عاشوا للناس.

والأقوياء يُمدحون في حياتهم، ويُذمون بعد مماتهم، والأنبياء يمدحون في حياتهم وبعد موتهم: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

والناس كلهم تبع لقويٍ أو نبيٍ، وكل نبي قوي، لأنه عبد القوي.

فمن أراد القوة والعزة والسعادة في الدنيا والآخرة فليتبع الأنبياء : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال الله عز وجل : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

فإذا كان طريق القوة في مرضاة الله، فيجب أن تكون مسلمًا قويًا في عبادتك، وفي دعوتك، وفي جهادك، وفي علمك، وفي إحسانك : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال الله عز وجل : ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣].

والله سبحانه لا يختار لعبده إلا ما هو خير في الدنيا والآخرة.

فما جعل الله الحاكم حاكمًا الا ليصل بحكمه إلى أعلى درجات الجنة، وما جعل العالم عالمًا، ولا الغني غنيًا، ولا القوي قويًا، إلا ليصل كل واحد بما وهبه الله إلى أعلى درجات الجنة : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

والنفس البشرية لها حظ وعليها حق

فحظ النفس هو نصيبها من الدنيا: فالغنى حظ، والعلم حظ، والجاه حظ، والذكاء حظ ، وغير ذلك مما وهبه الله من النعم الخاصة والعامة : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

وهذه الحظوظ من غنى أو فقر، أو عافية أو مرض، أو قوة أو ضعف وغيرها قسمها الله بين العباد في الدنيا قسمة ابتلاء : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

أما في الآخرة فقد قسمها الله بين الناس قسمة جزاء : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:٦-١١].

فمن عاش في الدنيا فقيرًا وهو مؤمن فصبر فله الجنة، ومن عاش في الدنيا غنيًا وهو كافر دخل النار : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

فحظ النفس ما وهبها الله من النعم وما أباح لها من الشهوات.

أما حق النفس فهو أن تحملها على النظر والتدبر، لتعرف خالقها وفاطرها ومعبودها، ثم تعبده بموجب هذه المعرفة : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن

زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وقال الله عز وجل : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

والمؤمن كلما ازداد علمه، اتسعت رؤيته، وحسن عمله، وتجاوز المخلوق إلى الخالق، وتجاوز الصور إلى المصور، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة، وتجاوز الأموال والأشياء إلى زيادة الإيمان والأعمال الصالحة، وقدم ما يبقى على ما يفنى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وعلة وجود الإنسان هو عبادة الله عز وجل بأنواع الأعمال الصالحة سواء كان الإنسان غنياً أو فقيراً، قوياً أو ضعيفاً ملكاً أو عبداً: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وكل أحدٍ مبتلى بما قدره الله له؛ فالناس كلهمإما غني شاكر أو كافر، وإما فقير صابر أو جازع. والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لأن فرص الأعمال الصالحة عند الغني وعند القوي أكثر، وفي كل منهما خير .

قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير» أخرجه مسلم [١].

والعمل الصالح هو العمل الذي يصلح للعرض على الله، وهو العمل الجامع بين الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

العمل الصالح هو العمل الخالي من النفاق والرياء والشرك والبدعة. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤) .

ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ [البينة:٥].

هذه حدود العمل الصالح الذي يتقبله الله، والذي يجب علينا أن نملأ به أوقاتنا : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

فكل حياة المؤمن سعادة، لأنه متصل بالله الذي بيده كل شيء، وإن كانت الدنيا مدبرة عنه. والكافر حياته كلها شقاء، وإن كانت الدنيا مقبلة عليه، لأن القلب محل السعادة والشقاوة، ومحل السعة والضنك : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ [الشعراء:٢١٣].

والمعيشة الضنك هي ضيق القلب، والهم، والخوف، والحزن : ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

فالكافر في عذاب في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾ [الجن:١٧].

والحياة الطيبة أن تتصل بالله الذي خلقك، ورزقك، وهداك، واستضافك في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، وفي بطن القبر، ويوم القيامة تقف بين يديه للحساب والجزاء والثواب أو العقاب : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل:٩٧].

والمؤمن حقًا من حفظ وقته بكل عمل صالح، فيحسن إلى نفسه بطاعة الله ورسوله، ويحسن إلى غيره بأنواع المحاسن والإحسان: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

وأعظم عمل بعد عبادة الحق،الإحسان إلى الخلق، فمن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

فأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك،ارحم الناس يرحمك رب الناس،ومن لا يَرحم لا يُرحم،واعف عن الناس يعفُ الله عنك،والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، يا ذا الجلال والإكرام.

البصيرة الثالثة والثلاثون

عظمة الله بين صفات الجلال والجمال

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: مظاهر عظمة الله في الكون العظيم .

الثاني: مظاهر عظمة الله في القرآن العظيم .

الثالث: عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٣٣- عظمة الله بين صفات الجلال، وصفات الجمال

الله جل جلاله هو الملك الحق، الرحمن الرحيم، الذي له الاسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، وله المثل الأعلى في السموات والارض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

وصفات جلال الله عز وجل هي صفات الربوبية والوحدانية، وصفات الكبرياء والعظمة، وصفات الجلال والجبروت، وصفات الخلق والقدرة، وصفات العزة والقوة، وأمثالها من صفات الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

وصفات الجمال لله عز وجل هي صفات الرحمة والرأفة، وصفات الكرم والإنعام،وصفات اللطف والاحسان، وصفات الحلم والعفو، وأمثالها من صفات الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هو جل جلاله الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن دون كل شيء: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد:٣].

وقال النبي ﷺ: «كان اللهُ ولم يكُنْ شيءٌ قبلَه، وكان عرشُه على الماءِ، ثم خلَق

السماواتِ والأرضَ، وكتَبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ» أخرجه البخاري [1].

كان الله جل جلاله ولم يكن شيء قبله، كان الله عز وجل ولم يكن شيء معه، كان الله جل جلاله ولم يكن شيء غيره، ثم أراد أن يعرف ليكبر ويعظم، ويحمد ويشكر، ويوحد ويعبد؛ فخلق السموات والأرض، وما فيهما، وما عليهما، وما بينهما، وما فوقهما : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، ووحدتموه، وعبدتموه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره؛ كان الله عز وجل ولم تكن سماء مرفوعة، ولا أرض مبسوطة، ولا شمس مضيئة، ولا قمر منير، ولا نجوم منثورة، ولا بحار سائلة، ولا أنهار جارية، ولا جبال راسية، ولا سهول واسعة، ولا ماء ولا سحاب.

كان الله ولم يكن شيء قبله؛ لم يكن ليل ولا نهار، ولا ماء ولا سحاب، ولا جماد ولا نبات، ولا حيوان ولا إنسان، ولا ملك ولا جان، ولا هواء ولا رياح : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره؛ خلق جميع المخلوقات بقدرته، ونوعها وصرفها بحكمته، لتدل على جلاله وجماله وكماله : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

خلق السموات السبع، ثم أمرها فاستقلت، وخلق الأراضين السبع، ثم أمرها فاستقرت، وخلق الجبال الراسيات، ثم أمرها فرست، وخلق البحار، ثم أمرها

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٨).

فسالت، وسير الرياح فسارت، وأجرى الأنهار فجرت، وأمر الأرض بالإنبات فأنبتت، وأمر النار بالاشتعال فاشتعلت، وأمر الرياح فهبت، وأمر السحب فأمطرت، وأمر الأشجار فأثمرت، وأمر العيون فانفجرت، وأمر الارض فأنبتت من كل زوج بهيج : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٥ -٧].

كان الله ولم يكن شيء قبله؛ خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، ثم خلق الإنسان وكرمه بكل ما في السموات والأرض، ليعرف ربه العظيم، ويشكر ربه الكريم، ويحب ربه الرحيم، ويعبده وحده لا شريك له : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

كان الله ولم يكن شيء قبله،خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم أمر لسانه فتكلم، وأمر عينه فأبصرت، وأمر أذنه فسمعت، وأمر عقله ففكر، وأمر قلبه فعرف، وأمر رجليه فمشت، وأمر يديه فتحركت بمصالحه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦ -٨].

كم حجم هذا الإنسان بالنسبة للسموات والأرض؟! كم حجمه بالنسبة للجبال والبحار والأنهار؟! : ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر: ٥٧].

ولكن الكريم سبحانه كرم الإنسان بأنواع الكرامات ، وأسجد له ملائكة الأرض والسماوات ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء، لأنه يريده

خليفة في الأرض في الدنيا، وجليسه يوم القيامة إن آمن : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وقلب الإنسان هو الملك؛ فإذا صلح الملك صلح البدن كله، وإذا فسد الملك فسد البدن كله.

قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» متفق عليه (١).

فالقلب هو الملك، ووزيره العقل، وجنوده الجوارح : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات:٢١].

هو سبحانه الكبير القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، المالك لكل شيء، الغني عن كل شيء، الخبير بكل شيء، المعطي لكل شيء، المنعم بكل شيء، الخالق لكل شيء، الوكيل على كل شيء : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢].

وضع اسمه الأعظم جل جلاله على السماء فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار فسالت، وعلى الأنهار فجرت، وعلى الرياح فهبت، وعلى السحب فأمطرت، وعلى الأرض فأنبتت، وعلى الشمس فأضاءت، وعلى الحيوانات فتوالدت، وعلى العيون فتفجرت، وعلى الأرض فجمدت، وعلى المياه فسالت، وعلى النار فاشتعلت، وعلى الأشجار

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩)، واللفظ له .

فأثمرت، وعلى النجوم فنورت: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الكبير الذي لا أكبر منه، العظيم الذي لا أعظم منه، القوي الذي لا أقوى منه، العزيز الذي لا أعز منه، الغني الذي لا أغنى منه، الكريم الذي لا أكرم منه، العليم الذي لا أعلم منه، الرحمن الذي لا أرحم منه، الناصر الذي لا أنصر منه، المؤمن الذي لا آمن منه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٢-٢٣].

هو سبحانه الخالق القادر على كل شيء من الذرات والمجرات؛ خلق السماوات والأرض، وخلق الذكور والإناث، وخلق الليل والنهار، وخلق الشمس والقمر، وخلق الكبير والصغير، وخلق الجامد والسائل، وخلق البر والبحر: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه المؤمن الذي ملأ قلوب أوليائه بالإيمان والتوحيد؛ وطهر قلوبهم من الشرك به، والذل لغيره، والخوف من غيره، والرجاء لسواه، والافتقار لغيره: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٣].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، هو الملك الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

هو جل جلاله الكبير وكل ما سواه صغير، هو القوي وكل ما سواه ضعيف، هو الغني وكل ما سواه فقير، هو الملك وكل ما سواه عبد له، هو القادر وكل ما سواه عاجز، هو الكريم وكل ما سواه مكرَّم، هو المعطي وكل ما سواه معطَى، هو الخالق وكل ما سواه مخلوق، هو العزيز وكل ما سواه ذليل بين يديه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

هو سبحانه الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض، وله الحمد في السماوات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

هو سبحانه العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله، العظيم في ملكه وسلطانه، العظيم في نعمه وإحسانه، العظيم في حكمه وأمره، العظيم في تدبيره وتصريفه، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في وعده ووعيده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

ومن عرف ربه العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، آمن بالله ووحده، وأحبه وعبده، وحمده وشكره، ومجده وكبره، ودعاه وسأله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ومن عرف ربه العظيم آمن بكتابه العظيم، واتبع رسوله الكريم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا

وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

فسبحان العظيم الذي ملكه عظيم، وخلقه عظيم، وأمره عظيم، وكتابه عظيم، ورسوله عظيم ، ودينه عظيم، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

وهذا الرب العظيم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال العظيمة، والنعوت الجميلة؛ هو وحده الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق التعظيم وحده لا شريك له، ويستحق الحب وحده لا شريك له، ويستحق الحمد والشكر وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه العظيم الذي خلق كل عظيم، هو الحي الذي خلق كل حي، الحي الذي يرزق كل حي، الحي الذي يرى كل حي، الحي الذي يسمع كل حي، الحي الظاهر فوق كل حي، الحي الباطن دون كل شيء، الحي المحيط بكل حي، الحي القاهر لكل حي، حيٌّ أقوى من كل حي، حيٌّ قادر على كل حي، حيٌّ ليس كمثله شيء : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

هو سبحانه الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، الرازق لكل أحد، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، المهيمن على كل أحد، المحيط بكل أحد، السميع لكل أحد، البصير بكل أحد، الأحد الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو سبحانه الخالق لكل ما تراه وما لا تراه، الخالق لكل ما علمته وما لم تعلمه، الخالق لكل ما سمعت به ومالم تسمع به، هو الخالق لعالم الغيب والشهادة، وعالم الدنيا والآخرة، وعالم الليل والنهار، وعالم الحر والبرد، وعالم الأجساد والأرواح: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو الملك الذي بيده كل شيء: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

هو سبحانه القادر الذي خلق الذرات والقطرات، وفرق الذرات في التراب، وجمع القطرات في البحار، وفلق الليل بالنهار، وفلق الحب بالنبات: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام:٩٥-٩٦].

فسبحان الرب الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام:٩٧-٩٨].

هو سبحانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم بما كان وما يكون وما سيكون، الحي الذي ليس له بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

ليس سبحانه مربوطًا بالماضي، ولا محاطًا بالحال، ولا منتظرًا للمستقبل، أحاط علمًا وقدرةً بالمكان كله، وبالزمان كله، وبالخلق كله، وكل مخلوق له

أول وآخر، وله بداية و نهاية : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

هو الله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، أمرنا ألا نعبد أحدًا سواه، ولا ندعو إلا إياه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

ولهذا كانت الدعوة إلى الله أحسن الأقوال والأعمال؛ لأنها تعرِّف الناس بالله العظيم وتدعوهم إلى عبادته وتقواه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه .

والدعوة إلى الله تقوم على أصلين:

الأول: دعوة ناطقة ،وهي تعريف الناس بربهم ليوحدوه، ويحبوه، ويعبدوه، ويكبروه، ويشكروه، ويسألوه وحده لا شريك له : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

الثاني: دعوة صامتة، وهي التحلي بمكارم الأخلاق، والاتصاف بصفات الرب على شاكلة العبودية، وهذه الأخلاق يحبها الله وهي التي تجر الناس إلى حب الله وحب الدين كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

فالأول تعريف بالرب العظيم : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والثاني تعبّد لله العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان وأهل الإحسان.

ولابد للداعي من هذا وهذا؛ ليقبل قوله، ويطاع أمره، وتصدق أقواله بأفعاله.

هو سبحانه الملك القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، أمر خلقه أن يعبدوه، ونهاهم أن يعبدوا أحدًا سواه، في قبضته كل أحد سواه، وبيده وحده الخلق والأمر، والتصريف والتدبير، والحركة والسكون، والعطاء والمنع، والحياة والموت، والخوف والأمن، والغنى والفقر: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

هو سبحانه الحي الذي لا يموت، الحليم الذي لا يعجل، الكريم الذي لا يبخل، القادر الذي لا يعجز، الغني الذي لا يفتقر: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس:٦٨].

هو العليم الخبير، الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، ويعلم حوائج السائلين قبل أن يسألوه، ويعلم ما في ضمائر الصامتين قبل أن ينطقوا، يقدم من يشاء بفضله، ويؤخر من يشاء بعدله، هو عِزُّ كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومغيث كل ملهوف: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو سبحانه السميع البصير؛ من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره؛ ومن كان حيًّا فعليه رزقه، ومن كان ميتًا فإليه منقلبه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ [السجدة:٦].

هو سبحانه الملك الذي بيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت، وبيده الحياة والموت، وعنده خزائن الرزق والقوت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران:٢٦].

والملك الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه عظمة ملكه وسلطانه، وهذه

عظمة نعمه وآلاؤه، وهذا تدبيره وتصريفه، وهذا خلقه وأمره؛ هو الملك الحق الذي يجب أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُعظم ويُكبر، ويُحب ويُحمد، وأن يعبد وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الملك القادر على كل شيء، القوي الذي لا يستعين بشيء، الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الغفور الذي وسعت مغفرته كل شيء، المعطي الذي أعطى كل شيء، الوهاب الذي وهب كل شيء: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس:٦٨].

هو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء، المصور الذي صور كل شيء، الحي الذي أحيا كل شيء، الفتاح الذي فتح كل شيء، العليم الذي لا يغيب عنه شيء : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤].

هو الملك المالك لكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

هو سبحانه الغني الكريم الأكرم، واهب الأرزاق، وقاضي الحاجات، وفارج الكربات، ومجيب الدعوات، وغافر الخطيئات، وساتر الزلات، ومضاعف الحسنات، وكاشف البليات : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢].

هو سبحانه مفزع الخلائق في كل حال؛ إذا اشتد المرض بالمريض، وإذا اشتد الكرب بالمكروب، وإذا اشتد الهم بالمهموم، وإذا اشتد الفقر بالفقير، وإذا اشتد الجوع بالجائع، وإذا اشتد الكسر بالكسير، فر إلى من بيده مقاليد الأمور: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

هو سبحانه الملك الحق الذي تشهد بوحدانيته الذرات والمجرات، وتسبح بحمده جميع المخلوقات، وتنطق بعظمته جميع الكائنات، ويمجده جميع من في الأرض والسموات، وتسجد لجلاله وجماله كل البريات، وتخضع لعظمته جميع المخلوقات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

هو سبحانه السبوح القدوس الذي تسبحه جميع مخلوقاته، وتقدسه كل كائناته، وتحمده جميع مخلوقاته: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

هو جل جلاله الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا مثيل له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

هو سبحانه السميع العليم يسمع حديث النفس للنفس، ويسمع صوت اللامس عند اللمس، ويرى السواد في الظلمات، ويبصر الحب تحت الثرى، ويسمع الناطق والصامت على حد سواء، ويسمع دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

هو سبحانه السميع البصير الذي لا يعزب عنه شيء، ولا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر بما في قعره، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ تقدست عن الشريك ذاته، وتنزهت عن مشابهة الخلق صفاته : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

سبحانه كل ما في الكون خلقه، وكل الخلق عبيده، وكل العبيد مماليكه، وكل الذرات والمجرات والمخلوقات جنوده، وكل النعم من فضله وجوده، وكل الأرزاق من عطائه، والكل قائم به، وخاضع لقهره، ومسرع إلى إرادته ، وشاهد بوحدانيته، و مسبح بحمده : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١].

كل ما في الكون من سماء وأرض، وكل ما في الوجود من بسط وقبض، وكل ما في العالم من عطاء ورزق، وكل ما في الكون من عافية ومرض، وأمن و خوف، وعز و ذل، كل ذلك تحت هيمنته وقهره : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤].

وكل ما في الكون تحت تدبيره وتصريفه، من ليل أونهار، أو حر أو برد، أو عطاء أو منع، أو صحة أو مرض، أو كفر أو إيمان، أو طاعة أو عصيان، أو بر أو بحر، أو نور أو ظلام، أو حياة أو موت، أو زيادة أو نقصان، أو نصر أو خذلان، أو ربح أو خسران، أو عطاء أو حرمان، كل ذلك بيده وحده لا شريك له، وتحت قهره وحده لا شريك : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

فلا إله إلا الله، ما أعظم ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

هو سبحانه الواحد الأحد الصمد الذي أعطى ومنع، القادر الذي فرق وجمع، الجبار الذي ذل له كل شيء وخضع، القهار الذي قهرَ ومنع.

هو سبحانه التواب الذي تاب على العصاة وغفر، المحسن الذي أحسن خلقه وتفضل، الحكيم الذي أحكم الأخبار والأحكام وحده لا شريك له: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

هو سبحانه الخالق العظيم الذي خلق الخلقَ وبرأ، وأنزل الماء من السماء وسقى، وأخرج الزرعَ من تحت الثرى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه:٦].

هو سبحانه الملك المتفرد بالملك، والخلق، والأمر،والاختيار، والاصطفاء، والاجتباء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨].

هو سبحانه الكبير وكل ما سواه صغير، الكبرياء رداؤه، والعظمة إزاره، والمُلك مُلكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، والخير كله منه، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، هو الرب العظيم الذي يستحق أن يُطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا يُنسى، وأن يشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

هو سبحانه العظيم الذي لا منتهى لجلاله وجماله وكماله؛ فلو أمر الله الإنس، والجن، والملائكة، والرسل، والأنبياء، وأعطاهم عُمْرَ نوح ﷺ، وجعل لهم جميع الأشجار أقلامًا، وجميع البحار مدادًا، وجعل السموات والأرض صحفًا، ثم أمرهم أن يكتبوا عن عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لانتهت أعمار الجن والإنس والملائكة والأنبياء والرسل، ولنفدت الأقلام والبحار، ولم ينته الكلام عن عظمة الله وجلاله وجماله : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان:٢٧].

فهذه عظمة كلماته، فكيف بعظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا .

اللهم اقبلنا وتقبل منا، أنك أنت السميع العليم، الغفور الرحيم .

بصائر الإسلام الكبرى

الباب الخامس

ويشتمل هذا الباب على البصائر الآتية :

٣٤ - معرفة الله بين صفات الجلال، وصفات الجمال.

٣٥ - توحيد الله بين صفات الجلال وصفات الجمال.

٣٦ - ذكر الله عز وجل أعظم العبادات.

٣٧ - ذكر الله: أنواعه، وآدابه، وثمراته.

٣٨ - حلاوة الإيمان، أسبابها، وثمارها، وموانعها.

٣٩ - أحسن حياة.

٤٠ - الإحسان .. معناه، ومحاسنه، وآثاره.

٤١ - الإحسان: أقسامه، ودرجاته، وثوابه.

٤٢ - حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام.

البصيرة الرابعة والثلاثون

معرفة الله بين صفات الجلال، وصفات الجمال

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: صفات الجلال والجمال لله عز وجل .

الثاني: أبواب معرفة الله عز وجل .

الثالث: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٣٤- معرفة الله بين صفات الجلال، وصفات الجمال

١ - صفات الجلال والجمال لله عز وجل

صفات جلال الله عز وجل هي التي تثمر تعظيم الله، والخوف منه، والخشية له. كصفات القوة والقدرة، وصفات العظمة والعزة، وصفات الجبروت والملكوت، وصفات الربوبية والكبرياء، وصفات الخلق والقهر، وصفات الإحاطة والرقابة لله عز وجل؛ وأمثالها من صفات ربنا عز وجل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وصفات جمال الله عز وجل هي التي تثمر حب الله، والثناء عليه، والحمد له، والشكر له، كصفات الإكرام والإحسان، والفضل والإنعام، وصفات العفو والحلم، وصفات التوبة والمغفرة، والرحمة والرأفة، وغيرها من صفات الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر:٢٢].

وتوحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا يمكن أن يحصل للعبد إلا بعد معرفته، فمعرفة الله هي أوجب المعارف، وأول الواجبات، وأعظم الأصول.

فمن عرف الله أكثر كان لله أحب وأعبد، وله أخشى وأتقى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

ومن عرف الله بالربوبية، قصده بالألوهية، وخضع له بالعبودية : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي كل مخلوق يشير إليه، وكل ذرة ومجرة تدل عليه، القادر الذي يفعل ما يشاء، ويحكم مايريد، فأول الدين معرفته، وأعظم الفوز في طاعته وعبادته : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١].

٢-أبواب معرفة الله عز وجل

أبواب معرفة الله عز وجل كثيرة لا يحصيها أحد، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وتنحصر هذه المعرفة في ثلاثة أمور هي :

الأول: معرفة الله بآياته ومخلوقاته الكونية كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال عزو وجل : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وقال عزو وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فهذا باب معرفة الله بآياته ومخلوقاته الكونية، وهو باب عظيم واسع ومفتوح لكل إنسان في كل زمان ومكان.

الثاني: معرفة الله من خلال آياته القرآنية، كما أمر الله عز وجل بتدبر كتابه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

فمن تدبر القرآن علم أنه تنزيل من رب حكيم حميد : ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

الثالث: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه معرفاً بنفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

فهذه مجامع وأصول معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ومعرفة الله عز وجل لها وجهان:

الأول : معرفة إقرار وإيمان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢].

وهذه يقر بها كل الخلق إلا من شذ منهم كفرعون : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان:٢٥].

الثاني : معرفة إيقان وإذعان : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج:٣٤].

وهذه هي المعرفة التي تثمر عبادة الله، والخوف منه، والحب له،والتسليم له، والخضوع له، والتوكل عليه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ولهذه المعرفة العظيمة بابان واسعان هما :

النظر في آيات الله الكونية، والتدبر لآيات الله القرآنية : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

هو سبحانه الحكيم العليم، الذي خلق السموات والأرض، وخلق جميع المخلوقات، ليعرّف عباده بنفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، ووحدتموه، وأحببتموه، وكبرتموه، وعظمتموه.

٣-العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله

الله سبحانه هو الملك الذي له الملك كله خلقًا وإيجادًا، وتدبيرًا وتصريفاً، وتقديمًا وتأخيرًا، وحياةً وموتًا، ومبدءاً ومنتهى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر:١٣-١٤].

والملك الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه العظيم، هو الملك العظيم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر:٢٣].

هو سبحانه النور الذي أنار الكون كله بنوره العظيم؛ النور الذي حجب خلقه بنوره عن رؤيته في الدنيا، لأنهم لو رأوه لما خالفوا أمره: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور:٣٥].

وقال النبي ﷺ: «حِجابُه النورُ لو كشفه لأحرَقَتْ سُبُحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه» أخرجه مسلم [١].

فجميع خلقه محجوبون عن رؤيته في الدنيا، والمؤمنون يرونه يوم القيامة، أما الكفار فإنهم لا يرونه في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز وجل عن المؤمنين:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٧٩).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال عن الكافرين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٥-١٦].

وحقيقة الحجاب للأجسام المحدودة، والله محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

فكل ما سوى الله محدود في الخلق، والمكان، والزمان، والحجاب الذي خلقه يحجبنا عن رؤية الله، ولا يحجب الله عن رؤية خلقه، لأن هذا الحاجاب لو حجبه لكان له ساترًا، ولو كان لله ساترًا لكان له حاصرًا، ولو كان له حاصرًا لكان به محيطًا، ولو كان به محيطًا لكان له قاهرًا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء: ١٢٦].

والله جل جلاله محيط بكل محيط، وقاهرٌ لكل قاهر: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

هو النور الذي لعظمة ظهوره، وعظمة نوره، لا نرى ظهوره: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

هو النور الظاهر المبين الذي لا يخفى على أحد: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

هو سبحانه المبين الذي أبان كل بين، وأظهر كل خفي، وبين الحق من الباطل، والخير من الشر: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

وهو سبحانه الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، حي لا يموت، قيوم لا ينام، قادر على كل شيء، محيط بكل شيء، بصير بكل شيء، قاهر لكل شيء، الخلق والأمر كله بيده، والتدبير والتصريف كله بيده، هو الحي القيوم الذي لا يموت، وكل ما سواه يفنى ويموت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

هو سبحانه الملك الرزاق الكريم، الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣١-٣٢].

هو سبحانه الملك القوي، الذي لا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يفر منه شيء، ولا يغيب عنه شيء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧].

فجميع مخلوقاته من الذرة إلى المجرة في قبضته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر:٦٧].

فسبحان القوي الذي لا يقف له شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، المحيط الذي لا يغيب عنه شيء، الغني الذي لا يحتاج إلى شيء: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

فلا إله إلا الله ما أعظم قوته وقدرته، وما أعظم ملكه وسلطانه، وما أوسع علمه ورحمته: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الرب العظيم، والإله الرحيم، الذي له لأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال العظيمة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والارض: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤].

ومن عرف الله بتلك الأوصاف تفانى في عبادة ربه بأنواع الطاعات والعبادات والقربات، وأداها خالصة لله وحده، بالحب الكامل، والتعظيم الكامل والذل الكامل لله عز وجل، ونال من ربه الثواب الكامل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

هو سبحانه الجميل الذي له الجمال كله، الجميل الذي وهب الجمال لكل جميل، الذي يعطي كل جميل لمن آمن به وعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

هو سبحانه الملك الحي القيوم الذي عنده خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر:٢١].

هو الملك الكريم الذي إذا استطعمته أطعمك، وإذا استسقيته سقاك، وإذا استشفيته شفاك، وإذا استعنت به أعانك، وإذا دعوته أجابك، وإذا توكلت عليه كفاك، وإذا استهديته هداك، وإذا استرحمته رحمك، واذا سألته أرضاك: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر:٣٦].

هو سبحانه القريب من كل شيء، القريب من كل أحد، يسمع تسبيحه، ويرى ظاهره وباطنه، ويعلم سره وعلانيته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران:٥ -٦].

هو سبحانه قريب من المؤمنين به، العابدين له : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

كل خلقه يسأله، والكل يدعوه، والكل تحت أمره وقهره : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

هو سبحانه القادر القدير المقتدر الذي يستوي عنده خلق الصغير والكبير، وخلق القليل والكثير، وخلق السائل والجامد، وخلق الذرة والمجرة، وخلق العالي والسافل ، وخلق العرش والكرسي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

هو سبحانه القوي الغني الكريم وحده لا شريك له، أحق من عبد، وأحق من ذكر، وأحق من حمد، وأرجى من ابتغي، وأعظم من أعطى، وأكرم من سُئِل، وأرحم من ملك، لا يطاع إلا بإذنه، ولا يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

خلق فسوى، وقدر فهدى، وقسم الأرزاق، وكتب الآجال، وأحصى كل شيء عددا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

هو جل جلاله الواحد الأحد وحده لا شريك له، ليس له شريك في الخلق والرزق، وليس له شريك في العبادة والطاعة، وليس له شريك في الملك والحكم، وليس له شريك في العطاء والمنع، وليس له شريك في الحياة و الموت، وليس له شريك في التدبير والتشريع، وليس له شريك في الإبداع والتصوير، وليس له شريك في التقديم والتأخير: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

خلق جميع المخلوقات، لتدل على جلاله وجماله، وعلى عظمته وكبريائه، وعلى كمال قوته وقدرته، وعلى كمال علمه ورحمته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

خلق سبحانه جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، لا ليستكثر بهم من قلة، ولا ليستعين بهم من ضعف، ولا ليستأنس بهم من وحشة، ولا ليستغني بهم من قلة: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

ما خلق العرش والكرسي لحاجة، ولا خلق السماء والأرض لحاجة، ولا خلق ما في السموات والأرض لحاجة، ولا خلق الملائكة والجن والإنس لحاجة، وإنما خلق جميع المخلوقات لتشهد له بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتدل على كمال جلاله وجماله، وكمال عظمته وكبريائه، وكمال علمه وقدرته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فسبحان الغني القادر، الخالق الرازق، خالق من غير حاجة، ورازق من غير مؤونة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣].

هو سبحانه الحكيم العليم الذي يعطي من يشاء فضلًا، ويمنع من يشاء عدلًا.

جبار يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه عظمة ملكه وسلطانه،

وهذه عظمة نعمه وآلائه، وهذا تدبيره وتصريفه،هو الملك الذي يجب أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعظم ويكبر، ويحب ويحمد، وأن يعبد وحده لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

هو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، الذى خلق الكائنات بقدرته، وسخر الشمس والقمر والنجوم بقوته، وأمسك الطير في الفضاء بإرادته، وأرسل الرياح في الفضاء بأمره، وأنبت النبات في الأرض بإرادته، وقهر جميع المخلوقات بقوته : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

هو وحده الملك القادر الحكيم الذي يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، في أي وقت شاء . يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويحيي من يشاء، ويميت من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويكرم من يشاء، ويهين من يشاء، ويقدم من يشاء، ويؤخر من يشاء : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾ [القصص:٦٨].

هو سبحانه الخالق الذي خلق كل شيء، الوكيل الذى يدبر كل شيء، ويقوم على كل شيء، خلق السموات والأرض، وخلق الأجسام والأرواح، وخلق الجماد والنبات، وخلق الحيوان والطير، وخلق الملائكة والروح، وخلق الجن والإنس، وخلق الأحجام والأحجار، وخلق الأشكال والألوان، وخلق الحلو والمر، وخلق البحار والأنهار، وخلق السهول والجبال، وخلق المساحات

والمسافات وخلق المكان والزمان، وخلق الليل والنهار، وخلق الصيف والشتاء، وخلق الذكور والإناث: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

والكل دال على خالقه، وشاهد بوحدانيته، وساجد لعظمته.

والدين ما شرعه، والقضاء ما قضاه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٤٠].

هو سبحانه الخلاق العليم الذي أحسن كل شيء خلقه، وزينه وصوره، زين السماوات بالأنوار، وزين السماء الدنيا بالشمس والقمر، والنجوم والكواكب، وزين الأرض بالزروع والأشجار، والأزهار والثمار، والبحار والأنهار، والسهول والرمال، وزين القلوب بالتوحيد و الإيمان، وزين الجوارح بالأعمال، وزين النفوس بالأخلاق: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج:٥-٧].

فلا إله إلا الله ما أحسن خلقه، وما أعظم قدرته، وما أوسع رحمته، وما أكبر ملكه.

هو سبحانه العليم الخبير، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، أحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط بصره بجميع المخلوقات، الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

هو سبحانه الخلاق العليم، خلق كل شيء بقدرته، وصور كل شيء بحكمته.

جميع مخلوقاته بين الحَسن والأحسن، والجميل والأجمل، لا تشبه ذرة من مخلوقاته ذرة، ولا قطرة قطرة، ولا أحد أحدًا، ولا شيء شيئًا، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة:٦-٧].

هو سبحانه القادر القدير الذي أخرج من ظلمة العدم كل ما نراه وما لا نراه، من المخلوقات الكبيرة والصغيرة، والظاهرة والباطنة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

ومن هذه صفاته وهذه أفعاله وهذه أسماؤه، هو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الحكيم الخبير، الخالق الذي خلق كل شيء، ليدل على وحدانيته، وعلى كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وخلق كل شيء ليسبح بحمده، ويشير إلى خالقه، ويخضع لأمره: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس:٣].

فسبحان من فطر كل مخلوق على معرفته، حتى الكافر لما استنكف عن عبادة ربه في الدنيا، أدخله الله جهنم، ليستغيث بربه، ويعترف به، ويذعن له، كما قال الله عن الكفار: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾ [المؤمنون:١٠٧].

ولكن هيهات لا ينفعهم ذلك الاعتراف والإقرار، لأنه في غير وقته.

هو سبحانه المجيب الذي يجيب كل من دعاه وحده، وتيقن عليه وحده، وعبده

وحده، لأنه كريم لا يرد سائلا، ولا يخيب مؤملا ، يجيب كل من دعاه ، وبث إليه شكواه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

ومن دعاه ولم يستجب له فلعله لم يعرف الله، أو لم يوفِ بعهد الله، أو لم يجتنب ما حرم الله، فالله خلق البلاء، ليوجه من آمن به إلى الدعاء : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠].

ودعاء الله عز وجل يأتي تكميلًا لما عجزت عنه الأسباب، وجبرًا لما قصرت عنه الأسباب، حتى لا نعبد الأسباب من دون الله، وليعلم الخلق أن الذي بيده مقاليد الأمور كلها واحد لا شريك له : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

فنقوم بفعل الأسباب الحسية وندعو بالأدعية الشرعية، ليتم أمر الله من خلال هذا وهذا : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى:١٥].

هو سبحانه الواسع الذي وسع ملكه كل شيء، ووسع حكمه كل شيء، ووسع علمه كل شيء، ووسع خلقه كل شيء، ووسعت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر:٧].

وما السموات السبع، والأرضون السبع، بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وما الكرسي بالنسبة للعرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فسبحان من وسع ملكه كل شيء، ووسع علمه كل شيء، وأحاطت قدرته بكل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، خالق المكان، وخالق الزمان، لا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، أما ما سواه من المخلوقات فيحيط به المكان، ويجري عليه الزمان : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

فكل شيء عند الله حاضر، الماضي ، والحاضر ، والمستقبل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، يا أكرم الأكرمين .
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

البصيرة الخامسة والثلاثون

توحيد الله بين صفات الجلال وصفات الجمال

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: صفات الجلال، والجمال لله سبحانه .

الثاني: دلائل وحدانية الله عز وجل .

الثالث: توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته.

٣٥- توحيد الله بين صفات الجلال، وصفات الجمال

١ -صفات الجلال والجمال لله سبحانه

صفات جلال الله عز وجل هي صفات القوة ، والقهر ، والعزة ، والقدرة، والكبرياء، والعظمة، والملك، والجبروت، والسمع، والبصر، والعلم، والإحاطة، وغيرها من صفات الجلال التي تثمر تعظيم الله وتكبيره، والخوف منه، والخشية له، والانكسار بين يديه، والتصاغر لكبريائه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وصفات جمال الله هي صفات الرحمة، والرأفة، وصفات اللطف ، والعفو، وصفات الجود، والإحسان ، والكرم، والإنعام، وغيرها من الصفات التي تثمر حب الله عز وجل، وحمده وشكره، والحياء منه، والافتقار إليه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى:٢٨].

والله سبحانه وتعالى حي قيوم بجميع صفات الجلال، والجمال، والكمال، كما أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الله جل جلاله هو الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، الغني عن كل أحد، الرزاق لكل أحد، السميع لكل أحد، البصير بكل أحد ، العليم بكل أحد، القاهر لكل أحد، الرحيم بكل أحد، الغفار لكل أحد ، العفو عن كل أحد، الحليم على كل أحد، الرفيق بكل أحد ، المحسن إلى كل أحد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو سبحانه :الواحد الأحد في خلقه وأمره ، الواحد الأحد في تدبيره وتصريفه،

الواحد الأحد في ملكه وسلطانه، الواحد الأحد في إنعامه وإحسانه، الواحد الأحد في عطائه ومنعه : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

ومن عرف الله بالوحدانية، خضع له بكمال العبودية : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه صفات جلاله وجماله هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وقال الله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- دلائل وحدانية الله عز وجل

الله سبحانه هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، هو الرب الواحد الأحد الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢-٢٣].

هو الله الواحد الأحد الذي تفرد بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الأقوات والأرزاق، ونعمة الهداية والإسعاد، ونعمة الإكرام والإحسان ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو الرب الواحد الأحد، الذي يجب أن يُوحد، لجلال وجمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويجب أن يوحد بأنواع الطاعات، والعبادات، والقربات، وأن يوحد بالحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل الكامل، لكمال صفات جلاله وجماله، وعظمة قوته وكبريائه، وعظمة نعمه وإحسانه، وكمال رحمته ولطفه بعباده، وعظمة آياته ومخلوقاته، وحسن دينه وشرعه، وصدق وعده و وعيده ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ

ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٣-٢٤].

ومن عرف الله بصفات الربوبية والألوهية، وصفات الجلال والجمال، آمن به ووحده، وعظمه وكبره، ومجده وقدسه، وحمده وشكره، وأحبه وعبده، وأطاعه ولم يعصه، وذكره ولم ينسه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠١-١٠٣].

ومن عرف الواحد الأحد حقًا آمن به حقًا، ووحده حقًا، وأحبه حقًا، وعظمه حقًا، وخافه حقًا، ورجاه حقًا، واتقاه حقًا، وعبده حقًا، وأطاعه حقًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وأعظم الناس معرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم أعرف الخلق بالله، وأحبهم له، وأعبدهم له: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

ومن عرف ربه الواحد الأحد أغناه عن كل أحد، وذكره عند كل أحد، ودعا إليه عند كل أحد: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

هو سبحانه الملك القوي القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء ويحيي من يشاء، ويميت من يشاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من

يشاء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

هو سبحانه الواحد الأحد، الرحمن الرحيم، خلق الخلق برحمته، وأظهرهم بقدرته، وصورهم بحكمته، ونوّعهم بإرادته : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦].

تفضل على جميع الخلائق بإيجادهم، وتكرم عليهم بإمدادهم، وأحسن إليهم بهدايتهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر: ٦١].

سبحانه هو أحسن الخالقين؛ خلق الإنسان في أحسن تقويم، خلقه وسوّاه وعدّله قائمًا على رجليه، لم يخلقه ترابًا يمشي الناس والدواب عليه، ولا حجرًا يستند الناس عليه، ولا حيوانًا يركب الناس عليه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين: ٤-٨].

فما بال هذا الإنسان لا يؤمن بالله العظيم، الذي خلقه وأطعمه وسقاه وهداه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

هو سبحانه الحليم الذي يُمْهل برحمته ولا يهمل، يُطاع فيشكر، ويُعصى فيحلم ويستر ويغفر، حليم غفور رحيم؛ وكثير من الناس يسبونه، ويعصونه، ويشركون به، وبطونهم ملئ برزقه، فهم يسكنون في ملكه، ويتنفسون من هوائه، ويتقلبون في نِعمه، ويلبسون من لباسه، وهو يعافيهم ويرزقهم، ويصبر على أذاهم،

لعظمة حلمه ورحمته ورأفته : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا أحدَ أصْبَرُ على أذى يَسْمَعُهُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، إنَّه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له الوَلَدُ، ثُمَّ هو يُعافيهم ويَرْزُقُهُمْ » متفق عليه (١)

هو سبحانه الكريم الذي فتح أبوابه للسائلين، وأعطى من نِعمه من يطيعه ومن يعصيه، ومن سأله ومن لم يسأله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣].

هو الكريم الذي يُضاعف الحسنات، ويرفع الدرجات، ويغفر السيئات، ويُبدل سيئات العاصي حسنات، ويعطي على العمل القليل الأجر الكثير، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

هو سبحانه الواحد الأحد، الشافي الذي يشفي كل أحد من الأسقام والألآم والأوجاع، الشافي الذي إذا استحكمت الأمراض والأورام في الأبدان، وأحاطت الشبه والشكوك بالقلوب، شفى العبد وعافاه.

هو وحده الشافي من أمراض الكفر والشرك والنفاق وأمراض الحسد والكبر والكذب : ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٠٤) .

٣- توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته

هو سبحانه الواحد الأحد، الملك الذي له المُلك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

هو سبحانه الملك الحق الذي له الملك العظيم الواسع، وله الملك الكبيرالعظيم، وله الملك المحيط بكل شيء، فله مُلك السموات والأرض، وما فيهما، وما عليهما، وما فوقهما، وما بينهما : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠].

وله مُلك عالم الغيب والشهادة، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والأخرة، وله ملك خزائن السموات والأرض، وله ملك جنود السموات والأرض، وله ملك مقاليد السموات والأرض، وله ملك غيب السموات والأرض، وله ملك ميراث السموات والأرض، وله ملك كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣].

هو الملك الحق القادر على كل شيء، لاتتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا ينتقل أحد من مكان إلى مكان إلا بعلمه ، ولا يتحرك شيء إلا بأمره ، ولا يسكن شيء إلا بإذنه ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، ولا يسمع أحد إلا بإذنه ، ولا ينبت نبات إلا بأمره ، ولا يبقى جماد إلا بإذنه ، ولا ينفع شيء إلا بإذنه ، ولا يضر شيء إلا بإذنه : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦].

هو سبحانه الواحد الأحد، الملك العزيز الجبار، الذي بيده الملك والملكوت

وحده لا شريك له ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣].

هو الملك الحق الذي يخلق ويرزق، ويحكم ويدبر، ويعز ويذل، ويبسط ويقبض، ويحيي ويميت: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٣-٢٤].

هو الملك الذي له الأوامر الكونيه في مُلكه العظيم، وله الأوامر الشرعيه على عباده، وله الأوامر الجزائية على من أحسن أو أساء من عباده، وله الحكم كله في كونه الكبير ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

ومن هذا ملكه، ومن هذه قدرته، ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو وحده الذي يستحق العبادة وحدة لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢٣].

هو جل جلاله القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولايقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

هو سبحانه الواحد الأحد، القوي القاهر القادر على كل شيء، رفع السموات بلا عمد، خلقها بقدرته، وأمسكها بقوته، وقهرها بجبروته: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر:٤١].

فلا قوة إلا بالله، ولا قوة إلا من الله، ولا قوة إلا بيد الله، ولا قوي إلا خاضع لله، وساجد لعظمته، وخاشع لهيبته، وذليل لكبريائه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

فسبحان الواحد الأحد، الرب العظيم، والإله الرحيم، الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، وخاضعة لأمره، ومسبحة بحمده، ومتصاغرة لكبريائه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج:١٨].

هو سبحانه الواحد الأحد في كبريائه وعظمته، الكبير المتكبر الذي له الكبرياء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، المتكبر عن جميع صفات النقص والعيب والسوء : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

هو سبحانه الكبير الذي لا أكبر منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكريم الذي لا أكرم منه، الغني الذي لا أغنى منه، اللطيف الذي لا ألطف منه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢].

والكبير الذي هذه صفاته، وهذه قدرته، هو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يعبد وحده لا شريك له بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن

﴿قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [غافر:٦٧].

هو سبحانه الواحد الأحد، الرقيب الذي يبصر كل شيء، ويسمع كل شيء، ويعلم بكل شيء، الرقيب الذي لا يخفى عليه شيء من ظاهرٍ أو باطن، أو ذرة أو مجرة، أو نية أو سر، أو قول أو فعل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١].

هو سبحانه الرقيب الذي أحاط بكل شيء علمًا، وقدرةً، وسمعًا، وبصرًا، وحكم كل شيء عزةً، وقهرًا، وحكمًا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، ووحدتموه، وعظمتموه، وكبرتموه، وأحببتموه، وعبدتموه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد:١٩].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠١-١٠٣].

هو سبحانه الواحد الأحد، المؤمن الذي من عرفه أحبه، ومن أحبه ذهب إليه، وقام بين يديه، هو المؤمن الذي خلق الأمن، ومنَّ به على من شاء من عباده، وخلق الخوف، وعذب به من شاء من عباده: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٣ – ٢٤].

هو المؤمن الذي عنده وحده خزائن الأمن كلها:

الأمن النفسي، والأمن الغذائي ، والأمن الصحي، والأمن السياسي ، والأمن الفكري ، والأمن الاقتصادي : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش:١-٤].

هو سبحانه المؤمن الذي أمّن كل خائف، وأطعم كل جائع، وسقى كل عطشان، وشفى كل مريض، وكسا كل عريان، وسلم كل ناجٍ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

هو سبحانه العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو العظيم في ملكه وسلطانه، هو العظيم في خلقه وأمره، هو العظيم في كبريائه وجبروته، هو العظيم في قوته وقدرته، هو العظيم في مغفرته ورحمته، هو العظيم في غناه وكرمه، هو العظيم في ثوابه وعقابه، هو العظيم في تدبيره وتصريفه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

هو سبحانه الواحد الأحد، العظيم في حكمه وتشريعه، فكل ما أمر الله به فهو

خير، وكل ما نهى الله عنه فهو شر، وكل ما أباحه الله فهو منفعة، وكل ما حرمه فهو مضرة، وكل ما أوجبه من الفرائض والحقوق فهو مصلحة في كل زمان ومكان، وكل ما ندب إليه فمصلحته راجحةٌ على مفسدته، وكل ما نهى الله عنه فهو ضررٌ في كل زمان ومكان، وكلِ ما كرهه فمفسدته أرجح من منفعته ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٤٠].

هو سبحانه العظيم في أحكامه وأخباره وآدابه، فلا أحكام أحسن من أحكامه ولا أخبار أحسن من أخباره ولا آداب أحسن من آدابه : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

هو سبحانه العظيم الذي ما ذكر اسمه على قليلٍ إلا كثّره، ولا على كبير إلا صغّره، ولا على صغيرٍ إلا كبّره، ولا عند خوفٍ إلا أزاله،ولا عند كربٍ إلا كشفه، ولا عند همٍ إلا فرجه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن:٧٨].

هو الواحد الأحد الذي إذا ذكر اسمه على ذليلٍ أناله العزة، وإذا ذكر اسمه على ضعيفٍ أفاده القوة، وإذا ذكر اسمه على مريضٍ شفاه، ولا تعلق به خائفٌ إلا أمّنه، ولا تعلق به ضالٌّ إلا هداه، ولا ناداه مضطرٌ إلا أجابه، ولا سأله أحدٌ إلا أعطاه : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢].

هو سبحانه الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس:٦٨].

عنده خزائن السموات والأرض ، وعنده خزائن المخلوقات والأشياء ، وعنده خزائن الأقوال والأعمال ، وعنده خزائن الأخلاق والآداب ، وعنده خزائن

الجماد والنبات ، وعنده خزائن الحيوان والطير، وعنده خزائن الحوت والأسماك ، وعنده خزائن الأمن والخوف ، وعنده خزائن البر والبحر ، وعنده خزائن العزة والذلة ، وعنده خزائن النصر والخذلان ، وعنده خزائن الأموال والأرزاق ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:٢١].

هو سبحانه الواحد الأحد الملك العزيز الجبار، كل شيء ملكه، وكل شيء خلْقه، وكل شيء يدل على كمال قدرته وعلمه، وكل شيء يشير إلى كمال رحمته وعزته، وكل شيء يدل على كمال علمه وحكمته، نصب أعلام الهدى على باب حجته، فكل شيء ينطق بعظمته، وكل شيء يسبحه بحمده، وكل شيء يشهد بوحدانيته، وكل شيء مستجيب لمشيئته، وخاضعٌ لكبريائه، ومسرعٌ إلى إرادته ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

فكل مخلوق في قبضته، إن شاء سيره، وإن شاء أوقفه، وإن شاء أحياه، وإن شاء أماته، وإن شاء أغناه، وإن شاء أفقره، وإن شاء أطعمه، وإن شاء منعه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:١-٢].

هو الحي القيوم الذي جميع المخلوقات باقية بمشيئته، وجارية في بحر قدرته، أمسك السموات والأرض بقوته، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

خلق الليل والنهار، وفجر العيون من الأحجار، وسكَّن البحار، وأجرى الأنهار،

وفتق الأرض بالنبات، وفتق اللسان بالكلام، وفلق الليل بالنهار، وأجرى الكواكب في السماء، وسير الخلائق في الأرض: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس:٢٢].

هو القوي القادر الذي أجرى الفلك في البحر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

هو الخلاق العليم الذي صبغ كل مخلوق بصبغته، وصور كل مخلوق بقدرته، وطبع كل مخلوق بإرادته: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة:١٣٨].

هو الملك العظيم ولا حدود لملكه، هو العليم الخبير ولا حدود لعلمه، هو القادر على كل شيء ولا حدود لقدرته، هو الغني ولا حدود لغناه، هو الكريم ولا حدود لكرمه، هو العزيز ولا حدود لعزته، هو الوهاب ولا حدود لهباته، هو الجبار ولا حدود لجبروته، هو الخلاق ولا حدود لخلقه، هو الرزاق ولا حدود لرزقه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

هو سبحانه الواحد الأحد، العليم الخبير بكل شيء، يعلم السر والجهر، ويعلم النيات والإرادات، ويعلم القطر والنبات، ويعلم الأحياء والأموات، لا تنزل من السماء قطرة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بأمره، ولا يطير طائر إلا بإذنه، ولا تهب ريح إلا بأمره، ولا يتحرك حيوان في البر والبحر والجو إلا بعلمه.. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر:١٣-١٤].

هو سبحانه الواحد الأحد، السميع البصير، الذي لا يخفى عليه صوت ولا صورة، ولا يعزب عنه شاهد أو غائب، يسمع القريب والبعيد، والناطق والصامت، والذاكر والشاكر: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

ويرى سبحانه جميع مخلوقاته في وقت واحد، الكبير والصغير، والقليل والكثير، والقريب والبعيد، والحاضر والغائب، والذاكر والغافل: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان:٢٨].

كل نية تُعقد بعلمه، وكل خطوة يخطوها أحدٌ لا يخطوها إلا بإذنه، وكل قطرة تنزل من السماء بأمره، وكل هباءةٍ تتحرك في الكون بعلمه، وكل كلمة تخرج من اللسان بإذنه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس:٣].

يعلم الجهر وما يخفى، ويعلم السر والنجوى، ويعلم البادي والخافي، ويعلم الكثير والقليل، النجوى عنده جهر، والسر عنده علانية: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].

هو العليم بكل شيء، عنده علم الغيب والشهادة، وعلم الليل والنهار، وعلم الزمان والمكان، وعلم الذرات والمجرات، وعلم العلويات والسفليات، وعلم الأرقام والحروف، وعلم الكلمات والجمل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر:٢٢].

هو سبحانه الواحد الأحد، الحي الذي يملك الموت والحياة، والموت سلطان

أرسله الله على كل حي، في كل زمان ومكان وحال .

فإذا جاء الموت أنهى حياة الملوك والعبيد، وحياة الأغنياء والفقراء، وحياة الصحيح والمريض، وحياة الكبير والصغير وحياة المؤمن والكافر وحياة المطيع والعاصي وحياة الذاكر والغافل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك:١-٢].

هو سبحانه الخالق قبل أن يخلق الخلق، هو الحميد قبل أن يخلق الحامدين له، هو السبوح قبل أن يخلق المسبحين له، هو الرب قبل أن يخلق من يربه، هو الرزاق قبل أن يخلق الأرزاق والمرزوقين.. هو القادر قبل أن يظهر لعباده آثار قدرته، هو السميع قبل أن يخلق السامعين ،هو البصير قبل أن يخلق من يراه، هو الرحمن قبل أن يخلق من يرحم، هو الحكم قبل أن يخلق من يحكم : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأحزاب:٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١١﴾ [النساء:١١١].

هو سبحانه الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم،هو المحسن الذي خلق الحُسن في كل حَسن،هو الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل،هو الكريم الذي خلق الكرم في كل كريم،هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي،هو القادر الذي خلق القدرة في كل قادر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

هو الواحد الأحد، المؤمن الذي خلق الأمن في كل مؤمن، هو الحليم الذي خلق الحلم في كل حليم، هو العليم الذي خلق العلم في كل عالم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الملك القادر الذي رفع السماء بلا عمد، وفرش الأرض ومهد، وفجّر العيون من الحجر، هو القوي الذي خضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته، وتصاغر كل شيء لكبريائه، وخشع كل شيء لهيبته: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٣-٢٠].

هو الواحد الأحد، القاهر لكل أحد، القهار الذي قهر كل ما سواه على ما أراد، هو الواحد القهار الذي قهر الرياح بالجبال، وقهر الجبال بالحديد، وقهر الحديد بالنار، وقهر النار بالماء، وسيّر السحب في الفضاء، وأجرى الكواكب في جو السماء، وأمسك الطير في الهواء، وأجرى الأنهار في الأرض، وأمسك السماء أن تقع على الأرض، وأمر السحاب فارتفع، ونوَّر النور فلمع، وأرسى الجبال فرست، وأسال البحار فسالت، وأمر الرياح فهبت، وأمر الأرض فأنبتت، وأمر الأشجار فأثمرت: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

والملك العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه عظمة ملكه

وسلطانه، وهذه نعمه وآلاؤه وهذا تدبيره وتصريفه ..هو الملك الذي يجب أن يطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى،ويشكر فلا يكفر، ويعظم ويكبر، ويحب ويحمد، وأن يعبد وحده لا شريك له : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

هو سبحانه الواحد الأحد، الذي له صفات الجلال والجمال والكمال، الملك الذي خلق وأمر، وصوّر فأحسن، وخلق فأبدع، وأعطى فأنعم، ونصر فأعز، وأهلك فدمر، ورحم فغفر، وقدر فعفا، وملك فرحم : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

هو الواحد الأحد الصمد، الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، الصمد الذي بيده مفاتيح الفرج،الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق .

هو الصمد الذي يصمد إليه الفقير إذا أغلقت دونه الأبواب، وأُسدِل دون حاجته الحجاب،ويصمد إليه المريض عند شدة الكرب والألم،ويصمد إليه المضطر، فيجيب دعاء الجميع، ويكشف السوء، ويغني الفقير، ويشفي المريض، ويقضي حاجة من سأله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته، وأفعاله هو الرب العظيم الذي يستحق أن يُكبّر ويعظم، ويمجد ويثنى عليه، ويحَب ويُوله، ويحمد ويشكر، ويخُاف ويُرجى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو الملك الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ذلّت جميع المخلوقات لعظمته، وسجدت جميع الكائنات لكبريائه، وأذعنت جميع الخليقة لعزته، وخضعت جميع المخلوقات لجبروته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هو سبحانه الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الواحد لا شريك له، الأحد لا مثل له، القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة، العزيز الذي ليس كمثله أحد في العزة، العليم الذي ليس كمثله أحد في العلم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

هو وحده الغني الكريم، البر الذي تتابع برّه، وكمل إحسانه، وعمت فضائله، وعظم ملكه، وعز سلطانه، وجل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

هو الملك الحق المبين، الذي أظهر في خلق السماوات والأرض وكمال قدرته، وأظهر في الجبال قوته، وأظهر في البحار عظمته، وأظهر في الكون سطوته، وأظهر في الشرائع حكمته، وأظهر في المخلوقات رحمته، وأظهر في النار غضبه، وأظهر في الجنة رحمته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

كل ما في الكون ملكه، وكل الذرات والمجرات والمخلوقات جنوده، وكل من

في السماوات والأرض عبيده، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، ويُسترحم فيرحم، ويُستغفَر فيغفِر، ويُسأل فيعطي، ويدعى فيجيب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

هو سبحانه الواحد الأحد، القوي العزيز، الرحمن الرحيم، ذو الجلال والإكرام، ذو الطول والإنعام، الذي تفرد بالجلال والجمال والكمال.

في قبضته البر والبحر والجو، والليل والنهار، والروح والملائكة، والجن والإنس، والجماد والنبات، والحيوان والطير، والذرات والمجرات: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

هو القوي العزيز، العليم الخبير، لا تتحرك مجرة إلا بإذنه، ولا تسكن ذرة إلا بعلمه، ولا يموت حي إلا بأمره، ولا يطير طائر إلا بعلمه، ولا تنبت حبة إلا بأمره، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

هو سبحانه الواحد الأحد القهار،قهر كل مخلوق على ما أراد من الحجم، واللون، والشكل، والقوة، والضعف: ﴿سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤].

ومن عرف الواحد الأحد بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله العظيمة، ونعوته الجميلة، وعرف قوته وقدرته، وعرف رحمته وكرمه، وعرف حلمه وعفوه، وعرف قوة بطشه، وشدة انتقامه، عظّم ربه وكبّره، وأحبه ومجّده، وخافه ورجاه، وعبده واتقاه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ

عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

وحب الله وتعظيمه، وخوفه ورجاؤه، والذل له، والافتقار إليه، والتوكل عليه، هي أعظم العبادات القلبية،ولهذا قال سبحانه ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة:٩٨].

ومن عرف صفات الجلال، وصفات الجمال، آمن بالله العظيم، وعبد ربه كأنه يراه، وفاز برضوانه وحبه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن عرف الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعمل بمقتضى ذلك، أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا، وسوف يدخله جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

البصيرة السادسة والثلاثون

ذكر الله عز وجل أعظم العبادات

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فضائل ذكر الله عز وجل.

الثاني: فضائل مجالس الذكر.

الثالث: فقه ذكر الله عز وجل.

الرابع: عظمة ذكر الله عز وجل.

الخامس: أقسام الذكر والذاكرين.

السادس: حقيقة الذكر.

السابع: كيفية الذكر.

٣٦- ذكر الله عز وجل أعظم العبادات

١ - فضائل ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل أعظم العبادات، والطاعات، والقربات، لما يثمره من أحسن العبادات القلبية، والقولية، والفعلية، والأخلاقية، وهو يشمل كل عبادة قلبية أو قولية أو فعلية ولهذا أمر الله عباده بالإكثار منه، ونهى عن الغفلة عنه، كما قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وفضائل ذكر الله عز وجل كثيرة ومنها: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال عزوجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقولُ اللهُ تعالَى: أنا عِنْدَ

ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتاني يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه [1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّت» متفق عليه [2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كانَ رَسولُ الله ﷺ يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ على جَبَلٍ يُقَالُ لهُم جُمْدَانُ ، فَقالَ: سِيرُوا هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ الله ، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» أخرجه مسلم [3].

فضل دوام ذكر الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

وعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه وفيه : «فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حتَّى دَخَلْنَا علَى رَسُولِ الله ﷺ ، قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ الله، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَما ذَاكَ؟ قُلتُ: يا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالجَنَّةِ، حتَّى كَأنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِكَ، عَافَسْنَا الأزْوَاجَ وَالأوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إنْ لو تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي، وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٧)، وأخرجه مسلم برقم (٧٧٩) .

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٦).

سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أخرجه مسلم [1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَّ علَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. أخرجه مسلم [2].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال يا رسولَ الله إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرتْ عليَّ فأخبِرْني بشيءٍ أتشبَّثُ به، قال: «لا يزالُ لسانُك رطْبًا من ذكرِ الله» أخرجه الترمذي [3].

وعَن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبِّئُكم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم، وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم ؟ قالوا : بلَى . قالَ : ذِكْرُ اللهَّ تَعالى» أخرجه الترمذي وابن ماجه [4]

فذكر الله عز وجل هو الدين كَله، وذكر الله هو أفضل الأعمال، وأكثرها ثوابًا : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف:٤٦].

والباقيات الصالحات هي كل عمل صالح يرضي الله عز وجل، من الأدعية والأذكار، وسائر الطاعات والعبادات، ومن ذلك :

«سبحان الله»، ومعناها: تقديس الله وتنزيهه عن العيوب والنقائص، ونفي الشريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته .

«والحمد لله»، ومعناها: إثبات جميع المحامد لله، فهو المحمود على كمال ذاته

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (٣٧٣) .

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٥) .

(٤)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٧) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٧٩٠).

وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المحمود على إحسانه وإنعامه، وهو المحمود على دينه وشرعه، وعلى ثوابه وعقابه .

«ولا إله إلا الله»، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي العبادة عن جميع المخلوقات، وتثبتها لله وحده لاشريك له.

«والله أكبر»، ومعناها: إثبات صفات الجلال والعظمة والكبرياء لله وحده لاشريك له .

«ولا حول ولا قوة إلا بالله»، ومعناها: أن الله وحده صاحب الحول والقوة، فلا يغير الأحوال إلا الله، ولا نتمكن من أي عمل إلا بمعونة الله، ولا يحدث في الكون شيء إلا بإذن الله عز وجل.

فهذه من أعظم الباقيات الصالحات :سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلام إلى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**» أخرجه مسلم(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يَا عبْدَالله بْنَ قَيسٍ أَلا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**» فَقُلْتُ: بَلى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**قُلْ: لا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ**». متفق عليه(٢).

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢١٣٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) واللفظ له.

٢ -فضائل مجالس الذكر

مجالس الذكر أفضل مجالس العبد على الإطلاق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقعدُ قومٌ يذكرون اللهَ إلا حفَّتْهُم الملائكةُ ، و غشِيَتهمُ الرحمةُ، و نزلتْ عليهم السكينةُ ، و ذكرهم اللهُ فيمن عندَه» أخرجه مسلم (١).

وعن معاوية رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه ، فقال: ماأجلسكم ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَّ وَنَحْمَدُهُ على ما هَدَانَا لِلإِسْلَامِ ، وَمَنَّ به عَلَيْنَا ، قالَ: آللهَّ ما أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللهَّ ما أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قالَ: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَاني جِبْرِيلُ فأخبَرَني ، أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بكُمُ المَلَائِكَةَ» أخرجه مسلم (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« إِنَّ لله تَبارَكَ وَتَعالَى مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مجالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مجلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّماءِ ». متفق عليه(٣).

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠١) .

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٨) ، ومسلم برقم (٢٦٨٩) ، واللفظ له.

٣- فقه ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل من أيسر العبادات وأسهلها، وأجلها وأفضلها، وأعظمها وأكثرها ثوابًا، فحركة اللسان أخف حركات الجوارح، وذكر الله جل جلاله مشروع في جميع الأوقات، وأفضله وأكمله ما كان مصحوبًا بحضور القلب، وقد رتب الله عليه من الفضل والعطاء ما لم يرتب على غيره من الأعمال .

فذكر الله عز وجل أعظم العبادات التي أمر الله بها عباده، وكل فريضة من صلاة أو صوم أو حج، جعل الله لها حدًا معلومًا، ووقتًا معلومًا، وعذر أهلها عند عدم القدرة عليها إلا ذكر الله، فإن الله لم يجعل له حدًا معلومًا، ولا وقتًا معلومًا، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا من كان مغلوبًا على عقله، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

و كل مؤمن مكلف بأمرين: الذكر والشكر، كما قال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وقد قدم الله الذكر على الشكر في الآية، لأن الذكر اشتغال بذكر الله وتمجيده وتعظيمه، والشكر اشتغال بشكر نعم الله، وإذا أحب الله عبدًا أكرمه بكرامتين:

الأولى: أن يلهمه ذكره ليذكره ربه في ملكوت السماء.

الثانية: أن يعصمه عن المحرمات، والتعلق بالدنيا، لئلا يغضب عليه ربه، وتحل

به عقوبته : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

وحكمة الإكثار من ذكر الله عز وجل تفيد العبد فائدتين عظيمتين :

الأولى: طمأنينة القلب: لأن المخلوق محتاج إلى ربه في جميع أحواله، ومن آمن بالله أعطاه الله ما يحب، ومنع عنه ما يكره، فاطمأن قلبه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

وحاجات العبد غير متناهية، ولا يسد حاجات العباد إلا كريم قادر رحيم، وليس ذلك إلا الله وحده : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

الثانية : إزالة الظلمة البشرية: فالله نور السموات والأرض، وكل ما سوى الله مظلم في ذاته، فكأن ذكر الله يفيد وصول أنوار عالم الربوبية إلى باطن القلب، فتزول عن القلب ظلمات البشرية، وتشرف الروح بالنور الإلهي : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور:٣٥].

وذكر الله عز وجل عبادة عظيمة، وهي واجبة على كل مسلم .

وذكر الله له فقه كما للصلاة فقه ولأحكام الحج فقه، فمن مقاصد الصلاة، وسائر العبادات، ذكر الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٤].

وقال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

ومن جلس يذكر الله في ذكر خاص، أو درس عام مع غيره، أكرمه الله بكرامات عظيمة منها،أنها تنزل على الذاكرين السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده ويرضى الله عنهم، ثم يناديهم مناد،انصرفوا مغفورًا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات.

وكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، والنبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل، وعبادة له، وحبًا له، فكان ﷺيذكر الله في كل أحيانه، وعلى جميع أحواله .

فكلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرًا منه لله سبحانه، وكان إخباره عن ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ذكرًا منه لربه، وكان حمده لربه، وتسبيحه، وتمجيده له، وثناؤه عليه، وسؤاله له، ودعاؤه إياه، وخوفه منه، ورجاؤه إياه ذكرًا منه لربه صلوات الله وسلامه عليه .

ومن أراد أن يذكر الله فليقتدِ بأفضل الذاكرينﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

فذكر الله عز وجل عبادة عظيمة واسعة، تشمل أنواع العبادات والطاعات والقربات.

فالذكر أنواع يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان والقلب، و تارة بالقلب واللسان والجوارح، وتارة يكون الذكر سرًا، و تارة يكون جهرًا، وتارة يكون على انفراد، وتارة يكون جماعةً، وتارة يكون الذكر مطلقًا، وتارة يكون مقيدًا، وتارة يكون تكبيرًا، وتارة يكون تسبيحًا، وتارة يكون حمدًا لله، وتارة يكون بكلمة التوحيد لاإله إلا الله، وتارة يكون قولًا، وتارة يكون فعلًا، وتارة يكون خوفًا، وتارة يكون خشيةً، وتارةً يكون رجاءً، وتارة يكون محبة .

ولكل حالة ذكرٌ يناسبها نتعبد لله به، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

فما ورد الجهر به من الذكر شرعًا فهو أفضل، كالجهر بالأذكار أدبار الصلوات الخمس، والتكبير في الصلاة، والتكبير في أيام التشريق، وفي أيام عشر ذي الحجة وإجابة المؤذن ونحو ذلك.

وما ورد الإسرار به في الشرع فهو أفضل.

كالإسرار بالأدعية في الصلاة، والذكر المنفرد: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وعلى العبد انتقاء الأذكار والأدعية المناسبة للأحوال من القرآن والسنة.

فالحمد لله عند رؤية النعم العظيمة أفضل، والاستغفار لله بعد الذنب أفضل، وسؤال الله عند الحاجة أفضل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٥].

وللأكل والشرب أذكار وأدعية تناسبها، وللنوم والاستيقاظ أذكار تناسبها، وللسفر أذكار وأدعية، وللمريض أذكار وأدعية مناسبة، وللصباح أذكار، وللمساء أذكار، فالمطلوب من المسلم شغل أوقاته بأنواع الأذكار التي تذكره بربه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43)﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9)﴾ [المزمل:٨-٩].

فانتقاء زمن الذكر، ومكان الذكر، ونوع الذكر، ومناسبة الذكر، يحتاج إلى فقه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾ [فاطر:٢٨].

وقال النبي ﷺ «مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ» متفق عليه [1].

فاستقم كما أمرت في جميع الأوقات، وداوم على ذكر الله الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)﴾ [طه:١٣٠-١٣١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

٤ – عظمة ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل عبادة من أعظم العبادات التي أمرنا الله عز وجل بالإكثار منها.
كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وذكر الله عز وجل عبادة مشروعة في جميع الأوقات، والأماكن، والأحوال.
لأن من ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وخافه واتقاه، وذكره مولاه : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال النبي ﷺ : «ألَا أُخبِرُكم بخيرِ أعمالِكم وأزكاها عِندَ مَليكِكم ، وأرفَعِها في دَرَجاتِكم ، وخيرٍ لكم مِن إنفاقِ الذهَبِ والفِضَّةِ ، وخيرٍ لكم مِن أنْ تَلقَوا عَدُوَّكم فتَضرِبوا أعناقَهم ، ويَضرِبوا أعناقَكم ؟ قالوا: بلَى. قال: ذِكرُ اللهِ عزَّ وجَلَّ» أخرجه الترمذي (١).

وذكر الله عز وجل عبادة واسعة تدخل في الدين كله، بل هي أصل الدين كله، وتدور مع المسلم حيثما تحرك، وحيثما اتجه، وحيثما قال، حيثما ما فعل.
فإذا دعوت الله أو سألته فأنت ذاكر له، وإذا سبَّحت الله أو حمدته فأنت ذاكر له، وإذا كبّرته أو وحدّته فأنت ذاكر له، وإذا استغفرته فأنت ذاكر له .
وإن صليت أوصمت فأنت ذاكر لله، وإن تصدقت أو زكّيت فأنت ذاكر له، وإن حجيت أو اعتمرت فأنت ذاكر له، وإن قرأت القرآن أو علمته فأنت ذاكر له، وإن ألقيت أو سمعت درسًا أو موعظة فأنت ذاكر له .
وإن صبرت على بلائه فأنت ذاكر لله، وإن شكرته على نعمائه فأنت ذاكر له، وإذا امتثلت أوامره فأنت ذاكر له، وإذا اجتنبت نواهيه فأنت ذاكر له، وإن قرأت

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٧) .

كتاب علمٍ فأنت ذاكر لله، وإن دعوت إلى الله فأنت ذاكر لله، وإن علّمت شرع الله فأنت ذاكر لله .

وإن أحسنت إلى خلقه فأنت ذاكر لله، وإن أمرت بالمعروف، أو نهيت عن المنكر، أو نصحت أحدًا، فأنت ذاكر لله، ومهما قلت أو فعلت من أجله فأنت ذاكر لله، وإذا فعلت أي طاعة فأنت ذاكر لله، وإذا اجتنبت أي معصية فأنت ذاكر لله .

وإذا تفكرت في عظمة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فأنت ذاكر لله، وإذا تفكرت في عظمة آياته ومخلوقاته فأنت ذاكر له، وإذا تفكرت في عظمة نعمه وإحسانه فأنت ذاكر له، وإذا تدبرت كتاب الله في أخباره وأحكامه فأنت ذاكر لله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وأصل مشروعية الصلاة لإقامة ذكر الله، ومن ذكر الله أحبه، وعظمه، وكبره، وحمده، وأطاعه، وعبده.

وقد جمع الله لعباده في الصلاة محاسن الأقوال، والأعمال، والهيئات، والأدعية، والأذكار : ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

ومن عرف الله عز وجل أكثر من ذكره وتكبيره وحمده وعبادته وطاعته : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وأفضل الذكر ما كان خفيًا بين العبد وربه، لأنه أقرب إلى الإخلاص، إلا ما أمر

الشرع بإظهاره : ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

ومن عصى الله غافلًا، أو جاهلًا، أو ناسيًا، أو متعمدًا، فليذكر الله تائبًا نادمًا معتذرًا لربه : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران:١٣٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾ [الكهف:٢٤].

وعلامة الإيمان الإكثار من ذكر الله ، وعلامة الكفر عدم ذكر الله ، وعلامة النفاق الإقلال من ذكر الله، لأن المنافقين لم يؤمنوا به حتى يذكروه : ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢].

وذكر الله لك في الصلاة أعظم من ذكرك له، لإنك أيها المسلم إذا ذكرت ربك في الصلاة أديت واجب العبودية عليك، لكن الله إذا ذكرك وأنت في الصلاة أحبك، ومنحك الرضا، ومنحك السعادة والأمل والطمأنينة : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

وذكرُ الله عز وجل يطرد وساوس الشيطان، من الكفر والشرك، والكبائر والفواحش وغيرها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة:٢٠٨].

ولا يعصم من الشيطان إلا الاشتغال بذكر الله، والإستعاذة بالله من شر الشيطان الرجيم : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت:٣٦].

ومن استعاذ بالله من الشيطان، حماه من شره وكيده ومكره : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢﴾ [الأعراف:٢٠١-٢٠٢].

ومن أعظم فوائد ذكر الله عز وجل أن الذكر يُرضي الرحمن، ويقرب العبد من الرحمن، فالله جليس من ذكره، وأنيس من وحّده،فإذا ذكرت الله كان معك، وإذا كان معك فمن عليك : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وإذا آمنت بالله وعبدته رضي عنك، وإذا رضي الله عليك أسعدك في الدنيا والآخرة، وإذا اتقيت الله كان الله معك، وإذا أحسنت كان الله معك، وإذا كان معك فكل شيء معك : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

والقلوب لا تطمئن ولا تسكن إلا بذكر الله وحده : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

ومن عرف الله حقًا أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا، الموصلة إلى جنة الآخرة : ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن:٤٦].

٥ - أقسام الذكر والذاكرين

ذكر الله عز وجل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

ذكر الله بالقلب ، وذكر الله باللسان ، وذكر الله بالجوارح .

فذكر الله باللسان كقول العبد :سبحان الله ،والحمد لله ،ولا إله إلا الله ،والله أكبر ،ولا حول ولا قوة إلا بالله ونحو ذلك من الأذكار .

وكذا الأذكار المطلقة والمقيدة، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، وغير ذلك من الأقوال الحسنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

أما الذكر بالقلب فهو ثلاثة أنواع:

الأول: أن يتفكر العبد في دلائل وحدانية الله، وجلال وجمال أسماء الله وصفاته وأفعاله، ليأتي في قلبه حب الله، وتعظيمه، وشكره، وطاعته، وحب عبادته: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة:١٦٤].

الثاني: أن يتفكر المسلم في حسن الأحكام الشرعية من الأمروالنهي، والحلال والحرام، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، ليسهل عليه فعل الطاعات، وترك المعاصي، ويتم ذلك بالنظر في الآيات القرآنية، والسنة النبوية : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد:٢٤].

الثالث: أن يتفكر العبد في الآيات الكونية، وأسرار خلق الله في العالم العلوي والعالم السفلي، فيرى كل ذرة في المخلوقات دالة على وحدانية الله،يراها تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وجلاله، وجماله، ورحمته، وإحسانه، ليعبد الله كأنه يراه، بالتعظيم والذل والحب لله، وهذا بحر عظيم لا ساحل له : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

أما أما الذكر بالجوارح، فهو أن تصير جوارح العبد مستغرقة في طاعة الله، خالية من معاصي الله : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

فقوله تعالى: (فَاذكُروني) يتضمن الأمر بجميع أنواع الطاعات.

وقوله: (أَذكُركُم) يتضمن فضل الله بإعطاء جميع أنواع الكرامات والخيرات، من الثواب العظيم، والمقام الكريم، ورضوان رب العالمين : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير:٢٧-٢٨].

وأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان والجوارح، مقرونًا بالتضرع والخوف والوجل: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

والذاكرون لله عز وجل حين ذِكرهم ثلاثة أقسام:

الأول: ذكر العوام، وهو ذكر الله باللسان، والقلب غافل عن الله جل جلاله .

الثاني: ذكر الخواص، وهو ذكر الله باللسان، والقلب حاضر يذكر الله ويخشاه

ويتقيه.

الثالث: ذكر العارفين وهو ذكر الله بالقلب القوي الحاضر مع الله في كل حال، وهذا أعلى أنواع الذكر ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

فالأول: ذكر الغافلين.

والثاني: اللسان فيه يُنبه القلب للذكر.

والثالث: القلب الحاضر مع الله، الذي لا يحتاج إلى تنبيه، فهو يذكر الله على كل أحيانه، ولا ينقطع عن الله في جميع أحواله، وهذا ذكر أهل الكمال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩١].

فذكر الله عبادة عظيمة تثمر محبة الله، ومن أحب الله سارع إلى ما يحبه الله ويرضاه، والحب يُشغل المحب بمحبوبات من أحب، وزيادة الحب تشعر العبد بالقرب من حبيبه، والأنس به، والسرور بعبادته والفرح بطاعته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

ومن وصل إلى هذه الدرجة شعر بجلال الله وهيبته، وعظمته وكبريائه، فاستحى من ربه، وأقبل على ذكره وخشيته والخوف منه، وسارع إلى كل ما يحبه ويرضاه كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

يخاف العبد من ربه أن يرى في قلبه غيره، ويخشاه لما يرى من عظمة الله بأن يراه على خطئه أو تقصيره: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن

﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

والخشية ثمرة من ثمرات مراقبة الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ [الملك:١٢].

والذاكر حقًا من اتصف بصفات الله عزوجل، على شاكلة العبودية : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر وأهل الشكر، والله حميد يحب الحمد وأهل الحمد.

وهذا الذاكر هو الذي ينال من ربه الأجر العظيم،لأن من ذكر الله أطاعه ولم يعصه كما قال عز وجل : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

وذكر القلبأعظم الأذكار، لأن ذكر الله بالقلب يحرق كل شبهة أو شك في القلب، وينور الباطن كله، ويعمر الجوارح بكل ما يحبه الله ويرضاه، ويثمر ترك الهوى، واتباع الهدى، ويجذب العبد الذاكر من الغفلة إلى الذكر، ومن الرذائل إلى الفضائل ومن المعاصي إلى الطاعات، ولهذا أمر الله تعالى بالإكثار من ذكره في كل حال كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وطريق الوصول إلى الله يحصل بأربعة أمور:

الأول: الإكثار من ذكر الله، وبساطه و ميدانهالعمل الصالح، وثمرتهأنك تعيش بنور الله : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣٥﴾ [النور:٣٥].

الثاني: التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وبساطه وميدانه الصبر، وثمرتهاالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه وحده هو الخالق لهذا الكون :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الثالث: الافتقار إلى الله في كل حال، وبساطه وميدانهالشكر لله عز وجل الذي أنعم على خلقه بكل نعمة، والذي جعلك مفتقرًا إليه لا إلى غيره، وثمرته المزيد من فضله ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم:٧].

الرابع: الحب لله، وبساطه وميدانه بغض الدنيا والعمل للآخرة، وثمرته الوصول إلى المحبوب، والأنس بقربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [محمد:١٩].

ومن حصّل هذه الأمور الأربعة، فقد سلك الصراط المستقيم، ووصل إلى ربه العظيم مع الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

٦-حقيقة الذكر

علامة حب العبد لله الإكثار من ذكره، وحب الله يحصل بعد معرفته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وحقيقة الذكر أن تذكر ربك العظيم وحده، ولا تلفت لأحد سواه، تذكر ربك بجلاله وجماله، وتذكر ربك بعظمته وكبريائه، وتذكر ربك بنعمه وإحسانه: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

وروح الطاعات والعبادات والقربات ذكر الله تعالى.

وكل طاعة أو عبادة خالية من ذكر الله عز وجل فلا قيمة لها، بل هي ميتة، لأن كل الأعمال لا تكون مقبولة إلا أن تكون خالصةً لله عزوجل، صوابًا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فكل عبادة لا ذكر لله فيها فهي جسد بلا روح، غير مقبولة عند الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وذكر الله كثيرًا بالقلب واللسان والجوارح يورث حب الله، وتعظيمه، والخوف منه، والخشية له، والشكر له، وحسن العبادة له.

لهذا ذكر الله عز وجل هو أعظم العبادات، وكل عبادة لها مقدار ووقت كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها من العبادات،لكن ذكر الله عز وجل عبادة لا حد لها

ولا وقت، فهي مشروعة في كل وقت : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

والذكر لله عزوجل هو العبادة الوحيدة التي أمر الله بالإكثار منها كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ومن أحبه الله أشغله الله بالإكثار من ذكره، وأنواع عبادته، وحببه إلى خلقه لما يرونه من النور الذي ملأ قلبه، وخرج من قلبه على وجهه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦].

فذاكر اللهأفضل المؤمنين، وأخشى المتقين، وأحسن المتعبدين .

وذاكر الله في قلبهأقرب إلى الله من خلقه، وأحب الخلق إلى ربه، وأخشاهم له، وأسعدهم بقربه، وأرفعهم درجة عنده : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

ومن عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه .

فمن عاش على الإكثار من ذكر الله عزوجل مات على ذكر الله عز وجل، ومن مات على ذكر الله، بُعث وهو يذكر الله .

فالذكر روح العبادات، وروح الطاعات، وأعظم العبادات : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

ومقصود الرب من خلقه أن يذكره، ويوحده، ويعبدوه، كما قال موسى ﷺ حين أمره الله بالذهاب إلى فرعون : ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ

بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه:٢٥-٣٦].

فذكر الله عزوجل هو روح العبادات : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

فالصلاة أعظم العبادات، وتكون صحيحة بعد حضور القلب فيها .

والحج من أعظم العبادات مشقة وحركة، وكل أعمال الحج مقرونة بالذكر: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

وقال عز وجل: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج:٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة:١٩٨].

ولكل جارحةٍ من جوارح الإنسان عبوديةٌ مؤقتة إلا القلب، فعبوديته ذكر الله في كل حال، وفي كل صباح، وكل مساء، فقلب المؤمن مشغولٌ دائماً بذكر الله في كل وقت : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وحقيقة الذكر المشروع أن ينسى الذاكر ما سوى المذكور، ويتعلق قلبه بمن بيده مقاليد الأمور : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

فالذكر النافع جمْعُ القلب على الله حبًا وتعظيمًا، وخوفاً وخشية، وسمعًا وبصرًا، ودعاءً ومناجاةً، وإستغفارًا وتوبةً، وحمدًا وشكرًا لله عز وجل : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

ومن وصل إلى ذلك فقد وصل إلى حقيقة الذكر، ووصل إلى حلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان، والأنسِ بالله وحده كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن تعلق قلبه بغير الله عذبه الله به، ليعود إلى الله تائبًا نادمًا: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء:٢١٣].

ومن تعلق قلبه بغير الله خذله، ليتوب إليه، ويعود إليه : ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء:٢٢].

مذمومًا لا حامد لك ، مخذولًا لا ناصر لك .

والذكر الحقيقي هو شهود ذكر الله إياك، فهو الذي وفقك لذكره وحبه وتعظيمه وعبادته، وهو الذي ألهمك حب ذكره، ودوام ذكره، فإذا ذكرته ذكرك بالإمدادِ والعطاءِ، والطمأنينةِ والسكينة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

فسبحان الرحمن الرحيم الذي هداك إليه، وألهمك حسن ذكره، والدعوة إليه، والوقوف في العبادة بين يديه، والانكسار بين يديه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر:٦١].

والذكر الحقيقي لله عز وجل هو الخروج من ظلمات الغفلة والإعراض، إلى فضاء الرؤية والمشاهدة لله الذي لا تغيب عنه طرفة عين .

فتعبد الله كأنك تراه،تسمعه حين يتكلم، وتراه حين يخلق، وتطيع أمره إذا أمر، وتجتنب نهيه إذا نهى، ولا يرى ربك في قلبك غيره، يراك مشغولًا بذكره، وتحميده، وتمجيده، وحبه، ومعرضًا عن ذكر ما سواه من الغافلين: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

وحب الله، وتعظيم الله، وعبادة الله، تلك هي محط رحال العابدين والعارفين: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

٧- كيفية ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل من أعظم العبادات التي تتطلب حضور القلب، ووقوفه بين يدي ربه مشاهدًا له بصفات جلاله وجماله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

ولزوم بيئة الذكر، والابتعاد عن جو الغفلة : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

فالبيئة الإيمانية الذاكرة، تعطي قوة التوجه إلى الله عز وجل، والإنكسار بين يديه: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٧-٣٨].

وأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان والجوارح، ومن ذكر الله ذكره .

قال رسول الله ﷺ: «يقولُ الله تعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتاني يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه [١].

اللهم ارزقنا حسن التوجه إليك، وحسن الوقوف بين يديك، وحسن الانكسار بين يديك، والافتقار إليك، حتى لا نرى أحدًا سواك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولاتنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وإرفعنا ولا تضعنا، يا ذا الجلال والإكرام .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران:٥٣].

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

البصيرة السابعة والثلاثون

ذكر الله: أنواعه، وآدابه، وثمراته

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: أنواع ذكر الله عز وجل.

الثاني: أفضل الذكر.

الثالث: آداب ذكر الله عز وجل.

الرابع: أوقات الذكر.

الخامس: خصائص الذكر.

السادس: ثمرات ذكر الله عز وجل.

السابع: عقوبات ترك الذكر.

٣٧- ذكر الله: أنواعه، وآدابه، وثمراته

١ - أنواع ذكر الله عز وجل

أنواع ذكر الله عز وجل ستة:

الأول: ذكر الله عز وجل عند ورود الأمر الشرعيكالأمر بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها من الأوامر الشرعية .

فتبادر إلى فعل المأمور به بالحب والتعظيم والذل لله عز وجل كالأنبياء : ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

الثاني: ذكر الله عز وجل عند ورود النهي الشرعيكالنهي عن القتل، وشرب الخمر، والزنا، والسرقة وغيرها من المناهي الشرعية .

فإذا ورد الأمر الشرعي نطيع الله ورسوله، وإذا ورد النهي الشرعي نحذر من فعل المنهي عنه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

الثالث: ذكر الله عند الأحوال والمناسبات كذكر الله عند رؤية الهلال، وعند الأكل والشرب، وعند النوم والاستيقاظ، ونحو ذلك من المناسبات والأحوال.

الرابع: ذكر الله المقيد بعدد أو وقت كذكر الله أدبار الصلوات الخمس، وعند المطر، وعند المرض ونحو ذلك من الأحوال والمناسبات..

الخامس: ذكر الله المطلق غير المقيد بعدد ولا وقت ولا حال،كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

السادس: ذكر الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، في كل زمان ومكان وحال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وهذه أعظم أنواع الأذكار، وأعظمها ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

وذكر الله عز وجل يكون بالقلب أو اللسان أو الجوارح، وأعلاها ما تواطأ عليه القلب واللسان والجوارح : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤﴾ [الأحزاب:٤١-٤٤].

ويجب على المسلم أن يتقيد بالأذكار المطلقة، والأذكار المقيدة، بلا زيادة ولا نقصان، لقوله تعالى : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢].

وقال ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ» متفق عليه [1].

وذكر الله أنواع:

فمنه مطلق، ومنه مقيد، ومنه ما يشرع جهرًا، ومنه ما يشرع سرًا، حسب الأحوال والمناسبات والأوقات والأماكن.

وأفضل الذكر (لا اله الا الله)، ومن كان آخر كلامه في الدنيا (لا إله إلا الله) دخل الجنة.

والذكر أنواع:

فاللسان له ذكر، والجوارح لها ذكر، والقلب له ذكر.

فذكر العين النظر والاعتبار، وغض البصر عن محارم الله، وعيوب المسلمين وزلاتهم، والتغافل عن عوراتهم.

وذكر الأذن سماع كلام الله ورسوله، وسماع دروس العلم والوعظ، وعدم سماع الباطل من الغيبة والنميمة، والسب والشتم، والكذب وقول الزور :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٨].

وذكر اليد الانفاق في سبيل الله، ومصافحة المسلمين، وإعانة المحتاجين، وكتابة العلم النافع، ودفع المعتدي والصائل، والضرب في الجهاد في سبيل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة:٢٦٢].

وذكر القدمينأن أمشي بهما للصلاة في بيوت الله، وأداء الحج والعمرة، وشهود الجنائز، وزيارة الأقارب، وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، وكسب المعاش الحلال، وعيادة المرضى ونحو ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان:٦٢-٦٤].

وذكر اللسان الإكثار من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله وغيرها من الأذكار،والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، وتعليم القرآن الكريم: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري (١).

وذكر القلب يكون بحب الله، وتعظيمه، وتكبيره، وتمجيده، وحمده، وحب القرآن، وحب الرسول ﷺ، وحب المؤمنين، وحب الأعمال الصالحة، وكره المعاصي من الكفر والشرك، والنفاق والرياء، وكره الحسد والكبر والعُجب،

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وحب الإيمان والصدق والطاعات، وكل ما أمر الله ورسوله به من الأقوال والأعمال والأخلاق، ونحو ذلك من الأعمال القلبية، كخوف الله وخشيته، وتقواه وتوحيده، وعدم الالتفات إلى غيره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وذكر الله هو كل عبادة أمر الله بها عباده كالصلاة والزكاة والصوم، والتوبة والاستغفار، والحمد والشكر، والصدقات، وصلة الرحم، وكل طاعة لله ورسوله، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة والسلام على رسول الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

فذكر الله عز وجل في بدن الإنسان سبعة أنواع:

فذكر اللسان بالحمد، والثناء، والاستغفار، والدعوة، والدعاء، والتعليم .

وذكر القلب بالحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم لرب العالمين .

وذكر الروح بالتسليم والرضا، وذكر العين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء لوحي رب الأرض والسماء، وذكر اليدين بالبذل والعطاء، وذكر البدن بالجهد والوفاء : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومن ذكر الله عز وجل في الرخاء، ذكره الله في الشدة

وأفضل الذاكرين الذي كل أحواله ذكر لربه،رسول رب العالمين، إلى الخلق أجمعين، محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

٢ - أفضل الذكر

أفضل أنواع الذكر هو القرآن الكريم : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف:٤٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء:٥٠].

وبعد القرآن الكريم أفضل الذكر ما كان في موضعه ووقته، لأنه ذكر معين يفوت بفوات سببه .

فأفضل الأذكار عند الأذان إجابة المؤذن، وأفضل الذكر عند الأكل التسمية، وأفضل الذكر عند السلام رد السلام، وهكذا.

وأفضل الذكر لمن كثرت ذنوبه كثرة الاستغفار، لأن الاستغفار يزيل الذنوب، كما يزيل الماء نجاسة الثوب.

ومن كان صالحًا محسنًا، كثير الطاعات، قليل المعاصي، فالأفضل له الإكثار من التكبير والحمد وذكر الله عز وجل، فالثوب النظيف يزيده الطيب طيبًا.

فأفضل الذكر تلاوة القرآن، لما فيه من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والقصص النافعة .

ثم بعد ذلك أفضل الذكر قول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".

قال النبي ﷺ: "الإيمانُ بضعٌ وستون أو بِضعٌ وسبعون شعبةً؛ أفضلُها لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ" متفق عليه (١)

ثم بعد ذلك أفضل الذكر ما كان في موضعه ومناسبته كالأذكار المقيدة .

وذكر الله عز وجل أقوى سلاح نحارب به الشيطان، فالشيطان يريد من المسلم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩)، وأخرجه مسلم برقم (٣٥) .

أن ينسى ذكر ربه وعبادته، ويشغله بمعصيته، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣].

وذكر الله أكبر وسيلة لذكر ما نسيت من الأمور: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤].

واعلم يا عبد الله أن من أُعطِي أربعًا أعطي أربعًا:

الأولى: من أعطي الذكر ذكره الله كما قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

الثانية: من أعطي الدعاء أعطي الإجابة كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

الثالثة: من أعطي الشكر أعطي الزيادة كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم:٧].

الرابعة: من أعطي الاستغفار أعطي المغفرة كما قال سبحانه ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

والعبد إذا علم أن الله جليس من ذكره، وأنه يراه ويسمعه، وأنه يجيب من ذكره، ويحب من سأله، وأنه يعطي من ذكره أجرًا عظيمًا، داوم على ذكر ربه، وسارع إلى ذكره في كل حال، وفي كل زمان ومكان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

والأصل في الذكر والدعاء هو الإسرار به، والجهر بالذكر والدعاء استثناء لا

يكون إلا بما ورد به الشرع، كالذكر بعد السلام في الصلاة والتلبية ونحوهما..

ولابد في مقام الذكر من رؤية صفات جلال الله، ورؤية صفات جماله، لتعظم مهابة الرب في القلب، ويزداد حب العبد لمولاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

وخوف العباد من ربهم على قسمين:

الأول: خوف العقاب، وهذا مقام المبتدئين.

الثاني: خوف الجلال، وهذا مقام العارفين، وهو أكمل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وله أعبد: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

فإذا ذكرت ربك فانظر إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف:٥٥].

ومن عرف ربه وقف في محراب العبودية خاشعاً ذليلاً كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

ومن أنواع ذكر الله عز وجل أن تذكر نعم الله على الخلق، فتحمده وتشكره على نعمهالتي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

ومن أنواع الذكر أن تذكر اسم الله على كل شيء،وتحمده عليه: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا

﴿هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة:١٩٨].

ومِن ذكر الله عز وجل أن تذكر حكمة أمر الله عز وجل: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ [البقرة:٦٣].

وأصحاب العقول هم الأكثر ذكرًا لله عز وجل، فكلما كبر عقلك، وازداد علمك، زاد ذكرك لربك، وزاد حبك له، وزاد تعظيمك له: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد:١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩﴾ [الزمر:٩].

ومِن ذكر الله عز وجل أن تذكر ماضيك الذي عصيت الله فيه، وما أبدلك به من خير من الهداية والتقوى ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال:٢٦].

ومن ذكر الله عز وجل ذكره بعد حصول معصية أو كبيرة، لأن من ذكر الله سارع إلى طاعته، وتاب من ذنبه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران:١٣٥].

٣- آداب ذكر الله عز وجل

لذكر الله عز وجل آداب أهمها :

الأول : أن يجلس العبد لذكر الله ذاكرًا عظمته وجلاله، وجبروته وكبرياءه وقوته وقدرته، وذاكرًا لرحمته ولطفه، وعفوه وحلمه، وجماله وإحسانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وقال عز وجل : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

الثاني : أن يجلس العبد لذكر الله، وهو يرى ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله العظيمة، ونعوته الجميلة، ليأتي فى قلبه عظمة الله، والخوف منه، وحبه ورجاؤه، وحمده وتمجيده، والثناء عليه، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

الثالث : جمع القلب والحواس على الله، بأن يرى القلب ربه ملكًا قويًا عزيزًا، ويراه رحمانًا رحيمًا كريمًا محسنًا، فيأتي في القلب تعظيم الله والحب له، والشكر له، والحياء منه، والخوف منه، والخشية له، والرجاء له، والأنس بذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

الرابع : استحضار عظمة الله وحده، ونفي جميع الخواطر عن القلب، ليكون القلب متفرغًا لرؤية جلال الله وجماله، وذلك يثمر للعبد خشية الله وتقواه،

والاعتذار إليه، والتوبة إليه، والافتقار إليه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الخامس : أن يُحسن العبد دعاء ربه، ويذكره بأعظم أسمائه وصفاته، ويتيقن أن ربه يراه إن سكت، ويسمعه إن تكلم، ويعلم بما أضمر إن صمت : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣-١٤].

فيعلم أن السميع يسمعه قبل كل أحد، وأن البصير يبصره قبل كل أحد، وأن الكريم هو الذي أكرمه، وأن الرزاق هو وحده الذي يرزقه : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٦-٧].

لهذا فهو مشغول أبدًا بذكر الله ودعائه وسؤاله، وتحميده وتمجيده وحبه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

السادس : الإكثار من ذكر الله يهيج القلب، لتعظيم الله وتكبيره، وتمجيده والثناء عليه، وحمده وشكره، وخشيته، والخوف منه، والحياء منه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

فلا يقطع العبد ذلك بخواطر النفس، وما تحبه من الشهوات والملذات، وما يزينه الشيطان للعبد مما يصده عن ذكر الله : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع : رؤية المذكور جل جلاله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويعطي المزيد، ويرحم العبيد، ويدمر الكافر العنيد : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم

﴿مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

فمن ذكر الله بالتوحيد ذكره بالتأييد، ومن ذكر الله بالشكر ذكره الله بالمزيد، ومن ذكر الله بالطاعة ذكره بالنعم ، ومن ذكر الله بالمحبة ذكره بالقرب، ومن ذكر الله بالإنابة، ذكره بالتوبة : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

فذكر الله عز وجل يغسل جميع الخطايا،ويثمر أعظم العطايا : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

الثامن : أن يرى الذاكر أن كل خير ونعمة وفضل وإحسان من الله وحده ابتداءً.

فهو الذي ذكرني وألهمني ذكره فذكرته ، وهو الذي عرّفني بنفسه فعرفته ، ومحبته لي أسبق من محبتي له ، وطلبه لي أسبق من طلبي له : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

التاسع : أن تتيقن الذاكر أن من أكثرت من ذكره سيعطيك ما يسعدك فى الدنيا والآخرة، وسيأخذك من نفسك إليه، ويشغلك بأحب الأعمال إليه، ويعطيك ما لم يخطر على بالك.. فداوم على ذكره وشكره وحسن عبادته : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

العاشر : ذكر الله في جميع الأوقات والأحوال.

فذكر الله أعظم العبادات، وسلطان القرب، وأفضل الأعمال، وكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، وفي كل أوقاته، على أكمل الوجوه : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا

﴿سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال النبي ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ» أخرجه مسلم [١].

فعلى العبد الذاكر حين يذكر الله أن يكون على أحسن أحواله من الطيب والنظافة والطهارة، وأن يلبس أحسن ثيابه، ويتوضأ، ويتوجه إلى القبلة بجسده، ويتوجه بقلبه إلى ربه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الحادي عشر: أن يكون الذكر سرًا بين العبد وربه، لأن السر أقرب إلى الإخلاص، وأقرب إلى الإجابة، وأبعد من الرياء: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

الثاني عشر: أن يكون الذكر لله على وجه التواضع لله عز وجل، لتتحقق في الذاكر ذلة العبودية، والانكسار لعظمة الربوبية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

الثالث عشر: أن يتيقن الذاكر أن الله قريب منه، يسمع ذكره ودعاءه وسؤاله، فلا يرفع صوته، لأن الله يسمع القريب والبعيد، لأنه القريب الذي يَسمع كل شيء، ولا يخفى عليه شيء: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود: ٦١].

وقال النبي ﷺ: «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعا قريباً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» متفق عليه [٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٧٠٤).

الرابع عشر : دوام ذكر الله عز وجل، وعدم الغفلة عنه : ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

فمن استقام على هذه الآداب الشرعية، لا يكاد يرد دعاؤه وسؤاله : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر:٦٠].

ومن لزم تلك الآداب خشع قلبه لربه، وزاد تعظيمه له، وتكبيره له، وحبه له، وشكره له، وأكثر من ذكره، وحسن عبادته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

وغير ذلك من الآداب الشرعية التي ينبغي للذاكر لربه أن يتحلى بها، ويتعبد لله بها.

٤ - أوقات الذكر

ذكر الله عز وجل مشروع في جميع الأوقات : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

فالمكان كله، والزمان كله، إناء لذكر الله عز وجل : ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨].

أما أوقات الأذكار في الصباح والمساء .

ففي الصباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وفي المساء من دخول وقت العصر إلى غروب الشمس، والأمر في ذلك واسع لمن عرض له شغل أو نسي أو نام، وكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه .

قال الله تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٣٩-٤٠].

وقال عز وجل : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان:٢٦].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩١].

٥ - خصائص الذكر

للذكر خصائص أربع وهي:

الأولى: الدوام كما قال سبحانه : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل:٨].

الثانية: كون الذكر أكبر من كل شيء كما قال الله عز وجل : ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].

الثالثة: الإكثار منه في كل وقت كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

الرابعة: الذكر بالذكر ، فمن ذكر الله ذكره كما قال سبحانه : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله عز وجل هو روح العبادات، وقطب العبودية .

وذكر الله عز وجل يورث محبة الله التي هي روح العبودية، ويورث مراقبة الله عز وجل، والانابة إليه، ويورث حياة القلب، فالذكر حياة القلوب وروحها : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

٦ - ثمرات ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل له ثمرات عظيمة وكثيرة أهمها:

الأولى: أن ذكر الله عز وحل يُرضي الرحمن، ويطرد الشيطان، ويسهل الصعب، ويزيل الشر، ويذهب الهم والغم عن القلب، ويقوي القلب والبدن، وينور القلب والوجه، ويجلب الرزق، ويُذهب المخاوف، ويزيد الإيمان، ويقوي التوحيد، ويزيد الطاعات، وهو غراس الجنة.

الثانية: أن ذكر الله عز وجل يحط الخطايا ويُذهبها، وينجي من عذاب الله، ويزيل الوحشة بين العبد وربه، ويورث ذكر الله لعبده، ومحبة الله، والأنس به، والإنابة إليه، والقرب منه.

الثالثة: أن ذكر الله سبحانه يعطي الذاكر قوة، ويكسوه جلالة ومهابة ونضرة.

الرابعة: أن ذكر الله سبب لنزول السكينة على الذاكرين، وغشيان الرحمة لهم، وتحفهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده، ويباهي الله بهم ملائكته، ولذلك أمر الله عز وجل بدوام ذكره، فقال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل:٨].

الخامسة: أن ذكر الله عز وجل يطهر ويعطر، يطهر القلب من الشرك، والشك، والرياء، والنفاق، والكِبر، والعجب، والظلم، والعدوان، ويزيل الهم والحزن، ويجلب للقلب السكينة،والطمأنينة، والفرح، والسرور، ويحليه بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، والعدل والإحسان.

السادسة: أن ذكر الله عز وجل يقوي الجسم، وينشط البدن والجوارح، لعمل ما

يحبه الله ويرضاه، من أنواع العبادات والطاعات والقربات : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

السابعة: أن ذكر الله سبحانه يملأ القلب و الوجه نورًا وسرورًا، ويطرد الكسل والعجز، والغضب والسُخط.

الثامنة: أن الذكر يجلب الرزق، فالعبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، وتفتح له أبواب الرزق بالإيمان والتقوى : ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف:٦٩].

وقال عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

التاسعة: أن من ذكر الله هابه كل شيء، ومن لم يذكر الله خوفه الشيطان من كل شيء : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

العاشرة: أن ذكر الله عز وجل يورث المحبة لله، ولرسوله، ولدينه، وللمؤمنين.

قال النبيﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شيء إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم (١).

الحادية عشرة: أن ذكر الله عز وجل يجعلك تراقب الله في كل صغيرة وكبيرة، وتستحي من معصيته، والمراقبةتُفضي بك إلى إحسان القول والعمل.

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، وتلك أعلى مراتب الدين : ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٥٤).

الثانية عشرة: أن ذكر الله كثيرا سبب لرضوان الله عز وجل عليك: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣٠-١٣١].

والذاكرون الله كثيرا هم أربح الخلق على الله عز وجل.

والذاكرون حقا هم الذين يذكرون الله كثيرا في جميع أوقاتهم، وأحوالهم، فيذكرون الله، ويمتثلون أمره، في الصباح والمساء، وفي الليل والنهار، وأدبار الصلوات، وكلما غدوا من منزل إلى منزل، وكلما قاموا أو قعدوا، أو وقفوا أو ساروا: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وثمرات ذكر الله عز وجل كثيرة تزيد على مائة ثمرة، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم إياها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤].

٧- عقوبات ترك ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل أعظم العبادات، والسعادة مطلب كل إنسان، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، ملكًا أو عبدًا، غنيًا أو فقيرًا، كبيرًا أو صغيرًا.

وبعض الناس يظن السعادة في المال، وهذا وهم؛ فكم من غني يبكي على فراشه في الليل من عقوق أولاده أو خسارة تجارته،وكم من ثري عنده مليارات الدولارات يئن على فراشه من شدة المرض : ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة:٥٥].

وكم من ملك أو رئيس أو وزير يطلب السعادة وهو شقي، خائف من عدوٍ ،أو مرض : ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء:٢١٣].

فالسعادة الحقيقية هي فقط في الإيمان بالله، بذكر الله، بتقوى الله عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

والشقاء بالإعراض عن الله عز وجل : ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ [الجن:١٧].

فما أشد عذاب الغافل عن ذكر الله : ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر:٢٢].

فذكر الله عز وجل يخرجك الله به من ظلمات الدنيا الفانية، ومن شهواتها الزائلة المؤقتة، إلى جنة عالية من الأقوال، والأعمال، والأخلاق، والأجور، والدرجات العالية، والتعلق بالله الذي بيده مقاليد الأمور : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وعلامة حب الله عز وجل الإكثار من ذكره، فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومن ذكره أكثر، أحبه أكثر، وأطاعه أكثر، وانشغل بذكره عن ذكر غيره: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

سل نفسك أيها العبد من الذي خلقك؟ من الذي رزقك؟ من الذي جمّلك؟ من الذي هداك؟ من الذي سواك؟ فإذا ذكرت أنه الله أحببته؟ وأطعته ولم تعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

فهنيئاً لمسلم جعل قلبه خزانة لذكر الله عز وجل، فهو يذكر الله في جميع أوقاته، يسأله حينًا، ويكبره حينًا، ويحمده حينًا، ويستغفره حينًا، ويمجده حينًا، ويذكره في كل أحواله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

ويا بؤسًا لمن أعرض عن ذكر الله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

وعقوبات من أعرض عن ذكر الله كثيرة، أهمها أن من أعرض عن ذكر الله عز وجل أصيب بأربع عقوبات:

الأولى: المعيشة الضنك في الحياة الدنيا : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٥-١٢٦].

الثانية: الإنشغال بالشهوات، والإعراض عن عبادة الله، ومن أعرض عن الرحمن اقترن به الشيطان : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧].

الثالثة: نزول العذاب المستمر عليه : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

الرابعة: الخسارة في الدنيا والآخرة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون:٩].

اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك يا قوي يا عزيز .

اللهم أعطنا ولاتحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا ذا الجلال والإكرام .

البصيرة الثامنة والثلاثون

حلاوة الإيمان، أسبابها، وثمارها، وموانعها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه سعادة الإنسان.

الثاني: فقه حلاوة الإيمان.

الثالث: فقه حقائق الإيمان وحلاوته.

الرابع: سبل تحصيل حلاوة الإيمان ولذة العبادة.

الخامس: ثمرات حلاوة الإيمان.

السادس: أسباب الحرمان من حلاوة الإيمان.

السابع: صفات المحروم من حلاوة الإيمان.

٣٨- حلاوة الإيمان، أسبابها، وثمارها، وموانعها

١ - فقه سعادة الإنسان

لا سعادة للعبد في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالإيمان بالله وحده، فهذا الإنسان لمّا قبِل الأمانة كان عند الله هو المخلوق الأول رتبة، ولهذا سخر الله له ما في السموات وما في الأرض، وجعله خليفة في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

وجعل الله هذا الإنسان كائنًا متحركًا، تحركه الحاجة إلى الطعام والشراب حفاظًا على بقاء الحياة، وتحركه الحاجة إلى الشريك من زوج أو زوجة حفاظًا على بقاء النوع البشري بالنسل، وتحركه الرغبة في التفوق حفاظًا على بقاء الذكر بين الناس، هذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وأعظم شيء فطر الله الناس عليه حب الله، وتوحيده، والإيمان به: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠].

فأي أمر أمرك الله به فطرك على محبته، والقدرة على أدائه، وأي نهي نهاك الله عنه فطرك الله على كراهته، والقدرة على تركه، ولكن النفس قد تقدم الهوى على الهدى : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات:٧-٨].

فهذه الحاجات الثلاث،الحاجة إلى بقاء الفرد، وبقاء النوع، وبقاء الذكر، كلها موجودة في شرع الله عز وجل : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة، من دخل في دين الله، واستقام على أوامر الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾
نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فإذا عرفت أيها الإنسان أنك المخلوق الأول، وأنك الخليفة في هذه الأرض، وأنك لن تدوم حيًا في هذه الأرض، وأنك ستصير إلى جنة عرضها السموات والأرض إن آمنت، وأنك سترى يوم القيامة ربك الذي آمنت به وعبدته وحده لاشريك له، سارعت إلى كل طاعة، وابتعدت عن كل معصية وعظّمت من خلقك ورزقك وهداك، وحمدته وشكرته، وأحببته ومجدته، وسجدت لعظمته، وتصاغرت لكبريائه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾
هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فأعقل الناس من آمن بالله، وصدق أخباره، وطبق أحكامه، وأخلص العبادة له، ففاز برضوانه وثوابه، ونجا من سخطه وعقابه : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾
هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

ففي هذه الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة، وجنة الدنيا معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتعظيمه، وحبه، والإيمان به، وعبادته وحده لاشريك له : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

فأسعد الناس من آمن بمن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٢ - فقه حلاوة الإيمان

يكمل إيمان العبد بمعرفة أركان الإيمان الستة، والنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، وكثرة الطاعات، وكلما ازدادت تلك المعارف قوي الإيمان بالله، وزاد تعظيم العبد لربه، وزاد حبه له، وخَفت عليه الطاعات، وثقلت عليه المعاصي .

والإيمان له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة.

فطعم الإيمان بينه النبي ﷺ بقوله : «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا» أخرجه مسلم [١].

وأما حلاوة الإيمان فبينها النبي ﷺ بقوله : «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ» متفق عليه [٢].

وأما حقيقة الإيمان فتحصل لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين عبادة ودعوة، وهجرة ونصرة، وجهادًا وإنفاقًا، وصدقًا وصبرًا، وبذلًا وتركًا .

ولا يبلغ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتى يعْلَمَ أنَّ مَا أصابَه لم يكنْ ليخطِئَهُ ، وما أخطأه لم يكنْ ليُصيبَهُ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

---

(١)أخرجه مسلم .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣).

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

فحقيقة الإيمان، وحلاوة الإيمان، أحلى من كل حلو، ومن دفع قيمة جهد الإيمان ذاق طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الايمان: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان، بذل كل شيء من أجله، وترك كل شيء من أجله، وكان أسعد الناس في الدنيا والآخرة.

فالذي يشد العبد إلى جميع الأعمال الصالحة حلاوة الإيمان،لكن حلاوة الإيمان ثمنها غالٍ جدًا، فثمنها البذل، والترك، والتضحية، والصبر من أجل الله عز وجل، ثم تأتي النتائج عظيمة جدًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك: ١٢].

فحلاوة الإيمان تشد العبد إلى عبادة الله وحده لا شريك له،والأعمال الصالحة هي ثمرة الإيمان : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

فمن عرف أركان الإيمان، وأعمال الإيمان، وما ذاق حلاوة الإيمان، لم تسارع نفسه إلى العمل بمقتضى الإيمان : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وكل طعام نجد حلاوته نطالب بالمزيد منه، والاستكثار منه.

وكذلك كلما وجد العبد حلاوة الإيمان استكثر من الأعمال الصالحة المتنوعة، من صلاة أو صيام أو صدقة أو إحسان أو حج أو عمرة ونحو ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وكل طعام متواضع تزهد فيه أيها الإنسان ولا تستكثر منه، وكذلك الإيمان إذا كان ضعيفًا تقل معه الطاعات، وتكثر معه المعاصي .

وحلاوة الإيمان لا تسمح لأحد أن يصرفك عن العمل بمقتضاه، والصبر على واجباته، والموت في سبيله.

ومن غيّر قناعته بالإيمان مقابل شيء من المال، فقد باع إيمانه بذلك المبلغ، وباع دينه بعرض من الدنيا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة:١٦].

فالذي ذاق حلاوة الإيمان يقول لمن يريد أن يزهده فيه كما قال ربه : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

من ذاق حلاوة الإيمان وجد الأنس بربه، والمحبة له، والرغبة في عبادته، في كل درس، في كل موعظة، في كل دعوة، في كل إحسان، في كل صدقة، في كل عمل صالح : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

أما ضعاف الإيمان فتصرفهم أي عقبة عن أعمال الإيمان، فكل شيء تتعلق به

وتحبه من أمور الدنيا يضعف الإيمان، ويصرف العبد عن الأعمال الصالحة إلى التعلق بالشهوات الفانية: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم:٥٩].

فحب الله عين التوحيد، والحب مع الله عين الشرك: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

ومحبة الله فروعها كثيرة، كحب القرآن، وحب الرسول ﷺ، وحب المؤمنين، وحب المحسنين والمتقين، وحب جميع الأعمال الصالحة.

والمحبة مع الله فروعها كثيرة، كحب الأموال والأشياء، وحب من يبعدك عن الله من الأموال والأشياء، وحب من ينسيك أوقات الصلوات، وحب من يزهدك في الأعمال الصالحة، ويرغبك في المعاصي والمحرمات ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

٣- فقه حقائق الإيمان وحلاوته

حقائق الإيمان معلومات إلهية مقنعة، تدل على عظمة الله، وعظمة آياته ومخلوقاته، وهي سبيل للوصول إلى حلاوة الإيمان : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

أما حلاوة الإيمان فهي مشاعر مسعدة للعبد، وهي أعظم ثمرات حقائق الإيمان التي تثمر حب الله، وتعظيمه، وتمجيده، وحمده، وشكره،واخلاص العبادة له : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

وهناك ثلاثة أمور يذوق المسلم بهن حلاوة الإيمان كما قال النبي ﷺ: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ» متفق عليه (١).

وأظهر ما تكون هذه الحلاوة في الأنبياء والمرسلين، ثم في الصحابة رضي الله عنهم، ثم في العلماء من المؤمنين، وهم في ذلك درجات بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

فمن عرف حقائق الإيمان ذاق حلاوة الإيمان، فكان ليله مع ربهقنوت وقيام، وركوع وسجود، وحمد وشكر، وأنس بمناجاة الرحمن : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣).

ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فمن أعطاه الله حلاوة الإيمان سارع إلى فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، واجتنب كل ما يغضب الله ويكرهه، من الأقوال والأعمال والأخلاق،وكان كذلك ليله مع ربه يدعوه ويستغفره، ونهاره مع خلق الله دعوة إلى الله، وتعليماً لشرع الله، وإحساناً إلى خلق الله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

وقيمة كل إنسان عند الله بحسب حجم إيمانه وتقواه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩].

وبحسب حلاوة الإيمان تكون قوة الأعمال، وعظمة الثواب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والعمل الصالح هو كل عمل يصلح للعرض على الله، ويصلح ثمنًا لرضوان الله، ودخول الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وهذا العمل يصلح للعرض على الله إذا كان خالصًا لله، صوابًا على سنة رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فعلة وجود هذا الإنسان في هذه الدنيا الإيمان والعمل الصالح : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

وحلاوة الإيمان ولذته تذاق بحاسة القلب، وحلاوة الطعام والشراب ولذته تذاق بحاسة اللسان

قال النبي ﷺ: «ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا» أخرجه مسلم [١].

فمن له قلب سليم، فإنه يجد حلاوة الإيمان في كل وقت، وفي كل عمل صالح من ليل أو نهار : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

ومن رحمة الله عز وجل أن شرع لنا هذه الصلوات الخمس في كل يوم وليلة .

ففي الصلاةالقيام للقنوت بين يدي الله عز وجل، والركوع للتعظيم لله عز وجل، والسجود للذل لله عز وجل، فإن لم يكن للقلب حال القيام قنوت لله، وحال الركوع تعظيم لله، وحال السجود ذل لله، فأنى لهذا القلب أن يذوق طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان : ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٤).

ولن يذوق أحد طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان، إلا بعد أن يدفع الثمن من الجهد والمجاهدة، والعمل والمثابرة، والصبر والمصابرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومن ذاق طعم شيء وحلاوته جاهد نفسه لتحصيله، وصبر على كل أذى من أجله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقد جعل الله القلب مكان الإيمان، وجعل النفس مكان الشهوات .

فإذا قوي القلب على النفس سار هذا الانسان إلى ربه على مطية الإيمان والعمل الصالح، وإذا قويت النفس على القلب سار الإنسان إلى جهنم على مطية الكفر والعمل السيئ : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ ﴾ [هود:١١٢-١١٣].

وحلاوة الإيمان توجد في القلب إذا كان فيه ثلاث صفات:

الأولى: حب الله ورسوله، وحب المؤمنين، وحب الإيمان، والعمل الصالح .

الثانية: حسن الظن بالله رحمة وحفاظة، وعطاءً وإحساناً، وثقة وتوكلًا، ولطفًا ورفقًا. ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾ [الأنفال:٢].

الثالثة: ذل النفس لله، والتواضع لعظمته، والتصاغر لكبريائه، ولزوم حمده، والإكثار من استغفاره، والتوبة إليه : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي

﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم:٣٠].

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ» أخرجه البخاري (١).

ومن اشتغل بحب المخلوق عن حب الخالق، وأحسن الظن بالمخلوق، وأساء الظن بالخالق، وأعجب بنفسه وهواه، وأعرض عن دين الله وهداه، فقد حرم نفسه حلاوة الإيمان، ولذة العبادة، وقعد عن الأعمال الصالحة، وأشغله الشيطان بالمعاصي، وجره بغفلته إلى النار: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر:٦].

وإنما شرع الله عز وجل أنواع العبادة من أجل توحيد الله، وزيادة الإيمان، وعبادته وحده لا شريك له، وذوق حلاوة الإيمان من خلال كل عبادة.

وطعم الإيمان يسبق حلاوة الإيمان، فمن ذاق طعم الإيمان وجد حلاوته، وبابه الرضا عن الله عز وجل في كل أمر ونهي: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

وقال النبي ﷺ: «ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا» أخرجه مسلم (٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

٤ - سبل تحصيل حلاوة الإيمان، ولذة العبادة

لتحصيل حلاوة الإيمان ولذة العبادة سبل كثيرة ومنها:

الأولى: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن به، وأحبه، وعظّمه، وذاق حلاوة قربه، ولذة مناجاته، وتلذذ بذكره وحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الثانية: من رأى ربه بصفات الربوبية والألوهية، فرآه ملكًا عظيمًا، قويًا عزيزًا،ورآه رؤوفًا رحيمًا، محسنًا كريمًا، عفوًا غفورًا، أحبه وعظمه وكبّره، وحمده وشكره، ووجد في قلبه حلاوة ذكره ومناجاته، وسارع إلى كل ما يحبه ويرضاه،مع كمال الحب له، والتعظيم له، والذل له،كما قال الله عز وجل عن الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

الثالثة: من استحضر في قلبه جلال الله وجماله أحبه، وعبده كأنه يراه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الرابعة: حلاوة الإيمان، ولذة العبادة، رزق من الله، فمعرفة عظمة الله رزق من الله، وتوحيد الله رزق من الله، كما قال سبحانه : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢].

ويحصل العبد على هذا الرزق بمعرفة أركان الإيمان، والنظر والتدبر والتفكر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، وسؤال الله أن يرزقه من فضله العظيم .

الخامسة: معرفة حقائق الإيمان تثمر حلاوة الإيمان، والجهل بالله سبب الكفر

والشرك والمعاصي، وذلك كله يثمر الكآبة والضيق، والشدة والحسرة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال عز وجل: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

فالشرك والمعاصي بأنواعها أعظم ما يحجب العبد عن الله، وأعظم ما يحرم العبد من حلاوة الإيمان، ولذة العبادة، ويشغله بالشهوات عن حلاوة القرب من الله، ولذة العبادات: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء:٤٥-٤٦].

فمن عرف الله حقًا آمن به حقًا، وأحبه حقًا، وكبره حقًا، ووجد حلاوة الإيمان، ولذة العبادة، لأنه يعبد الله كأنه يراه، فيحبه ويخافه ويخشاه كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

السادسة: كل مؤمن يشعر بحلاوة الإيمان، ولذة العبادة، بحسب قوة إيمانه ويقينه، ومعرفته بجلال الله وجماله، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة:٩٨].

٥ - ثمرات حلاوة الإيمان

لحلاوة الإيمان ثمراتٌ كثيرة ومن أعظمها:

الأولى: أن العبد كلما ذاقَ طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان، سارعَ إلى كل عبادة، ونافس في كل طاعة، واستدام ذكرَ الله الذي يحب، وأكثر من حمده وشكره، ولزمَ بابه،وافتقر إليه، وداوم على استغفاره، فنال رضاه وثوابه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

الثانية: حلاوة الإيمان تثمر حلاوة ذكرِ الله، وحسن عبادته، والقيام بين يديه، والتعظيم له، وحضور القلب بين يديه، والحياء منه، والذلِ له، وسجود القلب والقالب لعظمتهِ وجلاله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

الثالثة: حلاوة الإيمان تجر العبد من المخلوق إلى الخالق، ومن محبوبات النفس إلى محبوبات الرب، وتنقل العبد من الجهد على الأموال والأشياء إلى الجهد على الإيمان والأعمال الصالحة، ومن الانشغال بالشهوات إلى المسارعة إلى أنواع العبادات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الرابعة: حلاوة الإيمان تعين العبد على الصبر على الطاعات، والصبر عن

المعاصي، والصبر على أقدار الله المؤلمة، لما يراه هذا العبد من حق الله عليه، ولما يرجو من ثوابه، وما يخاف من أليم عقابه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

فبحلاوة الإيمان يرى العبد الأمر الثقيل خفيفًا، ويجد الأمر الشاق سهلًا، والأمر العسير يسيرًا، لقوة الإيمان في قلبه، وكمالِ معرفتهِ بربه، وصدقِ توكلهِ عليه، ومعرفتهِ بعونهِ جل جلاله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال:٧٤].

الخامسة: حلاوة الإيمان تشد العبد إلى جميع أنواع العبادات والطاعات والقربات، وتزيده شوقًا إلى أدائها، وإخلاص العبادةِ لله وحده بالحب والتعظيم والذلِ له: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

السادسة: حلاوة الإيمان تثمر للعبد حبَ الله، والفرح بطاعته، والسرور بمناجاته، وملء قلبه بمعرفته، والشوقِ إلى لقائه، والمسارعة إلى مرضاته: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس:٥٨].

السابعة: حلاوة الإيمان تثمر للعبد كره المعاصي والسيئات، وبغض الفواحش والكبائر والآثام، والبعد عن كل ما يغضب الله عز وجل، من الأقوال والأفعال والأخلاق، واجتناب أماكن الفسق والفساد، والفجور والفواحش، لما في قلبه من حلاوة الإيمان، ولذة العبادة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣١-١٣٢].

الثامنة: حلاوة الإيمان تثمر للعبد حفظ الأوقات، وشغلها بأنواع الطاعات والعبادات والقربات: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فاحفظ الأوقات بأنواع العبادات فرضها ونفلها كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وحفظ الأوقات بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [1].

وحفظ الأوقات بتعلم العلم الإلهي وتعليمه، كما قال سبحانه: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أخرجه البخاري [2].

وحفظ الأوقات بالإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان. ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

التاسعة: حلاوة الإيمان تثمر للعبد حسن التخلق بالأخلاق الحسنة، ابتغاء مرضاة الله عز وجل، والفوز بأعظم الثواب كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال عز وجل: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

العاشرة: حلاوة الإيمان تثمر للعبد إخلاص العمل لله وحده، لأن الله هو الذي سيعطيه الأجر عليه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

الحادية عشرة: حلاوة الإيمان تثمر للعبد حسن الاقتداء بالأنبياء والمرسلين في إيمانهم وتقواهم، وكمال توحيدهم، وحسن عبادتهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

الثانية عشرة: إرضاء الله عز وجل بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

إلى غير ذلك من الثمرات والبركات التي تثمرها حلاوة الإيمان بالله عز وجل.

٦ - أسباب الحرمان من حلاوة الإيمان، ولذة العبادة

للحرمان من حلاوة الإيمان ولذة العبادة أسباب كثيرة ومنها .

الأول: الابتعاد الدائم عن الأجواء الإيمانية التي تزيد الإيمان في القلب، من المجالس الإيمانية، والمجالس القرآنية، وحضور الجمع والجماعات، ومجالس الوعظ والذكر والعلم، فمن ابتعد عن ذلك فترةً طويلة، قسا قلبه، وفسق عن أمر ربه، وحرم نفسه ذوق حلاوة الإيمان، ولذة العبادة : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ [الحديد:١٦-١٧].

الثاني: التقلب بين الأجواء الغافلة التي يضعف فيها الإيمان وينهار، كأجواء الأسواق، وأجواء الحفلات، وأجواء الشهوات، وأجواء الاختلاط، وأجواء الفتن والغناء، واللهو واللعب : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف:١٧٩].

فهذه الأجواء الغافلة وأمثالها أجواءٌ تفتن الإنسان بالتعلق بالمخلوق والشهوات، والغفلة، والبعد عن الخالق، فيزول معها الإيمان تدريجياً،ثم يفقد العبد بعدها حلاوة الإيمان، ولذة العبادة : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف:٢٨].

الثالث: الابتعاد عن القدوة الصالحة من عابد، أو عالمٍ، أو زاهدٍ، أو ورع، أو تقي، فيحرم العبد من علمه وتقواه، وزهده وأخلاقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

فمن رافق هؤلاء الصالحين المصلحين حفظ دينه، وزاد إيمانه، وزادت تقواه، وحسنت أخلاقه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

ومن رافق الفساق والمجرمين، والفاسدين والظالمين، صار مثلهم بالتدريج. فنقص إيمانه، ثم ضعفت عبادته، ثم قلت طاعته، وكثرت معاصيه، ثم فقد حلاوة الإيمان، ولذة العبادة وحلاوة المناجاة لربه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

فصاحب أهل الإيمان والتقوى يزيد علمك وإيمانك وتقواك، ولا تصاحب أصحاب الدنيا والشهوات والغفلات، فينقص إيمانك، وتقل حسناتك، وتزيد سيئاتك.

فالصاحب ساحب، إما أن يرفعك أو يخفضك، إما أن يأمرك بطاعة أو يغريك بمعصية، إما أن يزيد إيمانك أو ينقص إيمانك.

وهذا الصاحب إما أن يكون سبيلا لك إلى الجنة، أو سبيلا إلى النار، إما أن يحبب إليك الآخرة، أو يحبب لك الدنيا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال سبحانه : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٢﴾ [الملك:٢٢].

الرابع: البعد عن طلب العلم من القرآن والسنة، وعدم تدبر أخبار القرآن وأحكامه، وأخبار الأنبياء والمرسلين، وصفات المؤمنين وثوابهم، وصفات الكافرين وعقابهم.

فمن عرف الله أحبه وعظمه، وآمن به وعبده، ووجد حلاوة الإيمان في قلبه : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الخامس: الانشغال بشهوات الدنيا، ومحبوبات النفس، عن ذكر الله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأداء فرائضه : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران:١٤-١٥].

السادس: الإعراض عن الهدى، واتباع الهوى، وطول الأمل.

فاتباع الهوى يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

ومن أتبع هواه، وطالت آماله، ضعف إيمانه، ونقص دينه، وكثرت معاصيه، وقلت طاعاته: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ [القصص:٥٠].

فأنى لهذا الغافل أن يجد حلاوة الإيمان، ولذة العبادة حين يؤديها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [الماعون:٤-٧].

السابع: الإفراط في الأكل والشرب، والسهر والنوم، والكلام والسماع، والتعلق بالشهوات.

فهذه الأمور تنهك الأبدان، وتضيع الأوقات، وتعطل العبد عن الأعمال الصالحة، والمطالعات النافعة، التي تزيد الإيمان، وتملأ القلب بحلاوته، وتحرك الجوارح بالأعمال الصالحة: ﴿۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم:٥٩].

فأسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها، وأشقى الناس في الدنيا أحبهم لها: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة:٥٥].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة هم المؤمنون، الذين استقاموا على أوامر الله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)﴾ [هود:١١٢].

وقال عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١٢].

وأشقى الناس في الدنيا والآخرة هم الكفار الذين انحرفوا عن منهج الله، وعبدوا غير الله : ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد:٣٤].

إن حلاوة الإيمان، ولذة العبادة، أعظم ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن ذاق حلاوة الإيمان استكثر من أنواع العبادات، وذاق طعم الثواب عليها : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

٧- صفات المحروم من حلاوة الإيمان

لم يذق حلاوة الإيمان من قرأ القرآن بلسانه، وقلبه غافل عن تدبره، وقلبه غافل عن أخباره وأحكامه، فلا يصدق أخباره، ولا يطبق أحكامه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

لم يذق حلاوة الإيمان من كان دومًا آخر الداخلين للمسجد، وأول الخارجين منه .

لم يذق حلاوة الإيمان من اشتغل بأمور دنياه، وغفل عن أمور أخراه ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

لم يذق حلاوة الإيمان من نافس في اعتلاء المناصب، وأشغل جل أوقاته في الشهوات والمكاسب : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:١٨-٢١].

لم يذق حلاوة الإيمان من ثقلت عليه الطاعات، ونام عن الواجبات، وأشغلته نفسه بالمباحات والشهوات.

لم يذق طعم الإيمان وحلاوته من كان جاهلًا بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وجزيل نعمه وإحسانه، وكمال رحمته وحلمه، وعظمة قوته، وشدة انتقامه : ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

لم يذق حلاوة الإيمان من وجد الأنس بالمخلوقات، فاشتغل بها عن محبوبات الرب من الأقوال والأعمال الصالحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون:٩].

لم يذق حلاوة الإيمان من شغله حب الأموال والشهوات، والمخلوقات والمصنوعات، عن حب الله، وحب كتابه، وحب رسوله، وحب دينه، والعمل بشرعه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد:٢٠-٢١].

لم يذق حلاوة الإيمان من أشغله الشيطان بالغيبة والنميمة، والسب والشتم، والقيل والقال، وشغله بذلك عن ذكر الله وتسبيحه، وحمده وشكره، وطاعته وعبادته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

لم يذق حلاوة الإيمان من قدم الشهوات البهيمية، والمحبوبات البدنية، على الاشتغال بأعمال الإيمان، والاستكثار من الأعمال الصالحة: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم:٥٩].

فليس الشأن أن تحب الله ورسوله فقط، إنما الشأن كل الشأن أن يحبك الله ورسوله، ولن يحبك الله ورسوله حتى تؤمن بالله، وتطيعه، وتعبده، وتتبع

رسوله ﷺ في كل ما جاء به من شرائع الإسلام: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

لم يذق طعم الإيمان من أطلق بصره في الشهوات المحرمة، والصور الفاتنة، ورؤية الكاسيات العاريات: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور: ٣١].

لم يذق طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، ولذة العبادة، من أضاع أوقاته في الغفلات والشهوات والمباحات، وغفل عن ذكر ربه، وعبادته، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

اللهم ياحي يا قيوم ارزقنا حلاوة الإيمان، وحلاوة اليقين، ولذة العبادة في كل حال.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

البصيرة التاسعة والثلاثون

أحسن حياة

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه الحياة في الإسلام

الثاني: أصول الحياة في الإسلام.

الثالث: فقه حقيقة الدنيا والآخرة.

الرابع: قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة.

الخامس: أقسام الناس في الدنيا.

السادس: صفات المسلم في هذه الحياة.

السابع: أحسن حياة.

٣٩- أحسن حياة

١ - فقه الحياة في الإسلام

حياة المسلمين أحسن حياة، لأنها جمعت محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وجمعت بين عبادة الحق سبحانه، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء:١٢٥].

والحياة في الإسلام أوسع حياة، وأسعد حياة، تمتد طولًا في الزمان فتشمل فترة الحياة الدنيا، وفترة الحياة الأخرى، التي تعقب الحياة الدنيا، والتي لا يعلم مداها إلا الله،والحياة الدنيا بالنسبة إليها كساعة من نهار : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات:٤٦].

وتمتد هذه الحياة في المكان فتضيف إلى هذه الأرض التي نعيش عليها دارًا أخرى هي دار القرار، في الجنة أو النار.

جنة عرضها كعرض السموات والأرض، لمن آمن بالله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

ونارٌ تسع كل من عاش على وجه الأرض ومات كافرا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢].

وتمتد تلك الحياة أيضا في العوالم لتشمل عالم الغيب وعالم الشهادة، وعالم الشهادة بالنسبة لعالم الغيب كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧].

وهذه الحياة تبدأ من لحظة الموت إلى أبد الآباد : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وتمتد تلك الحياة في حقيقتها لتشمل هذا المستوى المعهود في الحياة الدنيا إلى مستويات جديدة، أحسن وأدوم لأهل الجنة، وأشقى وأدوم لأهل النار : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال سبحانه عن الكفار : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ [النساء: ٥٦].

فما أحسن من يعيش في هذه الحياة الدنيا بهذا الدين العظيم، وما أخسر من يعيش في هذه الحياة الدنيا بلا دين، إنه يعيش في جحر ضيق، ويصارع الآخرين عليه، ويشارك الكفار في الغفلة، ويشارك البهائم في الشهوة : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ١٢﴾ [محمد: ١٢].

إن الدنيا مزرعة الآخرة، والجهاد في الحياة الدنيا،لإصلاح هذه الحياة، ودفع الشر والفساد عن أهلها، وتحقيق العدل والإحسان والخير للناس جميعا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].
وليس هناك طريق لكسب الآخرة لا يمر بالدنيا.
والمسلم يعيش في هذه الحياة الدنيا وهو يعلم أنه أكبر منها، وأنها دار ممر لا دار مقر، يأكل من طيباتها، ويستعين بها على طاعة من خلقه، وساق إليه أرزاقها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].
والمسلم يعيش في الدنيا وهو يعلم أن جميع طيباتها حلال له في الدنيا، خالصةً له يوم القيامة: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢].
والمؤمن يعيش في الدنيا وهو يعلم أنها دار الإيمان والعمل، والآخرة دار الثواب والعقاب، وأن الدنيا صغيرة زهيدة فانية، ولكنها من نعمة الله التي يجتاز منها إلى نعمة الله الأبدية الكبرى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد:٢٠].
والله عز وجل يريد من الناس أن يعيشوا في هذه الدنيا بأحسن حياة، وأسعد حياة، بالتوحيد والإيمان والإستقامة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].
وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام:١٦١].
والله سبحانه لا يريد من عباده أن يقروا له بالعبودية، وأن يعبدوه وحده لا

شريك له، لأنه بحاجة إلى عبودية الناس وعباداتهم، ولا لأنّ عباداتهم تزيد في ملكه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان:٢٦].

وإنما أراد لهم الخير والفلاح والسعادة، ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. وليعرفوا مالك الملك والسلطان في الكون، فلا يخضعوا إلا له، ولا ينقادوا إلا إلى شريعته وحده، وليعرفوا أن كل ما سوى الله عبد من العبيد لله الذين ليس بأيديهم شيء، ويعلموا أن القربى إلى الله لا تكون إلا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

يريد الله من عباده أن تكون لهم معرفة بخالق هذا الكون وإلهه، وما يجب له من التوحيد والعبودية والطاعة : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

إن أسعد الناس في الدنيا والآخرة من آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا..وعلم بأن الأمر كله لله، وعلق قلبه برضاه، وعمله بتقواه، وعاش حياته وفق شرعه ومنهجه دون سواه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ومن عاش هذه الحياة فهو أسعد الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

٢ - أصول الحياة في الإسلام

أعظم الأصول في الإسلام معرفة الحق سبحانه، الإيمان بالحق، وعبادة الحق، والدعوة إلى الحق، وتعلم الحق، فالأنبياء والرسل لهم ميدان، وإبليس والشياطين لهم ميدان .

فميدان الأنبياء والرسل الدعوة إلى الحق، والعمل بالحق، وتعليم الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

وميدان إبليس وجنوده الدعوة إلى الباطل، والعمل بالباطل : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وجهد الأنبياء على الإيمان والتقوى، وجهد إبليس وجنوده على الأموال والشهوات، ليصرفوا الناس بها عن الإيمان والتقوى، إلى الاشتغال بجمع الأموال، والإسراف في الشهوات، وارتكاب المحرمات : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

ودعوة الأنبياء قائمة على الأخوة، والمحبة، والرحمة، والتعاون على الخير.

ودعوة إبليس وجنوده قائمة على العداوة، والبغضاء، والتعصب، واتباع الهوى والإسراف في الشهوات، وفعل المحرمات، وركوب الكبائر.

ودعوة الأنبياء قائمة على الحق والهدى،ودعوة إبليس وجنوده قائمة على الباطل والهوى، والكبر والحسد، والظلم والعدوان.

ودعوة الأنبياء قائمة على العدل والإحسان والإيثار.
فالعدل أن أحب لأخي ما أحب لنفسي، وأكره له ما أكره لنفسي.
والإحسان أن أحسن لأخي بمالي ونفسي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].
والإيثار أن أوثر أخي على نفسي بالمال والطعام والمجلس ونحو ذلك: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].
فينشأ من ذلك أعظم الثمرات من المحبة والأخوة، والأمن والطمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].
وبذلك حفظ الله بهذا الدين أنفس الناس، وأموالهم، وأعراضهم، وعقولهم وحياتهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].
وأصحاب النبي ﷺ كانوا يقومون من أجل دينهم بأربعة أعمال، وهذه الأعمال هي الأعمال الكبرى في الدين، وهي الدعوة إلى الله في كل مكان وزمان حسب الاستطاعة، وعبادة الله عز وجل، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله.
هذه هي أصول حياة المسلمين.
ففي الدعوة قال سبحانه: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وفي العبادة قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وفي تعليم الخلق قال سبحانه : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وفي الإحسان إلى الخلق قال سبحانه : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ويقومون رضي الله عنهم من أجل معاشهم بالتجارة أو الزراعة أو العمل .

فكانت التجارة في المهاجرين،وكانت الزراعة في الأنصار،والعمل فيمن لا يستطيع التجارة ولا الزراعة من المهاجرين والأنصار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة:٩-١٠].

والدين كله مجموع في أمرين .

أداء الحقوق .. وكسب الأجور

أداء حق الله، وحق رسوله ﷺ، وحق كتابه، وحق دينه، وحق الأهل والأولاد، وحق الأقارب، وحق الجيران، وحق الناس، وحق النفس .

وفي أداء هذه الحقوق ابتغاء وجه الله أجر عظيم من الرب الكريم : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يقومون بالدعوة إلى اللهبالطاعة والمتابعة والمشورة، والتواضع والرحمة، والراحة والترتيب، والنصح والرفق : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾ [الشورى:٣٨].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧١].

فلنكون أسعد الناس نطيع، ونشير، ونستشير، ونرحم الناس، ونرفق بهم، حتى يحبوا الدين، ويؤمنوا بالله عز وجل، ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وهناك فرق بين حاجة الحياة، ومقصد الحياة.

فحاجة الحياة: ما نحتاج إليه من الأموال والأسباب، والأكل، والشرب، واللباس، والمركب، والمسكن، وغيرها من الأسباب التي نفعلها تعبدًا لله، ونأخذ منها بقدر الحاجة.

فهذه كلها متاع يشترك فيه الإنسان و الحيوان، والمؤمن والكافر، ولا يدوم، والدنيا بحذافيرها متاع، يتمتع بها المسلم والكافر، ثم يموت ويتركها لغيره : ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ ﴾ [غافر:٣٩].

فإذا كانت هذه الحياة تحت أمر الله، ووسيلة إلى طاعة الله، كانت سببًا لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة:١٧٢].

والرسول ﷺ بعثه الله عز وجل بخيري الدنيا والآخرة، وعلينا الاقتداء به في هذا وهذا: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١].

والله عز وجل سخر لنا جميع أسباب الحياة المادية، وأرسل إلينا رسله للقيام بأسباب الحياة والنجاة الأخروية : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران: ٣١].

أما مقصد حياة المسلم فهو عبادة الله وحده، واقامة الدين في حياته، وحياة البشرية كلها. : ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].

وقال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال عز وجل : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل: ١٢٥].

فمقصد حياة المسلم عبادة الله وحده، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ [فصلت: ٣٣].

والحق بدايته بالمكاره، ونهايته الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، والباطل بدايته بالشهوات، ونهايته الحسرة و الخسران : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

والنفس تخاف من المكاره، وتحب الشهوات، والله جعل الجنة محفوفة

بالمكاره، وجعل النار محفوفة بالشهوات،وأمرنا بالمجاهدة لذلك بالإيمان والأعمال الصالحة : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

بالدين تصلح أحوال الأمة كلها، وبدون الدين تفسد الأحوال كلها.

فالدين كماء المطر، جعله الله سببًا لحياة الأرض ومن فيها من نبات وحيوان وإنسان.

وهكذا يحيي الله موات القلوب بالإيمان، والقرآن الذي أنزله من السماء : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم:١].

فإذا انقطع المطر يبست الأرض، وهلك النبات والحيوان والإنسان .

وهكذا الدين: إذا فُقد في الأرض فسدت حياة الناس، وأكل بعضهم بعضًا : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام:١٢٢].

وبقدر الطاعة تكون الحياة كلها طمأنينة، وبقدر المعصية يكون الهم والحزن : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وبقدر الإحسان يكون السرور، وبقدر الإساءة يكون الحزن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس:٢٦].

فالحق له أثر، والباطل له أثر.

فالحق كالماء ينبت الزروع والأشجار ويعطي الثمار، والباطل كالنار يحرق كل شيء،ويفسد كل شيء : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٧].

ومن صلحت بدايته صلحت نهايته، ومن فسدت بدايته فسدت نهايته ووقعت خسارته : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

وإكرام الناس خُلق، وإطعام الجائع خلق، وعلاج المرضى خلق، وكسوة العاري خلق،لكن دعوتهم إلى الله مقصد حياة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

والعبّاد يشدون الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

والدعاة إلى الله يشدون الرحال إلى مشارق الارض ومغاربها، لدعوة الناس إلى ربهم، وإحياء جهد الرسول ﷺ في جميع مساجد العالم : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

٣- فقه حقيقة الدنيا والآخرة

الدنيا عرضٌ حاضر، يأكل منه البر والفاجر، وهي سوقٌ اكتظ ثم انفض، ثم خرج الناس منه مابين رابح وخاسر : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:١٨-٢٠].

والدنيا دار مشحونة بالهموم والآلام، والأحزان والأكدار، أولها عناء وشقاء وآخرها زوالٌ وفناء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر:٥].

من استغنى في الدنيا فُتن، ومن افتقر فيها تعب وحزن : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق:٦-٧].

والعاقل يعمر الدنيا بالإيمان والأعمال الصالحة، ويعبرها الى الدار الآخرة الباقية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

والسفيه يتمرغ في شهوات الدنيا، ويتقلب في ملذاتها، حتى تأتيه منيته وهو على ذلك كافرٌ غافلٌ جاهل، يساق إلى النار يوم القيامة : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

الدنيا مزرعة إبليس، ومكان تجارة المؤمنين، والناس فيها حُرَّاث، وإبليس يجرهم فيها من التوحيد إلى الشرك، ومن الطاعات إلى المعاصي، ومن المباحات إلى المحرمات، ومن الصغائر إلى الكبائر، ومن الكبائر إلى الردة :

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور: ٢١].

والدنيا بحر عظيم من الشهوات والزينات، فهي بحر عظيم مظلم، هلك فيه أكثر الخلق، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وعدتك التوكل على الله عز وجل، وزادك في ليلك ونهارك الأعمال الصالحة، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

والدنيا أملٌ بين يديك، وأجلٌ أطلَّ عليك، تدعوك في كل يوم فتستجيب، وترجوها فتجيب: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

الدنيا ميدان العقلاء يتزودون منها للآخرة بالإيمان والأعمال الصالحة، وميدان السفهاء يتزودون منها إلى جهنم بالكفر والأعمال السيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢].

الدنيا دار الفتن والبلاء، من ظفر بها تعب، ومن فاتته نصب، فاقطع الرجا منها، ورزقك المقسوم منها سيصلك بكميته ونوعيته، في أي مكان، وفي أي زمان:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

فابذل المجهود، وارض بالمقسوم، وسارع إلى مرضاة ربك بفعل ما يحبه ويرضاه: ﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٥].

والدنيا مهما نلت منها مجموعة في جملة واحدة: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء:٧٧].

وقد ورد لفظ الدنيا في القرآن الكريم مائة وخمس عشر مرة، ولفظ الدنيا يدور حول شيء واحد هو ما أودعه الله في هذه الدنيا من أنواع المغريات والمسرات والمحبوبات والمفاتن، ابتلاء من الله لعباده، واختبارا لهم، ليعلم الله من يقدم محبوبات الرب، على محبوبات النفس، ويستبين الصالح من الطالح، وطالب الدنيا من طالب الآخرة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

وباستقراء لفظ الدنيا في القرآن الكريم تبين أنه جاء ليوضح ثلاثة أمور.

الأول: التحذير من الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر:٥].

الثاني: تفضيل الآخرة على الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

﴿لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت:٦٤].

الثالث: أخذ العبد بنصيبه من الدنيا على قدر حاجته، مع جعل الآخرة هي المقصد الأول والأهم والأعظم،كما قال سبحانه : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

وقد حذرنا الله عز وجل من الانجراف وراء مفاتن الدنيا، والانكباب على شهواتها وزينتها وزخارفها، ووعد من فعل ذلك بقوله : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء:١٨-٢٠].

وقد ذم الله كل من آثر الحياة الدنيا الفانية العارضة، على الآخرة الباقية الخالدة بقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس:٧٨].

ورَغبنا جل جلاله في هذه الدنيا بالاستكثار من الأعمال الصالحة، فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس:٩-١٠].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

فالخير الحقيقي الكامل الدائم هو رضوان الله، والجنة في الآخرة، وما سوى ذلك من خيرات الدنيا فسرعان ما يزول أو يموت صاحبه : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ [القصص:٦٠-٦١].

فالله العليم الخبير، الرحمن الرحيم، أمر الإنسان أن يعمل للآخرة بقدر طاقته، وبقدر بقائه فيها، ويعمل في الدنيا بقدر حاجته، وبقدر بقائه فيها، وأن يجعل الدنيا بيده والآخرة بقلبه، فيأخذ من الدنيا بقدر ما يُعف به نفسه، ويخدم دينه وآخرته بكل طاقته : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج:٧٨].

وقال عز وجل : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

الدنيا دار عمل وتكليف، والآخرة دار ثواب وعقاب، والدنيا مطية الآخرة، يتزود فيها المسلم بالأعمال الصالحة : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ [طه:٧٤-٧٥].

وقد نهى الله عز وجل رسوله ﷺ عن تعلق قلبه بدار الغرور، وزينتها وملذاتها بقوله : ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه:١٣٠-١٣٢].

واستمتاع المؤمن بزينة الحياة الدنيا له ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون الاستمتاع بما أحلّ الله، لا بما حرّم الله من الأموال والأشياء وغيرها من التكاثر والتفاخر كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

الثاني: أن لا يطغى الاستمتاع بزينة الدنيا على أداء الواجبات والفرائض والسنن، من صلاة وصوم، وذكر، ودعوة، وطلب علم ونحو ذلك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

الثالث: ألّا تُنسي هذه الزينة المسلم ذكر الله، ولا تُشغلُ عن مهمات الدين، من عبادة، ودعوة، وتعليم، وإحسان إلى الخلق: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

والله سبحانه لما خلق الدنيا بيّن أنها مزرعة الآخرة، وأنها بذاتها لا تساوي عند الله شيئًا، وأنها لاتزن عند الله جناح بعوضة كما قال النبي ﷺ: ولو كانَتِ الدُّنيا تَزِنُ عندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ ما سَقى كافرًا منها شربة ماء» أخرجه الترمذي (١)

والله سبحانَه لما خلق الدنيا بيّن أنها فتنة، وحذّر من التعلق بزينتها وشهواتها فقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]. «

والدنيا بالنسبة للآخرة صورة محروقة، والعارف حقًا من جعلها مطية للآخرة بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٠).

﴿وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

فالدنيا دار الغرور، والآخرة دار السرور أو الثبور، والدنيا دار الفناء والزوال، والآخرة دار البقاء والخلود، والدنيا ذات عمر قصير ومتاع قليل: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ [الروم:٥٥].

وقال عز وجل : ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء:٧٧].

والدنيا دار لهو ولعب وزينة وتفاخر، ويوم القيامة سيُعرض عليك فيها جميع ما قلت وفعلت،هذه فاحشة، هذه جريمة، هذه خيانة، هذه سرقة، هذا كذب، هذا ظلم، هذا نفاق، هذا حسد، هذا رياء، هذا فجور، هذا استهزاء، هذه غيبة، هذه نميمة، هذه خديعة، هذه سخرية، وهذه عبادة، وهذه طاعة، وهذه دعوة، وهذه صلاة، وهذا إحسان: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

وفي اختبارات الدنيا يُسأل الطالب عن بعض المقرر لا عن كل المقرر؛ لكن السؤال يوم القيامة عن كل شيء إعتقدته، أو قلته أو فعلته في الحياة الدنيا.

أسئلة عن التوحيد، وأسئلة عن الإيمان، وأسئلة عن الأقوال، وأسئلة عن الأعمال، وأسئلة عن النيات، وأسئلة عن الأوقات، وأسئلة عن الأموال، وأسئلة عن الأمانات ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وقال عز وجل : ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات:٢٤].

وقال النبي ﷺ: « لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسألَ عن عمُرهِ فيما أفناهُ، وعن شبابه فيما أبلاهُ، وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وعن علمِه ماذا

عمل به» أخرجه البخاري [1]

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه[2].

فكل حياة الإنسان امتحان وابتلاء، والناس في ذلك بين فائز وخاسر .

فكل إنسان يمتحن كل يوم مئات المرات، فهو ممتحن في سمعه وبصره، وفي أقواله وأفعاله، وفي نياته وأفكاره، وفي عطائه ومنعه، وفي تقديمه وتأخيره : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فأنت ممتحن في عباداتك، وممتحن في معاملاتك، وممتحن في معاشراتك، وممتحن في أخذك وعطائك؛ لينظر الله عز وجل هل تطيعه في كل حال، أو تطيع هواك : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وقال عز وجل : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

قد تظلم أحدًا عمدًا؛ امتُحِنت فخسرت، قد تدوس على نملة عمداً فتقتلها؛ امتُحِنت فرسبت، قد تشهد شهادة زور؛ امتُحِنت فخسرت.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٩٣)، ومسلم برقم (١٨٢٩) واللفظ له.

قد تنظر إلى صورة محرمة عمدًا؛ امتُحِنت فخسرت، قد تكذب في بيعك وشرائك؛ امتُحِنت فرسبت، قد تسمع ما حرم الله؛ امتُحِنت فرسبت : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

قد تستهزئ بأحد، قد تسخر من أحد، قد تستصغر أحدًا، قد تقول أو تسكت، قد تفعل أو تترك، بكل ذلك أنت ممتحن وسوف تحاسب على اختيارك.

أنت في الآخرة محاسب على كل شيء، من صغير وكبير، ومن قليل وكثير، ومن خير أو شر، ومن صدق أو كذب : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

فسبحان من أحصى الأقوال، وأحاط بالأفعال، الذي يراقب الإرادات، والحركات، والسكنات، والنيات، والأفكار: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وقال عز وجل : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة:٦].

امتحان الدنيا في مكان مريح، وجو هادئ، ومكان آمن، أما امتحان الآخرة فهو في جو مخيف، وفي مكان عظيم، ويوم عصيب ترتعد منه الفرائص، وتشيب فيه الولدان : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١ -٢].

وقال عز وجل : ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾ [المزمل:١٧].

ويحشر الناس يوم القيامة للحساب حفاة عراةً غرلاً بهما، ويوم القيامة كل شيء مكتوب، وكل عمل مقروء : ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

وامتحان الدنيا إن طال زمانه فثلاث أو خمس ساعات تقريبًا، أما امتحان الآخرة ففي يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ومقدار اليوم الواحد ألف سنة : ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾ [الحج:٤٧].

ففي الدنيا زمان قصير، وعمر قليل، ثم بعده في اليوم الآخر حساب عسير أو يسير، ثم قصر ملكي أو سجن جهنمي : ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٥].

فكل أحد راجع إلى الله لينال ثوابه أو عقابه : ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

فالعاقل حقًا يعلم أن بعد الحياة موت، وبعد الموت بعث، وبعد البعث حساب، وبعد الحساب خلود في جنة أو نار : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة:٦-١١].

ويوم القيامة النيات مكشوفة، والسرائر مكشوفة، والأعمال مكشوفة : ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

ورزق الله عز وجل لعباده في الأرض مقيدٌ محدود، لما يعلمه سبحانه أن البشر في الدنيا لا يطيقون أن يفتح الله عليهم فيضه ورزقه غير المحدود: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧].

وفضل الله وعطاؤه في الآخرة كله بلا حساب، ولا حدود، ولا قيود، وكل ما في الدنيا من أرزاق فكله لا يساوى ذرة من فيض الله العزيز: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص:٥٤].

والله حكيم عليم يعلم أن البشر في الدنيا لا يطيقون الغنى إلا بقدر، ولو بسط لهم الرزق كما يبسطه في الآخرة، لبغوا وطغوا: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٧].

ومن رحمته بعباده أن جعل رزقهم في الدنيا مقدرًا محدودًا بقدر ما يطيقون، وبقدر ما يصلحهم، واستبقى فيضه العظيم المبسوط بلا حدود ولا قيود لمن آمن به واتقاه في الدنيا، وسيجده يوم القيامة رزقًا مطلقًا بلا حدود ولا قيود: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

٤ – قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة

الدنيا هي كل ما ألهى الإنسان عن عبادة ربه .

وقد بين الله ورسوله قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة بيانًا شافيًا كافيًا كما يلي:

الأول: قيمة الدنيا الذاتية ليست بشيء بالنسبة للآخرة : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

الثاني: قيمة الدنيا الزمنية ليست بشيء بالنسبة للآخرة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة:٣٨].

وقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[النساء:٧٧].

الثالث: قيمة الدنيا بالوزن ليست بشيء بالنسبة للآخرة .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانتِ الدُّنيا تعدِلُ عندَ اللهَّ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ» أخرجه الترمذي (١)

الرابع: قيمة الدنيا بالكيل ليست بشيء بالنسبة للآخرة.

عن المستورد رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ قال : «واللهِّ ما الدُّنْيا في

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٠) .

الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ ما يجْعَلُ أحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هذِه، وأَشارَ يحْيَى بالسَّبَّابَةِ، في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ» أخرجه مسلم [١].

الخامس: قيمة الدنيا بالمساحة ليست بشيء بالنسبة للآخرة .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها» أخرجه البخاري [٢]

السادس: قيمة الدنيا بالدراهم ليست بشيء بالنسبة للآخرة .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ الله ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ، داخِلًا مِن بَعْضِ العَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتَنَاوَلَهُ فأخَذَ بأُذُنِهِ، ثُمَّ قالَ: أَيُّكُمْ يحُِبُّ أنَّ هذا له بدِرْهَمٍ؟ فَقالوا: ما نُحِبُّ أنَّهُ لَنَا بشيءٍ، وَما نَصْنَعُ بهِ؟ قالَ: أَتُحِبُّونَ أنَّهُ لَكُمْ؟ قالوا: وَاللَّهِ لو كانَ حَيًّا، كانَ عَيْبًا فِيهِ، لأنَّهُ أَسَكُّ، فَكيفَ وَهو مَيِّتٌ؟ فَقالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ علَى اللهِ، مِن هذا علَيْكُم» أخرجه مسلم [٣]

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٨) .

(٢)أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٧) .

٥ - أقسام الناس في الدنيا

الناس في الدنيا أربعة أقسام:

الأول: من آمن بالله، وأقام الدين في حياته، وحياة البشرية.

فهؤلاء بأرفع المنازل في الدنيا والآخرة، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وهؤلاء خير الناس للناس : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

الثاني: من أقام الدين في حياته، وترك الدعوة إلى الله.

فهؤلاء سوف يحاسبون على ترك العمل الاجتماعي الذي أمر الله به بقوله : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وهؤلاء لا يُحفظون من أعدائهم، بل يتسلط عليهم الأعداء، كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل الذين تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

الثالث: من كفر بالله، وصد عن سبيل الله، وحارب أولياء الله.

فهؤلاء شر الناس كفرعون وسائر الطغاة : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل:٨٨].

الرابع: من كفر بالله وعاش حسب هواه وشهواته، ولم يؤذ أحدًا، كحال غالب الكفار، فهؤلاء في النار لكن عذابهم أخف من عذاب من كفر، وصد عن سبيل الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ

﴿كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ١٢﴾ [محمد:١٢].

وهؤلاء وهؤلاء إن لم يؤمنوا بالله، عذبهم الله، ونصر عليهم رسله وأولياءه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر:٥١-٥٢].

والمنافقون هم أخطر الأعداء على الإسلام وأهله، فالمنافق يظهر الإسلام، ليعيش آمنًا بين المسلمين، ويبطن الكفر، ليكيد للإسلام وأهله من الداخل، فهو يهدم بنيان الدين من داخله، وينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم في الخارج، لذلك هم في الدرك الأسفل من النار، لعظيم خطرهم، وضررهم، وإفسادهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء:١٤٥].

والناس في أعمالهم أربعة أقسام:

الأول: من همه الدنيا فقط؛ كما قال الله سبحانه ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ٢٠٠﴾ [البقرة:٢٠٠].

الثاني: من همه الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

الثالث: من يظهر الصدق وهو كذاب منافق، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة:٢٠٤].

الرابع: من باع نفسه لله، وهذه أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة:٢٠٧].

٦- صفات المسلم في الحياة

أسعد الناس في الدنيا والآخرة هو المسلم، لأنه يؤدي حق الله، ويحسن الى خلقه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

وكمال سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة أن يتصف بسبع صفات هي:

الإسلام .. والايمان .. والإحسان .. والهجرة .. والعبادة .. والدعوة إلى الله .. والمجاهدة لنصرة دين الله

قال النبي ﷺ «المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجَر ما نهى الله عنه» متفق عليه [(١)].

فالإسلام الحقيقي هو الاستسلام لله، وتكميل عبوديته، والقيام بحقوقه، وحقوق عباده : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢].

ولا يكون الإسلام إلا بأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامة المسلمين من شر لسانه ويده، فسلامتهم من شره القولي والفعلي، هو الدليل على كمال إسلامه.

والمؤمن حقًا هو من آمن بالله، وأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فإن الإيمان إذا وقر في القلب أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان، التي من أهمها بعد

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠)، وأخرجه مسلم برقم (٤٠).

أداء حقوق الله، ورعاية الأمانات، والصدق في المعاملات، والكف عن ظلم الناس، فلا إيمان لمن لا أمانة له.

ومن عرف الناس عنه ذلك أحبوه وأمنوه على أنفسهم وأموالهم .

قال النبي ﷺ: «المؤمنُ من أَمِنَه الناسُ على دمائِهم و أموالِهِمْ» أخرجه الترمذي (١)

والدين كله أمانات بين العبد وربه، وبين العبد والخلق : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨].

وأعظم الأمانات أمانة الدين : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣].

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك،وتحسن إلى خلقه بماتقدر عليه من أنواع الإحسان : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء:١٢٥].

والهجرة هي هجر الذنوب والمعاصي، وهي فرض عين على كل مسلم ومسلمة في كل حال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧].

أما الهجرة الخاصة فهي الانتقال من بلد الكفر أو البدع إلى بلد الإسلام والسنة.. وهي جزء من تلك الهجرة، وليست واجبة على كل أحد، وإنما تجب

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢٧) .

بوجود أسبابها حسب الاستطاعة : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن:١٦].

والعبادة، كما قال الله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وأما الدعوة فكما قال سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

أما المجاهد فهو الذي جاهد نفسه على طاعة الله ورسوله، فالنفوس ميالة إلى الكسل عن الخيرات والطاعات، أمارة بالسوء، ميالة إلى الشهوات والمحرمات، سريعة التسخط عند المصائب : ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

فمن جاهد نفسه بفعل المأمورات، وتجنب المنهيات، والصبر على الكريهات، وقتال الأعداء، ومجاهدة الكفار، والدعوة إلى الله بالقول والفعل، والعمل بالشرع، وتعليمه للناس،فقد بلغ ذروة سنام الاسلام، وفاز بأعلى الدرجات : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال النبي ﷺ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ» أخرجه أحمد [(١)].

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٠١٣) .

وبضد ذلك المنافق،فهو أخسر الناس في الدنيا والآخرة.

والمنافقون قسمان:

الأول: من أظهر الاسلام، وأبطن الكفر، وهذا النفاق كفر مخرج عن ملة الاسلام، وصاحبه مخلد في النار كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

وهذا هو النفاق الاعتقادي، وكل مافي القرآن من نفاق فهو من هذا النوع.

الثاني: نفاق عملي، وهو ما ذكره النبي ﷺ بقوله:«أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه [1]

فهذا النفاق لا يخرج من الإسلام، لكنه دهليزُ الكفرِ، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع اجتمعَ فيه الشر كله، ومن اجتمعت فيه خصال كفر، أو خصال نفاق مع خصال إيمانٍ وتصديق، استحق من الثواب والعقاب بحسب ماقام به منها : ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٢].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩)، وأخرجه مسلم برقم (٥٨).

٧- أحسن حياة

أحسن حياة، وأفضل حياة، حياة الأنبياء والرسل، كما قال الله لرسوله بعد ذكر الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].

ثم قال لنا سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

فنقتدي بالنبي ﷺ في خمسة أمور:

في توحيده وإيمانه .. وفي نيته وفكره .. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة .

وحياةُ النبي ﷺ يجمعُها ثلاثة أمور:

الأول: فرائض حياة: وهي أنواع الفرائض، والواجبات، والحقوق ، كأركان الإسلام.

الثاني: طريقة حياة: وهي جميع الآداب والأخلاق التي كان يتحلى بها النبي ﷺ كما قال اللع عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم:٤].

الثالث: مقصد حياة: وهي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٨].

فهذه مقصد الحياة للنبي ﷺوهي عشر خصال كما مرَّ في الآية.

والله عز وجل بعث نبيه ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ:«إنَّما بُعِثْتُ

لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ» أخرجه أحمد [1].

وأخلاق النبي ﷺ تقوم على سبعة أصول عظيمة هي:

الأول: رجاحة عقله ﷺ، وسدادُ رأيه، وصدقُ فراسته، وحسن تدبيره، وصواب اختياره، وحسن تألفهُ للناس.

نبيه فطن، فما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شديدة، حكيم يضع الأمور في مواضعها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

الثاني: ثباته ﷺ في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساءِ والضراءِ وهو مكروب، ونفسه ﷺ مع شدة الأحوال ومرارتها ساكنةٌ مطمئنة، لا يخور في شديدة، ولا يستكينُ لعظيمة، وهو مع الضعف وقلة الناصر يصبر صبر المستعلي، ويثبتُ ثبات المستولي، فصلوات الله وسلامه عليه.

وقد لقي ﷺ من كفار قريش صنوف الأذى والتهكم، والسخرية والاستهزاء، ماتشيبُ له النواصي، وتتفطر منه الأكباد.

قويٌ ثابت يواجه كل مُرة، وينتقلُ من محنةٍ إلى محنة، ويخرج من عظيمةٍ إلى عظيمة، وهو ثابتٌ كالجبال الراسية، لِكمالِ إيمانه ويقينه، وكمالِ ثقته بربه، ورضاه بما قدره عليه من حُلوٍ ومُر.

وكلما زادَ بلاؤه ازدادَ رضاه عن ربه، فهو كما قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

الثالث: زُهده ﷺ في الدنيا، وإعراضه عنها، وقناعته باليسير منها، فلم يمل إلى فتنها، ولم تُلهه حلاوتُها، ولم تغرّه زينتُها، وقد ملك من أقصى الحجاز إلى أقصى الشام، ومن أقصى اليمن إلى أقصى عُمان، ومع ذلك كان أزهد الناس

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩).

فيما يقتني ويشتهي : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].
لم يحفر بئرًا، ولم يجرِ نهرًا، ولم يشيّد قصرًا، ولم يورث أهلهُ مالًا ولا متاعًا، يصرفهم عن الدنيا كما صرف نفسه منها، لعلمه أن الآخرة خير له من الدنيا.
رضي ﷺ من الدنيا بالميسور النزر، وقنع منها بالعيشِ الكدر.
الرابع: تواضعه ﷺ، فهو أشد الناس تواضعًا للناس، وهو سيدُ الخلقِ كلهم، يمشي في الأسواق، ويجلس على التراب، ويخفضُ الجناح، ويتواضعُ للجليس، ويرفق بكل الناس: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].
لم يتميز عن أصحابه بطعامٍ ولاشرابٍ، ولا لباسٍ ولا دارٍ ولا مركوب، فصار بالتواضع مميزًا، حتى اضطر القلوب لمحبته وإجلاله وهيبته.
الخامس: حلمه ووقاره ﷺ،فلم يكن بالطائش، ولا المستفز، كان أوسعَ الناسِ صدرًا، وأكملهم حلمًا، ابتلي بجفوة الأعراب، واستكبار الأشرار، وأذى الحساد، فكان أحلمَ الناسِ على الناس : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصلُ من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويحلم على من آذاه، ويعفو عمن سلبه حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].
السادس: رحمته ورأفتهُ بالناس كلهم،مؤمنهم وكافرهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، أكرمه الله بالرحمة، وألان قلبه لكل من رآه أو سمعه، وجمع به القلوب على التوحيد والإيمان : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ونالَ من رحمته الأنس والجن والبهائم، والعدو والصديق، والقريبُ والبعيد .

السابع: حفظه ﷺ للعهد، ووفاؤه بالوعد، فلم ينقض عهدًا قط، ولم يخلف وعدًا قط، يرى النقضَ والغدرَ من مساوئ الأخلاق، فما كان خائنًا ولا غادرًا ولا ناكثًا قط، كان وفيًا صادقًا، كريمًا بنفسه وماله ووقته : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

فهذا هو النبي الخاتم الذي يجب علينا أن نعرفه، ونعرف صفاته، ونعرف سنته وسيرته، ونقتدي به في كل ما أرسله الله به، ونُعرف الناس بسنته وسيرته : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وبهذا نعيش أحسن حياة، وأجمل حياة، وأطهر حياة، وأعلى حياة : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

وأحسنُ حياةٍ يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة، هي حياة الأنبياء والرسل وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

وأحسن حياة هي ما جمعت محاسن الدين، من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، والأجور العظيمة، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾
[الأحزاب:٣٥].

وأحسن حياة هي التي تحققت فيها أصول الأعمال الكبرى، من عبادة الله عز وجل، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

فهؤلاء هم أهل الصفات الذين اشتراهم الله، واشترى أموالهم، فهم أسعد الناس في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وأحسن حياة هي التي جمع فيها العبد بين الإحسان في عبادة الرب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾
[الأنفال:٢-٤].

وجمع فيها العبد كذلك الإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وثمرات هذه الحياة الإسلامية لكل عبد كبيرة، وأجورها عظيمة، وبركاتها كثيرة، سواء كانت على مستوى الفرد أو الجماعة، وسواء كانت أقوالًا أو أفعالًا

أو أخلاقًا، وسواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، وسواء كانت في الحياة أو بعد الموت، وسواء كانت قلبية أو بدنية، وسواء كانت روحية أو مادية، وسواء كانت دنيوية أو أخروية .

وقد أكرم الله أهل هذه الصفات الإسلامية بكرامات عظيمة في الدنيا منها:

الفلاح، والهداية، والنصر، والعزة، والخلافة في الأرض، والتمكين في الأرض، والدفاع عنهم، والأمن، والنجاة، وحصول البركات، وعدم تسليط الكفار عليهم، ومعية الله الخاصة لهم، ومحبته لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [النحل:١٢٨].

أما في الآخرة: فقد أعد الله للمؤمنين من النعيم، والملك الكبير، مالم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة:١٧].

وأعظم كرامات أهل هذه الصفات الإسلامية في الدنيا والآخرة مايلي:

الأولى: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل:٩٧].

الثانية: دخول الجنة، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ ﴾ [الحج:١٤].

الثالثة : الخلود في نعيم الجنة : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة:٢٥].

الرابعة: رضوان الرب عليهم، كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

الخامسة: رؤية الرب جل جلاله في الجنة، كما قال سبحانه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

السادسة : القرب من الله جل جلاله، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

السابعة : سماع كلام الرب جل جلاله، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

الثامنة : النجاة من النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم هذه الصفات والكرامات العظيمة، وأن يجمعنا يوم القيامة بنبينا ﷺ.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولاتهنا، وارفعنا ولاتضعنا.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

البصيرة الأربعون

الإحسان .. معناه، ومحاسنه، وآثاره

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : عظمة حسن الإسلام.

الثاني : فقه معنى الإحسان.

الثالث : فضائل الإحسان.

الرابع: أنواع الإحسان.

الخامس: فقه الحسن والأحسن.

السادس : خزائن الحُسن.

السابع: فقه حسن الخلق.

٤٠ - الإحسان .. معناه، ومحاسنه، وآثاره

١ - عظمة حسن الإسلام

الإسلام هو دين الله للبشرية جمعاء، أرسل الله به جميع رسله، وأنزل به جميع كتبه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وأرسل الله به خاتم رسله محمداً ﷺ للبشرية إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩].

وكان ما قبله من الرسل والكتب إعدادٌ له، وتمهيدً له، وبه ختم الله خطاباته إلى أهل الأرض، وختم به رسله إلى أهل الأرض: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

وأنزل الله الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور، تناسب أطوار خلق الناس، ولم يشأ الله أن ينزلها كاملة خالدة، وإنما أنزلها حسب أطوار البشرية، كلما مات نبي خلفه آخر، حتى إذا تجاوزت البشرية تلك الأطوار، نسخها الله بالدين الكامل، وختم الله به شرائعه إلى أهل الأرض، فهذه الشريعة الكاملة الخاتمة، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وبعد كماله، لا يقبل الله بعده ديناً سواه، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥].

وهذا الإسلام بصورته النهائية الكاملة الخاتمة، شرع الله فيه للعباد كل ما يرضيه ويحبه لهم، من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والقيم،ليكون نظامًا وشرعًا شاملا لشؤون الحياة كلها إلى يوم القيامة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

فقد بين الله في شريعة محمد ﷺ كل شيء بالتفصيل إلى يوم القيامة، إما بوحي منزّل وهو القرآن والسنة، وإما بفهم مستنبط من نصوص الوحي، كما قال سبحانه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

وقال سبحانه : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

وهؤلاء هم ورثة الرسول ﷺ فيما جاء به، أمر الله المؤمنين أن يسألوهم فيما أشكل عليهم في كل زمان ومكان، كما قال سبحانه : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

وهم الذين يرفع الله بهم الجهل عن الأمة، ويفهمون عن الله كلامه، كما قال سبحانه : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

وهذا الدين لما أكمله الله، وختم به رسله وكتبه، لا يقبل الله من أحدٍ سواه.

قال النبي ﷺ: «والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أَصْحابِ النَّارِ» أخرجه مسلم (١).

وكل ما شرعه الله في هذا الدين العظيم من الأحكام، كله لمصالح العباد، وسعادتهم في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

فإذا أوجب الله شيئًا فهذا دليل على أن مصلحته متمحضة في كل زمان ومكان، وإذا حرّم شيئًا فهذا دليل على أن مفسدته متمحضة في كل زمان ومكان .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٣) .

وإذا ندب إلى شيء فهذا دليل على أن مصلحته راجحة، واذا كره شيئًا فهذا دليل على أن مفسدته راجحة.

واذا أباح شيئًا فجعله مستوي الطرفين فهذا دليل على أنه تعتريه العوارض.

فتارة يكون مصلحة راجحة. وتارة يكون مفسدةً راجحة. فيوزن حينئذٍ بميزان العقل والشرع ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

والإسلام هو الدين الحق الذي اجتمعت فيه أحسن العقائد، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والآداب، والحقوق: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر:٢٣].

والله عز وجل حكيم عليم في خلقه وأمره وشرعه، جعل خطابات الشريعة على أربعة أقسام:

الأول: خطاب موجه إلى الفرد يستطيع إقامته بنفسه، كالأمر بالطهارة والوضوء والصلاة والزكاة والصيام والحج.. ونحوها من الأدعية والأذكار، والآداب والأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج:٧٧].

وهذا ربع الفقه الإسلامي.

الثاني: خطاب موجه إلى الأسرة لا يستطيع الفرد إقامته وحده، بل في أسرة يتراضى طرفاها على تحكيم شرع الله فيها أبداً، بالنكاح وتوابعه، ثم تربية الأولاد وفق الشريعة، ورعاية الأسرة، وختاما بقسمة المواريث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ

﴿وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن: ١٤].
وهذا الربع الثاني من الفقه الإسلامي.
الثالث: خطاب موجه إلى المجتمع كله كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وآداب الضيافة، وحسن الجوار،ونحو ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].
وهذا هو الربع الثالث من الفقه الإسلامي .
الرابع: خطاب موجه إلى السلطان وذي القوة كجهاد العدو، واستخراج خيرات الأرض، والحكم بما أنزل الله وتنفيذ أوامر الله في خلق الله، وإقامة الحدود، وصد العدوان عن المسلمين، وتوزيع الأموال بين الناس بالعدل : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: ٢٦].
وهذا هو الربع الأخير من الفقه الإسلامي.
وبهذه الأمور الأربعة تصلح أحوال الأمة إذا استقامت على أوامر الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].
والله سبحانه حكيم عليم، قسم هذا الكون إلى قسمين:
جانب مادي حسي .. وجانب معنوي أدبي.
وجعل سبحانه بحكمته هذا الإنسان خليفة في الأرض، وجعله مكونًا من ذكر وأنثى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ

﴿أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:١٣].

فأشرف ما في الأرض من المعنويات والأدبيات خص الله به الرجال دون النساء كالرسالة، والإمامة العظمى، والإمامة الصغرى في الصلاة .

وأشرف ما في الأرض من الماديات والمحسوسات خص الله به النساء دون الرجال، وهو الذهب والحرير .

فوقع العدل والتوازن بين الرجال والنساء في العطاء الرباني ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٤].

والإسلام كله محاسن،فهو دين العدل والإحسان، ودين اليسر والسماحة، ودين الحكمة والتسهيل، ودين الحب والتكريم، ودين العلم والعمل .

فالدين كله يسر، في العلم به، والعمل به، والدعوة إليه، ميسر لكل أحد، سهل في عقائده وأعماله، وفي أخلاقه وآدابه، وفي أوامره ونواهيه : ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر:١٧].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» أخرجه البخاري [1]

وفي رواية «والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا» أخرجه البخاري [2]

فعقائد الإسلام ترجع إلى التوحيد، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه أعظم العقائد الصحيحة على الإطلاق،تطمئن بها القلوب، وتوصّل إلى أفضل مطلوب : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

واخلاقه وآدابه أكمل الاخلاق على الإطلاق، وهي ميسرة سهلة يستطيع كل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣).

إنسان أن يتحلى بها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

وأحكام الإسلام وأقواله وأعماله أحسن الأحكام التي بها صلاح العبد، وصلاح الدنيا والآخرة. وكلها سهلة ميسرة، وكل مكلف يرى نفسه قادرًا عليها، لا تشق عليه ولا تكلفه ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٧٨].

فعقائد الإسلام أسهل شيء، تقبلها العقول الصحيحة، وتؤمن بها الفِطر السليمة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وفرائض الإسلام وسننه وأخلاقه وآدابه أسهل شيء، وأحسن شيء.

فالصلوات الخمس، فيهاتكبير الرب، وتعظيمه، وحمده على عظيم إنعامه، وسؤاله الحاجات، واستغفاره من الذنوب، وتقديم التحية له لما يراه العبد من جماله وجلاله، وإنعامه وإحسانه، ثم الصلاة على من كان سببًا في وصول هذا الخير إلينا.

وهذه الصلاة معراج المؤمن إلى ربه، تتكرر في كل يوم وليلة خمس مرات، في أوقات مناسبة، هي أحسن الأوقات، وسهّلها الرؤوف الرحيم بإيجاب الجماعة لها : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء:١٠٣].

وأما الزكاة،فإنها تجب على الأغنياء دون الفقراء، إكمالا لدينهم وإسلامهم، وتنمية لأموالهم، وتزكيةً لأخلاقهم، ودفعاً للآفات عنهم وعن أموالهم، وتطهيرًا لهم من الذنوب، ومواساةً لإخوانهم المحتاجين، وشكراً لله الذي أنعم عليهم: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة:١٠٣].

وأما الصيام فهو شهر واحد في السنة، وهو صوم شهر رمضان. وهو فرض واجب على المسلمين كلهم، يتركون فيه شهواتهم المباحة من طعام وشراب ونكاح في النهار، لتكميل إيمانهم وتقواهم، ليستعدوا لفعل أوامر الله، واجتناب نواهيه، في كل حال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥].

وأما الحج فإنه لا يجب إلا على المستطيع، وفي العمر مرة واحدة. كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران:٩٧].

وفي الحج من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يمكن عده ولا حصره.

ومن أعظم منافعه، إعلان التوحيد، والتكبير، والحمد لله، في هذا الجمع العظيم، وإعلان الطاعة التامة لله ورسوله في كل أمر، وفي كل حال.

هذه العبادات الكبرى كلها في منتهى الحكمة والرحمة، والحُسن والجمال، واليسر والسهولة، وفيها قضاء حقوق الله، وأداء حقوق عباده: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم:٣٠].

ثم تأتي بعد ذلك بقية شرائع الإسلام التي ترجع إلى أداء حق الله، وحقوق عباده. وكلها سهلة ميسرة لكل إنسان: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥].

فالأوامر الشرعية نقوم بها حسب الاستطاعة، والمناهي الشرعية نجتنبها مطلقاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦].

وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعْتُم وإن نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنِبوه» متفق عليه (١)

فالله الحمد والشكر على ما أكرم به عباده من هذا الدين الحق، الميسر السهل، الحسن في أخباره وأحكامه وأخلاقه، الموافق للعقل والفطرة، الذي تتحقق به مصالح العباد في الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وهذا من أكبر الأدلة على عظمة رحمة الله بعباده، وعنايته بهم، حيث شرع لهم هذا الدين العظيم الذي كله محاسن ومنافع، ويسر لهم العمل به، وأعانهم عليه من كل وجه، وأثابهم عليه الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وفوق ذلك يعطي أولياءه أجراً بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

وفوق ذلك يعطي الكريم أجراً عظيماً من لدنه، بغير عمل من العبد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨)، وأخرجه مسلم برقم (١٣٣٧).

٢ - فقه معنى الإحسان

الإحسان في اللغة ضد الإساءة.

فندفع بالقول الحسن القول السيئ، وندفع بالفعل الحسن الفعل السيئ كما قال الله سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد:٢٢].

فيدفعون الكفر والشرك بالإيمان والتوحيد. ويدفعون البدع والمعاصي بالسنن والطاعات، ويدفعون الرياء بالإخلاص، ويدفعون النفاق بالإيمان بالله، ويدفعون الأخلاق السيئة بالأخلاق الحسنة، ويدفعون الإساءة بالإحسان : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

والإحسان تحسين الشيء وتزيينه وإتقانه حتى يكون أحسن الحسن، ويكون مقبولاً عند الله إذا كان خالصاً لله، حسب سنة رسول الله ﷺ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

فاتقِ الله أيها العبد، وأحسن كما أحسن الله إليك، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف:٩٠].

والإحسان شرعًا كما عرّفه سيد المحسنين ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والإحسان فعل ما هو حسن، والحُسن هو الجمال سواء كان ماديًا أو معنويًا أو أخلاقيًا، فعبادة الله وحده أحسن المحاسن : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

والدعوة إلى الله كلها إحسان، والإنفاق للعلم كله إحسان، وإنفاق المال فيما يرضى الله كله إحسان، والأخلاق الطيبة من الصدق والحلم والعفو ونحوهاكلها من الإحسان،والسماحة واللطف شيء حسن، وبر الوالدين من أعظم الإحسان، وصلة الرحم شيء حسن، وأوامر الله كلها من أعظم المحاسن.

وأول المحسنين وأعظمهم وأكرمهم هو الله عز و جل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

هو المحسن الذي أحسن إلى خلقه بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الأرزاق، ونعمة الهداية والإسعاد : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣]. .

والله يحب من عباده من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية.

فالله مؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وشكور يحب الشاكرين، وصادق يحب الصادقين : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

والناس عبيد مَن أحسن إليهم، فأحسن كما أحسن الله إليك﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

والإحسان من حيث معناه له أربعة معاني:

الأول: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهذه أعلى مراتب الدين، فالأولى عبادة الحب والطلب، و الثانية عبادة الخوف والهرب، والأولى أكمل من الثانية.

الثاني: الإحسان إلى النفس بحملها على طاعة الله ورسوله، وكفها عن معصية الله ورسوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

وقال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثالث: الإحسان إلى الناس أجمعين، ببذل الندى، وكف الأذى، وستر الزلات، وإقالة العثرات، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

الرابع: إحسان العمل وإتقانه وإصلاحه، سواء كان العمل عبادة، أو دعوة، أو تعليمًا، أو معاملة، أو معاشرة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

فهذه المعاني الأربعة تشمل أحسن صفات المسلم والمؤمن والمحسن، في علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالناس، وعلاقته بالمخلوقات والأشياء والأعمال.

فعلاقته بربه،أن يحسن عبادة ربه، ويكثر من ذكره، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، ولا يفتر عن استغفاره والتوبة إليه ولزوم طاعته، ولا يفتر عن ذكره وحمده وشكره، ويتقي ربه ويخشاه، ولا يفتر عن مراقبة ربه ودعائه ومناجاته:

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

وبذلك يطيب بدنه، ويطمئن قلبه، وتجمل أخلاقه، وتصلح أقواله وأفعاله، ويرضى عنه ربه، ويفوز بدخول جنته : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

وعلاقة العبد بالناس،أن يحسن إلى القريب والبعيد، حتى يعم خيره ونفعه الناس أجمعين : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ويدعو الناس إلى الله، ويعلمهم شرع الله : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

وعلاقته بالأشياء وجميع الأعمال تكون بصفة الإحسان، بأن يحسن أقواله وأعماله، ويحسن أخلاقه مع كافة الخلق، ويفعل ذلك كله ابتغاء مرضات الله عز وجل: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

ومن أكرمه الله بهذه المعاني الأربعة أحبه الله وكان معه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

والإحسان أعظم مراتب الدين،فلا إسلام بلا إيمان، ولا إيمان بلا إحسان :
﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ
وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾
[الحجرات:١٤].

وقال النبي ﷺ: (..الإحْسَانُ أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ ، فإن لم تكُن تَراهُ ، فإنَّهُ يراكَ ..) متفق عليه (١)

ومن قامت فيه هذه الصفات العظيمة، كان ثوابه أحسن الثواب: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ
أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦].

وقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا
ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾
[المائدة:٩٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، وأخرجه مسلم برقم (٩) .

٣- فضائل الإحسان

قال الله تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

فالإحسان خلق عظيم، وعمل جليل، وسمة من سمات العابدين، وخصلة من خصال المقربين، وخلق من أخلاق الفائزين، وهو أعلى مراتب الدين .

والله سبحانه هو المحسن الأول الذي أحسن كل شيء خلقه، المحسن إلى خلقه بأنواع الاحسان ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

هو سبحانه المحسن الذي خلق الخلق فأحسنه وجمله وأبدعه ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة:٦-٧].

والمحسن على وجه الكمال والإطلاق هو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة،، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

وقال عز وجل : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء:١١٠].

وأحسن من اتصف بصفة الإحسان من العبيد هم الأنبياء والرسل، وأفضلهم في ذلك هو سيد الخلق ﷺ،الذي كان أحسن الناس خَلقًا، وخُلُقًا، وتعاملًا، وعبادةً، ودعوةً وتعليمًا.. كما قال عنه ربه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

والمحسن من العبيد هو الذي يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

٤ - أنواع الإحسان

الإسلام كله محاسن، كله بين حسن وأحسن، وجميل وأجمل، وفاضل وأفضل، ومن أنواع الإحسان:

الأول: الإحسان في عبادة الله،وهذا أعظم أنواع الإحسان قاطبة .

والإحسان في عبادة الله أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

الثاني: الإحسان إلى الوالدين:

فأول شيء أمر الله به بعد الأمر بعبادته الإحسان إلى الوالدين، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

فالوالدان هما سبب وجودك، فأحسن إليهما بالقول والفعل، والخُلق والخدمة، والنظر وحسن الكلام.. كما فعلا ذلك بك حين ولادتك وتربيتك..

الثالث: الإحسان إلى البنات والأخوات:

قال رسول الله ﷺ:«ما من رجل تدرِكُ لَهُ ابنتانِ ، فيُحسِنُ إليهما ما صحِبتاهُ أو صحبَهُما إلَّا أدخَلَتاهُ الجنَّةَ» أخرجه ابن ماجة [(١)].

الرابع: الإحسان إلى جميع الناس : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧].

---

(١)صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (٢٩٧٥) .

وقال عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الخامس: الإحسان في التحية: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦ ﴾ [النساء:٨٦].

وتمام التحية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السادس: الإحسان في الكلام: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [الإسراء:٥٣].

السابع: الإحسان في الجدال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل:١٢٥].

ويكون ذلك بحسن الأدب في الكلام والحوار، واختيار أحسن الكلمات والعبارات، وحسن الإنصات، وحسن الرد: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

الثامن: الإحسان في الدعوة الى الله: فأحسن الكلام في الدعوة الى الله في كثرة ذكر الله وبيان أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ ﴾ [الأحزاب:٤١].

التاسع: الإحسان في المعاملات بيعًا وشراءً، وقضاءً وأداءً:

قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عبدًا سَمْحًا إذا باعَ، سَمْحًا إذا اشْتَرى، سَمْحًا إذا قَضَى، سَمْحًا إذا اقْتَضَى» أخرجه البخاري (١)

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

العاشر: الإحسان في أداء المسؤولية، كما قال رسول الله ﷺ: «أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه(١).

الحادي عشر: الإحسان في اختيار الزوجة.

قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» متفق عليه (٢).

الثاني عشر: الإحسان إلى الزوجة:

فحين تسيء إليكَ الزوجة، أو يسيء إليكِ الزوج، فقابل الإساءة بالإحسان، تنال أعظم الثواب: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وقال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

الثالث عشر: الإحسان في الاستماع:

فلا تسمع إلا أحسن الكلام، كالقرآن، والمواعظ النبوية، ودروس العلم والخير: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٩٣)، ومسلم برقم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٠٢)، ومسلم برقم (١٤٦٦).

يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٤].

الرابع عشر: الإحسان في قتل أو ذبح الحيوان، والإحسان في قتل الكافر، أو من عليه حد:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ» أخرجه مسلم (١)

فالإحسان تاج الدين، وأنت مرآة الإسلام، فكن أول المسلمين، وأول المحسنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

الخامس عشر: الإحسان إلى النفس بكل قول أو فعل: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء:٧].

وقال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

السادس عشر: الإحسان في الزينة كما قال سبحانه: ﴿۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف:٣١].

وغير ذلك من أنواع الإحسان التي بينها الله عز وجل في كتابه العظيم، وبينها الرسول ﷺ في سنته.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

٥ - فقه الحسن والأحسن

الدين كله حسن وأحسن، وجميل وأجمل، فالعدل حسن، والإحسان أحسن، وأخذ الحق حسن، والعفو عنه أحسن.

وحُسن الخلق يقوم على ركنين عظيمين:

الأول: فعل الحسن الحلو الجميل كالصدق، والرحمة، والإحسان، وبذل الندى، وكف الأذى، وهذه يقدر عليها كل انسان.

الثاني: فعل الأحسن، وهو أربعة اقسام:

أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء اليك، ابتغاء مرضاة الله .

وبهذا تتحقق الأخوة الإيمانية، والمحبة، والإلفة : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فهذه أصول الأخلاق مع الخَلق، ولايقدر عليها إلا من صبر إبتغاء وجه الله : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

ومن أجل محاسن الأقوالوالأعمال والأخلاق خلق الله أحسن الصور، وأحسن اللذات، وأحسن الثمار، وأحسن الطعام والشراب : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ ﴾ [الكهف:٧].

وأحسن المخلوقات وأعجبها هو الإنسان، الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤].

وهذا الإنسان يريد الله منه أن يعمل بأحسن عمل، ويتزين بأحسن صبغة: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة:١٣٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥].

فأنزل الله إليه سبحانه أحسن كتاب: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:٢٣].

وأرسل ربه إليه أفضل وأحسن رسول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وكلفه بأحسن عمل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥].

وشرّفه بأحسن حياة: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

ولكل شيء زينة، ومقصد، فالأشجار لها زينة، وهي الأوراق والأزهار، ولكن المقصود الثمار، وهكذا الإسلام زينته حسن الأخلاق.

فاليقين والتوكل كالروح للجسد، والعبادات كالجسد، والأخلاق كالباس: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى.

قال النبي ﷺ: «المسلِمُ من سلمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ» متفق عليه (١)

وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق، لأنه ثقيل على النفس في الدنيا .

قال النبي ﷺ: «إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ» أخرجه أبو داود (٢)

وأحسن صفات المؤمن الرحمة، واللين، واللطف، والعفو، والإحسان : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فزينة الدعوة والداعي حسن الخلق، وزينة العابد حسن الخلق، وزينة المعلم حسن الخلق، وزينة الرجل حسن الخلق، وزينة المرأة حسن الخلق، وزينة الأولاد حسن الخلق، وزينة الغني حسن الخلق، وزينة الفقير حسن الخلق، وزينة الملك حسن الخلق، وزينة كل أحد حسن الخلق، كما قال الله عز وجل لنبيه ﷺ مثنيًا عليه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وأحسن حياة، وأجمل حياة، وأطيب حياة، وأزكى حياة، هي حياة النبي ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٠).

(٢) **صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨).**

وجماع الأخلاق كلها بذل الندى، وكف الأذى، وإحسان القول والفعل، هذا مع المخلوق: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وأما حسن الخلق مع الخالق،فأن تؤمن به، وتوحده، وتطيعه، وتعبده، وتكبره، وتحمده، وتشكره، وتحبه وحده لاشريك له، وتعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء: ١٢٥].

وأحسن شيء في هذا الدين بعد الإيمان بالله وعبادته، هو الدعوة الى الله .

وكان العرب في الجاهلية يفخر بعضهم على بعض بالأحساب، والأنساب، والشجاعة، والمروءة، والأموال، والملك، فقال الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأحسن شيء في العبادات وأعظمها هو الصلاة .

فالأعمال الصالحة تنقسم إلى قسمين:

الأول: العبادات: وأعظمها الصلاة، لأنها صلة بين العبد وربه .

الثاني: الأخلاق الحسنة: وأصولها أربعة،أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عن من ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك : ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

وقد نرى كثيرًا من الدعاة المخلصين، والمجاهدين الصادقين، والعبّاد الصالحين، والقانتين، والصائمين، والذاكرين، ولكن قَلَما نجد من بينهم أصحاب الأخلاق الكريمة إلا قليلًا : ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

فتكونت مجموعة الدعاة، ومجموعة العلماء، ومجموعة المتصدقين، ومجموعة المنفقين، ومجموعة المعلمين، ومجموعة الدارسين،ولكن حتى الآن لم تتكون مجموعة الأخلاق الحسنة:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم:٤].

ومكارم الأخلاق كثيرة، وعلى المسلم أن يتحلى بها، ليحسُن أمام ربه، ويحسن أمام خلقه، وقد جمع الله عز وجل الأخلاق كلها أصولها وفروعها، في أنبياء الله ورسله، ثم جمعها سبحانه في سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ كما قال عنه ربه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

ثم فرقها الله في أمة محمد ﷺ، وأمرهم الله جميعًا بالاقتداء بمن جمع الله فيه أحسن الأقوال والأعمال والأخلاق،فقال عز وجل : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف:١٥٨].

فحُسن الأخلاق هي الدين كله،سواءً كانت في حق الخالق، بعبادة من يستحق العبادة والطاعة والحب، أو كانت في حسن المعاشرة مع المخلوقين..

وقد بالغ الرسول ﷺ في إبلاغ الدين والدعوة، فنهاه ربه، وقال له : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾[الكهف:٦].

وقال عز وجل: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية:٢١-٢٢].

وقال عز وجل : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء:٣].
ولما أطال ﷺ الصلوات قال له ربه : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [طه:٢].

فلاتطل الصلاة، لئلا تتورم قدماك ورجلاك، فخفف من صلاتك وقراءتك.
ولما أنفق ﷺ جميع ماله في سبيل الله، قال له ربه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩].
ولما بالغ في مكارم الأخلاق ما نهاه ربه، بل أثنى عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].
فزينة الرجال والنساء مكارم الأخلاق، فأحسن الأخلاق مع الوالدين، والأهل، والأقارب، والجيران، مع المسلمين والكفار، والخلق أجمعين : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].
وقال النبي ﷺ: «إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب [١]
وقال ﷺ: «خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلِي» أخرجه الترمذي [٢]
وقال ﷺ: «مَن سره أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، ويُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه[٣]

فمكارم الأخلاق بها يكمل الإيمان، ويحصل الائتلاف، وتجتمع الأمة على كلمة سواء، فالأخلاق العظيمة تجذب القلوب، وتأسر النفوس، وتجمع الصفوف : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ

(١) أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البخاري في الأدب برقم (٢٧٣) .
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) .
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٥٧) .

وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

وقال عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

فدين الإسلام كله محاسن.

الله سبحانه أحسن الخالقين، والإنسان أحسن المخلوقين، والقرآن أحسن الكتب، ورسولنا ﷺ أحسن الرسل، وديننا أحسن دين، وشريعتنا أحسن شريعة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤].

والجنة أحسن مقيلًا، والله خلقنا ليبلونا أينا أحسن عملًا، وأمرنا أن نقول التي هي أحسن، وأمرنا الله بالإحسان في كل حال، وأمرنا سبحانه أن نعمل بأحسن شيء وهو الدين، وأن ندعوا إلى أحسن شيء، وهو الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وجزاء المسلم عند ربه أحسن جزاء: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

ومَن أحسنَ أحسنَ الله إليه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠].

والله يحب الإحسان والمحسنين: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

فسبحان أحسن الخالقين: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٦-٧].

والإنسان أحسن المخلوقين: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].
والقرآن أحسن الكتب: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾ [الزمر:٢٣].
والرسول ﷺ أحسن الخلق، وسيد الأنبياء والرسل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم:٤].
وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة:١٢٨].
وديننا أحسن الأديان: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)﴾ [النساء:١٢٥].
والله خلقنا ليبلونا أيّنا أحسن عملاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾ [الملك:١-٢].
وأمرنا سبحانه أن نقول التي هي أحسن في كل شيء ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣)﴾ [الإسراء:٥٣].
وأمرنا الله بالإحسان في كل شيء، وفي كل حال. فقال عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ [البقرة:١٩٥].
ودعانا للعمل بأحسن شيء وهو الدين: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم:٣٠].
وأمرنا سبحانه أن ندعوا إلى أحسن شيء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ [فصلت:٣٣].

وأمرنا سبحانه أن نُعلم أحسن شيء ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري (١).

وجنة الله للمؤمنين أحسن مقيلًا: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾ [الفرقان:٢٤].

ورضوان الله، ورؤيته، والقرب منه، وسماع كلامه، أحسن من ذلك كله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

وقال عز وجل: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقال عز وجل: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس:٥٨].

فأحسِن رحمك الله يا عبد المحسن كما أحسن الله إليك: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

٦ - خزائن الحسن

الله سبحانه عنده خزائن الحسن، وحسن الله، وحسن أسمائه وصفاته وأفعاله لا يدرك ولا يحاط به: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

وكما أن حُسن الله عز وجل لا يدرك، فحسن العبادات لا يدرك، وحسن الدعوة إلى الله لا يدرك، ولا منتهى لحسنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

ومِن حسن الدعوة إلى الله أن الله عز وجل نقل بسببها شر القرون إلى خير القرون، وشر البرية إلى خير البرية، ونقلهم من الضلال المبين إلى سلوك الصراط المستقيم، ومن الشرك إلى التوحيد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

وأصحاب النبي ﷺ اهتدوا إلى الدين، وقاموا بجهد الدين، فرضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

فالله عز وجل أظهر محاسن الدين في صفات الأنبياء والرسل، في أقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم، وتوحيدهم، وإيمانهم: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ

يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأظهرها في الصحابة إظهار محاسن الدين في البشرية أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً، كما قال سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالدعوة إلى الله أحسن الوظائف، لما تثمرهُ من الهداية للداعي، والهداية لغيره.

فلا حياة للأمة إلا بالدين، ولا حياة للدين إلا بالدعوة، ولا حياة للدعوة إلا إن اجتمعت الأمة عليها كما قال سبحانه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فخزائن الحُسن والإحسان كلها موجودة في الدعوة، لأن الدعوة تثمر وتنتج المؤمنين، والمسلمين، والقانتين، والصائمين، والمنفقين، والمستغفرين، والمسبحين: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

٧- فقه حسن الخلق

الله عز وجل أثنى على نبيه ﷺ بحسن الخلق بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

فحسن الخلق زينة الأنبياء والمرسلين، وزينة العلماء والدعاة والعبّاد، وزينة كل مؤمن ومؤمنة، وزينة الداعي إذا دعا، وزينة الذاكر إذا ذكر، وزينة البائع إذا باع أو اشترى ، وزينة المؤمن إذا تعلّم وعلّم، وزينة المؤمن إذا قضى أو اقتضى .

والدعوة إلى الله أحسن الأعمال، وحسن الخلق زينة الدعوة، وأحسن الخُلق هو الرحمة : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

والرحمة تثمر كل خير، وتلين القلب القاسي: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩].

والدعوة إلى الله المقرونة بحسن الخلق تقلب الكافر بإذن الله مؤمنًا، والعدو صديقًا، والعاصي تائبًا: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

وحسن الخلق أثقل شيء في الميزان، لأنه أثقل شيء على النفس،فحسن الخلق لباس جميل يستر جميع العيوب، وسوء الخلق يستر جميع المحاسن.

وحلاوة اللسان بحسن الكلام أحلى من العسل، وبذاءة اللسان بسوء الكلام تقطع الأواصر أعظم من قطع السيف الفتاك البتار للرقاب.

وبحور العسل حلاوة اللسان أحلى منها، وبحور المرارة مرارة اللسان أمر منها.

وحسن الخلق يقوم على ركنين عظيمين:

الأول: فعل الحسن والأحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق،كالصبر والرحمة والإحسان، وبذل الندى، وكف الاذى،وهذه يقدر عليها كل إنسان.

الثاني: فعل الأحسن المر،وهو أربعة أقسام: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عن من ظلمك، و تحسن إلى من أساء اليك: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وهذه أصول الأخلاق مع الخلق، ولا يقدر عليها إلا الصابرون ايتغاء وجه الله .

وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين:

الأول: حسن الخلق مع الخالق بتوحيده، والإيمان به، وتصديق أخباره، وإمتثال أوامره، وإجتناب نواهيه، والإكثار من ذكره وحمده وشكره، وحسن عبادته : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء:١٢٥].

الثاني: حسن الخُلق مع الخَلق من الناس والبهائم، والمؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، والصديق والعدو : ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فقدم الأحسن على الحسن في أقوالك وأعمالك و أخلاقك، تنال من ربك الأجر الأحسن : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾ [يونس:٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

والله سبحانه حكيم عليم، جمع الدين كله في الحكمة والرحمة : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال عز وجل : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾ [البقرة:٢٦٩].

والحكمة: هي وضع الشيء في موضعه، والاصابة في القول والعمل.

والله حكيم عليم، حكيم في خلقه وتقديره، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في ثوابه وعقابه، وأوامر الرسول ﷺ كلها حكمة ورحمة وعدل وإحسان.

وقد أمر الله عباده بالحكمة، ومراعاتها في كل شيء: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل:١٢٥].

وأرسل الله رسوله ﷺ بالحكمة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢].

فالحكيم من الخلق من عرف أقدار الناس، وأنزلهم منازلهم في جميع المعاملات، وجميع المخاطبات.

فالناس قسمان:

الأول: منهم من له حق خاص، ومكانة خاصة،كالوالدين، والأولاد، والأقارب، والجيران، والأصحاب، والعلماء، والمحسنين بحسب إحسانهم الخاص والعام، والحكام و الولاة والقضاة ونحوهم.

فهؤلاء تنزيلهم منازلهم بالقيام بحقوقهم المعروفة شرعًا وقدرًا، من البر والصلة، والإحسان والتوقير، والوفاء بالوعد، والمواساة .

فهؤلاء يميزون عن غيرهم بهذه الحقوق الخاصة، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

الثاني: من ليس لهم اختصاص بحق خاص، وإنما لهم حق الإسلام، وحق الإنسانية، فهؤلاء حقهم المشترك أن تبذل لهم الندى، وتمنع عنهم الأذى والضرر بقول أو فعل: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة:٨].

وكذا تحب لجميع المسلمين ما تحب لنفسك من الخير، وتكره لهم ما تكره لنفسك من الشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

ومن تنزيل الناس منازلهم أن تعاشر الخلق بحسب منازلهم.

فالكبير له حق التوقير والاحترام، والصغير له حق الرحمة والشفقة، والنظير له حق أن تعامله بمثل ما تحب أن تُعامَل به، وللأب حق خاص، وللأم حق خاص، وللزوجة حق خاص، وللزوج حق خاص، وللقريب حق خاص وهكذا ومن ذلك أن يتكلم الإنسان مع الملوك والكبار وأصحاب الرياسات بالكلام اللين اللطيف المناسب لمراتبهم، بالثناء عليهم بما فيهم من صفات الخير، وشكرهم على إحسانهم، وتذكيرهم بأحسن أفعالهم، وتنبيههم بما يرفع مقامهم عند الله وعند الناس، والإستغفار لهم.

قال الله عز وجل لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه:٤٣-٤٦].

وكذا الحكيم يعامل العلماء بالتوقير والإجلال، والتواضع لهم، وحسن الأدب معهم، وإظهار الحاجة لعلمهم، وكثرة الدعاء لهم، لعظيم إحسانهم إلى الأمة، خاصة عند جلوسهم لتعليم الناس، وفتواهم الخاصة والعامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ

فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

ومن الحكمة بذل ما يناسب من الدنيا، لتنشيط الكبار والصغار، والأولاد والبنات، إلى الخير، واجتناب العنف القولي والفعلي، كما فعل النبي ﷺ مع المؤلفة قلوبهم، فأعطاهم العطاء الدنيوي الكبير، ليؤلف قلوبهم على الإسلام فأسلموا: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

وكذا مخاطبة الزوجة والأولاد الصغار والكبار بالخطاب اللين اللائق بهم، الذي فيه بسطهم، وإدخال السرور عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤].

ومن تنزيل الناس منازلهم التي تصلح بها أحوال الأمة أن تُجعل الوظائف الدينية والدنيوية للأكفاء الصادقين المتميزين، الذين يَفضلون غيرهم في تلك الوظائف.

ففي ولاية الحكم يختار أهل الحل والعقد الرجل الأصلح لها وللأمة، ممن جمع بين القوة، والإيمان، والتقوى، والشجاعة، والعلم، والحلم، ومعرفة حسن التدبير والسياسة، ومن تكن له القوة الكافية لتنفيذ أحكام العدل، وردع الظَلَمة، وإيصال الحقوق إلى أهلها ونحو ذلك: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: ٢٦].

وكذا تولية القضاة، وأئمة المساجد، وقادة الجيوش، وأهل التعليم والإفتاء، ونحو ذلك من الولايات، يختار لها الأكفاء الأتقى الأعلم، ثم الأمثل فالأمثل:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨].

وهذه الولايات الكبرى والصغرى من أعظم العبادات، ومن أعظم الأمانات التي يجب أن تؤدى إلى أهلها، وأن يوظف فيها أهل الكفاءة فيها، كل في اختصاصه، حسب قدرته وعلمه.

وكذا في العطية والصدقة والهدية يعطى الفقير المتعفف الذي أصابته العيلة بعد الغنى، ما لا يعطاه الطوّاف على الناس الذي تكفيه التمرة والتمرتان.

وكذا يميَّز بين من له آثار وسوابق في نفع المسلمين، على من ليس كذلك:

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

اللهم علمنا العلم النافع، وارزقنا العمل الصالح، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، ياحي ياقيوم، ياذا الجلال والاكرام.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران:٥٣].

البصيرة الحادية والأربعون

الإحسان: أقسامه، ودرجاته، وثوابه

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: أقسام الإحسان.

الثاني: درجات الإحسان.

الثالث: دوائر الإحسان إلى الخلق.

الرابع: ميادين الإحسان.

الخامس: كيفية الإحسان.

السادس: جزاء الإحسان.

٤١ - الإحسان .. معناه، ومحاسنه، وآثاره

١ - أقسام الإحسان

الإحسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول : الإحسان في حق الله، ويكون بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهذا أعلى درجات الإحسان، وهو مقصود الرب من عبده .

الثاني : الإحسان في حق النفس، ويكون ذلك بإعطائها حظها من الدنيا، وحملها على الإيمان بالله، وطاعة الله ورسوله، وامتثال أوامر الله، وإجتناب نواهيه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثالث : الإحسان في حق الغير، من الوالدين، والأقربين، والجيران، والمؤمنين، والكفار وغيرهم .كما قال عزوجل : ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

ومن قام بواجب هذه الثلاثة اجتمع فيه الحسن والإحسان والجمال كله، وفاز بأعلى مقام، ونال أعظم الأجر والثواب : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

فالإحسان أعظم العبادات، ومجموع الدين كله في الإحسان: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

والإحسان إلى الخلق يكون بالقول والفعل والمال، وأن يعامل العبد الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به، ويؤثرهم على نفسه، ليكسب محبتهم، ورضوان ربه، وينال عظيم ثوابه: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

والإحسان بالمال بأن ينفق العبد مما أعطاه الله على الفقراء والمساكين والمحتاجين، ويقضي ديون الغارمين، ويبذل أمواله في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله، وتعليم شرع الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال عزوجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

والإحسان من أعظم العبادات التي يحبها الله، ومن أوسع أبواب الأجر والثواب، ومن أوسع دوائر العبادات، لأنه يدخل في كل عبادة قولية، أو فعلية، أو قلبية، أو أخلاقية: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والإحسان في القرآن الكريم أنواعه كثيرة:

فالأول والأعظم الإحسان في حق الرب عز وجل بتوحيده، والإيمان به، وعبادته وحده لاشريك له، ثم الإحسان إلى النفس بحملها على الإيمان بالله، وحسن عبادته، وطاعة الله ورسوله، والتحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن مساوئ الأخلاق: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

ثم الإحسان إلى الوالدين بالقول والفعل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ [الإسراء:٢٣].

ثم الإحسان إلى الزوج والأولاد بالقول والفعل، وحسن المعاشرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن:١٤].

ثم الإحسان إلى الأقارب بصلة الرحم، وبذل الندى، وكف الأذى، ثم الإحسان إلى الجيران والأصدقاء، ثم الإحسان إلى المسلمين بالقول والفعل، ثم الإحسان إلى جميع الناس، ثم الإحسان إلى الطير والحيوان، والجماد والنبات: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ على كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإِذَا ذَبَحْتُمْ فأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم (١).

فأحسن يا عبد المحسن بمالك، وأقوالك، وأفعالك، وأخلاقك كما أحسن الله إليك: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

وأحسن في بيعك وشرائك، وأحسن في منعك وعطائك، وأحسن في قضائك الدين وأدائك: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

وأعظم من أحسن في عبادة ربه، وأحسن إلى نفسه، وأحسن إلى غيره، هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأحسنهم في كل ذلك محمد ﷺ، الذي أثنى عليه ربه بحسن الخلق فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

وقال عز وجل: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

وأحسن الإحسان مع الخلق أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك: ﴿۞ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي**

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

﴿ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأحسن الناس في هذا الباب سيد الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويصدق أخباره، ويتبع أوامره، ويجتنب نواهيه، ويحلل حلاله، ويحرم حرامه .

كذّبه قومه، وسخروا منه، وقالوا عنه كذاب وساحر، ومجنون وشاعر، ومفتر وكاهن، وحاربوه في بدر وأحد وهو يحكي عن نبي من الأنبياء ضربه قومه: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» متفق عليه (١).

وقال عنه ربه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

والإحسان أنواع كثيرة، يدخل في جميع العبادات والمعاملات والمعاشرات، وفي جميع الأقوال والأفعال، والإحسان ثوابه عائدٌ على من أحسن : ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء:٧].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت:٦].

وكل إنسان في كل يوم، إما أن يكون محسنًا، أو يكون مسيئًا، وسوف يحاسب على إساءته، ويثاب على إحسانه : ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧٩٢).

فسبحان الكريم المحسن الذي فتح أبواب الإحسان لعباده، من خلال العبادات والمعاملات والمعاشرات، وأعطاهم اذا أحسنوا في ذلك أعظم الأجر والثواب: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٥-١٨].

فلا إله إلا الله ما أعظم الإحسان، وما أشد عقوبة الإساءة.

هل تقبل أيها المسلم أن تملأ صحيفتك بأنواع الإساءة والكبائر والفواحش؟.

هل يسرك أن تعرض صحيفتك عليك يوم القيامة، وهي مملوءة بما يغضب ربك من الأقوال والأعمال والأخلاق السيئة ؟.

أما تستحي من ربك أن تكون من المسيئين لا من المحسنين، ومن الفجار لا من المتقين، ومن أهل الظلم لا من أهل الإحسان، أليس ربك هو الذي خلقك في أحسن تقويم، ورزقك وهداك وسترك؟ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨].

وكل ما عملته من خير أو شر، من إحسان أو إساءة، ستراه يوم القيامة : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وسوف تجزى بما عملت : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة:٦-١١].

والإحسان له معنيان:

الأول: الإحسان بمعنى الإتقان، كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٦-٨].

الثاني: الإحسان بمعنى النفع للخلق بأنواع الإحسان.

فيجب علينا إتقان أعمالنا عند أدائها، والإحسان في حق غيرنا: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البرقة:١٩٥].

فأحسن في عبادة الله كما أحسن الله إليك بأنواع الإحسان، وأحسن إلى الخلق بنقل النفع والخير إليهم كما أنعم الله عليك، وأحسَنَ إليك : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

٢ - درجات الإحسان

الإحسان له درجات :

الأولى: الإحسان في النيات والإرادات:

فلا تنو ولاتريد إلا ما كان حسناً من الأقوال والأفعال، لتأخذ الأجر على قدر نيتك .

قال رَسُولَ اللهِّ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى.. » متفق عليه (١)

الثانية: الإحسان في الأقوال:

فلا تتكلم إلا بما أمرك الله ورسوله به، ولا تتكلم إلا لله، مستعيناً بالله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

الثالثة: الإحسان في الأفعال:

فتفعل ما تستطيع مما يحبه الله ويرضاه، وتجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه، وتقدم الأحسن على الحسن، والأجمل على الجميل : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وهذه الدرجات الثلاث تكون في الاحسان في عبادة الرب، والإحسان إلى النفس، والإحسان إلى الغير.

والإحسان في حق الرب: أن تؤدي العبادة خالصة على وجه التعظيم والحب

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

والذل لله عز وجل كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وتؤدي العبادة لربك بحسن الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

والإحسان في حق النفس: أن تحملها على طاعة الله ورسوله، وتكفها عن المعاصي، وأن تربيها على التقوى والخوف من الله عز وجل، وحسن المراقبة لله، والإكثار من ذكر الله : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

والإحسان في حق الخلق كلهم: المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، والصديق والعدو، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

فأحسن إلى نفسك وإلى غيرك، وأحسن كما أحسن الله إليك، وأحسن أقوالك وأفعالك وأخلاقك، فأنت إن أحسنت أو أسأت، أو أطعت ربك أو عصيته، أو اتقيت ربك أو فجرت، أو آمنت أو كفرت،فإن كل ما قلته أو فعلته مكشوف لربك السميع البصير: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣-١٤].

وسوف تحاسب على كل ما قلت أو فعلت : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٣- دوائر الإحسان إلى الخلق

دوائر الإحسان إلى الخلق كثيرة واسعة تدخل في كل شيء ومن ذلك:

الأولى: الإحسان في كل شيء، مع كل مخلوق، في كل حال، كما قال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

الثانية: الإحسان إلى النفس، بحملها على الإيمان وطاعة الله ورسوله، كما قال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

الثالثة: الإحسان إلى الوالدين، كما قال الله عز وجل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء:٢٣].

الرابعة: الإحسان إلى الأقارب والجيران: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧].

الخامسة: الإحسان إلى الجانب الضعيف في الأمة: كاليتامى، والفقراء، والضعفاء، والخدم، والعمال وغيرهمكما قال الله عز وجل: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦].

السادسة: الإحسان إلى غير المسلمين من الكفار والمشركينكما قال عز وجل: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة:٨].

السابعة: الإحسان إلى البهائم والحيوانات

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم [1]

الثامنة: الإحسان إلى النبات بحسن رعايته وسقيه.

التاسعة: الإحسان في المحافظة على حسن البيئة، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

فهذه بعض دوائر الإحسان مع الخلق، فأحسن كما أحسن الله إليك، والله محسنٌ يحب الإحسان والمحسنين ، شكور يحب الشاكرين ، مؤمن يحب المؤمنين : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود:١١٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥) .

٤ – ميادين الإحسان

ميادين الإحسان بين الناس كثيرة ومنها:

الأول: التعاون على البر والتقوىكما قال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

الثاني: الدعوة إلى اللهكما قال عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

الثالث: تعلّم شرع الله وتعليمهكما قال سبحانه: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

الرابع: الإحسان في العلاقات الاجتماعية كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء:٨٦].

الخامس: الإحسان في العلاقات الماليةكما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

السادس: الصبر عند المكاره والمصائبكما قال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود:١١٤-١١٥].

وقال عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

السابع: الإحسان إلى الناس كما أحسن الله إليك فتحسن إلى غيرك بأقوالك وأفعالك، وأخلاقك وأموالك: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ

نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:٧٧].

الثامن: الإحسان عند فراق الزوجة كما قال سبحانه: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾ [البقرة:٢٢٩].

التاسع: الإحسان عند المحاورة والجدل كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

العاشر: الإحسان في الخصومات كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٥-٣٦].

الحادي عشر: الإحسان عند استثمار أموال الناس كما قال عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

إلى غير ذلك من ميادين الإحسان التي فصّلها الله في القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩].

وأسعد الناس بالإحسان هم الذين أحسنوا في عبادة ربهم، وأحسنوا بأقوالهم، وأفعالهم، وأموالهم، وفي عباداتهم، ومعاملاتهم: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦].

٥ - كيفية الإحسان؟

خلق الله عز وجل هذا الإنسان في أحسن تقويم، وأمره بالإحسان، ورغبه فيه، ونهاه عن الإساءة، وحذره منها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وبحسب قوة الإيمان يكون الإحسان، وبحسب ضعف الإيمان تكون الإساءة: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والإحسان أعلى مراتب الدين، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

والإحسان يختلف بحسب من أحسنت في حقه:

فكيفية الإحسان في حق الله أن تحبه، وتؤمن به، وتوحده، وتخافه، وترجوه، وتحمده، وتشكره، وتعظمه، وتكبره، وتعبده، وتطيعه، وتخافه، وتخشاه، وترجو رحمته، وتخشى عذابه، وتدعوه، وتسأله وحده لا شريك له، وتصدق أخباره، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وتخلص جميع أعمالك له: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وكيفية الإحسان في حق النفس إعطاؤها حظوظها مما فطرها الله عليه، من حب الطعام والشراب واللباس، ونحوها من الحاجات، لتستعين بذلك على عبادة الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢].

وكذلك إلزامها بما أوجب الله عليها من الإيمان بالله، وتوحيده، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وعبادة الله بكمال الحب والتعظيم والذل له عز وجل، وحملها على الاستقامة على أوامر الله في كل حال، لتفوز برضوان الله، وتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٣].

أما كيفية الإحسان إلى كافة الخلق،فهو يختلف بحسب أجناس الخلق، ومنازلهم، ودرجاتهم، وحاجاتهم.

فالإحسان إلى الوالدين أعظم درجات الإحسان بعد الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى الوالدين يكون ببرهما، وحسن الكلام معهما، وقضاء حوائجهما، وسماع نصحهما، واللطف في معاملتهما، والإهداء لهما، وعدم الإساءة إليهما، والدعاء لهما، والإنصات لحديثهما، وبر صديقهما، وخفض الجناح لهما، وغير ذلك، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

ثم كيفية الإحسان إلى الأهل من الزوجة والأولاد والأقارب والجيران والأصدقاء والأعداء،يكون ببذل الندى، وكف الأذى، وحسن المعاشرة، وحسن المعاملة، والنصح الحسن، والمواعظ الحسنة، وإنزال الناس منازلهم، وإكرامهم بحسب منازلهم واستقامتهم، وإجابة دعوتهم، وتعزيتهم، وشهود جنائزهم، وإقالة عثراتهم، وقضاء حوائجهم بحسب الاستطاعة،وغير ذلك من أنواع الإحسان القولي والعملي والأخلاقي : ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤** ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ومن أحسن أحسن الله إليه أعظم من إحسانه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾ [يونس:٢٦].

أما كيفية الإحسان إلى من هو دونك من الخدم، والعمال، والسائقين، والرعاة ونحوهم، فيكون بالأكل معهم، وإطعامهم مما تطعم، والابتسامة لهم، وملاطفتهم، والثناء عليهم، وأداء حقوقهم، ورعاية مصالحهم، وإكرامهم بالقول والفعل والمال،وإقالة عثراتهم، والغفلة عن مساوئهم في غير معصية الله، والستر عليهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه..

قال النبي ﷺ:« الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» أخرجه أيو داود و الترمذي (١)

فإذا أحسنت إلى هؤلاء أحبوك، وسارعوا إلى قضاء حوائجك، وإذا أسأت إلى هؤلاء كرهوك، وإذا كرهوك غشوك، وأفسدوا حوائجك، وتكاسلوا عن خدمتك.

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داودبرقم (٤٩٤١)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤) .

ومن أعظم الإحسان شكر النعم.

فنشكر الله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فنشكر الله على نعمة الهداية، ونعمة العافية، ونعمة الأمن، ونعمة الطمأنينة، ونعمة رغد العيش، ونعمة الثبات على دين الله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فأحسن في عبادة الله تفوز ولا تخسر، وتنجو ولا تهلك، وتسعد ولا تشقى.

وأحسن بمالك تنفع نفسك، وتنفع غيرك، ويزيد أجرك، وأحسن بعلمك يزيد إيمانك، وتنور قلوب خلق الله، وأحسن بجاهك بالشفاعة لغيرك تنفعه، وتكسب مثل أجره: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ [النساء: ٨٥].

وأحسن بفضل قوتك الضعيف، وأحسن بخبرتك الأخرق، وأحسن بقدرتك إلى العاجز من إنسان وحيوان: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

٦ - جزاء الإحسان

جزاء الإحسان من العبد الإحسان من الرب : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠].

وجزاء الرب على الإحسان من العبد كثير وكبير وعظيم ومنه:

الأول: محبة الله للمحسنين: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

الثاني: معية الله للمحسنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨].

الثالث: السلام من الله على المحسن : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات:١٠٩-١١٠].

الرابع: إتيان العلم والحكمة جزاء على إحسانه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤].

الخامس: القول الحسن، خاصة عند الغضب والشهوة : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٥٣].

السادس : زيادة الخير والأجر لكل محسن، كما قال عز وجل : ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة:٥٨].

وقال عز وجل : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

فأحسن تجد من ربك أحسن من إحسانك : ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن:١٧].

السابع: حصول الرحمة للمحسن: كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

الثامن: دخول الجنة ورؤية الله يوم القيامة : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦].

والحسنى هي الجنة، والزيادة هي رؤية الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

إلى غير ذلك من الأجور العظيمة التي أعدها الله للمحسنين :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢].

اللهم اعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا حسن الأقوال والأعمال والأخلاق، يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

البصيرة الثانية والأربعون

حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: الحقوق والواجبات التي أكرم الله بها الإنسان.

الثاني : أنواع الحقوق التي أكرم الله بها الخلق.

الثالث: أهم الحقوق التي أعطاها الله للإنسان.

الرابع: خصائص حقوق الإنسان في الإسلام.

الخامس: جزاء من أحسن أداء الواجبات.

السادس : حكم الاعتداء على حقوق الإنسان.

السابع: عقوبة الإسلام للمعتدين.

٤٢ - حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام

١ - الحقوق والواجبات التي أكرم الله بها الإنسان

حقوق الإنسان هي كل ما أكرم الله به الإنسان مما يسعده في الدنيا والآخرة، من العطاءات، والنعم المادية، والمعنوية، والروحية،بصرف النظر عن نوعه، أوجنسه، أو أصله، أو دينه، أو وضعه الاجتماعي، أو المالي كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠ ﴾ [الإسراء:٧٠].

وقال عزوجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣].

وهذه الحقوق منحة ربانية للإنسان لمجرد كونه إنسانا، وتهدف هذه الحقوق إلى ضمان العيش الكريم الذي يريده الرحمن الرحيم لعباده، بما سخره لهم من أنواع النعم والأرزاق، كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ [لقمان:٢٠].

وكذا النعم الدينية كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣].

وتهدف كذلك إلى حماية الإنسان من كل ما يؤذيه، أو يضره، أو يهين كرامته، أو يمنعه من التمتع بحقوقه التي أكرمه الله بها : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

والفرق بين الحقوق والواجبات:

أن الحقوق هي: النعم التي يجب أن يتمتع بها كل إنسان على وجه الأرض: كالحياة، والأمن، والحرية، و كرامة العيش، والتعلم، والتعليم، والعمل، والتدين، والتملك، ونحو ذلك من الحقوق والكرامات التي خص الله بها الإنسان.

أما الواجبات: فهي ما يجب على الإنسان مقابل تلك الحقوق والنِعم، من عبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه، وطاعة الله ورسوله ﷺ، والكف عما نهى الله ورسوله عنه، من المناهي و المحرمات كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

والعاقل اذا أكرمه الله بهذه النِعم والحقوق التي أكرمه الله بها، يجب عليه أن يؤمن بربه الذي خلقه وكرمه، ويشكره على ما خصه به من أنواع التكريم والتشريف والإحسان دون غيره: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر: ٦١].

وقد أكرم الله الإنسان بذلك لأنه قبِل تحمل الامانة، وهيالدين الذي يسعده في الدنيا والآخرة، ولكن الإنسان ظلومٌ جهول؛ فمن الناس من قبِل الأمانة، وأكثرهم خان الأمانة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا

﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣].

فالواجب على الإنسان الذي أكرمه الله بتلك النعم العظيمة، وخصه بالتشريف والعقل، وغمره بالنعم التي لا تعد ولا تحصى،أن يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا، ويؤمن بالله الذي خلقه وزرقه، وهداه وكرمه، ويعبد الله وحده لا شريك له، ويشكر من أسبغ عليه النعم التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

وعلى هذا الإنسان أن يطيع الله ورسوله، ويمتثل الأوامر، ويجتنب المناهي، ويحسن الى الخلق بما يقدر عليه من أنواع الإحسان : ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق. كما قال سبحانه : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

والواجبات التي تجب على العبد مقابل هذه النعم والكرامات، والحقوق التي أعطاها الله للإنسان، ترجع إلى خمسة أصول:

الأول: عبادة الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

الثاني: الدعوة إلى الله، كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

الثالث: تعلم العلم الإلهي، كما قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الرابع: تعليم الناس أمور دينهم، كما قال سبحانه: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

الخامس: الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، حسب القدرة والاستطاعة، كما قال سبحانه: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦].

فالحقوق: كل ما منحك وأعطاك ربك، والواجبات: كل ما يجب عليك من الأقوال والأعمال والأخلاق الحسنة، كما قال سبحانه: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالحياة الدنيا خلقها الله لمعرفة الله، وأداء الحقوق والواجبات التي أمر الله ورسوله بها، والتعبد لله بفعل ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فهذه الحياة الدنيا أخذ وعطاء، فكما أن لك حقوقًا، ونعمًا من ربك، لا بد لك أن تأخذها، فكذلك عليك حقوق لا بد أن تؤديها وتقوم بها، فتؤمن بالله، وتصدق أخباره، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

فمن الواجب عليك أن تعبد الله وحده، ولكن يجب عليك أن لا تكره الناس على ذلك، ولا تصادم غيرك، بل تدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة:٢٥٦].

ومن حقك أيها العبد أن تملك سيارةً أو بيتًا، لكن لا تؤذي الناس بسيارتك، ولا تعتدي على بيوت الناس، ولا تؤذي أحداً بذلك.

ومن حقك أن تستخدم الطرق والحدائق، والأنهار، والبحار، لكن يجب عليك ألا تلوث الطرق والحدائق، والأنهار والبحار: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف:٥٦].

ومن حقك أن تفكّر وتبدع في كلامك، لكن بجب عليك ألا تجرح مشاعر الناس، ولا تؤذيهم بقولٍ أو فعلٍ، أو سبٍّ أو شتم أو إساءة، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ

أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢].

ومن حقك أيها الإنسان أن تستعمل وسائل الإعلام، لكن يجب عليك أن تنشر الخير، وما يؤلف القلوب، ولاتنشر الإشاعات والفضائح والرذائل التي تفسد وتمزق وحدة الأمة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

ومن حقك أن تستعمل الماء والغاز والكهرباء في مصالح نفسك وغيرك، لكن لاتسرف في الماء، ولاتترك النار والغاز والكهرباء تشتعل بلا فائدة، لما في ذلك من الإسراف والخطر والإضرار بك وغيرك: ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن حقك أيها الإنسان أن تنتفع بالنعم والخير الذي سخره الله لك، لكن يجب عليك أن تشكر الله على ذلك، وتستعمل ما سخره الله لك في طاعته، وتستعين به على عبادته: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ومن حقك أن تتكلم بلسانك بما تشاء، لكن يجب عليك أن تستعمله فيما يحبه الله ويرضاه، ولا تستعمله بالكذب، والغيبة والنميمة، والقيل والقال، ونشر

الإشاعات والتضليل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

فتستعمل لسانك في الأمور التي يحبها الله ورسوله، من الذكر والدعاء، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ومن حقك أن تسمع بأذنك ما تشاء، لكن يجب عليك أن تسمع بها ما ينفعك من القرآن، والذكر، والوعظ، والنصح، ولا تسمع بها الزور والباطل وما يكرهه الله ورسوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾ [الإسراء:٣٦].

ومن حقك أن ترى بعينك ما تشاء، لكن يجب عليك أن تنظر بها في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، ليزيد إيمانك، وتنظر بها إلى ما أحلّ الله لك، ولا تنظر بها إلى ما حرّم الله عليك، من النظر إلى غير المحارم، والنظر في الصور والمجلات المحرمة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣٠-٣١].

ومن حقك أن تفعل بيدك ما تشاء، لكن يجب عليك أن تستعملها في طاعة الله

ورسوله، من كتابة العلم، والتسبيح بها، وقتال الأعداء بها، ونفع الناس بها : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ولا يجوز أن تستعملها فيما حرّمه الله ورسوله، من السرقة، والغش، وكتابة الإشاعات، ونشر الباطل بين الناس: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن حقك أيها الإنسان أن تمشي برجلك إلى ما تشاء، لكن يجب عليك أن تمشي بها إلى المساجد، وصلة الرحم، وبر الوالدين، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾ [الفرقان: ٦٤].

ولا تمشِ برجليك إلى أماكن الفساد واللهو والطرب، ولا تمشِ بهما إلى مجالس الغيبة والنميمة، وتكثير سواد أهل السوء والباطل ونحو ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

فجوارح الإنسان أمانة في يده، قابلة للخير والشر، وهي أواني فارغة تملأ صحائف الإنسان بالحسنات والسيئات : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ومن حقك أيها العبد أن تستعمل مالك فيما تشاء، لكن يجب عليك أن تستعمله في إقامة دينك، وإصلاح آخرتك، وإعفاف نفسك وأهلك، وإنفاقه في

سبيل الله ونشر دينه، وإعانة الفقراء والمحتاجين : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

ولا يجوز أن تصرفه في المحرمات، وإثارة الفتن، وسفك دماء الناس، وإشاعة الباطل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ [الأنفال:٣٦-٣٧].

ومن حقك أن تستعمل أوقاتك فيما تشاء، لكن يجب عليك استعمالها في أداء فرائض الله، والإكثار من نوافل العبادات، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، وتعلّم شرع الله، وتعليم الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وقضاء حوائج الناس، والإحسان إلى الخلق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

ولا يجوز لك أن تستعمل أوقاتك فيما حرمه الله، من المعاصي والمنكرات، والفواحش، ونشر الباطل، ومحاربة الحق، وإشاعة الفتن، وبث الفرقة والاختلاف بين الناس: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة:٧٩].

فالأوقات إناء الأعمال الصالحة والسيئة، وهي أمانة عندك، وخزانة لأعمالك، فاملأها بما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

٢- أنواع الحقوق التي أكرم الله بها الخلق

الإسلام دين عظيم قائم على الحقوق والواجبات،حقوق لك، وواجبات عليك.

وأعظم الحقوق حق الله عز وجل، ويكون بعبادته وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:٣٦].

والحقوق التي تجب على العبد هي:

الأول: حقوق الله عز وجل .. ثم حقوق كتابه .. ثم حقوق رسوله .

وهذه أعظم الحقوق الشرعية.

فحقوق الله جل جلاله: أن تؤمن به، وتطيعه، وتوحده، وتذكره، وتحبه، وتشكره، وتعبده وحده لا شريك له : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وحقوق كتابه،أن تصدق أخباره، وتمثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وتحل حلاله، وتحرم حرامه، وتتخلق بأخلاقه، وتتأدب بآدابه، وتبلغه إلى الناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

أما حقوق رسوله محمد ﷺ، فهي أن تؤمن به رسولًا، وتطيعه فيما أمر، وتصدقه فيما أخبر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر، ولا تعبد الله إلا بما شرع : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف:١٥٨].

الثاني: حقوق النفس: وذلك بإعطائها حظها مما أحل الله من الطيبات، وحملها على طاعة الله ورسوله، وزجرها عما حرم الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف:٣٢].

وقال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثالث: حقوق الخلق: وأعظمها حقوق الوالدين: كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

ثم بعد ذلكحق ذوي القربى: من الزوجة والأولاد، ثم الأخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وغيرهم من ذوي الأرحام ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ٧٥﴾ [الأنفال:٧٥].

ثم حقوق الجار القريب، ثم البعيد، ثم حقوق الضعفاء من اليتامى والفقراء والمساكين، ثم حقوق المسلمين، ثم حقوق الكافرين، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦].

وقال عز وجل : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨].

وكذا حق الصديق والعدو، وحق الغني والفقير، وحق الكبير والصغير، وحق الذكر والأنثى، وحق الغريب،وحق الخائف، وحق الظالم، وحق المحسن، وحق المسيء، وغيرهم من أهل الحقوق : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) أخرجه البخاري (١)

فلله عليك أيها العبد حقوق محيطة بك، في كل حركة وسكون،وفي كل زمان ومكان، وفي كل شأن وحال،تؤديها وتقوم بها، فيأجرك الله عليها : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وأكبر حقوق الله عليك أيها الإنسان، أن تؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وتعبد الله وحده لا شريك له بموجب ذلك، وهذا الحق هوالأصل .

ومنه تتفرع جميع الحقوق مما أوجبه الله عليك لنفسك، من رأسك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك .

فجعل الله لسمعك وبصرك عليك حقًا، وجعل للسانك وعقلك عليك حقًا، وجعل ليديك ورجليك عليك حقًا،وجعل لبطنك وبدنك وراحتك عليك حقا،فأعط كل ذي حق حقه .

---

(١)أخرجه البخاري.

ثم جعل الله لوالديك عليك حقًا، ثم جعل لأهلك وزوجك وأولادك، ورحمك عليك حقًا، ثم جعل لجيرانك، وأصدقائك وأعدائك عليك حقًا، وهكذا من أنواع الحقوق التي كما تجب عليك تجب لك، وكلها عبادة لله تؤجر عليها إن أديتها، وتعاقب عليها إن منعتها .

ومنها حقوق الراعي والرعية، وحقوق القريب والبعيد، وحقوق البائع والمشتري، وحقوق المدعي والمدعَى عليه، وحقوق السائل والمسؤول، وحقوق الناصح والمنصوح، وحقوق المشير والمستشير،وحقوق الكبير والصغير،وحقوق المعلم والمتعلم،وحقوق المؤمنين والكافرين،وحقوق الأبرار والفجار،وغير ذلك من الحقوق والواجبات التي هي عبادات لله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

وكل هذه الحقوق والواجبات أمانة يجب أداؤها لأهلها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨].

ومن حقوق الإنسان العامة حق الكرامة البشرية، فإن الله خلق آدم على صورته، أسماء وصفات، وهذا تشريف له، وتكريم ممن خلقه : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين: ٤].

ومن حقوق الإنسان في الإسلام حرية السفر، والتنقل من بلد إلى بلد برًا أو بحرًا أو جوًا : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

فإن الله عز وجل خلق الأرض لجميع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠﴾ [الرحمن: ١٠].

ومن تلك الحقوق: حق الإنسان في التملك والتصرف، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩].

ومن ذلكحق الإنسان في العدل في جميع المعاملات، سواء كان مسلمًا أو كافرًا.. كما قال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

فكل ما تحت الأرض من البترول والمعادن، وكل ما فوق الأرض من الخيرات والزروع، والنبات والثمار، والحيوان والطير، والسهول والجبال، والأشجار والمعادن وغيرها، كل ذلك لكل إنسان منه حظ سواء كان مسلمًا أو كافرًا، ذكرًا كان أو أنثى، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩].

وقد نهى الله عز وجل عن الإعتداء بكل صوره، فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠].

وقد جعل رسول الله ﷺ حرمة الاعتداء على الأموال، كحرمة الاعتداء على الأنفس،فقال في حجة الوداع: «.فإِنَّ دِماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ وأَعْراضَكُمْ علَيْكُم حَرامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا،..» متفق عليه [1].

فكل أحد من مسلم وكافر، يتصرف في ماله الخاص كيف شاء، إلا فيما يضره، أو يضر غيره، أو يضر ماله، منعاً للفساد والضرر، فلا ضرر ولا ضرار.

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٤٤٠٦)، وأخرجه مسلم برقم (١٦٧٩).

وأما المال العامكالبترول والمعادن، والسهول والجبال، فلا يتصرف فيها أحد إلا بإذن الإمام، لأنها حق عام للناس جميعًا، لا يتصرف فيها أحد إلا بإذن الإمام منعًا للفساد : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

ولو ترك الناس يتصرفون في هذه الأموال العامة، لتقاتلوا عليها، وأكل القوي مال الضعيف، ولحصلت فتنة بين الناس تصعب معها الحياة .

ومن حقوق الإنسان في الإسلامتوفير الأمن له، ليعيش بأمن وطمأنينة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

لهذا من حقه أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ليحافظ على هذا الأمن .

وكذا من حقوقه توفير الطعام والشراب له : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش:١-٤].

وجزاء من وفر للبشرية الأمن والطعام والشراب، أن يُعبد وحده لا شريك له، وأن يشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن أعظم حقوق الإنسان في الإسلامأن يبين له الدين الحق، الذي يسعده في الدنيا والآخرة، ويرغب فيه، وأن يعتنق دين ربه الذي أكمله وأتمه وأنزله لسعادة البشرية، كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

ومن حق الطفل على أبويه أن يعلمانه الدين الحق، و يرغبوه فيه، ليعيش عيشة صالحة آمنة، يسعد بها في الدنيا والآخرة.

ومن الحقوق الخاصة للإنسان على غيره،ما بينه النبي ﷺ بقوله: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».أخرجه مسلم[1].

وغير ذلك من الحقوق التي تشمل الإنسان مهما كان نوعه، أو جنسه، أو مرتبته، أو لونه، أو لغته، أو حالته : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩].

أما حقوق الإنسان بعد موته،فيجب على المسلمين تغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، والاستغفار له،ويشرع للمسلمين تعزية أهله، وإدخال السرور عليهم.

ويجب على ذويه تنفيذ وصيته، وقضاء دينه، والإحسان إليه بما ينفعه.

قال النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له» أخرجه مسلم[2].

وكذلك الكافر يجب مواراته في التراب إذا مات، ولا يجوز التمثيل بجثته في الحرب وغيرها، إكرامًا لما خلق الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٦٢).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٦٣) .

٣- أهم الحقوق التي أعطاها الله للإنسان

الإسلام هو دين الرحمة والحكمة، ودين العدل والإحسان، الدين الذي كفل لكل إنسان آمن به السعادة في الدنيا والآخرة.

فكل إنسان له حقوق، وعليه حقوق، وأعظم هذه الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان هي:

الأول: حق الحياة: فالله خلق الإنسان لعبادته وإعمار الأرض التي يسكن فيها، ليحقق حكمة الاستخلاف في الأرض.

وحق الحياة من أعظم الحقوق التي كفلها الإسلام لكل إنسان، فأوجب عليه ما يكفل حياته وبقاءه، من الأكل من الطيبات، واجتناب الخبائث والمحرمات التي تفسد حياته، وحرم قتله بغير حق، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال النبي ﷺ: «سبابُ المسلمِ فسوقٌ وقتالهُ كفرٌ» متفق عليه [١]

وحرم سبحانه قتل الأطفال والأجنة، فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء: ٣١].

الثاني: حق الكرامة: فقد خلق الله هذا الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وكرمه بأنواع التكريم، فيجب المحافظة على كرامته: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨)، وأخرجه مسلم برقم (٦٤).

وهناك حقوق تحفظ للإنسان كرامته ومن ذلك:

النهي عن سب المسلم، والسخرية منه، فيجب احترام وإكرام الإنسان الذي خلقه الله بيده،ونفخ فيه من روحه،وأسجد له ملائكته، وجعله خليفةً في الأرض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات:١١].

الثالث: حق الحرية: حرية الرأي، وحرية الفكر، فالله عز وجل هو الملك، الذي بيده الملك كله، وجميع المخاليق عبيده، وهو خالقهم ورازقهم، وقد خلقهم أحرارًا فيما يقولون ويفعلون، فلا يجوز لأحد إكراههم على شيء لا يحبونه، ولا منعهم من شيء يحبونه قال سبحانه : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال عز وجل : ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس:٩٩].

الرابع:حق التدين: فنبين للناس الحق، ونرغّب فيه، ونبين الباطل، ونحذر منه، ولا نكره أحدًا على ما لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يقبله : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وقال عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩].

الخامس: حق التعلم والتعليم: فلكل إنسان حق التعلم والتعليم، ذكرًا كان أو أنثى، مؤمنًا أو كافرًا، غنياً أو فقيراً كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وبالتعلم والتعليم نرفع الجهل عن أنفسنا، وعن غيرنا، ونعرف مصالحنا من ديننا ودنيانا : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١].

السادس: حق الإنسان في معرفة الحق سبحانه، ومعرفة الدين الحق، والعمل بالحق،فلا يجوز لأحد أن يحول بين الناس وبين معرفة الحق، وعبادة الحق : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

السابع: حق التملك والتصرف: كما قال سبحانه : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩].

وقال عز وجل : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥].

فمن حق كل إنسان أن يملك ما شاء من الأموال والأشياء، سواء كان رجلًا أو إمرأة، لأن الله هو الذي خلقنا، واستخلفنا في الأرض، لنعمرها بما يحقق مصالحنا في الدنيا والآخرة : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢].

الثامن:حق العمل والكسب:فمن حق كل إنسان رجلًا كان أو إمرأةً، مؤمنًا أو كافرًا، أن يطلب رزقه، ويكسب معاشه، ليستعين به على عبادة ربه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة:٩-١٠].

٤ - خصائص حقوق الإنسان في الإسلام

الحقوق والواجبات في الإسلام كلها عبادة لله عز وجل،فمن قام بأدائها امتثالاً للأوامر، واجتنابًا للنواهي، أجر عليها، ومن ضيعها عوقب عليها، سواء كانت في حق الله، أو في حق خلقه؛ فالدين كله مجموع في أمرين:

الأول: عبادة الحق.. والثاني: الإحسان للخلق، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

ولا ينجو ولا يفوز الإنسان إلا بالقيام بحق هذا، وحق هذا : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢].

ومن خصائص حقوق الإنسان في الإسلام ما يلي :

الأولى:أن هذه الحقوق هي شريعة الله للبشرية، فمن أداها أخذ أجرها، ومن منعها عوقب على تركها : ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤].

الثانية:أن هذه الحقوق كلها منحة ربانية، مبنية على العدالة، والتعاون على البر والتقوى، وإسعاد الإنسان في حياته، وبعد موته : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

الثالثة: أن هذه الحقوق شريعةٌ إلهيةٌ ثابتة، لا تقبل الإلغاء، أو التبديل، أو التعطيل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الرابعة: أن هذه الحقوق مقيدة لا مطلقة، فلها حدود وقيود، تتحقق بها المصالح، وتُدرأ بها المفاسد: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق: ١].

الخامسة: أن هذه الحقوق ملزمة وواجبة على كل إنسان، لأنها فريضة من فرائض الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

السادسة: أن هذه الحقوق والواجبات التي هي الدين كله، يجب العمل بها، ونشرها، والدفاع عنها، لأنها تحقق للأمة كل خير، وتمنع عنهم كل شر: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال النبي ﷺ: «مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ» أخرجه مسلم (١).

السابعة: أن هذه الحقوق عالمية، فلا يلزم بها أحد دون أحد، ولا يحرم منها أحد دون أحد، لأنها شريعة الله لعباده، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الثامنة: أن هذه الحقوق مقررة بالوحي الإلهي من القرآن والسنة، ولا دخل لأحد في تقريرها، أو تعديلها، أو تحريفها: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩).

﴿إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف:٤٠].

التاسعة: أن هذه الحقوق شاملة لكل أنواع الحقوق الإنسانية،عامة في كل فرد، وفي كل جنس : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

وأسس حقوق الإنسان، وما يجب على الإنسان، وما ينبغي للإنسان، الذي وضعها هو الرب الذي خلق الانسان، لأنه الأعلم بما يصلحه ويسعده في الدنيا والآخرة : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩].

فهذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بأنواع الكرامات، لأنه يريده خليفة في الأرض، خلقه الله في أحسن تقويم، لم يجعله كالبهائم التي تعيش من أجل ملذاتها وشهواتها، كما هو حال الكفار : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد:١٢].

وقد أكد الإسلام حقوق الإنسان قبل ولادته، وأثناء حياته، وبعد موته، فأمر الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة التي تحفظ حقوق زوجها، وتربي أولادها على التوحيد والإيمان والاستقامة.

قال النبي ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لمِالِها، ولحِسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ» متفق عليه (١)

والإسلام يأمر بالعناية بالحمل، ويمنع إجهاض الحمل، ويعتبر ذلك جناية كبيرة على مخلوق لا يستطيع الدفاع عن نفسه. كما قال سبحانه : ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٠)، وأخرجه مسلم برقم (١٤٦٦).

جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨-٩].

ويوجب الإسلام على الزوج النفقة على أم الحمل ورعايتها، وكذا يجعل للحمل حقًا في الميراث، وحقًا في التملك، فاذا ولد الإنسان فله حقوق بأصل الإنسانية، من حق الحياة، وحق الحرية، وحق التفكير، وحق التدين، وحرية العمل، وحرية العيش الكريم، سواءً كان رجلًا أو امرأةً، كبيرًا أو صغيرًا، كما قال سبحانه : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

والله عز وجل هو الذي خلق الإنسان،وهو الذي جعل له حقوقًا تناسب مقامه: كأب أو أم، أو ابن أو بنت، أو أخ أو أخت، أو عم أو خال، أو كبير أو صغير، أو غني أو فقير، أو عاقل أو مجنون، أو حاكم أو محكوم، أو مطلق أو سجين، أو سليم أو أصم، أو أبكم أو أعمى أو يتيم، أو عالم أو متعلم،سواء كان مسلمًا او كافرًا، فكل صنف من الناس له حقوق مختصة به، وعليه واجبات حسب حاله.

أما حقوق الإنسان بعد موته، فيجب على المسلمينتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، والاستغفار له، ويشرع للمسلمين تعزية أهله، وإدخال السرور عليهم، ويجب على ذويه تنفيذ وصيته، وقضاء دينه، والإحسان إليه بما ينفعه : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

وكذلك الكافر تجب مواراته في التراب إذا مات، ولا يجوز التمثيل بجثته في الحروب وغيرها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

٥ - جزاء من أحسن أداء الواجبات

جزاء الإحسان من العبد بتصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي،الإحسان من الرب بأنواع الإحسان: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠].

وجزاء الرب على الإحسان من العبد كثير، ومنه:

الأول: محبة الله للمحسنين. كما قال سبحانه : ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

الثاني: معية الله للمحسن. كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨].

الثالث: السلام من الله على المحسن، كما قال سبحانه : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات:١٠٩-١١٠].

الرابع: إتيان العلم والحكمة جزاء على إحسانه، كما قال سبحانه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤].

الخامس: القول الحسن خاصة عند الغضب والشهوة : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣].

السادس: زيادة الخير والأجر لكل محسن،كما قال سبحانه : ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة:٥٨].

وقال عز وجل : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

فأحسن أيها العبد تجد من ربك أحسن منه : ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن:١٧].

السابع: حصول الرحمة للمحسن: كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف:٥٦].

الثامن: دخول الجنة، ورؤية الله يوم القيامة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس:٢٦].

والحسنى هي الجنة، والزيادة رؤية الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

التاسع: رضوان الله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

العاشر: الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

الحادي عشر: السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

الثاني عشر: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

فهؤلاء المحسنين في أعلى الدرجات عند الله يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ [الأنفال:٤].

٦- حكم الاعتداء على حقوق الإنسان

كل إنسان له حق الحياة، وحق الحرية، وحق التدين، وحق الكرامة، وحق الكسب، وحق التعليم، وحق التملك وحق الأمن،وغيرها من الحقوق التي أكرم الله بها الإنسانكما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ [الإسراء:٧٠].

ويحرم على كل أحد من فرد أو دولة انتهاك هذه الحقوق التي منحها الله الذي خلق الإنسان، سواء كان مسلمًا أو كافرًا، رجلاً كان أو امراةً، كبيرًا كان أو صغيرًا،ومن فعل ذلك فهو ظالم ومعتد وجانٍ على غيره : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة:٢٢٩].

ومن انواع انتهاك حقوق الإنسان،الاعتداء على حياة الناس، وسفك دماء الناس بغير حق، وانتهاك الأعراض، والاعتداء على أموال الناس بغير حق، وحرق مزارعهم، وتدمير بيوتهم ومحلاتهم، وأكل أموال اليتامى، ومنع الناس حقوقهم، وترويج ما يضرهم من المسكرات والمخدرات، ومنعهم من اختيار الدين الحق، وسجن أفرادهم بغير حق، وتعذيب المتهمين قبل محاكماتهم، وتركهم في السجون مدة بلا محاكمة، ومنعهم الطعام والشراب والنوم مدة طويلة، ومنعهم من الراحة والفرش، وسجنهم في أماكن ضيقة تضرهم وتؤلمهم.

ومن أنواع انتهاك حقوق الإنسانالتعذيب بالجوع، والماء الحار، وتسليط الكهرباء على أجسادهم، وخلع أظافرهم، وكيّهم بالنار، وكشف عوراتهم، وانتهاك أعراضهم، وإهانتهم بالقول والفعل، واستعمال العنف معهم، وإعدام

الكثير منهم بغير حق، واغتصاب النساء، وترويعهن بأطفالهن، و نحو ذلك.
ومن انتهاك حقوق الإنسانالإبادات الوحشية للناس أثناء الحروب، وقصف القرى والمدن بالقنابل والصواريخ التي تدمر البيوت والمساكن، ومن فيها من الرجال والنساء والأطفال، وتهلك الحرث والنسل.
ومن الاعتداء على حقوق الإنساناستعمار الدول القوية للدول الضعيفة، وإبادة علمائها، ونهب ثرواتها، وامتصاص خيراتها، وإفساد شبابها وبناتها، وأخذهم عبيدًا يخدمون المستعمرين فيما يريدون.
وأعظم من اعتدى على حقوق الإنسان، وزين لهم ترك الحق، والعمل بالباطل: هو إبليس وجنوده، فهو الذي أفسد دين الخلق، فزين لهم الشرك والمعاصي، والفواحش والكبائر، وأخرج كثيرًا منهم من النور إلأى الظلمات: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].
وزين لهم فعل المحرمات، وترك المباحات والطاعات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩].
وقد جاء إبليس إلى بني آدم من جميع الجهات، يزين لهم الكفر والشرك بالله، والتكذيب بالآخرة، ويضلهم عن الحق.. كما قال سبحانه عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧].
وزين لهم الشيطان الكذب والحسد والظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل أموال اليتامى ظلمًا، وزين لهم الزنا، وزين لهم العدوان، وسفك الدماء،

والاشتغال بالدنيا عن الآخرة، كما قال سبحانه عن إبليس : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء:١١٨-١٢١].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

وقد خلق الله العزيز الحكيم بني آدم مختارين، وابتلاهم بمخلوقَين اثنين:

أحدهما: الملائكة، ليقتدوا بهم في طاعة الله وعبادته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

والثاني: الشيطان وجنوده، ليحذروهم، ولا يقلدوهم في كفرهم وأعمالهم.

فمنهم من اتبع الأنبياء والملائكة، وأكثرهم كفر بالله وأطاع الشيطان : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

و قال عز وجل : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

وحكمة الابتلاء: أن يعلم الله من يطيعه، ومن يطيع عدوه : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وأعظم من اعتدى على حقوق الله، وحقوق الناس من البشر ،هو الطاغية فرعون الذي اعتدى على حق الربوبية، فقال للناس : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات:٢٤].

واعتدى على حق الألوهية، فقال للناس : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

واعتدى على حقوق الناس بالظلم و العدوان، وسفك الدماء كما قال الله عنه : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٤﴾ [القصص:٤].

فلما كفر فرعون بربه وإلهه، وأذى خلقه وعباده، انتقم الله منه ومن جنوده كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ٥٦﴾ [الزخرف:٥٥-٥٦].

وكل من تشبه بإبليس وفرعون في اعتقاده وصفاته وأفعاله،فهو ممن ظلم نفسه، واعتدى على حقوق عباده التي أعطاهم الله إياها : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ [البقرة:١٧٥].

٧- عقوبات الإسلام للمعتدين

تنقسم عقوبات الإسلام على الجرائم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: عقوبة جريمة قتل النفس، وجرح البدن، وقطع الأطراف، وفي عمد هذه الجرائم القصاص،وهو أن يُفعل بالجاني مثل ما فعل، وإن عفا المجني عليه عن الجاني فأجره إلى الله، وإن كان القتل خطأ،ففيه الدية والكفارة : ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة:١٧٩].

وقال عز وجل : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥].

الثاني: عقوبة جرائم الحدود: وهي جرائم الزنا، والقذف، والسرقة، والبغي، وقطاع الطريق ونحوها.

والحد عقوبة مقدرة شرعًا وجبت لحق الله تعالى، صيانة للمجتمعكحد الزنا، والسرقة، وقطع الطريق، ونحوها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة:٣٨].

الثالث: عقوبة جرائم التعزير:

وهي كل جناية ليس فيها حد شرعيكالخلوة بالمرأة الأجنبية، والاختلاس، والغش، ونحو ذلككشرب الخمر، وتناول المخدرات، وغيرها

والتعذير: تأديب على معاصٍ لم يقدر لها الشرع عقوبة معينة، فيقدرها القاضي على حجم ما يتناسب مع حجم الجريمة، منجلد، أو سجن، أو قتل أو نحو ذلك، حسب حجم الجريمة وضررها.

وقد شرع الله هذه العقوبات رحمة لعباده، وتحقيقًا للأمن والطمأنينة، وتحقيقًا للمصلحة، ودرءًا للمفسدة.

والشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصالح، ودرء المفاسد، في الدنيا والآخرة وهي عدل الله في أرضه، ورحمة الله بين عباده: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا هداة مهتدين، وتقبل منا أقوالنا وأعمالنا، واجعلها خالصًا لوجهك الكريم.

بصائر الإسلام الكبرى

الباب السادس

ويشتمل هذا الباب على البصائر الآتية :

٤٣ – حسن الظن .. معناه ،وأقسامه ،وثمراته.

٤٤ – النية.. معناها، وأحكامها، وأقسامها(١).

٤٥ – النية.. فضائلها، وإخلاصها، ودرجاتها، وثمراتها(٢).

٤٦ – الاستقامة.. معناها، وأحكامها، وثمراتها.

٤٧ – التوبة.. أحكامها، ومراتبها، وثمراتها .

٤٨ – أركان الإيمان: الإيمان بالله عز وجل.

٤٩ – أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

٥٠ – أركان الإيمان : الإيمان بالقدر.

٥١ – الصبر..أحكامه، وأنواعه، وثوابه.

البصيرة الثالثة والأربعون

حسن الظن .. معناه ،وأقسامه ،وثمراته

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: معنى حسن الظن بالله عز وجل.

الثاني: فقه حسن الظن بالله عز وجل.

الثالث:مراتب حسن الظن بالله عز وجل.

الرابع: الأسباب المعينة على حسن الظن.

الخامس: أقسام حسن الظن.

السادس: أقسام سوء الظن بين الناس.

السابع: آفات سوء الظن بالناس.

الثامن: أسباب سوء الظن بين الناس.

التاسع: ثمرات حسن الظن.

٤٣ – حسن الظن .. معناه ،وأقسامه ،وثمراته

١ – معنى حسن الظن بالله عز وجل

حسن الظن بالله عز وجل، أن يتيقن العبد أن الله على كل شيء قدير، وأن العبد إذا عمل عملًا صالحًا أن الله سيقبل منه، وإذا سأل ربه أن الله سوف يعطيه، وإذا دعا ربه أن الله سيجيبه، وأنه إذا استغفر ربه أن الله سيغفر له ذنبه، وأنه إذا تاب تاب الله عليه، وأنه إذا أحدث الله في الكون المصائب، فهي لحكم عظيمة، وهي مصالح للخلق، وأن ما أنزل الله من الشريعة فهو خير ومصلحة للعباد، ويتيقن أن الله وحده أهل الثناء والمجد والحمد، وأن الله بيده وحده مقاليد الأمور كلها : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

حسن الظن بالله عز وجل،أن توقن يقينًا جازمًا أن الله وحده بيده ملكوت كل شيء، وأنه قادر على كل شيء : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فبيده وحده الخلق والأمر ، وبيده وحده القوت والإمداد ، وبيده وحده التوفيق والسداد، وبيده وحده الهداية والإسعاد، وبيده وحده تأثير الأسباب : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

فلو علم العبد عظمة عناية الله به، وعظمة رحمته له، لذاب قلبه حبًا لله، وحياءً منه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر:٢٢].

حسن الظن بالله عز وج أن تعلم أن ما أقامك الله فيه من عمل ديني أو دنيويقد قسمه الله لك، فيجب أن ترضى به، وتحمد الله عليه : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

حسن الظن بالله عز وجل،أن تعلم أن الله لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع : ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

فإذا أعطى الله عبده ما يحب فبكرمه، وإن منعه ما يحب فلمصلحته ليتوب إلى ربه، ويتوسل إليه بمحابه، ويتذلل بين يديه بعبادته، ويعطي فقره إليه حقه، فيكون بذلك أحب إلى الله مما قبل ذلك، كما قال سبحانه : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

حسن الظن بالله عز وجل،أن تتيقن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما بك من نعمة وعافية وراحة فمن فضل ربك عليك، وأن ما أصابك من شقاء أو مرض أو خسارة فهو الذي تستحقه، بل تستحق أكثر منه، ولكن الله خففه عنك برحمته : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

حسن الظن بالله عز وجل،أن تعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه فعّال لما يريد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، وأنه أرحم بخلقه من أنفسهم : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

٢ – فقه حسن الظن بالله عز وجل

كل من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أحسن الظن به، وتعلق به وحده دون سواه، وكلما جهل العبد بربه وأسمائه وصفاته وأفعاله، أساء الظن به، والتفت إلى غيره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وحسن الظن بالله عز وجلمنهج حياة، يبدأ بحسن الظن بالله، وينتهي بحسن الظن بالناس، وإذا ابتدأ العبد بسوء الظن بالله، انتهى بسوء الظن بالناس، فصارت حياته كلها ظلمات: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم سادة الناس، وقدوتهم في حسن الظن بالله عز وجل، لكمال معرفتهم بربهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

فلا يمكن أبدًا لمن عرف الله أن يسيء الظن به، بل كلما زادت على العبد الكرب، واشتدت المصائب، كلما زاد حسن ظنه بربه، وزاد تعلقه به، وفزعه إليه، ثم الله ينصره على من عاداه، ويخذل من آذاه، كما قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠].

فعامل الله إبراهيم ﷺ بحسن ظنه بربه، وجعل النار بردًا وسلامًا عليه فورًا، وموسى ﷺ عندما لحق به فرعون وجنوده، وأصبح محاطاً بين جبلين، وبين فرعون وجنوده من الخلف، والبحر وأمواجه من الأمام، عامله الله بحسن ظنه

بربه، فأنجاه الله ومن معه، وأغرق فرعون وجنوده، بأمر واحد، في بحر واحد، وفي وقت واحد، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ [الشعراء:٦١-٦٦].

فالأنبياء والرسل أعظم الناس معرفة بالله، ولهذا حَسُن ظنهم بالله عز وجل،فإذا دعوا ربهم أجابهم فوراً، كما قال الله عن أيوب صلى الله عليه وسلم: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

وقال عز وجل عن يونس ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال الله عز وجل عن زكريا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

ومحمد ﷺ أعظم مَن أحسن الظن بربه عز وجل، فحين وصل المشركون إلى فم الغار في مكة، وكادوا أن يدخلوه، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ،وقد امتلأ قلبه

بحسن ظنه بربه: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين ثالثهما الله.» متفق عليه [(١)]

فبقدر قوة اليقين تحصل النصرة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

فلا نخاف أبدًا والله معنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي كل موقف، وفي كل حال عصيبة، كان ﷺ يزرع في قلوب الناس حسن الظن بالله عز وجل، لأن كثيرًا من الناس عند الشدائد والمحن يسوء ظنه بربه عز وجل، وينحرف منهجه في الحياة بسوء ظنه بالله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

ومن أساء الظن بربه لم يؤمن به، ولم يعبده، ولم يطعه، فخسر الدنيا والآخرة: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣].

ظنهم أن الله لا ينصر دينه، ولا ينصر رسله، ولا ينصر أولياءه، ولا يدافع عن دينه، هذا الظن السيء بربهم أرداهم، فخسروا دنياهم وأخراه، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٢-١٣].

هذا الظن السيء هو الذي منع الكفار والمشركين من الإيمان بالله ورسوله،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٨١).

ومن الاتصال به، ومن عبادة الله وحده، ومن التوكل عليه، ولذلك اتخذوا الأصنام وعبدوها من دون الله، ولو عرفوا الله لآمنوا به، ولم يلتفتوا لأحد سواه.

حسن الظن بالله عز وجليثمر سؤال العبد ربه كل ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وكلما أحسنا الظن بالله عز وجلأجاب دعاءنا، ويسر أمورنا، وقضى حوائجنا، وغفر ذنوبنا كما قال سبحانه في الحديث القدسي: « أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتاني يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه [١].

وقال النبي ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم[٢].

فأشغل حياتك كلها بحسن الظن بالله عز وجل، خاصة عند الموت، وغلِّب الخوف، على الرجاء ما دمت حيًا، أما عند المرض أو الموت: فغلِّب الرجاء على الخوف. وأحسن العمل، فإن العبد يبعث على ما مات عليه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

ومفتاح حسن الظن بالله عز وجل،أن تعلم أن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى،وأنه قوي قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويدبر الأمر: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وحسن الظن بالله عز وجل حقيقة يرزقها الله من شاء من عباده، ويكرم بها من يشكر الله عليها : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام:٥٣].

فمفتاح العبودية الأعظم، وأساسها المتين، هو حسن الظن بالله عز وجل، وأن تعلم أن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

فتتعلق به وحده، ولا تلتفت لأحد سواه : ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

حسن الظن بالله،أن تعلم أن الله يحبك، وأنه لا يريد أن يعذبك أو يشقيك،بل يريد أن يرحمك ويعافيك : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

حسن الظن بالله عز وجل،أن تعلم يقينًا أن ما أصابك الله عز وجل به كله خير لك، سواء أحببته أو كرهته، سواء كان نعمة أو عقوبة : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

وحسن الظن بالله عز وجل هو الأصل الذي يقوم عليه الدين كله.

فمن عرف الله حقًا آمن به حقًا، وأحبه حقًا، وكبره حقًا، وعبده حقًا، وأطاعه حقًا، فنال ثوابه حقًا : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وحسن الظن بالله عز وجل من صفات المؤمنين، و هو واجب على كل مسلم ومسلمة، لأنه روح العبودية، وسوء الظن بالله عز وجل من صفات الكفار والمشركين والمنافقين، وسوء الظن بالله يجلب على الإنسان دائرة السوء، فيخسر دنياه وآخرته، كما قال سبحانه : ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٥-٦].

وسوء الظن بالله عز وجليجعل العبد يعرض عن ربه، وينصت لعدوه الشيطان، فيطيعه في كل محرم، وفي فعل كل شر، وفي الإساءة إلى نفسه وإلى غيره : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١١٩-١٢١].

وحسن الظن بالله عز وجليجعل العبد يؤمن به، ويتوكل عليه، ويصدق أخباره، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، ويصدق بوعده ووعيده : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

٣- مراتب حسن الظن بالله عز وجل

حسن الظن بالله عز وجل له ثلاث مراتب:

الأولى: ظن مسلم يمتثل أمر الله، ويجتنب نهيه، ويقف عند حدوده، ويرجو ثوابه، ويخاف عقابه، وهو يظن باللهأنه سيقبل عمله، ويرحمه، وهذا ظن محمود.

فهذه المرتبة هي أعلى مراتب حسن الظن بالله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثانية: ظن مسلم يمتثل أمر ربه، ويجتنب نهيه، ويقف عند حدوده، لكنه يضعف أحيانًا، ويفرط أحيانًا، ويقصر أحيانًا، ويقع في المعصية أحيانًا، فيندم ويبكي، ويتوب إلى ربه مما حصل منه، وهو يظن أن الله سيقبل توبته، ولن يخذله أو يرده؛ وهذا ظن محمود أيضًا، لكنه دون المرتبة الأولى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

الثالثة: ظن امرئٍ لا يمتثل أمر الله، ولا يجتنب نهيه، ولا يقف عند حدوده... ومع ذلك يظن أن الله سوف يدخله الجنة.

وهذا ظن مذموم،لأنه لو أحسن الظن بربه لأطاعه، وامتثل أمره، وأحسن العمل له: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:٢٧].

٤ - الأسباب المعينة على حسن الظن

أهم الأسباب المعينة على حسن الظن ما يلي:

الأول:تقوية الإيمان بالله عز وجل، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكمال رحمته وحكمته وقدرته وإحاطته، أحسن الظن بربه، وتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، وأحسن الظن بخلقه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثاني: دعاء الله عز وجل، والابتهال إليهأن يرزقه القلب السليم، الذي يرضى بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والرضا بحكمه، وحسن الظن بربه، وحسن الظن بخلقه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣﴾ [آل عمران:٧٣].

وقال الله عز وجل: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

الثالث: إجراء الأحكام على الناس على ظواهرهم، ويوكل أمر السرائر إلى الله عز وجل، واجتناب الحكم على النيات والضمائر،لتسلم القلوب، وتستقيم الأمور.

الرابع: التماس المؤمن الأعذار لإخوانه المؤمنين، فإذا بلغك عن أخيك شيء لا ترضاه منه، فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا، فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه؛ فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

الخامس:اتهام النفس بأنها قصرت في حق الله، وحق الناس، فعوقبت بما تكره، لتعود إلى ربها : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠].

السادس:حسن الاقتداء بالأنبياء والرسل

خاصةً نبينا محمدﷺ وأصحابه وأتباعهم من السلف الصالح، في حسن ظنهم بربهم، وحسن ظن بعضهم ببعض، وحسن تعاملهم مع الإشاعات والأكاذيب، وحسن محافظتهم على تقوية أواصر المحبة والمودة والأخوة : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال عز وجل : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

السابع: تربية الأطفال الصغار منذُ نعومة أظفارهم على حسن الظن بكل أحد، حتى يصبح حسن الظن سجية للطفل، يحبها ولا يتركها أبدًا. ويعيش طول حياته بهذه الصفة الطيبة، فيكسب محبة ربه له، ومودة الناس له.

الثامن:أن ينزل الإنسان نفسه منزلة غيره، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيحسن الظن بغيره. كما قال سبحانه في قصة الإفك : ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور:١٢].

وقال عز وجل : ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾ [النور:١٧].

التاسع: تطهير القلب من الصفات السيئة،من الغل والكذب، والحقد والحسد، وسوء الظن، وغيرها من أمراض القلوب.

وتزكية القلب بالأخلاق الحسنة،من الإيمان والصدق، وحسن الظن بالناس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

العاشر: حمل كلام الناس على أحسن محامله من الخير، وعدم حمله على ما يسلب المحبة، ويمزق الوحدة، ويقطع الصلة، ويمزق الأخوة.

الحادي عشر: أن يستحضر العبد الآثار الطيبة التي تنتج عن حسن الظن بالله وبخلقه، ويستحضر الآفات السيئة التي تنتج عن سوء الظن،ثم يختار الذي هو خير له ولغيره.

الثاني عشر: البعد عن كل من اتصف بالصفات السيئة، ممن لا يتورعون عن إلقاء التهم على عباد الله جزافًا بلا تثبت ولا تبين.

فأسوأ الناس حالاً من لا يثق بأحدٍ، لسوء ظنه، ولا يثق به أحد، لسوء عمله.

الثالث عشر: قراءة القرآن وتدبره، للاطلاع على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، التي أثمرها حسن الظن بالله عز وجل، وحسن الظن بالخلق: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

٥ - أقسام حسن الظن

لحسن الظن صور كثيرة أهمها :

الأول: حسن الظن بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وحسن الظن بقضائه وقدره، وحسن الظن بوعده ووعيده، وحسن الظن بدينه وشرعه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن:١٣].

وقال النبي ﷺ:«لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَل» أخرجه مسلم [١]

وحسن الظن بالله مؤنس للعبد في حياته، ومنجٍ له بعد مماته، وكلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، شرح الله صدره لكل خير، وأجاب دعاءه، ولم يخيب أمله : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الثاني: حسن الظن بالناس جميعًا،فمن أحسن ظنه بالناس، حسنت علاقته بهم، وتنوع إحسانه اليهم، بالدعوة الى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والنصيحة لهم : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة:٧١].

الثالث:حسن الظن بين الحاكم ورعيته، والمعلم وطلابه، والمدير وموظفيه، والقائد وجنوده، ليتم التعاون على الخير بين الجميع : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧) .

وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

فلا يتم الأمن، ولاتتحقق الطمأنينة، ولا ينتظم أمر الناس،إلا بحسن العلاقة بين جميع الأفراد .

وحسن الظن يؤلف القلوب، ويجمع الأمة على الخير، وسوء الظن يولد العداوة والبغضاء، ويفرق الأمة : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال النبي ﷺ:«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، ولا تناجشوا وَلَا تحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».متفق عليه(١).

الرابع: حسن الظن بين الإخوان والأصدقاء، فحسن الظن واجب بين الإخوان والأصدقاء،وإذا حصل شيء يكدر الخاطر من أحدهمالتمِسْ له العذر، فإذا لم تتحمل ما سمعت من قول أو فعل جارح،فاذهب إلى أخيك، وصارحه بالأمر، وبين له ما سمعت عنه، فان كان أخطأ فبادر بنصحه، وتصحيح خطئه، وان كان غير ذلك، أزال صاحبك ما في قلبك من لبس، وبين لك حقيقة الأمر، فتطيب نفسك بذلك : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢].

الخامس: حسن الظن بين الزوجين،فحسن الظن بين الزوجين من أعظم دعائم استقرار الحياة الزوجية، وبعدم حسن الظن بين الزوجين تصبح البيوت مهددة بالانهيار، والخصام، والمشاكل، والفرقة : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

وقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن:١٤].

فيجب على الزوجين أن يتعاونا على البر والتقوى، ولا يتركا للشيطان مجالا للتلاعب بهما، وإفساد حياتهما، وقذف الشكوك التي تفسد حياتهما.

السادس: حسن الظن بين الجيران، والجيران ثلاثة:

الاول: الجار المسلم القريب؛ وهذا له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة.

الثاني: الجار المسلم؛ فهذا له حقان: حق الإسلام، حق الجوار.

الثالث: الجار الكافر؛ فهذا له حق الجوار ،ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

قال النبي ﷺ: «مَا زَالَ جبرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» متفق عليه [1]

وقال النبي ﷺ: «والذي نَفْسِي بيدِهِ، لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حتَّى يحِبَّ لجارِهِ (أَوْ قالَ: لأَخِيهِ) ما يحُِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه [2]

هذا في الجار المسلم القريب والبعيد .

وأما الجار الكافر، فقال سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

٦ – أقسام سوء الظن بين الناس

سوء الظن بين الناس ينقسم الى قسمين:

أحدهما: ظن منهي عنه، وهو سوء الظن بالمسلمين كافة، فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يشتمه، ولا يحقره، والمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، فمن أحسن الظن بأخيه أحسن العلاقة معه، ومن أساء الظن بأخيه قطع العلاقة معه، وأساء اليه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

الثاني: ظن مستحب، عند قيام سببه، فالذي يُستحب من سوء الظن، كأن يكون بينك وبين أحد عداوة أو شحناء في دينٍ او دنيا، فتخاف على نفسك من مكره، فحينئذ يلزمك سوء الظن به، خشية مكره وكيده بك، كي لا يصادف منك غرة أو غفلة، فيحصل لك منه الهلاك أو الضرر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: ١٠٢].

٧- آفات سوء الظن بالناس

سوء الظن من أعظم الذنوب التي تفسد العلاقة بين الناس، وتمزق وحدة الأمة، وتجعلها فرقاً وجماعات يأكل بعضها بعضًا.

وسوء الظن يفتح الأبواب لعدو الأمة، أن يقضي على ما تبقى من دينها ووحدتها وأخلاقها: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

وآفات سوء الظنِ ومفاسده كثيرة، يجمعها خمسة أمورٍ هي:

الأول: أن سوء الظن بين الناس، يسبب فساد الأفراد، والأسر، والأمة.

فكم قُتلت بسبب سوء الظن من نفوس، وكم طُلقت بسببه من زوجات، وكم فشلت بسببه من تجارات، وكم ضيعت بسببه من أمانات، وكم أكِلت بسببه من حقوق، وكم شرد بسببه من زوجات وأولاد، وكم وقعت بسببه من خصومات، وكم أُزهقت بسببه من أرواح، وكم عصي بسببه الملك العلام، وكم قطعت بسببه الأرحام، وكم أفسد العلاقة بين العلماء، والعبّاد، والدعاة، والتجار، والآباء، والأمهات، والأولاد، والجيران، والأصدقاء.

فلله ما أعظم ما أفسد سوء الظن بين الناس، وأشعل النار في الأخضر واليابس، وقضى على كل أخوة ومحبة، وأمن وطمأنينة.

قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ» متفق عليه (١)

الثاني: أن سوء الظن يولد التحسس، ثم التجسس، ثم الغيبة، والنميمة، ثم السب، والشتم، ثم التقاطع، والتدابر، ثم التباغض والتقاتل، وهذا كله شر قد

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣)، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

نهى الله عنه بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات:١٢].

وقال النبي ﷺ:«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تحَسَّسُوا وَلَا تجَسَّسُوا وَلَا تحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» متفق عليه [١]

الثالث: أن سوء الظن يدفع الإنسان إلى السخرية والاستهزاء بالناس، والتنابز بالألقاب فيما بينهم، وكل ذلك حذر الله منه بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات:١١].

الرابع: أن سوء الظن أصل الشرور كلها، وهي التي يجر بها الشيطان الناس إلى النار : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء:٣٨].

وقال النبي ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ: لا يَظلِمُه، وَلا يحَقِرُهُ، وَلا يخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ بِحسْبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يحَقِر أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ» متفق عليه [٢]

الخامس: أن سوء الظن يحرم المسلم من كسب الحسنات مع الناس: بقطع صلة الرحم، وترك الدعوةِ إلى الله، وترك تعليم شرع الله، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك الإحسان، والنصح للمسلمين، وكل ذلك أمر الله به بقوله : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣)، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٤)، ومسلم برقم (٢٥٦٤).

ﭐلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لمَنْ؟ قَالَ للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [1]

السادس: أن سوء الظن بين الناس يقطع العلاقة بينهم، لعدم المحبة بينهم، وعدم الثقة بينهم، وبذلك ينقطعون عن فعل الخيرات بينهم، ويعيشون أعداء، لا ينفعون ولا ينتفعون: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

فهذه أكثر من عشرين آفة، يولدها سؤ الظن، أجملناها في ستة أمور .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

٨- أسباب سوء الظن بين الناس

لأسباب سوء الظن بين الناس أسبابٌ كثيره أهمها:

الاول: العيش منذ الصغر على استعمال سوء الظن في الحياة، وتغليب جانب الاتهام على حسن الظن.

الثاني: أن يعيش الإنسان في أسرة أو مجتمع يغلب عليه سوء الظن بكل أحد، وانتشار الشكوك بين أفراده.

الثالث: الجهل بقيمة حسن الظن، وأثار هذه الصفة الطيبة على الفرد والأسرة والمجتمع.

الرابع: الجهلُ بمحاسن هذا الدين العظيم، والبعدُ عن تعاليمه الداعية إلى حسن الظن، وحسن الخلق.

الخامس: الجهل بأجور حسن الظن، وعقوبة سوء الظن.

السادس: الغلُ والحقد والحسد وغيرها من الصفات السيئة التي تدعو إلى سوء الظن بين الناس، وتمني الشر لهم، والفرح بمصائبهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

السابع: هجر مجالس الأخيار التي تُحيا بالذكر والوعظِ والتذكير بالله عز وجل، ولزوم مجالس الأشرار التي تمتلئ بالغيبة والنميمة، والسب والشتم، ومصاحبة قرناء السوء، فقرناء السوء داء الأخلاق الطيبة، فمن عاشرهم أورثوه كل قولٍ أو فعلٍ أو خلقٍ سيء، لأن الصاحب ساحب إلى خيرٍ أو شر: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ

﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام:٦٨].

وأخطر شيء على العبد اتباع الهوى، وطاعةُ الشيطان، ومعصيةُ الرحمن: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء:٣٨].

وقال الله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص:٥٠].

الثامن: ضعف الإيمان المؤدي إلى اتهام القدر الإلهي في العطاء والمنع، والشك في قسمة الله للأرزاق بين الناس، ورؤية الناس أعداء من كانوا وحيث كانوا: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص:٢٧].

٩ - ثمرات حسن الظن

الأول: ثمرات حسن الظن بالله عز وجل:

الأولى: أن العبد يطمئن إلى ربه، فيؤمن به، ويحبه، ويعبده وحده لا شريك له، ويظن به ما يليق بجلاله وعظمته، وما تقتضيه أسماؤهُ الحسنى، وصفاتهُ العلا،من العدل والإحسان، والرحمةِ والحكمةِ ، والعفوِ والحلم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

وحسن الظن بالله،ألا ترجو إلا اياه، ولا تخاف إلا من ذنبك.

الثانية: حسن الظن بالله عند الموت، فمن أحسن ظنه بربه في حياته، أكرمه الله بحسن ظنه بربه عند موته.

قال النبي ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم[١].

الثالثة:الاجتهاد في طاعة الله، فمن حسن ظنه بربه أحبه، ورغب إليه، وتقرب إليه بكل ما يحبه الله ويرضاه كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء:٩٠].

الرابعة: راحة القلب، فمن أحسن ظنه بربه أحبه، واطمأن قلبه بذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

الخامسة: أن من أحسن الظن بالله أعطاه ربه ما سأله، ولم يخيب رجاءه، لأن الله وحده بيده الخير كله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ

---

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

﴿مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران:٢٦].

السادسة: أن من أحسن الظن بالله قوي قلبه على العمل الصالح، لأنه سبحانه القوي ذو القوة المتين، الذي وهب القوة لكل قوي: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وقال عز وجل في الحديث القدسي:(أنا عند ظنِّ عبدِي بِي ، وأنا مَعَه إذا ذكَرَني) متفق عليه [1]

السابعة: أن حسن الظن بالله يذيب مرارة المصائب، ويزيل آلامها، ويخفف من أوجاعها، لأن من آمن بأن الله بيده ملكوت كل شيء فزع الى ربه في كشفها: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل:٦٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشرح:٦].

الثامنة: أن حسن الظن بالله يثمر الفأل الحسن في كل الأمور

قال ﷺ: «ادعُوا اللهَ وأنتم مُوقِنُون بالإجابةِ» أخرجه الترمذي [2]

التاسعة: أن حسن الظن بالله عز وجل يثمر توجه العبد إلى ربه سؤالا، أو دعاءً، أو استغفارًا، أو حمدًا، وعدم الالتفات إلى أحد سواه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩) .

وقال عز وجل : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

العاشرة: أن حسن الظن بالله عز وجل يجعلك تلتمس الرحمة والمغفرة من الله وحده، وتطلب الشفاء من الله وحده، وترجو كشف الكروب من الله وحده : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الحادية عشرة: أن حسن الظن بالله عز وجل، يجعل بين العبد وربه أحسن علاقة، فيطلب منه حوائجه، ويستغفره من ذنوبه، ويحمده على نعمه، ويحبه ويكبره ويعبده، ويطيعه في كل أمر ونهي، فيكرمه ربه بالثواب العظيم، ويزيده من فضله العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

الثانية عشرة: أن من أحسنَ الظن بالله أثمر له ذلك الرجاء لثوابه، والخوف من عقابه، والعمل بموجب شرعه،وهذه من أعظم الثمرات، كما قال الله عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثاني: ثمرات حسن الظن بالناس

الأولى: حسن الظن بالناس علامة على كمال الإيمان في قلب المؤمن، وأنه يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فلا يظن بالمؤمنين إلا خيرًا، كما قال سبحانه : ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا

﴿جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [النور:١٢-١٣].

الثانية: حسن الظن بالمؤمنين، والناس عامة، سبب لإغلاق أبواب الشر والخلاف، وقطع دابر الفتن والمشاكل بين الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:١٢-١٣].

الثالثة: أن حسن الظن بين الناس يثمر التعاون على البر والتقوى، والمحبة بين الناس: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١].

ويثمر دخول الجنة، وحصول الرضوان من رب العالمين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

الرابعة: أن حسن الظن بالناس يفتح للعبد أبواب الخير كلها، من الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، والتعاون على البر والتقوى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقال عز وجل: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

الخامسة: أن حسن الظن بالناس يثمر حب الإحسان إلى الناس بالقول والفعل: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

السادسة: أن حسن الظن بالناس يثمر تأليف القلوب، وجمعها على الحق، والعيش في أمن وسلام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

السابعة: حسن الظن يثمر للعبد حسن التعامل مع الناس، وحسن التعامل يثمر الحب بين الناس، لأن النفوس مفطورة على حب الإحسان، وحب من أحسن إليها: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثامنة: حسن الظن حصنٌ يمنع من ظهور الفتن والفواحش، وانتهاك أعراض الناس، واستباحة حقوقهم ودمائهم وأموالهم: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

اللهم ياحي ياقيوم، يا من بيده ملكوت كل شيء ارزقنا كمال الإيمان، وكمال التقوى، وحسن الظن بك، وحسن العمل بشرعك، وارضنا وارضَ عنا يا ذا الجلال والاكرام.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

البصيرة الرابعة والأربعون

النية.. معناها، وأحكامها، وأقسامها(١)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه النية.

الثاني: منزلة النية.

الثالث: حكمة مشروعية النية

الرابع: وقت النية.

الخامس: شروط النية.

السادس: أقسام النية.

السابع: حكم الجهل بالنية.

الثامن: أحوال قلب النية.

التاسع: مبطلات النية.

٤٤- النية.. معناها، وأحكامها، وأقسامها(١)

١- فقه النية

النية سر العبودية،ومنزلتها من الأعمال بمنزلة الروح من البدن، فكل عمل لا نية فيه لا قيمة له، كما أن كل بدن لا روح فيه فهو ميت: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

والنية هي استحضار نية الدخول في العمل، وإخلاصه له وحده، فإن كانت النية صالحة، فالعمل صالح، وإن كانت النية فاسدة، فالعمل فاسد.

فمدار الأعمال كلها على النية: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾[البينة:٥].

وقال النبي ﷺ:(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) متفق عليه (١)

والنية المشروعة هي إخلاص العمل الصالح لله وحده لا شريك له،والعمل المقبول عند الله ما كان خالصا لله عز وجل، موافقا لسنة رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف:١١٠].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤)، وأخرجه مسلم برقم(١٩٠٧).

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

والنية عمل بين العبد وربه، لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا غيره من الخلق، وهي من أعمال القلوب التي لا يعلمها إلا علام الغيوب : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

والنية لغة: القصد، والعزم، والإرادة.

والنية شرعًا: عزم القلب على فعل العبادة المشروعة تقربا إلى الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وحكم النية أنها ركن في كل عمل يتقرب به العبد إلى ربه، سواء كان فرضا أو نفلاً : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وكلما استحضر الإنسان نية العمل، ونية المعمول له، خشع القلب لربه العظيم، وأخلص في توحيده، وأحسن العبادة لله ربه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والنية مشتقة من النوى، والنوى محله الجوف، كنوى التمر والزيتون .

فالنية محلها القلب، وهي عقد القلب على فعل شيء، وإذا أُخرجت لا تسمى نية، وإظهارها خلاف أصلها ومعناها.

ومن جهر بها فقد ابتدع، فليس للإنسان أن يجهر بالنية ويخرجها من محلها، فيقول مثلا: اللهم إني نويت أن أصلي الظهر أربعا، أو يقول: اللهم إني نويت أن أصوم شهر رمضان... وهكذا

والجهر بالنية لم يفعله النبي ﷺ، ولا أحد من الصحابة أو التابعين : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

وقال النبي ﷺ: (مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ) أخرجه مسلم (١)

ومع الإخلاص ينفع قليل العمل وكثيره، ومع فقد الإخلاص لا ينفع قليل العمل ولا كثيره، كما قال الله تعالى عن المشركين : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

والإخلاص هو خلوص العمل من جميع الشوائب التي تكدر صفوه، حتى يكون أهلا لقبول الله له : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر:٢-٣].

وأكمل النيات ما توفر فيه ثلاثة أمور:

الأول: نية العبادة لله من وضوء أو صلاة أو غيرهما مما ورد به الشرع ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

الثاني: نية أن تكون العبادة خالصة لله وحده : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) .

الثالث: نية أن يقوم بها العبد امتثالا لأمر الله بتلك العبادة : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

والنية تقع على معنيين:

أحدهما: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صوم رمضان من صيام غيره، أو تمييز العادات عن العبادات، وتمييز غسل الجنابة عن غسل التبرد والنظافة.... وهكذا.

وقال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)).متفق عليه [١].

الثاني: تمييز المقصود بالعمل، هل هو الله وحده، أم غيره، أم الله وغيره: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

وعن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال : (إِنَّكَ لنْ تُنفِقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلَّا أُثِبْتَ عليها، حتَّى اللُّقمةَ تَضَعُهَا في فِي امرأتِكَ) أخرجه البخاري [٢]

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٥٦).

٢ - منزلة النية

إخلاص الأعمال لله وحده هو حقيقه الدين، وروح الدين، وأصل الدين، كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

والإخلاص سبب لعظمة الجزاء مع قلة العمل، والرياء سبب لحبوط العمل مع كثرته : ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان:٢٣].

وقال عز وجل : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

وقال النبي ﷺ:(إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها ، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها ، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ ، قالَ: كَذَبْتَ ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ ، فقَدْ قيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النارِ.) أخرجه مسلم (١).

والنية محلها القلب، ولا يجوز التلفظ بها، لأنها من أعمال القلب لا من أعمال اللسان.

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

والنية أصل في كل عبادة، فلا عبادة بلا نية،
والنية عزم القلب على فعل طاعة تقرباً إلى الله عز وجل، سواءً كانت فريضة أو نافلة .

والنية أصلٌ في جميع الأعمال، فعليها يثاب المسلم، وعليها يعاقب، وبها تقبل الأعمال، وبها ترد : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال رسول الله ﷺ: (إنَّ اللهَّ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ.) أخرجه مسلم (١)

وقد حذر النبي ﷺ من أن تكون النية في الأعمال لغير الله، لما يترتب على ذلك من بطلان الأعمال وفسادها : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

وقال النبي ﷺ: (إنَّ أخْوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغَرُ. قالوا: وما الشِّركُ الأصغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ) أخرجه أحمد (٢)

وقال النبي ﷺ:(إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) متفق عليه (٣)

وقد يؤجر المؤمن على النية الصادقة دون أن يعمل، إذا كان معذوراً .

قال النبي ﷺ:(إنَّ بالمدينةِ أقوامًا ما قطعنَا واديًا، ولا وطئنا موطئًا يغيظُ الكفارَ ولا أنفقنا نفقةً، ولا أصابَتنا مخمصةٌ إلا شاركونا في ذلك ، وهم بالمدينة ، فقيل

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٦٣٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، وأخرجه مسلم برقم (١٥٩٩).

له كيف ذلك يارسول الله؟ فقال حبسهم العذر ، فشاركونا بحسن النية) متفق عليه [1]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه،أنَّ رَسولَ اللهَّ ﷺرَجَعَ مِن غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنا مِنَ المَدِينَةِ، فقالَ: إنَّ بالمَدِينَةِ أقْوامًا، ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلَّا كانُوا معكُمْ، قالوا: يا رَسولَ اللهِّ، وهُمْ بالمَدِينَةِ؟ قالَ: وهُمْ بالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ.) متفق عليه [2]

والنية نوعان:

فالنية الصالحة محركة لجميع الأعمال الصالحة، والنية السيئة محركة لجميع الأعمال السيئة : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وكل عملٍ لابد أن تسبقه النية، فمن كان يريد بعمله الدنيا من منصب، أو شهرة، أو مال، أخذ أجر عمله ممن عمل لهم من الناس، وليس له حظٌ في الآخرة : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء:١٨].

وقال عز وجل : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠].

ومن أراد بعمله وجه الله، والدار الآخرة، أخذ أجره من ربه : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩١).

مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء:١٨-٢١].

فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا للدنيا او للدين : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف:٧].

وقال عز وجل : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [النساء:١٣٤].

والنية عمل قلبي لا يراه ولا يعلمه إلا الله وحده، وبحسب النية يكون الثواب أوالعقاب: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) متفق عليه [١]

والنية هي الحد الفاصل بين العمل الخالص لوجه الله عز وجل، وبين العمل الذي يقصد به غير الله عز وجل : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر:٣].

وقال ﷺ عن ربه عز وجل: (أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه غيري تركتُهُ وشِركَهُ) أخرجه مسلم [٢]

والعبادة نوعان:

عبادة القلب:وهي الإخلاص لله عز وجل، والحب له، والتعظيم له، والذل له، والخشية له، والخوف منه، والرجاء له، والتوكل عليه، والاستعانة به، والتسليم لامره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢].

وعبادة الجوارح:وهي امتثال أمر الله على ما جاء به رسول الله ﷺ في كل عبادة: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

وعبادة القلب النية الحسنة، ومعصية القلب النية السيئة .

والله سبحانه قد كتب الحسنات والسيئات .

قال النبي ﷺ:(إنَّ اللهَّ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهَّ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهَّ له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهَّ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهَّ له سَيِّئَةً واحِدَةً) متفق عليه (١)

ونصيب العامل من عمله نيته من خيرٍ أو شر، فقد تكون صورة العمل واحدة، ويختلف صلاحه وفساده بحسب النية، كالهجرة أوالصلاة أو الزكاة أو القتال .

قال النبيﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)).متفق عليه (٢).

وسئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه، من في سبيل الله؟ فقالَ: (مَن قاتَلَ ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهَّ هي العُلْيَا ، فَهو في سَبيلِ اللهَّ) متفق عليه (٣)

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٤٩١) ، وأخرجه مسلم برقم (١٣١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٢٣) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٤).

٣- حكمة مشروعية النية

حكمة مشروعية النية،تمييز العبادات عن العادات، وتمييز ما كان لله سبحانه وتعالى عما كان لغيره، وتمييز العبادات بعضها عن بعض .

فهذه فريضة وهذه نافلة، وهذه صلاة، وهذا صيام، وتمييز مراتب العبادات في أنفسها .

والنية الكاملة ما اشتملت على ثلاثة أمور:

إخلاص العمل لله وحده : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

ونية العمل الذي يراد عمله :

قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) متفق عليه (١).

ونية التقرب إلى الله به، كما قال عز وجل : ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾ [الإنسان:٩].

وقال عز وجل : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ [الليل:١٧-٢١].

وقال عز وجل : ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء:١١٤].

والنية أصل شجرة العبودية، وركن كل عمل صالح، ومفتاح كل عبادة قولية أوفعلية. تؤتي أكلها كل حين، كلما كثرت وكبرت وتكررت : ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم:٣٠].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

٤ - وقت النية

وقت النية قبل الدخول في العبادة فينوي العبد فعل الوضوء قبل الوضوء، وينوي فعل الصلاة قبل الصلاة، وينوي الصوم قبل طلوع الفجر، وهكذا في سائر العبادات، لأن كل عمل لا بد أن تسبقه نيته.

قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) متفق عليه [١].

والنية تكون لبداية العمل ونهايته، فنية الصلاة حتى نهايتها، ونية صوم رمضان إلى نهايته، ونية الحج إلى نهايته، ونية العمرة إلى نهايتها، ونية التهجد إلى نهايته، ونية الاعتكاف إلى نهايته،.... وهكذا، لأن كل عبادة تقوم على أصلين:

نية العبادة من صلاة أو صوم أو حج،وتلك عبادة القلب،وفعل العبادة بالجوارح،وتلك عبادة الجوارح : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وأطول نية في العبادات نية الحج : ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة:١٩٧].

ثم نية صوم رمضان،فإنه شهر واحد: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ثم بقية العبادات من وضوء، وغسل، وصلاة، وزكاة... وغيرها .

قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) متفق عليه [٢].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

٥ - شروط النية

للنية الصحيحة خمسة شروط:

الأول: العلم بالشيء المنوي، فما لم نعلمه لا يمكن أن نقصده ونعمله.

الثاني: الجزم بالنية، وعدم التردد فيها، فكل عمل بلا نية جازمة لا يصح .

الثالث: العقل، فلا نية لمجنون، ولا صغير، ولا سكران، ولا معتوه .

الرابع: التمييز، فالصبي غير المميز لا تصح منه النية .

الخامس: أن يقصد بالعمل التقرب إلى الله عز وجل وحده: فمن نوى غير الله بعبادته بطلت عبادته : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٤-٦٦].

ولابد في النية من أربعة أمور:

الأول: عدم معارضة النية لمقصد الشرع، فمن قتل أحدا ليرثه عوقب بنقيض قصده، وحرم من ميراثه.

الثاني: عدم الإتيان بما ينافيها، حتى يفرغ من العمل الذي نواه.

الثالث: أن تكون النية مقارنة للعمل المنوي، أو متقدمة عليه بشيء يسير كالوضوء، والصلاة، والصوم، ونحو ذلك .

الرابع: عدم قطع النية أثناء العبادة، حتى يفرغ منها،من صلاة، أو صوم ونحوهما : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

٦ - أقسام النية

تنقسم النية إلى قسمين :

نية العمل .. ونية المعمول له .

فنية العمل: أن ننوي الوضوء أو الغسل أو الصلاة أو الصوم أو غيرها ، وهذه سهلة لكن لابد منها في كل عمل.

ونية المعمول له: أن يقصد العبد بعمله الصالح وجه الله وحده.

وهذه تحتاج معالجة ومجاهدة ومصابرة، لأن الشيطان يريد حظه من هذا العمل، والنفس تريد حظها، والله لا يقبل العمل الصالح إلا إذا كان خالصا له وحده لا شريك له: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ونية العمل: يتكلم عنها الفقهاء لأنها حكم شرعي، وهي شرط لصحة كل عمل يتقرب به العبد إلى ربه .

قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) متفق عليه (١).

ونية المعمول له: يتكلم عنها علماء الاعتقاد، وهي أعظم من نية العمل، لكن لابد منهما معاً، لأن الله لا يقبل العمل وإن كان صالحًا إلا إذا كان خالصا لله عز وجل : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾[الزمر: ٢-٣].

وقالَ الله تَبارَكَ وتَعالَى في الحديث القدسي : (أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ.) أخرجه مسلم (٢)

وحظ الشيطان من صرف القلب عن نية المعمول له، أعظم من حظه من صرف

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

القلب عن نية العمل، لعلمه أن فقدان نية العمل يوجب بطلان العمل فقط، وفقدان نية المعمول له وهو الله يوجب الوقوع في الشرك، وبطلان العمل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٤-٦٦].

والنية باعتبار صلاحها وفسادها أربعة أنواع:

الأول: أن تجتمع النية الصالحة، مع العمل الصالح، كمن صلى ركعتين لله، مخلصا فيها لله عز وجل، متابعًا لما جاء به النبي ﷺ في صلاته.

وهؤلاء هم صفوة الخلق، الذين يقبل الله عملهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثاني: أن توجد النية الصالحة، ولا يوجد العمل الصالح.

فهؤلاء أهل البدع، قد تكون لهم نية صالحة، لكن عملهم غير صالح، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ.

قال النبي ﷺ: (من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منْهُ فَهوَ ردٌّ) متفق عليه (١)

الثالث: أن يوجد العمل الصالح، ولا توجد النية الصالحة، كمن يصلي صلاة صحيحة، لكنه لا يريد بها وجه الله.

فهذا عمله باطل، لأنه مشركٌ بالله، وما قبله مبتدع: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

الرابع: أن لا توجد النية الصالحة، ولا العمل الصالح، كالمرائين من أهل البدع في بدعهم القلبية والقولية والعملية: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

فهذا فعله بدعة، وهو غير مخلص عمله لله، فلم تسلم له النية، ولم يسلم له العمل: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

وقال الله عزوجل : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

قال عز وجل : ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

والنية تنقسم إلى قسمين :

الأول: نية فعلية موجودة، وهي النية التي يأتي بها المسلم في أول كل عبادة، من وضوء، أو صلاة، أو صيام، ونحوها، وهي من أعمال القلوب، فإذا اتصف العبد بها كانت فعلية .

الثاني : نية حكمية، وهي أن العبد إذا نوى شيئا من صلاة أو صيام ثم ذهل عنه، فإن نيته مستمرة إلى أن يفرغ من تلك العبادة.

والناس في النيات على أقسام:

فمنهم من يكون عمله للطاعة لباعث الخوف من الله، ومنهم من يكون عمله للطاعة إجابة لباعث الرجاء، ومنهم من يكون عمله للطاعة أرفع من ذلك،وهو

أن يعمل الطاعات على نية إجلال الله، واستحقاقه للعبودية والتعظيم والحب والشكر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

وهذه أعز النيات، فالله أهل أن يعبد، وأهل أن يكبر، وأهل أن يحمد، ولو لم يكن عنده ثواب أو عقاب، وقليل من الناس من يفهم هذا، فضلا أن يعمل به: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وقال الله عزوجل: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالعمل بغير نية تعب وعناء، والنية بغير إخلاص لله أذية وخسارة، والإخلاص من غير تحقيقٍ هباء: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال عزوجل: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

٧- حكم الجهر بالنية

النية محلها القلب، فلا يشرع التلفظ بها، والجهر بها بدعة: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات:١٦].

فالأعمال لها ظاهر وباطن، فالظاهر من صلاة، أوصدقة، أو صوم، وغيرها، يعلمها الناس، أما الباطن فلا يعلمه إلا الله وحده.

النية محلها القلب، ومن جهر بها فقد أخرجها من محلها، وابتدع بدعة لم يفعلها النبي ﷺ، ولم يأمر بالجهر بها، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة، ولا من بعدهم: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور:٦٣].

ولقد أكمل الله دينه، اعتقاداً، وأقوالاً، وأعمالاً، و أخلاقاً: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[المائدة:٣].

ومن جهر بالنية في أي عبادة من وضوء أوصلاة أو صيام أو غيرها، فهو إما أن يُعلم ربه بذلك وذلك جهل، أو يعلم من حوله فذلك رياء، أو يعلم نفسه فذلك جنون.

والله سبحانه خلق الإنسان، ويعلم وحده بما في نفسه: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣-١٤].

فلا داعي لإعلام الله بما يعلم: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات:١٦].

وكذا لا حاجة لإعلام الناس، وكذا لا حاجة لإعلام النفس بما ستفعل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

والنية محلها القلب، فإذا ظهرت لا تسمى نية. ولهذا النية عبادة لا يعلمها إلا الله وحده، لأنه لا يعلم بما في القلب إلا من خلق القلب .

فلا يجوز التلفظ بالنية، ولا يشرع، ولا يستحب، لأن ذلك زيادة في الشرع .

قال الرسول ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه [1].

والنطق بالنية نقص في العقل والدين :

أما في الدين،فالتلفظ بالنية بدعة لم يفعلها النبي ﷺ، ولا أحد من أصحابه.

وأما في العقل،فلأن النية محلها القلب، فمتى علم العبد ما يفعل فقد نواه.

فالجهر بالنية في أي عبادة، وتكرار ذلك،كل ذلك بدعة مردودة على من فعلها .

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم [2].

فليتقِ العبد ربه، ولا يعبد الله إلا بما جاء عن الله ورسوله ﷺ قولا أو فعلا أو تركا : ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

فلا يجوز للمسلم أن يقول بلسانه: نويت أن أصلي الظهر أربعا، أو يقول نويت أن أصوم غدا، ونحو ذلك، لأن النية محلها القلب، والجهر بها إخراج لها من محلها إلى الجهر بها، وذلك بدعة : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم [3].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) .

٨- أحوال قلب النية

قلب النية له أحوال:

الأول: من دخل في الصلاة مأموما، ثم أحدث الإمام وانصرف وقدمه ليكون إماما، فهذا يجب عليه قلب المأموم نيته من مأموم إلى إمام .

ثانيًا: من دخل في صلاة الفريضة منفردًا، ثم دخل أخر و صف معه، فهذا يقلب نيته من منفرد إلى نية إمام .

ثالثًا: من دخل مع إمام، له أن يقلب نيته إلى الائتمام بإمام أخر، كما لو أحدث الإمام ثم استخلف غيره ليتم الصلاة فيقلب نيته إلى الائتمام بالإمام الثاني .

رابعًا: من دخل مع الإمام في الصلاة، فله أن يقلب نيته إلى منفرد لعذر، ثم يكمل صلاته و يسلم .

خامسًا: يجوز قلب النية من الفرض إلى النفل، فمن دخل في الصلاة منفرداً ، ثم علم بجماعة في المسجد، فله أن يتمها نافلة، ثم يدخل معهم.

ولا يجوز قلب النية من النفل إلى الفرض، ولا يجوز قلب النية من الفرض إلى الفرض، فمن نوى صلاة العصر، ثم تذكر في الصلاة أنه لم يصلِ الظهر، استمر على نيته، ثم صلى الظهر بعدها، ويسقط الترتيب بالنسيان .

سادسًا: تجوز صلاة المتنفل خلف المفترض، وتجوز صلاة المفترض خلف المتنفل، لأن معاذاً رضي الله عنه كان يصلي مع النبي ﷺ العشاء، ثم يذهب إلى قومه فيصلي بهم العشاء، فهي لهم فريضة، وله نافلة.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » متفق عليه [١].

سابعًا: يجوز قلب نية المفرد إلى متمتع أو قارن، ويجوز قلب نية القارن الذي لم يسُق الهدي إلى متمتع، فإن ساق القارن الهدي فليس له أن يقلب نيته.

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

٩ - مبطلات الأعمال الصالحة

مبطلات الأعمال الصالحة كثيرة ومنها:

الأول: الشرك بالله، والشرك محبط لجميع الأعمال الصالحة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

الثاني: الرياء، وهو مبطل للعمل الذي قارنه، وليس مبطلاً لجميع الأعمال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال الله عزوجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون:٤-٧].

الثالث: المن والأذى كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة:٢٦٢].

الرابع: التألي على الله، كمن يقول: والله لا يغفر الله لفلان، فيقول الله: قد غفرت له، وأحبطت عملك .

عَنْ جُنْدَبٍ بن عبدالله البَجَلي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهَّ لا يَغْفِرُ اللهَّ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللهَّ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أخرجه مسلم (١)

الخامس: قطع النية، فالمصلي أو الصائم ،إذا نوى قطع الصلاة بطلت، وإذا نوى الصائم قطع الصيام بطل الصوم، لأن كل عبادة مركبة من ركنين، النية

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١).

والعمل، فإذا زالت النية بطل العمل.
السادس :التردد في النية، فالمصلي إذا دخل في الصلاة لا يدري أهي صلاة الظهر أو العصر، لا تصح صلاته، لأن نيته لم تقع على عبادة معينة .
والصائم إذا صام ولايدري هل دخل رمضان أم لا، لم يصح صومه لرمضان، لأن النية هي عقد العزم على فعل طاعة مخصوصة وقصدها.
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه [1].
اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا .
اللهم اعطنا ولا تحرمنا ، وزِدْنَا ولا تَنْقُصْنَا ، وأكرمنا ولا تُهِنَّا .
﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

البصيرة الخامسة والأربعون

النية.. فضائلها، وإخلاصها، ودرجاتها، وثمراتها(٢)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأوَّل: فقه البصَر والبصيرة.

الثَّاني: فضائل النِّيَّة الصَّالحة.

الثَّالث: كثرة الأجور بتعدُّد النِّيَّات.

الرَّابع: علامات إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ.

الخامس: درجات إخلاص النِّيَّة.

السَّادس: ثمرات إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ.

٤٥ - النية.. فضائلها، وإخلاصها، ودرجاتها، وثمراتها(٢)

١ - فقه البصَر والبصيرة

خلَقَ الله عزَّ وجلَّ بني آدم لعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وخلَقَ الله في كلِّ إنسانٍ بصرًا في العين، وبصيرةً في القلب: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك:٢٣].

فالبصر يُريك ظواهر الأشياء مِن سماءٍ وأرضٍ، وجمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ.

والبصيرة تُريك حقائقَ الأشياء، وبواطنَ الأسرار، وعواقب الأمور، فكلُّ مؤمنٍ يملك البصَر والبصيرة، ولهذا آمِن بالله من خلال معرفة آياته ومخلوقاته، وعرف ببصيرته أنَّ لهذا المُلْكِ مالكًا، ولهذا الخلْقِ خالقًا.

وكلُّ إنسانٍ يملك بصرًا يرى به الأشياء، ولكن قد لا يملك بصيرةً يرى بها حقائقَ الأشياء، كما قال الله عزَّ وجلَّ عن الكفَّار: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦].

والفرق بين البصَر والبصيرة:

أنَّ البصيرةَ محلُّها القلب، والبصر محلُّه العين، والبصر والبصيرة كلاهما مِن نِعَم الله على العبد، وشتَّان بينهما.

بالبصر نميِّزُ بين الألوان والأحجام، بين البَرِّ والبحر، ونعرف الكبير من الصَّغير، و نعرف الإنسان من الحيوان.

وبالبصيرة نعرف الخالِق من المخلوق، ونعرف الحقَّ من الباطل، والخيرَ مِن الشَّرِّ، وأخطر شيءٍ أن يتأثَّر الإنسان بظواهر الأشياء ولا يعرف حقائقها، كما

قال الله عن الكفَّار : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٧].

والإنسان كلَّما هبط مستواه اعتمد على البصر، وكلَّما علا مستواه اعتمد على البصيرة : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

وكلَّما صحَّ فِكْرُ الإنسان صحَّت بصيرته، وقادَتْه إلى كلِّ خيرٍ : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والبصيرة في الإسلام نورٌ في القلب يَرَى به العبدُ الحقَّ، ويؤمن به، ويعرف به الخيرَ مِن الشَّرِّ، والحقَّ مِن الباطل، ويَعرِف به الدُّنيا مِن الآخرة، ويَعرِف به حقائق معاني أسماء الله وصفاته، ويُدرِك به حقائقَ أوامره ونواهيه، ويَعرِف به حقائقَ وعْدِه ووعيده : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

والبصيرة هبةٌ مِن الله عزَّ وجلَّ، يُدرك بها الإنسانُ الخيرَ مِن الشَّرِّ، والعدلَ من الظُّلم، ويرى آثار الإحسان والرَّحمة، ومحاسن الأخلاق .

والبصر يُدرِك المحسوساتِ، والبصيرة نعرف بها المعنويَّات والفضائل .

والبصيرة ذاتيَّةُ الإدراك،أمَّا البصر فيحتاج ليرى إلى مُعِينٍ كنور الشَّمس .

والبصر ينفع ويضرُّ، فمَن نظر به إلى الآيات والمخلوقات، زاد إيمانه، وعلمه، وتقواه، وثوابه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

ومَن نظر به إلى الحرام نقص إيمانه، وزادت آثامه .

أمَّا البصيرة فكلُّها خيرٌ ومنفعةٌ؛ لأنَّنا بها نُدرك حقائق الأشياء .والبصر حين يعمى لا يضر الإنسان، أمَّا القلب حين يَعمى فإنَّه يُورد الإنسانَ مواردَ الهلاك : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ)) متفق عليه [(١)].

ومن عميت بصيرته ساءت عاقبته : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾ [الإسراء:٧٢].

وبالبصر يُدرك الإنسانُ ظواهرَ الأشياء، وبالبصيرة يعرف العبدُ ما ينفعه وما يضرُّه في أمور دِينه ودُنياه : ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام:١٠٤].

فهذه سبعةُ فروقٍ بين البصَر والبصيرة، ومَن آتاه الله بصرًا يرى به الأشياء، وبصيرةً يُدرِك بها حقائقَ الأشياء وعمل بموجب ذلك؛ فقد أتمَّ الله عليه نعمته، فليشكر ربَّه : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ [النحل:٧٨].

ومَن صحَّ فِكرُه صحَّت بصيرته، وصلَحت نيَّته، وقويَ إيمانه، وزاد إخلاصه، وحَسُنت عبادته، وكثُرت أجوره، وارتفعت درجاته : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال:٢-٤].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، وأخرجه مسلم برقم (١٥٩٩).

٢ - فضائل النِّيَّة الصَّادقة

النِّيَّةُ أصل العبادات كلِّها، فلا قيمه لعملٍ إلَّا بإخلاصه لله عزَّ وجلَّ، والتَّقرُّب به لله وحده: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)). متفق عليه (١).

والنَّاس مختلفون في النِّيَّات اختلافًا كبيرًا.

فمنهم مَن نيَّته في القمَّة، في معالي الأمور، في الأقوال والأعمال الصَّالحة، والفضائل الحسنة، مبتغيًا بذلك وجه الله وحده: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۢ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء:١١٤].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

ومنهم مَن نيَّته في السُّفليَّات والمعاصي والمحرَّمات، ولكلٍّ واحدٍ ثوابه أو عقابه، بحسب نيَّته: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:١٨-٢١].

وشتَّان بين النِّيَّتين، والعملَين، والثَّواب والعقاب: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة:١٨-٢٠].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

فالنِّيَّة ميزانٌ للأعمال الباطنة، حسنةً كانت أو سيِّئةً، دِينيَّةً أودُنيويَّةً، ولكلِّ امرِئٍ ما نوى.

قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)) متفق عليه (١).

أمَّا ميزان الأعمال الظَّاهرة فحُسْن الاتِّباع لما جاء به الرَّسول ﷺ قولًا أو فعلًا أو خُلُقًا: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

وقال النبي ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)) متفق عليه (٢).

وبالنِّيَّةِ الصَّادقة في كلِّ عملٍ تنقلب العادات إلى عباداتٍ وقُرباتٍ؛ كالأكل،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

والشُّرب، والنَّوم، والمشي، واللُّبس، والسَّكن، والكلام، والسُّكوت .
والنِّيَّة أبلَغُ مِن العمل لمِن لم يقدر على العمل، فمَن رأى مسجدًا، أو مدرسةً، أو جامعةً، او دارًا لتحفيظ القرآن، أو دارًا للأيتام وقال: لو رزقني الله مالًا لبَنيت مثل ذلك المسجد أو المدرسة أو الدَّار، ثمَّ مات؛ كَتَب الله له أجرَ ذلك بنيَّته .
فانوِ أيُّها المسلم فعْلَ كلِّ خيرٍ، فإنَّك لا تزال بخيرٍ بقدْرِ ما نويتَ مِن الخير، من عبادة الله، والدَّعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان الى خلْقِه .
قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)). متفق عليه [1].
وفضائل النِّيَّة كثيرةٌ لا تُحصَر؛ إذ هي أصلٌ في كلِّ عملٍ صالحٍ، ومِن فضائلها:
الأوَّل: النِّيَّة سِرُّ العبوديَّة، وروح كلِّ عبادةٍ كما قال الله عن الهدي : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج:٣٧].
فلا ينفع قولٌ إلَّا بعملٍ، ولا ينفع عملٌ إلَّا باتِّباع السُّنَّة، ولا ينفع قولٌ وعملٌ إلَّا بنيَّةٍ، ولا ينفع قولٌ ولا عملٌ ولا نيَّةٌ إلَّا باتِّباع السُّنَّة : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].
الثَّاني: نيَّة المؤمن خيرٌ مِن عمله لغير القادر على العمل
فالمريض إذا نوى فعْلَ ما يفعله الصَّحيح، فله مثْلُ أجره، والفقير إذا نوى الإحسان بالمال صادقًا، أعطاه الله أجرَ ما نوى، والجاهل إذا تمنَّى أن يُعلِّم الناس لو كان عالمًا فله أجر ما نوى، وهكذا:
قال ﷺحين عودته من غزوة تبوك: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: ((وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)) .أخرجه البخاري [2].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).
(٢)أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩).

وقال النبيﷺفيما يروي عن ربِّه تبارك وتعالى: ((إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)). أخرجه البخاري [1].

فإذا همَّ العبد بفعل ذلك الخير لكنَّه عجز أو نسي، فيكتبه الله له حسنةً، فإن عمله جعله عشر حسناتٍ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

الثَّالث: أجرُ النِّيَّة لا يتوقَّف وإن توقَّف العمل، فالَّذي يقول: لو كان لي أرحامٌ لوصلتُهم، وأحسنْتُ إليهم، فالله يكتب له أجرَ ذلك ولو لم يكن عنده أرحامٌ.

قال النبيﷺ: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُّ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهَِّ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُّ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُّ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهَِّ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُّ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)). أخرجه الترمذي [2].

الرَّابع: الله سبحانه يحفظ العبد على قدْرِ نيَّته الصَّالحة، في فعْلِ الخير لنفسه ولغيره كالأنبياء: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا

---

(١)متفق عليه.

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٥) .

﴿بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة:٦٧].

وقال النبيﷺ: ((يا غلام إني أعلمك كلمات، احْفَظِ اللهَّ يحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تجِدْهُ تجُاهَكَ)). أخرجه أحمد والترمذي (١).

الخامس: أنَّ النِّيَّة الصَّادقة تُثمِر الحسنات، ولو وقعت في غير محلِّها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهَّ))، متفق عليه (٢).

السَّادس: أنَّ النِّيَّة الحسنة تحوِّل العادات إلى عباداتٍ، فمَن نوى بأكله وشربه ونومه وصحَّته الاستعانة بذلك على عبادة الله، فله أجْرُ ذلك، والمرأة إذا تزيَّنت لزوجها بنيَّة أن تعفَّه عن الحرام، فلها أجْرُ ذلك؛ لأنَّ فعلَها عبادةٌ تُؤجَر عليها، ومَن ذهب إلى السُّوق ليُطعِم أولاده من رزقٍ حلالٍ، فهو في عبادةٍ.

قال النبيﷺ: ((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٣)، و أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢١) ، وأخرجه مسلم برقم (١٠٢٢).

وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحْلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))، أخرجه مسلم [(١)].

السَّابع: جمْعُ المسلم بين النِّيَّات المتعدِّدة في العمل الواحد هو تجارةٌ رابحةٌ مع الله عز وجل،فمَن خرج من بيته متطهِّرًا لأداء الصَّلاة جماعةً في المسجد، فله أن ينويَ ما شاء من النِّيَّات الكثيرة الَّتي فيها أجورٌ عظيمةٌ، فينوي الاعتكاف، وينوي انتظار الصَّلاة، وينوي التَّفرُّغ لعبادة الله، وتلاوة القرآن، وطلب العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسلام على من لقي ونحو ذلك .

قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى))، متفق عليه [(٢)].

الثَّامن: المؤمن يخُلَّد في الجنَّة بسبب حُسْنِ نيَّته، وأنَّه سيعبد الله أبدًا إلى أن يموت، ويخُلَّد الكافر في النَّار بسبب سوء نيته، لأنَّه أصرَّ على الكفر إلى أن يموت، فيُخلَّد كلُّ إنسانٍ بحسب نيَّته : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

(١)أخرجه مسلم برقم (١٠٠٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

٣- كثرة الأجور بتعدُّدِ النِّيَّات

يتعدَّد الأجر بتعدُّد النِّيَّة في العمل الواحد، وبأنواع العبادات .

فأنواع الطَّاعات مرتبطةٌ بالنِّيَّات في أصل صحَّتها، وفي مضاعفة أجرها .

فالأصل أن ينوي المسلم بالطَّاعة عبادة الله وحده، فإن نوى الرِّياء صارت الطَّاعة معصيةً : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون:٤-٧].

وأمَّا تضاعف الفضل والأجر، فبكثرة النِّيَّات الحسنة، فالعبادة الواحدة يُمكن أن ينوي بها المسلم نيات كثيرةً، فيكون للعبد بكلِّ نيَّةٍ ثوابٌ خاصٌّ، ثمَّ الحسنة بعشر أمثالها، وهكذا : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأنعام:١٦٠].

فالجلوس في المسجد طاعةٌ لله، ويمكن أن ينوي به العبد نياتٍ كثيرةً، ويأخذ الأجور الكثيرة، بحسب تعدُّد النِّيَّة بهذا العمل الواحد، فينوي الاعتكاف في بيت الله للتَّفرُّغ لعبادته، وينوي انتظار الصَّلاة بعد الصَّلاة ليكون مرابطًا، وينوي التَّرهُّب بكفِّ السَّمع والبصر واللِّسان عن كلِّ محرَّمٍ، وينوي التَّفرُّغ لكلِّ طاعةٍ قوليَّةٍ أو فعليَّةٍ، وينوي عكوف القلب على الله للفكرٍ في الآخرة ودفع الشَّواغل عن ذلك بلزوم المسجد، وينوي التَّجرُّد لذِكْرِ الله، وتلاوة كتابه، وسماع ما يُذكِّر بالله، وينوي إفادة النَّاس بالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وتعليم السُّنَّة ونحو ذلك، وينوي ترْكَ الذُّنوب حياءً من الله، فلا يليق به أن يسكن في ملكه ويعصي الله بنعمه، وينوي تعليم الجاهل، وإرشاد الضَّالِّ، وإعانة المحتاج، وإدخال السُّرور على غيره، وعمارة بيوت الله بالعبادة، والدَّعوة، والتَّعليم،

والإحسان إلى الخلْقِ وغير ذلك من العبادات والقربات .
قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)) متفق عليه [1].
فهذه أكثر من خمس عشرة نيَّةً في عبادةٍ واحدةٍ، وهي الجلوس في المسجد، ولكلِّ نيَّةٍ أجْرٌ خاصٌّ، وكلُّ أجرٌ مضاعفٌ بحسب كمال النِّيَّة، وصدْقِ النِّيَّة .
ومَن دخل المسجد، وصلَّى ركعتين، ونواهما سنَّة الوضوء، وتحيَّة المسجد، وراتبة الظُّهر مثلًا كتب الله له أجْرَ هذه النِّيَّات الثَّلاث، ولكلِّ نيَّةٍ أجرٌ خاصٌّ مضاعفٌ : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].
ولو أحرم بصلاة فرضٍ، ونوى بها الفرض، وتحيَّة المسجد، والسُّنَّة الرَّاتبة؛ صحَّت صلاته، وحصل له أجْرُ الفرض، والتَّحيَّة، والرَّاتبة : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٤].
والسَّلف كانوا يتفاوتون بكثرة النِّيَّات، ولم يتفاوتوا بكثرة الطَّاعات .
فالنِّيَّة تجعل العمل القليل كثيرًا، وتجعل العمل الصَّغير كبيرًا، وذلك بتعدُّد النِّيَّات للعمل الواحد، وربَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّره النِّيَّة، وذلك مثل الوضوء، والأكل، والنَّوم، والذَّهاب إلى السُّوق، والزِّينة ونحو ذلك من الأعمال .
والنِّيَّة تحوِّلُ العادات إلى عباداتٍ، فالنِّيَّة تجارةُ العلماء:
قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)) متفق عليه [2].
ويُروَى عن بعض الصَّالحين أنَّه كان إذا خرج من بيته نوى أكثر من ثمانين نيَّةً، فينوي مثلًا السَّلام على كلِّ مَن يلقاه، وإدخال السُّرور عليه، وإعانة الضَّعيف، وإرشاد الضَّالِّ، وعون مَن يحتاج إلى مساعدةٍ، وعيادة المريض، وكسْب الرِّزق الحلال، والصَّلاة جماعةً في المسجد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر،

---
(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).
(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

والنُّصح لكلِّ مسلمٍ، وكلما تعددت النيات زادت الأجور .
ونيَّة المؤمن خيرٌ من عمله إذا كان غير قادرٍ على العمل، فمَن نوى الصَّوم والصَّدقة والجهاد في سبيل الله، لكنَّه غير قادرٍ على ذلك، فنيَّتُه خيرٌ من عمله؛ لأنَّه قد يُدرك بالنِّيَّة ما لا يدركه بالعمل، والرَّجل يتمنَّى الشَّهادة فإنَّه ينال منزلة الشُّهداء وإن مات على فراشه .
قال النبيﷺ: ((مَنْ سَأَلَ اللهَّ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُّ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) أخرجه مسلم [1].
أمَّا إذا كان المسلم قادرًا على العمل فلا يُقال: نيَّته خيرٌ مِن عمله؛ لأنَّ العمل المقرون بالنِّيَّة هو الأصل : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].
ومدارات الأعمال على النية، فمَن رأى جبلًا وقال: لو كان عندي مثله طعامًا أو مالًا لأنفقته في سبيل الله على الفقراء والمساكين كتَبَ الله له أجْرَ ذلك بنيَّته، ومَن رأى كثيبًا من الرَّمل وقال: لو كان عندي مثله مالًا لأنفقته على المغنِّين والسُّرَّاق والسحرة وأمثالهم مِن أهل السُّوء فهو بنيَّته:
قال النبيﷺ: ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)) متفق عليه [2].
ومن نوى قيام اللَّيل، ثمَّ نام عنه مغلوبًا على نفسه، كتب الله له ما نوى، وكان نومه صدقةً مِن الله عليه، ومن مرض أو سافر كتب الله مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً.
قال النبيﷺ: ((إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)) أخرجه البخاري [3].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٩٠٩) .
(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).
(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

وقال النبيﷺ: ((مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) أخرجه النسائي(١).

وقال النبيﷺ: ((مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ))، أخرجه مسلم (٢).

فهنيئًا لمَن عقد العزم الجازم على دعوة الكافرين إلى الإسلام، وتعليم الجاهلين أوامر الله عزَّ وجلَّ، والإحسان إلى خلقه بأنواع الإحسان، وإغاثة الملهوفين، ومساعدة المحتاجين، وكفالة الأيتام المحرومين، وإطعام الجائعين، وتذكير الغافلين، وتعليم القرآن الكريم، وإحياء اللَّيل بالقيام بين يدي ربِّ العالمين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ويا خسارة مَن نوى إضاعة الأوقات، وإنفاق الأموال في الشَّهوات، والغفلات، والجهالات، والسَّيِّئات، والمحرَّمات، وعكف على ذلك، وجرَّ النَّاس إلى ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩﴾ [النور: ١٩].

وقال النبيﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (١٧٨٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٩).

يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))، أخرجه مسلم [1].

والله عزَّ وجلَّ كريمٌ يعطي عبده المؤمن الأجر من ثلاثة أبواب:

الأول: أن ينوي فعل العبادة، ويؤدِّيها خالصةً لله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

الثَّاني: أن يهيِّئ الفرصة لأداء الطَّاعة، كمَن يُؤذِّن للصَّلاة في المجامع العامَّة، ويصلِّي بهم جماعةً في المطار أو السُّوق ونحوهما من المجامع: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

الثَّالث: أن يفرح بكثرة المصلِّين، والصَّائمين، والحجَّاج، والمعتمرين وغيرهم ممَّا يكثِّر سواد المؤمنين: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس:٥٨].

كما أن الإثم يحصل للعبد من ثلاثة أبواب:

الأول: أن يفعل المعصية كشرب الخمر أو الزنا أو السرقة.

الثاني: أن يهيء الفرصة لحصول المعصية كأن يبيع الخمر أو يبني بيتاً للدعارة.

الثالث: أن يفرح بحصول المعصية وإن لم يفعلها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾[النور:١٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

٤ - علامات إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ

إخلاص العمل لله عز وجل له علاماتٌ منها:

الأولى: أن يستوي عند العبد العمل بالسِّرِّ والعلن، بالجهر والخفاء، في الخلوة والجلوة، في الظَّاهر والباطن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

الثَّانية: أن يستوي عند العبد المدح والذَّم، فالمخلص لا يبالي بمدح الناس وذمِّهم؛ لأنَّه يعمل لله لا لهم، وسيأخذ الأجر من الله لا منهم: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

فالمخلص لا يتأثَّر عمله بمدْحِ النَّاس له، أو ذمِّ النَّاس له، لأنَّه يعمل لله وحده.

الثَّالثة: أنَّ العمل الصالح مع الإخلاص يثمر في القلب الطُّمأنينة والسَّكينة.

فثمرة الإخلاص سعادة وطمأنينة، وجدها يونس صلى الله عليه وسلم في بطن الحوت، ووجدها إبراهيم صلى الله عليه وسلم في النَّار، ووجدها محمدٌ صلى الله عليه وسلم في الغار، وفي الهجرة، ووجدها أهل الكهف في الكهف ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

الرَّابعة: إحسان الوقوف بين يدي الله في العبادة، والأنس بذلك، والفرح بذلك اللقاء، وهذه أعظم مراتب الدين، فالإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الخامسة: عدم استجداء مدح الناس لك، والثَّناء على أعمالك، فمن طلب ذلك، أو تاقت نفسه لذلك فهو غير مخلص: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران:١٨٨].

السَّادسة: أن يكون ذِكْرُك لله في كلِّ حالٍ، ويكون الله في قلبك أجلَّ مِن أن تتركه من أجل أحدٍ، مع علمك أنَّ الله غنيٌّ عنك، وعن طاعتك، وعلمك أنَّك لن تطيعه إلَّا بفضله، ولن تنجوَ مِن معصيته إلَّا بحوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد:٢٩].

السَّابعة: أن يحبَّ العبد المؤمنين بالله، ويحبَّ المصلِّين، والصَّابرين، والذاكرين له، والشَّاكرين لله، ويحب أن يُعبد الله وحده، ويفرح إذا رأى الناس يعبدون الله وحده، ويسألونه وحده، ويدعون النَّاس إليه وحده: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

وقال النبي ﷺ: ((مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)) متفق عليه [(١)].

الثَّامنة: أن تريد بعملك الصَّالح وجه الله وحده، وهذه أعلى درجات الإخلاص، فلا حظَّ للنفس فيه، ولا حظَّ للدُّنيا فيه، ولا حظَّ للآخرة فيه.

فالله أهلٌ أن يُعبَد، وأهلٌ أن يحُمَد، وأهلٌ أن يُكبَّر: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

التَّاسعة: أن لا يَقصِدَ المسلمُ بعمله مِن عبادةٍ، أو دعوةٍ، أو تعليمٍ، الشُّهرةَ بين

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦).

النَّاس، ولا يرجو استمالتهم إليه، أو يسعى إلى اجتماعهم عليه، والإعجاب به، فإنَّ الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان مشروعًا خالصًا لوجهه الكريم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

العاشرة: أن لا يحبَّ العبدُ الثَّناء عليه، ولا المدح له، بل يفرَّ مِن ذلك كلِّه، فلا يجتمع في القلب إخلاص العمل لله، وحبُّ العبدِ المدْحَ والثَّناء عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

الحادية عشرة: أن لا تطلب على عملك شهودًا إلَّا الله وحده، ولا تطلب الجزاء على ذلك إلَّا منه وحده: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

الثَّانية عشرة: أن تكون عبادةُ العبد لربِّه في الخفاء أقوى منها في العلانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

٥ - درجات إخلاص النِّيَّة

إخلاص العمل لله له ثلاثة درجاتٍ:

الأولى: عدم رؤية العمل، بل يراه نعمةً مِن الله وحده: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور:٢١].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

الثَّانية: عدمُ طلَبِ العِوَض على العمل، فالإنسان عبدٌ محضٌ، والعبد لا يستحقُّ على خدمته لسيِّده شيئًا أو عوضًا، ولكنَّ الله كريمٌ يُعطي عبدَه المؤمن مِن فضله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

الثَّالثة: مطالعة العبد عيوبه وآفاته وتقصيره في العمل، وأنَّ عملَه قليلٌ ضعيفٌ ناقص لا يليق بجلال الله عزَّ وجلَّ، والخجل مِن العمل مع بذل المجهود في إحسانه وإكماله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

وبحسب قوَّة الإخلاص، تكون قوَّة العمل الصَّالح، وحُسْنه، وجماله، ودوامه، واستمراره، وعظيم أجره وثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟

سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٦-١٧].

ومن كملت في حقه هذه الدرجات فهو العابد العارف حقاً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

والأعمال بالخواتيم، ومدار كلِّ عملٍ على النِّيَّة، والنِّيَّة لا يعلمها إلَّا الله وحده، والنَّاس لا يعلمون إلَّا الظَّاهر، أمَّا الباطن فلا يعلمه إلَّا الله وحده، فنسأل الله أن يُثبِّت قلوبنا على دِينه حتَّى نلقاه .

قال النبيﷺ : ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)) متفق عليه [(١)].

فالأوَّل حصلت له في نهاية حياته فتنةٌ صرفَتْه عن دين الله، والثَّاني هداه الله في آخر حياته، فالقلوب بيد الله وحده؛ لأنَّه وحده الَّذي يُقلِّب القلوب والأبصار كما يُقلِّب اللَّيل والنَّهار ويعلم ما تكنه الصدور: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت:١٠].

والإخلاص تخليص القلب من كلِّ شوبٍ يُكدِّر صفاءه، وهو سِرٌّ بين العبد وربِّه لا يعلمه ملكٌ فيكتبه، ولا يعلمه عدو فيحسده، ولا يعلمه شيطانٌ فيُفسده،

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨) ، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٤٣).

وإنَّما اختصَّ بعلمه علَّام الغيوب وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وتَرْكُ العمل من أجل النَّاس رياءٌ، والعمل لأجل النَّاس شِركٌ، والإخلاصأن يُعافيك الله مِن هذا وهذا : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

فأخلِص العبادة لله وحده تكُنْ من المُخلَصين : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص:٤٥-٤٦].

وأعقل النَّاس مَن جعل أقواله وأعماله، وحركاته وسكناته، لله وحده لا شريك له : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٣].

٦ - ثمرات إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ

كلُّ عملٍ لا بدَّ له مِن أمرين، ليكون مقبولًا عند الله عزَّ وجلَّ:

الأوَّل: أن يكون العمل خالصًا لله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

الثَّاني: أن يكون العمل موافقًا لمِا شرعه الله في كتابه، أو بيَّنه رسوله ﷺ في سنَّته: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

فإن اختلَّ أحدُ الشَّرطين بطل العمل: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

ومِن ثمرات الإخلاص ما يلي:

الأولى: تفريج الكربات: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي

فَعلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرى مِنهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جمَعْتُهَا، فلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الْآخرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟! قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا، فَكُشِفَ عَنْهُمْ)) متفق عليه (١).

الثَّانية: النَّصر على الأعداء: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

الثَّالثة: العصمة مِن الشَّيطان، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ [ص: ٤٥-٤٦].

وقال عزَّ وجلَّ عن الشَّيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

الرَّابعة: نيل شفاعة النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٢)، وأخرجه مسلم برقم (٢٧٤٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ ﷺ: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، أَو قَالَ: خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)) أخرجه البخاري [1].

الخامسة: الحياة الطَّيِّبة في الدُّنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

السَّادسة: مغفرة الذُّنوب، ونيل الرِّضوان: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

السَّابعة: دخول الجنَّة، والنَّجاة مِن النَّار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].

الثَّامنة: الخلود في الجنَّة، ورؤية الرَّبِّ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

اللَّهمَّ آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأعراف:٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩).

البصيرة السادسة والأربعون

الاستقامة.. معناها، وأحكامها، وثمراتها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه الاستقامة .

الثاني: منزلة الاستقامة .

الثالث: فضائل الاستقامة .

الرابع: وسائل الاستقامة .

الخامس: درجات الاستقامة .

السادس: علامات أهل الاستقامة .

السابع: معوقات الاستقامة .

الثامن: ثمرات الاستقامة.

٤٦- الاستقامة.. معناها، وأحكامها، وثمراتها

١ - فقـه الاستقامة

الاستقامة في اللغة: هي الاستواء، والاعتدال، وضدها الاعوجاج، والميل، والانحراف.

والاستقامة شرعًا: هي الإيمان بالله، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولزوم الصراط المستقيم ابتغاء مرضات الله، وعبادة الله وحده بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

وسر الاستقامة ألا تشرك بالله شيئا: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

فالاستقامة أن يستقيم القلب على التوحيد والإيمان، وتستقيم الجوارح على طاعة الرحمن، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

فالاستقامة أن يستقيم ظاهر الإنسان وباطنه على الدين، ويستقيم قلبه وجوارحه، وتستقيم أقواله وأفعاله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

فمن استقام ظاهره، ولم يستقم باطنه، فاستقامته مخرومة، ومن استقام قلبه، ولم يصدق ذلك بجوارحه، فاستقامته مخرومة، ومن استقامت أقواله، ولم تستقم

أفعاله، فاستقامته مخرومة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣].

فالاستقامة أن تستقيم على توحيد الله، ومحبته، وعبادته : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

والاستقامة ليس معناها عدم الوقوع فى الذنب بالكلية، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، فلابد للعبد من التقصير فى الاستقامة، والوقوع أحيانًا فى الذنب، ويجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة بالرجوع الى الاستقامة : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

ولهذا قرن الله الاستغفار بالاستقامة، إشارة الى أنه قد يقع فيها الخلل الذى يمحوه الاستغفار، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت:٦].

فاستقيموا ولن تحصوا، وسددوا وقاربوا وأبشروا، وآملوا ما يسركم .

قال النبي ﷺ : (سددوا، وقاربوا، وأبشروا، وأعلموا أنه لن يدخل الجنة أحداً بعمله)، قالوا : و لا أنت يا رسول الله، قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) متفق عليه [(١)].

فالاستقامة اجتهاد فى العمل، وإخلاص العمل لله وحده، وفعله على حسب السنة، وأداؤه بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن:١٦].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣) ، وأخرجه مسلم برقم (٢٨١٦).

٢ - منزلة الاستقامة

أول ثمرات العلم الإيمان بالله عز وجل، ونهاية العلم الاستقامة على أوامر الله، وأعظم أمر بعد الإيمان بالله، هو الاستقامة على أوامر الله عز وجل.

عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: (قُلْتُ : يا رسولَ الله قُلْ لي في الإسلام قولًا لا أسأَلُ عنه أحَدًا بعدَكَ، قال : « قُلْ : آمَنْتُ باللهِ ثمَّ استقِمْ «) أخرجه مسلم [١].

والاستقامة تكون فى النيات والأفكار، والأقوال و الأفعال، والأخلاق والآداب، والأوامر والنواهي : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود:١١٢-١١٣].

والاستقامة للحال بمنزلة الروح من البدن، فكما أن البدن إذا خلا عن الروح فهو ميت، فكذلك الإنسان إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

وأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد والإيمان، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته ومهابته، وعلى إجلاله وتعظيمه، وعلى محبته وحسن الظن به، وكمال التوكل عليه، وكمال الافتقار إليه،استقامت جميع الجوارح على طاعته، والانقياد إليه، والتسليم لأمره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٨) .

فالقلب هو ملك الأعضاء وهي جنوده، فإذا استقام القلب، استقامت جنوده وعساكره، وإذا انحرف القلب، انحرفت جنوده ورعاياه .

قال النبي ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) متفق عليه [1].

وتقوى الله عز و جل هي وصية الله للأولين والآخرين كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء:١٣١].

والتقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك، وأن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجوا ثواب الله، وأن تجتنب معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

ولأهمية الاستقامة أمرنا بقراءة الفاتحة في كل ركعة من فريضة أو نافلة، كل يوم أكثر من أربعين مرة، كما قال سبحانه :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٢-٧].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، وأخرجه مسلم برقم (١٥٩٩).

٣- فضائل الاستقامة

الاستقامة على طاعة الله ورسوله هي الدين كله، وهي الفوز كله، وهي الربح كله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

وقد ورد في فضائل الاستقامة آيات وأحاديث كثيرة منها قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت:٦].

وقوله سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى:١٥].

وقوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٢-١١٣].

وقوله سبحانه لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس:٨٩].

وقوله سبحانه : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦].

وقوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

وقوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٣].

وغير ذلك من الآيات في كتاب الله عز وجل .

وقال النبي ﷺ لسفيان الثقفي حين قال :يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، فقال ﷺ له :(قل آمنت بالله ثم استقم) أخرجه مسلم [١].

وقال النبي ﷺ (سددوا و قاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد عمله، وقالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) متفق عليه [٢].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي جاءت في فضائل الاستقامة .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٨) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣) ، وأخرجه مسلم برقم (٢٨١٦).

٤ - وسائل الاستقامة

ووسائل الاستقامة على منهج الله كثيرة أهمها :

الأول : كمال المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، فمن عرف الله حقاً عظمه وكبره، وأحبه وحمده، وعبده وحده لا شريك له : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

الثاني :مراقبة الله في جميع النيات والأفكار، والأقوال والأفعال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١].

فإذا تيقن المسلم على أن الله يراه ويسمعه، ويعلم بما في قلبه، استقام على دينه، ولم يخالف أمره، وسارع إلى طاعته، وابتعد عن معصيته : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالث : التوبة النصوح من جميع الذنوب والمعاصي، وكثرة الاستغفار في كل حين : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١].

فإذا عرف العبد جلال ربه وجماله، وعظمة نعمه وإحسانه، ورأى تقصيره في حق مولاه، وكثرة معاصيه له، والغفلة عن ذكره وشكره، والتهاون بأوامره، وضعف عبادته له، سارع إلى التوبة إلى ربه، وأكثر من الاستغفار له في كل حين: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ

أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١-٣].
وقال عز وجل: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢].
الرابع: محاسبة النفس على كل ما قدمت وأخرت، من الأقوال والأعمال، وسؤال النفس كل يوم كم ربحتِ، وكم خسرتِ.
فمن حاسب نفسه كل يوم على ما عملت رأى أرباحه وخسائره، وسارع إلى التوبة من تفريطه، وبادر إلى الاستغفار من ذنوبه، والاستقامة على ما يحبه الله ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٨-١٩].
الخامس: مجاهدة النفس، لتستقيم على أوامر الله في كل حال.
فمجاهدة النفس بصدق، تفتح للعبد أبواباً كثيرة من أبواب الخير والهدى، وسبل الخير والقربات، وأنواع الإحسان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].
وقال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].
السادس: طلب العلم الشرعي، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة صفات جلاله وجماله، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة دينه وأحكامه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].
فالعلم الإلهي من أعظم العلوم المعينة على حسن الاستقامة والثبات.
وهذا العلم يورث حب الله، وتعظيمه، وخشية الله وتقواه، والخوف منه، والافتقار إليه، واللجوء إليه، في كل حال، والوجل منه، والرغبة إليه، والاستقامة على دينه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ

حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣١-٣٥].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

فأعلم الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأحكامه وحدوده، وجلاله وجماله، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه، هم أخشى الناس لله، وأتقاهم له، وأحبهم له، وأعبدهم له، كما قال الله عز وجل عن الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال النبي ﷺ :(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) متفق عليه [١].

وقال ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) أخرجه البخاري [٢].

فالعلم بالله وبدينه وأحكامه، من أعظم الطرق الموصلة للاستقامة، وهذا العلم العظيم يملأ أفكارك وأوقاتك، ويحرك قلبك ولسانك وجوارحك، بكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الظاهرة والخفية، ويحفظك من الهوى والشك والزلل، ومن الشرك والبدع والظلم، ومن الغلو والتفريط : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

السابع: النظر والتدبر والتفكر في الآيات الكونية، في ملكوت السماوات والأرض : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس:١٠١].
وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ [ق:٦-٨].

فذلك علم عظيم يثمر زيادة الإيمان، وقوة اليقين، وإخلاص التوحيد، وحب الله، وتعظيمه، وتمجيده، وحمده، وشكره، والاستقامة على دينه، وحسن عبادته والانكسار بين يديه : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الثامن: تدبر الآيات القرآنية : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

فتدبر المسلم للقرآن العظيم، وما فيه من أسماء الله وصفاته وأفعاله، وبيان عظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نِعَمه وإحسانه، وعظمة وعده ووعيده، وقصص الغابرين، وقصص الأنبياء والمرسلين، وأحوال اليوم الآخر، كل ذلك يثمر للعبد كمال التوحيد والإيمان، والحب لله، والتعظيم له، والشكر له، والخضوع له، والخوف منه، والرجاء له، والانكسار بين يديه، وحسن عبادته، ولزوم الاستقامة على دينه، والابتعاد عن معصيته : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

فتدبر القرآن وفهمه، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، من أعظم أسباب الاستقامة، وحصول الطمأنينة والسكينة في القلوب، والفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ

وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عز وجل : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

التاسع : المحافظة على إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها بأركانها وواجباتها وسننها، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

وهذه الصلوات الخمس يؤديها المسلم جماعة في المسجد، وفي الباطن يؤديها بالخشوع والإخبات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:١-٢].

فإقامة الصلاة على هذا الوجه يعين العبد على حسن الاستقامة، داخل الصلاة وخارج الصلاة، وتزجره عن المعاصي والآثام : ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

فالصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وإذا صلحت صلح ما سواها، وإذا فسدت فسد ما سواها، فهي عمود الإسلام، وإذا ضيعها المسلم فهو لما سواها أضيع، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣].

وقال النبي ﷺ: (العَهدُ الذي بَينَنا وبَينَهُم الصلاةُ، فمن تَرَكَها فَقَد كَفَرَ) أخرجه الترمذي والنسائي [(١)].

وقال النبي ﷺ: (بيْنَ الرَّجلِ وبيْنَ الكُفرِ تَركُ الصَّلاةِ) أخرجه مسلم [(٢)].

العاشر : المحافظة على النوافل بأنواعها.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) ، وأخرجه النسائي برقم (٤٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

النوافل أهم ما يحفظ به العبد دينه بعد الفرائض، وهي أسوار تحيط بالفرائض، وعقبات تمنع الشيطان من المساس بالفرائض، وهي سبب لمحبة الله للعبد، وسبب لاستقامة جوارح المسلم على طاعة الله عز وجل.

قال النبي ﷺ: (إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ) أخرجه البخاري [1].

فنوافل العبادات من صلاة، وصيام، وصدقات، وبر، وإحسان، من أعظم أسباب الثبات على الدين، والاستقامة على أوامر الله، وهي سبب لمحبة الله عز وجل وجبران الخلل والنقص في الفرائض.

الحادي عشر : حمل النفس على امتثال أوامر الله في كل حال، ولزوم بيئة الإيمان والأعمال الصالحة، فالصاحب ساحب، والمرء من جليسه، والمرء على دين خليله : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

وقال عز وجل: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف:٦٧].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩].

وسؤال الهداية والاستقامة ممن يملكها وهو الله عز وجل : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٢-٦].

الثاني عشر: الإكثار من ذكر الله في كل حال، فمن ذكر الله ذكره، ومن دعاه أجابه، ومن شكره زاده: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

ومن ذكر الله عز وجل أطاعه ولم يعصه، وأقبل على امتثال أوامره، واجتناب نواهيه بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

الثالث عشر: القناعة بما قسم الله لك، والرضى بذلك، والنظر لمن هو دونك في شأن الدنيا، والنظر إلى من هو أعلى منك في شأن الدين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة:١٠-١٢].

الرابع عشر: قراءة السيرة النبوية، ومعرفة أقوال وأفعال وأخلاق الرسول ﷺ والاقتداء به في سيرته وسريرته وسنته: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

الخامس عشر: الإكثار من قراءة القرآن الكريم، وتدبر معانيه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير:٢٧-٢٨].

السادس عشر: اعتزال قرناء السوء، ومجالس الغفلة، وأهل الفسوق والعصيان: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

فهذه أهم وسائل وأسباب ومغذيات ومقويات الاستقامة على طاعة الله عز

وجل في كل حال .

ومن أراد تيسير الأمور فليتق الله : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق:٤].

ومن أراد تحصيل العلم فليتق الله : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة:٢٨٢].

ومن أراد الرزق فليتق الله : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

ومن أراد التوفيق لمعرفة الحق من الباطل، وتكفير السيئات والذنوب، فليتق الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال:٢٩].

ومن أراد النجاة من النار فليتق الله : ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ [مريم:٧١-٧٢].

ومن أراد الجنة فليتق الله: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم:٦٣].

ومن أراد أن يكون وليا لله فليتق الله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

٥ - درجات الاستقامة

المسلمون متفاوتون في الاستقامة على أوامر الله، بحسب اختلافهم في العلم، والإيمان، واليقين، والتقوى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر:٣٢-٣٤].

وكلما زاد علم العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، زاد إيمانه، وكلما زاد إيمان العبد، زادت طاعاته، وقلت معاصيه، وكلما نقص إيمان العبد، كثرت معاصيه، وقلت طاعاته : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وكلما زاد إيمان العبد كانت عبادته لله في الخفاء أقوى منها في العلانية، وكلما نقص إيمان العبد كانت عبادته أمام الناس أقوى منها في الخفاء .

وكلما زاد إيمان العبد بالله استوى عنده مدح الناس وذمهم، لأنه يعمل لله لا لهم، وكلما نقص إيمان العبد تأثر من مدح الناس وذمهم : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وكلما زاد إيمان العبد زادت استقامته، وكلما نقص إيمان العبد نقصت استقامته: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

والاستقامة على ثلاث درجات:

الأولى: إفراد الله بالعبادة والإرادة، وامتثال أوامر الله بحسب الاستطاعة، واجتناب المناهي مطلقا، وأداء العبادات بلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود:١١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» أخرجه البخاري (١).

الثانية: أداء العبادات والأعمال الصالحة، وفق الأمر الشرعي لا البدعي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم (٢).

الثالثة: بذل الجهد في فعل الطاعات، حسب الاستطاعة، بلا غلو ولا تقصير: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٧٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

وأول درجات الاستقامة الثبات على التوحيد، والبراءة من الشرك وأهله : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

والثانية : امتثال الأوامر الشرعية، واجتناب المناهي، بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، ابتغاء مرضاة الله عز وجل : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

والاستقامة تكون بالقلب، واللسان، والجوارح .

فاستقامة القلب بالإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والتقوى .

واستقامة اللسان بالقول الحسن، والذكر المشروع، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح لكل مسلم : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال عز وجل : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

واستقامة العين، بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات الشرعية، وغض البصر عن المحرمات : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت:٦].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

واستقامة الأذن بسماع القرآن والمواعظ، وسماع العلم الشرعي : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

واستقامة الفكر والعقل باستعماله في كل ما يحبه الله ويرضاه .
واستقامة اليدين باستعمالهما في كل ما يحبه الله ويرضاه، من الإنفاق في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله، وكتابة العلم، وإعانة المحتاجين، والدفاع عن الإسلام والمسلمين.
واستقامة الرجلين بطول القنوت بين يدي الله، والسعي بهما في طلب الحلال، والسير عليهما في الأرض، بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].
والتقوى جاءت في القرآن على ثلاث درجات :
الأولى : تقوى الله عز وجل، وتكون باتقاء صفات جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء:١].
وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران:١٠٢].
وهذه أعظمها، وهي أكثر ما ورد في القرآن .
الثانية : اتقاء يوم القيامة وما فيه من الأهوال : {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة:٢٨١] .
الثالثة : اتقاء نار جهنم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣٢].

٦ - علامات أهل الاستقامة

الاستقامة هي الدين كله، ولأهلها علامات كثيرة منها :

الأولى : كمال اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصدق التوكل عليه، ووجل القلب عند ذكر الله، والمسارعة إلى كل طاعة، والبعد عن كل معصية، والإحسان إلى الخلق : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثانية :خشية الله في السر والعلن : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢].

الثالثة : كثرة ذكر الله عز وجل في كل حال : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

الرابعة: كثرة التوبة والاستغفار : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت:٦].

الخامسة : حفظ الأوقات بأنواع الطاعات والعبادات ، والافتقار إلى الله، والثناء عليه ، والتسبيح بحمده، والدعوة إليه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ

ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وقال عز وجل : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

السادسة :الصبر عند الشدائد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال عز وجل : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

السابعة : الثبات عند البلايا والمصائب، وحسن الظن بالله في كل حال ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠].

الثامنة :الإعراض عن الجاهلين، والصفح عن المسيئين، واجتناب مجالس الغافلين : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال عز وجل : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

التاسعة :الإنفاق في كل ما يحبه الله ويرضاه، والإحسان إلى الناس بأنواع الإحسان: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال عز وجل: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

العاشرة: مراقبة الله في السر والعلن، والأقوال والأفعال، والعطاء والمنع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الحادية عشرة: الاتصاف بأحسن الصفات، والأقوال، والأفعال، واجتناب ضدها: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال عز وجل في صفات المؤمنين الذين اشتراهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ

وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

الثانية عشرة: الزهد في الدنيا، والبعد عن زينتها، والإقبال على عمارة الدار الآخرة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:٧٧].

وقال عز وجل: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٠-١٣٢].

وغير ذلك من صفات أهل الاستقامة الواردة في القرآن والسنة.

٧- معوقات الاستقامة

كما أن للإسلام نواقض ، وللوضوء نواقض ، فكذلك للاستقامة نواقض كثيرة منها :

الأول: الاستهانة بالمعاصي، وغشيان المحرمات في الخلوات، واتباع الشهوات: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩].

الثاني : إهمال الطاعات والسنن والمستحبات، والتقلل منها، والقناعة باليسير منها : ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون:٤-٧].

الثالث: ترك مجالس العلم والإيمان والذكر، وترك الدعاء، وقلة قراءة القران : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

الرابع: مصاحبة أهل المعاصي، وأصحاب الغفلة، وأصحاب الجهل والشهوات: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الخامس :الغلو في الدين، والتشديد في المسائل : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٍ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء:٢٩].

السادس : عدم المحافظة على الصلوات الخمس : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

السابع : الانشغال بأمور الدنيا عن الآخرة والتوسع في المباحات والشهوات التي تضعف القلب، وتجره الى المعاصي، وإهمال الطاعات والواجبات : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤].

وقال النبي ﷺ:«مَا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُمْ ولكنِّي أَخْشَى أن تُبْسَطَ الدُّنْيا عليكُمْ كما بُسِطَتْ على مَنْ كَانَ قبلَكُم فتَنافَسُوها كَما تنافَسُوها فتُهْلِكَكُمْ كما أهلَكَتْهُم» أخرجه البخاري (١).

الثامن : ترك الدعوة الى الله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥].

وقال عز وجل : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠١٥).

٨- ثمرات الاستقامة

للاستقامة على أوامر الله ثمراتٌ كثيرة في الدنيا والآخرة:

أولاً: ثمرات الاستقامة في الدنيا:

من أعظم ثمرات الاستقامة في الدنيا ما يلي:

الثمرة الأولى: أن من استقامَ على دين الله كان من أولياء الله، ومن كان الله وليه حفظه وأسعده وأكرمه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

الثمرة الثانية: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

الثالثة: الهداية والأمن في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

الرابعة: أن من استقامَ على طاعة الله حصلت له الطمأنينة والسكينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤].

الخامسة: الخلافة في الأرض : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥].

السادسة : النصر على الأعداء : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١].

السابعة : الفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

الثامنة: حفظ الله للعبد في نفسه وأهله وماله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

قال النبي ﷺ. «احْفَظْ اللهَّ يحْفَظْك، احْفَظْ اللهَّ تجِدْهُ تجاهَك، إذا سَأَلْت فاسْأَلْ اللهَّ، وإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، واعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْك »أخرجه أحمد والترمذي (١)

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٩٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

فاحفظ الله بالتزام شرعه، والاستقامة على دينه، يحفظك الحفيظ في نفسك وأهلك ومالك : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج:٣٨].

التاسعة : حصول البركات في الدنيا والآخرة ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف:٩٦].

العاشرة : تيسير الأمور، وسهولة الحصول على الرزق : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

وغير ذلك من الثمرات التي تحصل لمن آمن بالله واتقى في هذه الحياة الدنيا.

ثانياً : ثمرات الاستقامة في الآخرة .

من أعظم ثمرات الاستقامة في الآخرة ما يلي :

الأولى : رضوان الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

الثانية : دخول الجنة : ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات:١٥-١٩].

الثالثة : التنعم بأنواع النعيم في الجنة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا

﴿تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

الرابعة : القرب من الرب عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

الخامسة: رؤية الرب جل جلاله في الآخرة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

السادسة: سماع كلام الرب وسلامه : ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٥-٥٨].

وقال عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[الأحزاب:٤٤].

السابعة : سلام الملائكة على أهل الجنة : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

الثامنة : السلام والأمن الأبدي كما قال الله عن أهل الجنة : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة:٢٥-٢٦].

وقال عز وجل : ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام:١٢٧].

التاسعة : كمال المحبة والأخوة بين المؤمنين في الجنة : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:٦٧].

وقال عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر:٤٧].

العاشرة : النجاة من النار، والخلود الأبدي في الجنة : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًاۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

إلى غير ذلك من أنواع الكرم والتكريم والإحسان في الجنة، والذي لا يعلمه إلا الله وحده : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وقال عز وجل عن الجنة : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف:٧١].

وقال عز وجل : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣١-٣٥].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قربَ إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بك من النار، وما قربَ إليها من قولٍ وعمل

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١].

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنا، يا ذا الجلالِ والإكرام .

البصيرة السابعة والأربعون

التوبة.. أحكامها، ومراتبها، وثمراتها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : فقه التوبة .

الثاني : منزلة التوبة .

الثالث : حكم التوبة .

الرابع : فضائل التوبة .

الخامس : شروط التوبة .

السادس : أقسام التوبة .

السابع : علامات التوبة .

الثامن : مراتب التوبة .

التاسع : الوسائل المعينة على التوبة .

العاشر : ثمرات التوبة.

٤٧ - التوبة.. أحكامها، ومراتبها، وثمراتها

١ - فقه التوبة

خلق الله عز وجل الإنسان في أحسن تقويم، وجعله مخيراً بين الإيمان و الكفر، وبين الطاعات والمعاصي، وبين اتباع الهدى أو الهوى، كما قال سبحانه : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف:٢٩].

والإنسان مذنب تواب، يفعل الذنب ثم يتوب منه : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

وقال النبي ﷺ:(كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُالخطَّائينَ التَّوَّابونَ) أخرجه الترمذي وابن ماجة(١)

والتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى من الذنب ، وترك المعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها، والإقلاع عنها فوراً .

فالتوبة هي الرجوع عن معصية الله إلى طاعته، رجوع العبد من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن البدعة إلى السنة، ومن الظلم والإساءة إلى العدل والإحسان .

وهذه التوبة واجبة على جميع الخلق ،كما قال الله سبحانه : ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

ومن ترك هذه التوبة فهو آثم وظالم، ومعتدٍ وخاسر : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

والتوبة واجبة على كل عبد من جميع الذنوب، والمعاصي، والكبائر، والصغائر، وسيئات الأقوال، والأعمال، والأخلاق : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٩) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥١) .

﴿وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

والتوبة في الأصل معناها الرجوع من حال إلى حال .

يقال للعبد تاب، وأناب، وآب، وعاد، ورجع .

والتوبة شرعاً :رجوع العبد إلى مولاه، بالرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً الى كل مايحبه الله ظاهراً وباطناً من الأقوال والأفعال والأخلاق .

ولهذا جعل الله التوبة أول صفات المؤمنين الذين اشتراهم، فقال : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

وقال الله عز وجل: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

والله تواب يتوب على من تاب إليه . ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه:٨٢].

والله سبحانه تواب رحيم، يحب التوبة، ويحب أهل التوبة، ويفرح بتوبة التائبين أشد الفرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢].

و قال النبيﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» أخرجه مسلم [(١)].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٤).

٢ - منزلة التوبة

منزلة التوبة أعظم المنازل، وأول المنازل،وأهم المنازل، لأنها توبة من الكفر إلى الإيمان، وتوبة من الشرك إلى التوحيد، وتوبة من الجهل إلى العلم، وتوبة من البدعة إلى السنة، وتوبة من المعاصي إلى الطاعات، وتوبة من السيئات إلى الحسنات، وتوبة من الظلم والطغيان إلى العدل والإحسان، ولهذا قال الله سبحانه : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

وحاجة العبد إلى التوبة بانواعها أشد من حاجته إلى غيرها، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية كحاجته إليها في البداية : ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات:١١].

والناس اثنان: تائب .. وظالم

فالتائبون هم خيار خلقه، وهم أهل الإيمان والتقوى، والظالمون كل من سواهم من الكفار والمشركين والعصاة .

ومقام التوبة عظيم، فهو أول منازل العبودية وأوسطها وآخرها، لا يفارق العبد حتى الممات، لكثرة ذنوبه ومعاصيه، وهو في كل حال يتوب إلى ربه، ويستغفر من ذنبه : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

ومن عظمت الجناية في قلبه ندم على فعلها، وبادر إلى التوبة منها،وعزم على أن لا يعود إليها : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ [المائدة:٣٩].

وصدق التوبة ثمرة تعظيم الآمر، وتعظيم الأمر، والتصديق بالجزاء .

ومنزلة التوبة عظيمة فيجب أن يتوب المذنب من معصية الله إجلالاً لذي العزة والجبروت أن يعصيه في ملكه، وهو من صغار عبيده : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾[الملك:١٢].

وحياءً من الرب أن يعصيه في ملكه وهو يدر عليه نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾[فاطر:٢٨].

٣- حكم التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة من جميع الذنوب الكبيرة والصغيرة، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

والذنوب والمعاصي لا يمحوها إلا التوبة إلى الله من الذنوب كلها: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

والتوبة عبادة من أعظم العبادات لما فيها من الذل والانكسار بين يدي الله، ولما فيها من إسقاط الذنوب التي تهلك العبد إذا اجتمعت عليه، فيجب إخلاصها لله عز وجل، والمبادرة إليها، كما قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾ [التحريم: ٨].

وكل عبد محتاج إلى التوبة في كل وقت، والتوبة مقام يجب على العبد أن يستصحبه من أول ما يعقل إلى نهاية عمره، ليطهر صحائفه من الذنوب والسيئات، فعلى الخلق جميعا أن يتوبوا إلى ربهم، وأن يستديموا التوبة إلى أن يلقوا ربهم، كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

والتوبة من جميع الذنوب واجبةٌ وجوباً مطلقاً، على الرجال والنساء، مدى العمر، ووقتها العمر كله، كما قال هود ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ٩٠﴾ [هود: ٩٠].

وما من عبدٍ إلّا وقد اقترف ذنباً، وفعل إثماً، والتوَّاب سبحانه يتجلَّى على عبده المذنب بالتوبة إذا تاب إليه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ

عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

وباب التوبةِ مفتوحٌ لكلِّ الخلق من الجنِّ والإنس، مالم يحضُر الأجل، أو تطلعُ الشمس من مغربها، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء:١٧-١٨].

فمتى بلغتِ الروحُ، الحلقوم، ووقع الإياس من الحياة، وعاينَ العبد ملك الموت، وحشرجت الروح لم تُقبل التوبة حين ذاك.

والتوبة واجبةٌ على الأنبياء والرسل، وعلى المؤمنين والكفار: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات:١١].

وقال النبي ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ فَإنِّي أَتُوبُ إليهِ في اليَّومِ مائةَ مَرَّةٍ». أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «والله إني لأستغفر اللهَ وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». أخرجه البخاري (٢).

ومن فعل ذنباً، ثم تاب منه، ثم رجع إليه، ثم تاب منه، فإن توبته تُقبل لقوله سبحانه: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر:٥٣].

فمن تاب إلى الله صادقاً، ثم نازعته نفسه، وعاد إلى الذنب مرةً أخرى، ثم تاب من ذلك الذنب توبةً نصوحةً، فإن الله يتوب عليه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

﴿لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه: ٨٢].

والتوبةُ فرضُ عينٍ على كلِّ أحدٍ من الناس، ولا يمكن أن يستغني عنها أحدٌ من البشر، لأن العبد إن خلا عن معصية الجوارح، فلا يخلو عن الهمِّ بالذنب بالقلب، وإن خلا عن ذلك، فلا يخلو من وساوس الشيطان، التي تصرف العبد من طاعة الله إلى معصيته، وإن سَلِمَ من كل ذلك، فلا يخلو من غفلةٍ وجهلٍ وقصورٍ في العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فكل إنسانٍ مفتقرٌ إلى التوبة إلى الله أشدَّ الافتقار، لئلّا تتراكم عليه الذنوب فتُهلكه، والتوبة والاستغفار تمحوان الذنوب: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

٤ - فضائل التوبة

من رحمة أرحم الراحمين أنه يحب التوبة، ويحب التوابين، ويفرح بتوبة التائبين، ويتوب على العبد قبل أن يتوب، ويبدل سيئات التائب إذا صدق إلى حسنات، ثم يضاعفها، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة حسنة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾ [الفرقان:٦٨-٧١].

وفضائل التوبة في القرآن والسُّنة كثيرة ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقوله سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

وقوله سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة:٧٤].

ومن حُبِّ الله للتوبة أنه يتوب على العبد قبل أن يتوب، كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة:١١٨].

ومهما أسرف العبد على نفسه، فإن الله يتوب عليه إذا تاب، مهما كثرت ذنوبه، وعظمت جنايته: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر:٥٣].

وقال نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح:٢٨].

وقال ابراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم:٤١].

وقال نوح ﷺ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح:١٠-١٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

وغير ذلك من الآيات التي جاءت في فضائل التوبة والاستغفار.

و قال النبي ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ

فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ:«إِن الله عزَّ وجلَّ يبْسُطُ يدهُ بِاللَّيْلِ ليتُوب مُسيءُ النَّهَارِ، وَيبْسُطُ يَدهُ بالنَّهَارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مغْرِبِها». أخرجه مسلم (٢).

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يُحُبُّ لخلقه كلَّ خير، و يدلهم على ما ينفعهم و يسعدهم في الدنيا و الآخرة : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٧-٢٨].

وقال النبي ﷺ (واللهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً.) أخرجه البخاري (٣).

وغير ذلك من الأحاديث الواردة في فضائل التوبة والاستغفار.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

٥- شروط التوبة الصادقة

التوبة الصادقة لها ستة شروط:

الأول: إخلاص التوبة لله عزوجل، بأن يقصد بها وجه الله عز وجل، وثوابه، والنجاة من عذابه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

وقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

الثاني: الندم على فعل المعصية، بحيث يحزن العبد على فعلها، ويتمنى أنه لم يفعلها، حياء من الله، وإجلالا له، وخوفا منه كالأنبياء: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

الثالث:الإقلاع عن المعصية فورا، فإن كانت في حق الله تعالى تركها إن كانت في فعل محظور، وبادر إلى فعلها، إن كانت في ترك واجب.

وإن كانت المعصية في حق مخلوق بادر إلى التخلص منها، فإن كانت أخذ مال بغير حق رده إلى أهله، وبادر إلى التوبة من جنايته.

وإن كانت ظلما أو غيبةً أو سبًا لغيره استحل منه، وطلب السماح له عنها.

الرابع:الإعتراف بالذنب، والتوبة إلى الله منه.

قال النبي ﷺ : (سَيِّدُ الإِسْتِغْفارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) أخرجه البخاري (١).

الخامس: العزم على أن لا يعود إلى المعصية في المستقبل، فإذا عزم على التوبة من الذنب، ثم قدر الله وعاد إلى الذنب مرة أخرى، فإن هذا لا ينقض التوبة السابقة، لكن عليه أن يتوب من ذلك مرة أخرى: كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه:٨٢].

السادس: أن تكون التوبة في الوقت الذي يقبلها الله فيه، فإن فات الأوان لم تنفع التوبة.

ويفوت وقت التوبة بأمرين:

حضور الأجل .. وطلوع الشمس من مغربها.. فحين ذاك لا تنفع التوبة.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء:١٨].

وقال عز وجل : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨﴾ [الأنعام:١٥٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

وقال النبي ﷺ: (إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ) أخرجه الترمذي [1].

فإذا حضر الموت، أو طلعت الشمس من مغربها، فلا يقبل الله توبة أحد، ولهذا لم يقبل الله توبة فرعون حين أدركه الغرق، كما قال الله عنه : ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠].

فقال الله له : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩١-٩٢]..

فعلى كل عبد أن يبادر إلى التوبة إلى الله من جميع الذنوب ما دام في زمن الإمهال : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٤٧) .

٦ -أقسام التوبة

تنقسم التوبة إلى الله إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توبة العبد من جهله بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعدم قدره حق قدره، وعدم معرفة نعمه وإحسانه، وعدم عبادته كما يليق بجلاله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة:٧٤].

وقال عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر:١-٣].

الثاني: توبة العبد من أعماله الصالحة، وهذه التوبة ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يتوب العبد ويستغفر ربه من تقصيره في العبادة، في أدائها، وإخلاصها، ووقتها، وآدابها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون:١-٢].

الثاني: أن يتوب العبد من إعجابه بعمله، ورؤيته أنه فعله بقوته وحوله وعلمه، وهو في الحقيقة من فضل الله عليه : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

الثالث:أن يتوب العبد مما كان يظنه حسنات، وهو سيئات، كحال أهل البدع القولية والفعلية : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

الثالث:توبة العبد من أفعاله السيئة، وهذه التوبة على ضربين:

أحدها: توبة من ترك مأمور ، كترك الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج، وترك الأذكار والأدعية ونحو ذلك : ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة:١١].

الثاني: توبة من فعل محظور، كفعل الزنى، والسرقة، وشرب الخمر، وظلم الخلق، وخيانة الامانة، والعدوان على الناس، ونحو ذلك من الذنوب : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وهذه الأقسام كلها يجب التوبة منها إلى الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

والتوبة ثلاثة أنواع :

الأول: أن يقترف العبد ذنبا، ثم يتوب منه بصدق، وهذه هي التوبة الصحيحة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

الثاني: التوبة الأصح، وهي التوبة النصوح، وعلامتها أن يكره العبد المعاصي، ويتوب منها، عازما على عدم العودة إليها، ويقلع عنها فورا، وهذه هي التي أمر الله بها بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾ [التحريم:٨].

الثالث: التوبة الفاسدة، وهي التوبة باللسان، مع بقاء لذة المعصية في القلب، والإصرار عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣﴾ [الصف:٢-٣].

٧- علامات التوبة

للتوبة المقبولة عند الله علامات:

إحداها : أن يكون العبد بعد التوبة خيرٌ منه قبلها في كل شيء أقوالاً وأعمالاً، وأخلاقاً وآداباً : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

الثانية : أنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٩].

الثالثة : انصداع القلب وتقطعه حسرة على ما حصل منه من الذنب، فيبادر إلى ما يرضي ربه، ويخاف من نزول العقوبة به كل حين : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

الرابعة : انكسار القلب بين يدي الرب بسبب رؤية الذنب، فيقف بين يدي ربه طريحاً ذليلاً، خاشعاً منكسراً، بسبب تلك الجناية، كحال عبدٍ جانٍ آبقٍ من سيده أُحضر بين يدي مولاه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢].

الخامسة: الاستكثار من التوبة والاستغفار، والاستكثار من نوافل العبادات، وكثرة ذكر الله في كل حال : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود:١١٤].

السادسة: أن يوفقك الله للتوبة من الذنوب قبل حضور الأجل، وقبل طلوع الشمس من مغربها: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء:١٧].

السابعة: أن يحفظك الله عن ذلك الذنب، ويعصمك منه، فلا تميل إليه بعد توبتك منه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

الثامنة: أن تسارع إلى كل طاعة، وتبتعد عن كل معصية، خوفاً من الله، وحياءً منه، ورغبة إليه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال عز وجل عن رسله وأوليائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

٨- مراتب التوبة

التوبة لها مراتب ودرجات هي :

الأولى: وهي أعظمها وأوجبها، وهي التوبة من الكفر للإيمان ومن الشرك للتوحيد : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال:٣٨].

الثانية: التوبة من فعل البدع القولية والفعلية : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠].

وقال عز وجل: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١].

الثالثة: التوبة من كبائر الذنوب : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

الرابعة : التوبة من صغائر الذنوب : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠].

الخامسة: التوبة من الزلات، والغفلات، واتباع الشهوات، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

السادسة : التوبة من التقصير في العبادات،سواءً في إخلاصها لله، أو عدم أدائها كما ينبغي : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

والتوبة على ثلاث درجات :
الأولى: أن تقوى توبة العبد فتكفر الذنب،وترفع درجة العبد، ويكون العبد بعد التوبة أعظم منه منزلة قبل التوبة.
روى عمران بن حصين: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهينةَ أَتَت رَسُولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فقَالَتْ: يَا رسول الله أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَليَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله ﷺ وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلِيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي، فَفَعَل، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهَّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمتْ، ثُمَّ صلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللهَّ وَقَدْ زَنَتْ، قَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لوسعتهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهَّ؟ « أخرجه مسلم (١)
الثانية : أن تكون التوبة موازية للذنب فتُكفره، ويرجعَ العبد إلى ما كان عليه من الإيمان بلا زيادة.
الثالثة : أن تكون توبة ضعيفة،لا تقوى على رفع الذنب، فلا يرجع العبد بعدها الى ما كان عليه من الإيمان.
والله يريد من عباده أعلى درجات التوبة ليكرمهم بأعلى درجات الثواب، وتلك هي التوبة النصوح التي أمر الله بها عباده بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم:٨].
وقوله سبحانه : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].
وتوبة الناس على درجتين:
الأولى: توبة العامة كالتوبة من الذنوب والمعاصي، من الغيبة والنميمة، والتوبة

(١)أخرجه مسلم برقم (١٦٩٥) .

من الزنا والسرقة، والتوبة من النظر أو السماع للمحرمات، والتوبة من ترك الفرائض والواجبات،كالتوبة من ترك الصلاة والصيام والزكاة ونحوها .
وهؤلاء تبدل سيئاتهم حسنات،وهي واجبة من كل ذنب : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].
الثانية: توبة الخواص،وتلك أعلى من الأولى، وهي مستحبة لا واجبة، فيتوب العبد من ترك المستحبات، كالتوبة من ترك قيام الليل،والتوبة من ترك السنن والنوافل والمستحبات،من صلاة وصدقات وصيام ونحوها ، والتوبة من ترك أذكار الصباح والمساء، والتوبة من ترك صلاة الضحى ونحو ذلك .
الثالثة: توبة من ترك الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذه واجبة على كل مسلم ومسلمة: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].
وهذه توبة من التقصير في فعل المستحبات التي تزيد بها حسنات العبد، وتغفر بها ذنوبه، وترتفع بها درجاته، وتوبة من ترك فعلٍ يحبه الله.
وهذه توبة خواص المؤمنين : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].
والتوبة إلى الله على أربع درجات :
الدرجة الأولى : أن يتوب العبد إلى ربه، ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك مافرط في أمره، ولا يحدث نفسه بالعودة إلى الذنوب .
فهذه أعلى درجات التوبة، وهي التوبة النصوح التي أمر الله بها بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].
وصاحبها صاحب النفس المطمئنة التي قال الله لها : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].
وأصحاب هذه الدرجة على قسمين :

الأول : من تاب، وسكنت شهواته تحت قهر المعرفة الإيمانية، والحب الخالص لله عز وجل، فرغبتُه إلى الله وحده : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

الثاني : من تاب بقوة إرادته، وخوفه الشديد، من الله عز وجل، فهو يُصارع شهواته التي تنازعه ويقاومها : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثانية : درجة التائب الذي اجتهد في أنواع الطاعات، وتركِ كبائر الذنوب والمعاصي كلها، إلا أنه لا ينفكُّ عن بعض المعاصي التي تعتريه أحيانا إذا ضَعُفَ إيمانه .

وهذه أدنى من الأولى، ونفسُ هذا التائب تسمى النفس اللوامة، التي ذكرها الله في القرآن بقوله : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة:١ -٢].

الثالثة : أن يتوب العبد المذنب من ذنبه، و يستمر على الاستقامة مدةً من الزمن، ثم تغلبه الشهوة فيُقدم على بعض الذنوب، لضَعفِ إرادته، وعجزه عن قهر شهواته، إلا أنَّه مع ذلك مواظبٌ على الطاعات، تارك لجملةٍ من المحرمات، وكلما فعل ذنبًا ندم على فِعله، وتاب منه، لكن نفسُه لا تُطاوعه، فيتوب ثم يخرق توبته مرةً أخرى .

وهذه دون الدرجة الثانية، وتسمى نفس هذا المذنب النفسُ المسوفة، وصاحبها من الذين قال الله فيهم : ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ [التوبة:١٠٢].

فهذا عسى الله أن يتوبَ عليه، ولكنه في خطرٍ من حيث تسويفهِ التوبة.

الرابعة : أن يتوب العبد من ذنوبه، و يستمرُّ على الاستقامة فترةً من الزمن، ثم يعود إلى مُقارفة المعاصي من غير أن يحدِّثُ نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف

على فِعله هذا .

فهذا يُعتبرُ من جملة المقصرين، ومن جملة المصرِّين على ارتكاب المعاصي، و تُسمى نفس هذا بالنفسِ الأمَّارةِ بالسوء، كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

وهذه هي أدنى الدرجات، ويخُشى على صاحب هذه الدرجة من سوء الخاتمة، والله سبحانه توابٌ يريد من عباده أن يتوبوا إليه توبةً نصوحةً : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء:٢٧-٢٨].

والتوبة النصوح تتضمن سبعة أمور :

الأول: التوبة من جميع الذنوب والمعاصي .

الثاني : إخلاص التوبة لله عز وجل .

الثالث : إجماع العزم على التوبة .

الرابع : الإقرار بالذنب بين يدي الله .

الخامس : الندم على فعل ذلك الذنب .

السادس : أن تكون التوبة في وقتها .

السابع : الإقلاع عن الذنب فورًا والعزم على عدم العودة إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].

وصاحب هذه التوبة أعظم التائبين، وأصدقهم توبة، وأحسنهم ثواباً .

٩ - الوسائل المعينة على التوبة

يعين العبد على التوبة إلى الله أمور :

أحدها : محاسبة النفس باستمرار على ما قدَّمت وأخَّرت، وعلى كل قولٍ أو فعلٍ يكرهه الله ويُبغضه، واستدامة تصوُّر و تذكُّر ذلك كل يوم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر:١٨-١٩].

الثاني : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتدبُّر عظمة مُلك الله وسُلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وما يجب له من صَرفِ العبادة له وحده لا شريك له .

ومعرفة قدر مولاه، وما يجب له من العبودية، ومعرفة ما وعد الله به الطائعين له، وما توعَّد به العاصين له، و تذكُّر ذلك كل حين، حتى يزيد علم العبد، ويقوى إيمانه، ويستنير قلبه، ويعود إلى أصله الذي فطره الله عليه : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثالث : عزلُ العبد نفسه عن مواطن الغفلة والمعاصي والمنكرات، ومفارقة قُرناء السوء، ومقاطعتِهم ماداموا على حالهم السيئة : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام:٦٨].

الرابع : مصاحبة أهل الخير الصالحين، الذين يذكِّرونه إذا نسي، ويُعينونه إذا ذكَر، ويُقومونه إذا اعوجّ، ويَقودونه إلى كلِّ خير، ويدعونه إلى سلوك الصراط المستقيم في كل حال : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩].

الخامس : أن يَصْدُقَ العبد النيَّة مع الله بإصلاح العمل ظاهراً وباطناً : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

السادس : أن يخلع من قلبه شهوة الذنب، حتى ولو أقلع عنه، وذلك بكثرة معاتبة النفس، وتخويفها بالله، الذي يرى العبد وهو يفعل ذلك الذنب، و تذكيرها بعظمة عقوبة الله للمذنبين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢].

السابع : أن يسلك الطُرق المعينة على الهداية، والرجوع إلى الله،من تعلُّم العلم الشرعي وتعليمه، والعمل به، والدعوة إليه، مع لزوم طاعة الله ورسوله في كل حال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثامن : تذكر الموت، فتذكر الموت وسكراته، وما بعده، يجعل العبد يبادر إلى التوبة من ذنوبه قبل أن يوافيه الأجل: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١].

وقال النبي ﷺ : «أكثِروا مِن ذكرَ هادمِ اللذَّاتِ» أخرجه الترمذي [١].

التاسع : تذكر رحمةَ الله التي وسعت كل شيء، و العلم بأنَّ الله الغفور الرحيم يَغفرُ الذنوب جميعًا مهما عَظُمت وكَثُرت، فذلك يحمل العبد على المُسارعة إلى التوبة من ذنوبه : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

وقال سبحانه : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧).

العاشر : تذكر مافي الجنة من النعيم المقيم يوم القيامة، فإذا تذكَّر العبد ذلك، وفكَّر في نعيم الجنة، وقصورها، وأنهارها، وحورها، ودرجاتها، حمله ذلك على التوبة من المعاصي، والإقبال على الطاعات، ليفوز بالجنَّة ورضوان رب العالمين : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

الحادي عشر : المحافظة على أداء الفرائض، خاصة الصلوات الخمس بأركانها، وواجباتها، وسننها، في أوقاتها، فالصلوات الخمس تُذكِّر العبد بالله، وتُجدد إيمانه، وتحجزه عن المعاصي : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

الثاني عشر : الاستكثار من نوافل العبادات، من صلاة، وصيام، وصدقات، لأن كثرة النوافل تذكر العبد بربه، وتقربه منه، فيكون قلبه معلقا بالله، دائم التوبة والاستغفار : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

الثالث عشر : الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره، والمحافظة على الأذكار والأدعية التى تذكر العبد بربه، وتحمله على كثرة التوبة، والاستغفار، وسؤال ربه الثبات على دينه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

١٠ - ثمرات التوبة

التوبة إلى الله لها ثمرات كثيرة أعظمها :

الأولى : محبة الله عز وجل للعبد التائب من ذنبه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

الثانية : أن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده، لما في التوبة من الذل والانكسار بين يدي الله، وإظهار الخضوع والمسكنة بين يدي الجبار عز وجل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ:((للهُّ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ ، إِذَا وَجَدَهَا)) أخرجه مسلم [١]

الثالثة : أن الله يغفر ذنوب المذنبين جميعا، ويبدلها حسنات، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

الرابعة : أن التائب من ذنبه يكون من المفلحين، الفائزين برضوان الله والجنة، كما قال سبحانه : ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

الخامسة :تكفير ذنوب وسيئات التائب، وقبول توبته كما قال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧) .

السادسة : دخول الجنة.

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

السابعة : رضوان الله عز وجل، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

الثامنة : أن التوبة من أعظم صفات أهل الإيمان الذين اشتراهم الله وهم : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

التاسعة : أن الملائكة تدعو وتستغفر للتائبين، كما قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:٧].

العاشرة : حصول البركة والخير، ورغد العيش، لكل من تاب وأناب إلى ربه، كما قال هو لقومه : ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود:٥٢].

وقال : ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ [هود:٣].

الحادية عشرة: صفاء القلب بعد التوبة، وطهارته مما سوى الله.

قال رسول الله ﷺ :((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَتْ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تعالى:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ})).

أخرجه الترمذي [١]

الثانية عشرة: حصول الخيرية لهذا التائب.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كُلُّ بَنِي آدمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ.))

أخرجه الترمذي وابن ماجه [٢]

ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

---

(١)**صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣٣٤).

(٢)**صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٩٩)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥١) .

البصيرة الثامنة والأربعون

أركان الإيمان: الإيمان بالله عز وجل

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : أركان الإيمان: الإيمان بالله عز وجل.

الثاني : قوة رابطة الإيمان بالله عز وجل.

الثالث : أركان الإيمان بالله عز وجل.

الرابع : أسباب زيادة الإيمان بالله عز وجل.

٤٨ - أركان الإيمان: الإيمان بالله عز وجل

١ - الإيمان بالله عز وجل

الإيمان له ستة أركان وهي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، والعمل بمقتضى ذلك .

فالإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال النبي ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان فقال له : ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) متفق عليه(١).

والإيمان له شعب كثيرة تتعلق بالقلب، واللسان، والجوارح .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ)). متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، ومسلم برقم (١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥).

٢ -قوة رابطة الإيمان

رابطة الإيمان أعظم الروابط على الإطلاق، ولشدة قوتها ربطت بين الخالق والمخلوقين، وربطت بين السماء والأرض، وربطت بين الأمة ورسولها الكريم ﷺ، وربطت بين بني آدم في الأرض، وربطت بين بني آدم والملائكة، وربطت بين بني آدم والجن، وربطت بين الدنيا والآخرة، وربطت بين المؤمن والأعمال الصالحة: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن أجلها خلق الله السموات والأرض وما فيهن، وخلق الجنة والنار، والثواب والعقاب، ومن أجلها كان الله ولي المؤمنين: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

ومن أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وشرع الجهاد في سبيل الله، والإيمان أعظم نعمة، أنعم الله بها على عباده: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

والإيمان هو حبل النجاة في الدنيا والآخرة، ومفتاح الجنة يوم القيامة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

٣- أركان الإيمان بالله عز وجل

الإيمان بالله عز وجل يتضمن خمسة أمور:

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى .

فقد فطر الله كل مخلوق على الإيمان بخالقه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠].

ودلّ العقل على أن لهذا الكون خالقاً، فإن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها، وهي لايمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة، فتعين أن يكون لها موجداً وخالقاً وهو رب العالمين : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٤].

ودلّ الحس على وجود الله سبحانه، فإننا نرى تقليب الليل والنهار، ورزق الإنسان والحيوان، ومشاهد الحياة والموت، وتدبير أمور الخلائق، مما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور:٤٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٠].

والله سبحانه أيد رسله وأنبياءه بآيات ومعجزات رآها الناس، أو سمعوا بها، وهي أمور خارجة عن قدرة البشر، ينصر الله بها رسله، ويؤيدهم بها، وهذا برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله عزوجل، كما جعل الله النار برداً

وسلاماً على إبراهيم ﷺ، وفلق البحر لموسى ﷺ، وأحيا الموتى لعيسى ﷺ، وشق القمر لمحمد ﷺ، فلا ريب في وجوده سبحانه: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم:١٠].

وكم أجاب الله دعاء من دعاه من الداعين، وأعطى السائلين، وأغاث المكروبين، مما يدل بلا ريب على وجوده وعلمه وقدرته سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

ودلّ الشرع على وجود الله سبحانه وتعالى، فالأحكام العظيمة العادلة المتضمنة لمصالح الخلق، والتي أنزلها الله عز وجل في كتبه على أنبيائه ورسله دليل قاطع على أنها من رب حكيم قادر، عليم بمصالح عباده: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

الثاني: الإيمان بأن الله هو الرب وحده لا شريك له.

والرب الذي يستحق أن يعبد، هو الملك الذي بيده الملك، وله الخلق والأمر كله؛ فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، والأمر كله لله وحده، الخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

هو العزيز الرحيم الغني الحميد العليم القدير، يرحم إذا استرحم، ويغفر إذا استغفر، ويعطي إذا سئل، ويجيب إذا دعي، ويحيي ويميت، ويفعل ما يشاء، حيٌّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

فنعلم ونتيقن أن الله عز وجل هو الرب الذي خلق المخلوقات، وأوجد الموجودات، وصور الكائنات، وخلق الأرض والسموات: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

خلق الله كل شيء بقدرته، ليس له وزير ولا مشير ولا معين، سبحانه هو الرب الواحد القهار، استوى على العرش برحمته، وأمسك السماء بقدرته، ودحى الأرض بمشيئته، وخلق الخلائق بإرادته، وقهر العباد بقوته: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٩].

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر:٦٢].

ونعلم ونتيقن أن الله سبحانه ربٌّ قدير على كل شيء، محيط بكل شيء، مالك لكل شيء، عليم بكل شيء، قاهر فوق كل شيء، خضعت الأعناق لعظمته، وخشعت الأصوات لهيبته، وذل الأقوياء لقوته: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٣].

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس:٨٢].

يعلم سبحانه ما في السموات وما في الأرض، من الذرات والمخلوقات: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد:٩].

يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، ويعلم عدد قطر الأمطار، ويعلم عدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، ويعلم ما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى

كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].
ونعلم ونتيقن أن الله جل جلاله كل يوم هو في شأن، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يدبر الأمر، ويرسل الرياح، وينزل الغيث، ويحيي الأرض بعد موتها، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويضع ويرفع كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

ونعلم ونتيقن أن خزائن كل شيء عند الله وحده، وأن خزائن السموات والأرض كلها لله وحده، وكل شيء في الوجود فخزائنه عند الله.

خزائن المياه، خزائن النبات، خزائن الهواء، خزائن المعادن، خزائن الصحة، خزائن الأمن، خزائن النعيم، خزائن العذاب، خزائن الرحمة، خزائن الهداية، خزائن السعادة، خزائن القوة، خزائن العزة، كل هذه الخزائن وغيرها عند الله وحده، وبيد الله وحده لا شريك له: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ [الحجر:٢١].

وإذا علمنا ذلك، وتيقنا على قدرة الرب، وعظمته، وقوته، وكبريائه، وعلمه، وعظمة ملكه، وعظمة خزائنه، وعظمة رحمته، ووحدانيته؛ أقبلت القلوب إليه، وانشرحت الصدور لعبادته، وانقادت الجوارح لطاعته، ولهجت الألسن بذكره، تعظيماً وتكبيراً وتسبيحاً وتحميدا؛ فلا تسأل إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه، ولا تخاف إلا منه، ولا ترجو إلا إياه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

الثالث: الإيمان بألوهيته سبحانه.

فنعلم ونتيقن أن الله وحده هو الإله الحق لا شريك له. وأنه وحده المستحق

للعبادة دون سواه، فهو رب العالمين، وإله العالمين: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

ونعبده وحده بما شرع، مع كمال الذل له، وكمال الحب له، وكمال التعظيم له.

ونعلم ونتيقن أن الله كما أنه واحد في ربوبيته لا شريك له، فكذلك هو واحد في ألوهيته لا شريك له، فنعبده وحده لا شريك له، ونجتنب عبادة ما سواه: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

فالله عز وجل هو الإله الحق، وكل معبود من دون الله فألوهيته باطلة، وعبادته باطلة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢].

الرابع: الإيمان بوحدانية الله عز وجل.

فالله هو الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، الغني عن كل أحد، الواحد الأحد الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

فالله واحد أحد في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

هو الواحد الأحد الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

ومعناه فهمها، وحفظها، والاعتراف بها، والتعبد لله بها، والعمل بمقتضاها.

فمعرفة أوصاف العظمة لله، والكبرياء والمجد والجلال؛ تملأ قلوب العباد هيبةً

لله، وتعظيماً له .

ومعرفة أوصاف العزة والقوة، والقدرة والجبروت؛ تملأ القلوب ذلةً وانكساراً وخضوعاً لله عز وجل.

ومعرفة أوصاف الرحمة والبر، والجود والكرم؛ تملأ القلوب حباً لله، ورغبةً وطمعاً في فضل الله وإحسانه وجوده .

ومعرفة أوصاف العلم والإحاطة، والسمع والبصر توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته، وأقواله وأفعاله .

ومعرفة مجموع هذه الصفات، توجب للعبد تعظيم الله، ومحبة الله، وشكر الله، والشوق إليه، والأنس به، والتوكل عليه، والتقرب إليه، بعبادته وحده لاشريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

ونثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ،من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ .

ونؤمن بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني والآثار، فنؤمن بأن الله رحيم، ومعناه أنه ذو رحمة، ومن آثار هذا الاسم أنه يرحم من يشاء.

وهكذا نقول في بقية الأسماء والصفات، ونثبت كل ذلك على ما يليق بجلاله سبحانه،من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، على حد قوله سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

ونعلم ونتيقن أن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، والأفعال الحميدة، وندعو الله عز وجل بأسمائه وصفاته : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال النبيﷺ: « إِنَّ للهِّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

٤ – أسباب زيادة الإيمان بالله عز وجل

الإيمان بالله عز وجل يزيد بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وينقص بحسب الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

وبحسب العلم بالله يزيد الإيمان ويقوى، ثم تزيد أنواع العبادات والطاعات، والإيمان يزيد بكثرة ذكر الله، وكثرة تَدبُّر وتلاوة كتابه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

فالإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، فمن زاد إيمانه كَثُرتْ طاعاته، ومن كثُرتْ طاعاته زاد إيمانه، ومن نَقَصَ إيمانه كَثُرتْ معاصيه،وقلَّت طاعاته.

والإيمان بالله عز وجل يزيد بالنَّظر والتفكُّر في الآيات الكونيَّة : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١].

ويزيد الإيمان كذلك بالنظرِ والتدبُّر للآيات القرآنيَّة : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾ [محمد:٢٤].

وحتى يأتي الإيمان في حياتنا ويقوى ويزيد لابد من العلم بأمور:

الأول : أن نعلم ونتيقن أن خالق كلِّ شيءٍ هو الله وحده، ظاهرًا كان أو باطنًا، صغيرًا كان أو كبيرًا .

فخالق السماء هو الله، وخالق الأرض هو الله، وخالق العرش هو الله، وخالق الملائكة هو الله، وخالق النجوم هو الله، وخالق البحار والجبال هو الله، وخالقُ الإنسان والحيوان، والنبات والجماد، هو الله، وخالق الجنة هو الله، وخالق النّار هو الله : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

فالعرشُ شيء، والسماواتُ شيء، والأرضون شيء، والشمسُ شيء، والقمرُ شيء، والهواءُ شيء، والماءُ شيء، والبحارُ شيء، والجبالُ شيء، والناسُ شيء، والملائكةُ شيء، والجنُّ شيء، والحيواناتُ شيء، والطيورُ شيء، والذراتُ شيء، والله خالقُ كل شيء، القادرُ على كل شيء، العليمُ بكل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

نتكلم بذلك، ونسمعه، و نفكر به، ونكرره، وننظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، نظرَ اعتبارٍ وتفكُّر، حتى يَرسَخ الإيمان في قلوبنا، وقد أمرنا الله بذلك فقال : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة:١٦٤].

الثاني : أن نعلم ونتيقن أن الله خلق جميع المخلوقات،وخلق فيها الأثر .

خلق العين، وخلق فيها الأثر وهو البصر، وخلق الأذن، وخلق فيها الأثر وهو

السمع، وخلق اللسان، وخلق فيه الأثر وهو الكلام، وخلق الشمس، وخلق فيها الأثر وهو النور، وخلق النار، وخلق فيها الأثر وهو الإحراق، وخلق الشجر، وخلق فيها الأثر وهو الثمر ، وهكذا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤].

الثالث : أن نعلم ونتيقن أن الذي يملك جميع المخلوقات، ويَتصرَّفُ فيها، ويُدبرها هو الله وحده لا شريك له : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[الملك:١-٢].

وكل مافي السماوات والأرض من المخلوقات، كبيرهم وصغيرهم، كلهم عبيدٌ فقراءُ إلى الله، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا نصرًا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ، فالله مالكُهم، وهم محتاجون إليه، وهو غنيٌّ عنهم : ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان:٢٦].

وهو سبحانه الذي يُصرِّف الكون، والذي يُدبِّرُ أمور جميع خلقه، فالذي يتصرف في السموات والأرض، وفي المياه والبحار، وفي النار والرياح، وفي الأنفس والنباتات، وفي الكواكب والجمادات، وفي الرؤساء والوزراء، وفي الأغنياء والفقراء، وفي الأقوياء والضعفاء، وغيرهم، هو الله وحده لا شريك له، وهم جميعًا في قبضته، خاضعون لأمره: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران:٢٦-٢٧].

فالله عز وجل يتصرَّف في جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي بقدرته، وحكمته، وعلمه،كيف يشاء، متى شاء.

فقد يخلقُ الشيء ويَسلِبُ أثره بقدرته ، فقد توجد العين ولا تُبصِر، وتوجد الأُذن ولا تَسمع، ويوجد اللسان ولا يتكلم، ويوجد البحر ولا يُغرِق، والنار ولا تحُرِق، وقد فعل ذلك سبحانه لأنه الملك الذي يتصرف في الخلق كيف يشاء، لا إله إلا هو الواحد القهار وهو على كل شيء قدير : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤].

فسبحان الملك الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الرابع : أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأشياء عند الله وحده، لا عند غيره، فكل شيءٍ في الوجود فخزائنه عند الله : ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون:٧].

خزائن العلم، وخزائن الهداية، وخزائن الأخلاق، وخزائن الطعام والشراب، وخزائن الحبوب والثمار، وخزائن المياه والرياح، وخزائن الأموال، وخزائن البحار والجبال، وغيرها، كلها عند الله وحده، فكل ما نحتاجه نطلبه من الله، ونسأله إياه، ونكثر من العبادات والطاعات، فهو سبحانه قاضي الحاجات، ومجُيبُ الدعوات، وخيرُ المسؤولين ، وخيرُ المُعطين، لا مانعَ لما أعطى ولا مُعطي لما منع : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر:٢١].

هذا بالنسبة للمخلوقات ، أما بالنسبة للأحوال التي تجري على الخلق:

فأولًا : نعلم ونتيقن أن خالق جميع الأحوال هو الله وحده :

من الغنى والفقر ، والصحة والمرض، والفرح والحزن، والضحك والبكاء،

والعزة والذلة، والحياة والموت، والأمن والخوف، والبرد والحر، والهداية والضلالة، والسعادة والشقاوة، فهذه وغيرها من الأحوال خلقها الله وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر:٦٢].

ثانيا: نعلم ونتيقن أن الذي يدبر الأمر، ويصرف هذه الأحوال، هو الله وحده لا شريك له، فلا يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله، ولا يتبدل المرض بالعافية إلا بأمر الله، ولا تتغير الذلة بالعزة إلا بأمر الله، ولا يتغير الضحك بالبكاء إلا بأمر الله، ولا يموت حي إلا بإذن الله، ولا يتغير البرد بالحر إلا بأمر الله، ولا تتبدل الضلالة بالهداية إلا بأمر الله، وهكذا في جميع الأحوال .

فتأتي الأحوال بأمره سبحانه، وتزيد بأمره، وتنقص بأمره، وتبقى بأمره، وتنتهي بأمره : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس:٨٢-٨٣].

فعلينا أن نطلب تغيير الأحوال ممن يملكها،بالتقرُّبِ إليه وحده بما شرع : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

ثالثا : أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأحوال السابقة وغيرها عند الله وحده لا شريك له، فلو أعطى الله سبحانه الصحة والغنى وغيرِهما كل الناس، لم ينقُص ما في خزائنه سبحانه مثقال ذرة، لأن ما عند الله لا ينقص أبدًا مهما أعطى منه أبدًا، على مر الدهور والأعوام .

فسبحان الغني الحميد الذي لاتنقص خزائنه أبداً: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان:٢٦].

وقال عز وجل في الحديث القدسي : (يا عبادي! لو أنَّ أَوَّلَكم وآخِرَكم، وإِنسَكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألته، ما

نَقَصَ ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أُوَفِّيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليَحمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه) أخرجه مسلم [1].

وحتى يقوى الإيمان ويزيد، لابُدَّ للقلب أن يعلم أنَّ الله هو الواحد الأحد، القادر على كل أحد، الخالق لكل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاجه إليه كل أحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

فالله جلَّ جلاله واحدٌ لا شريك له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

أحدٌ لا مثيل له في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

هو الملك وكل ما سواه مملوكٌ له، وهو الرب وكل ما سواه عبدٌ له، وهو الخالق وكل ما سواه مخلوقٌ له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وهو سبحانه القوي وكل ما سواه ضعيف، وهو القادر وكل ما سواه عاجز، وهو الكبير وكل ما سواه صغير، وهو الغنيّ وكل ما سواه فقير، وهو العزيز وكل ما سواه ذليل، وهو الحقّ وكل معبودٍ سواه باطل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢].

وهو سبحانه العظيم الذي لا أعظمَ منه، العليّ الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الرحمن الذي لا أرحم منه .

وهو سبحانه القويّ الذي خلق القوة في كل قوي، القادر الذي خلق القدرة في كل قادر، الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم، العليم الذى عَلَّم كل

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

مخلوق، والرزاق الذي خلق جميع الأرزاق والمرزوقين : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه الإله الحقّ الذي يستحقُّ العبادةِ وحده دون سواه لذاته، وجلاله، وجماله، وجميل إحسانه، وله وحده الأسماء الحُسنى، والصفات العُلا، والأفعالُ الحميدة : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

وهو سبحانه الملكُ الحقّ الذي بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء، فتوجَّه إليه يا عبدالله بالعبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس:٣].

هو وحده المالك لكل شيء، الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل بشيء، المُنْعِم بكل شيء، هو وحده المُحيط بكل محيط، القادر على كل قادر، القاهر لكل قاهر، الواحد المالك لكل واحد : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك:١].

هذا هو الرب الذي يستحقَّ العبادة وحده لا شريك له، لذاته وجلاله وجماله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

هذا هو الرب الذي يستحقّ أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكرفلا يُنسى، ويُشكرفلا يُكفر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس:٣].

فالإيمان بالله عز وجل هو أصل أركان الإيمان، وجميع أركان الإيمان الباقية راجعةٌ إليه، ومتفرعةٌ عليه، وستأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى .

البصيرة التاسعة والأربعون

أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : الإيمان بالملائكة .

الثاني : الإيمان بالكتب .

الثالث : الإيمان بالرسل

٤٩ - أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

١ -الإيمان بالملائكة

يشتمل الإيمان بالملائكة على ست مسائل :

الأولى : صفة الإيمان بالملائكة .

الإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين في ملكه العظيم.

نؤمن بمن سمى الله منهم، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل،ومن لم نعلم اسمه منهم فنؤمن بهم إجمالا، ونؤمن بما علمنا من صفاتهم، وأعمالهم .

وهم من حيث الرتبة عباد مكرمون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء؛ وهم عالم غيبي، خلقهم الله تعالى من نور .

عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ : «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجَانُّ من مَارِجٍ من نار، وخُلق آدم مما وُصِفَ لكم» أخرجه مسلم [١]

والملائكة من حيث العمل، يعبدون الله ويسبحونه، ويفعلون ما يؤمرون : ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

وهم من حيث الطاعة لله عز وجل، منحهم الله عز وجل الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه، وهم مجبولون على الطاعة : ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].

الثانية : عدد الملائكة .

الملائكة عدد كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى، منهم حملة العرش، وخزنة الجنة، وخزنة النار، والحفظة، والكتبة، وغيرهم .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦) .

يصلي منهم كل يوم في البيت المعمور فوق السماء السابعة سبعون ألف ملك، فإذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ففي قصة المعراج أن النبي ﷺ لما أتى السماء السابعة قال:«فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيهِم» متفق عليه[1].

الثالثة : أسماء وأعمال الملائكة .

الملائكة عباد مكرمون، خلقهم الله لطاعته، وعبادته، وتنفيذ أوامره.

منهم من اختص الله بعلمهم، ومنهم من أعلمنا الله بأسمائهم وأعمالهم، وقد وكلهم الله بأعمال ومنهم :

جبريل ﷺ الموكل بالوحي للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

وميكائيل ﷺ وهو الموكل بالقطر والنبات، وإسرافيل ﷺ وهو الموكل بالنفخ في الصور .

وهؤلاء أعظم الملائكة، وهم موكلون بأسباب الحياة .

فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب بالإيمان، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض بعد موتها، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد بعد موتها .

ومنهم مالك خازن النار، وهو الموكل بالنار، ومنهم رضوان خازن الجنة، وهو الموكل بالجنة، ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت .

ومنهم حملة العرش، وخزنة الجنة، وخزنة النار، والموكلون بالجبال، والموكلون بالبحار، ومنهم الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم، وحفظ أعمالهم، وكتابتها لكل شخص، ومنهم الموكل بالعبد دائما، ومنهم ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، ومنهم ملائكة يتتبعون مجالس الذكر .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٢).

ومنهم الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام، يكتبون رزق الإنسان، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، بأمر الله، ومنهم الملائكة الموكلون بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وغيرهم كثير مما لا يحصيه إلا الله الذي أحصى كل شيء عددا، فلا إله إلا الله، ما اعظم ملكه؟، وما أعظم خلقه؟.

الرابعة : وظيفة الكرام الكاتبين .

خلق الله الملائكة الكرام الكاتبين، وجعلهم علينا حافظين، يكتبون الأقوال، والأعمال، والنيات، والإرادات مع كل إنسان ملكان، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من امامه، وواحد من خلفه : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١٠-١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : «يقولُ اللهُ: إذا أرادَ عَبْدِي أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فلا تَكْتُبُوها عليه حتَّى يَعْمَلَها، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها مِن أجْلِي فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، وإذا أرادَ أنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ» متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠١)، ومسلم برقم (١٢٨).

الخامسة : عظمة خلق الملائكة.

الملائكة خلق عظيم الخلق، خلقهم الله الخلاق العليم الذي يقول للشيء كن فيكون، وهم متفاوتون في عظمة الخلق .

فجبريل ﷺمن أعظم الملائكة، له ستمائة جناح، الجناح منها يسد الأفق، وبطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط إلى السماء، ثم قلبها بمن فيها، وهي مكان البحر الميت الآن .

فكم تكون قوة كامل جناحه؟، وكم تكون قوة أجنحته الستمائة؟، وكم تكون قوة رجليه؟، وكم تكون قوة كامل بدنه؟، وكم تكون قوة الرب القوي العظيم الجبار الذي خلقه؟ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

وإسرافيل ﷺ ملك موكل بالنفخ في الصور، إذا نفخ نفخة واحدة صعق من في السموات والأرض، وإذا نفخ فيه أخرى قاموا أحياء ينظرون : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر:٦٨].

فهذه قوة نفخته فكم تكون قوة بدنه! وكم تكون قوة الرب العظيم الذي خلقه! : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

وملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، فكم تكون المسافة بين رأسه إلى قدميه ! وكم تكون عظمة الكبير الذي خلقه !: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ «رأى جبريلَ له ستُّمائةِ جَناحٍ » متفق عليه[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أُذِنَ لي أن أحدِّثَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٧)، ومسلم برقم (١٧٤).

عن ملَكٍ مِن ملائِكَةِ اللهِّ تَعالى مِن حمَلةِ العَرشِ إنَّ ما بينَ شَحمةِ أذُنِهِ إلى عاتِقِهِ مَسيرةُ سَبعِمائةِ عامٍ » أخرجه ابو داود [١].

سادسًا : ثمرات الإيمان بالملائكة.

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، ومن أعظم ثمراته:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقدرته، وقوته، وحكمته، ورحمته : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

فقد خلق الله الملائكة الذين لايعلم عددهم إلا الله، وجعل منهم حملة العرش الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة، فكيف بعظمة العرش ! وكيف عظمة من فوق العرش : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

الثانية: حمد الله وشكره على عنايته ببني آدم، حيث وكل من الملائكة من يقوم بحفظهم، ونصرتهم، وكتابة أعمالهم، والدعاء لهم : ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

الثالثة: محبة الملائكة على مايقومون به من عبادة الله تعالى، والتسبيح بحمده، والدعاء والاستغفار للمؤمنين كما قال الله عز وجل عن حملة العرش ومن حوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر:٧-٩].

---

(١)صحيح/ أخرجه ابو داود برقم (٤٧٢٧) .

٢ - الإيمان بالكتب

يشتمل الإيمان بالكتب على سبع مسائل :

الأولى : صفة الإيمان بالكتب .

الإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على أنبيائه ورسله هداية لعباده، وهي من كلامه حقيقة، وأن ما تضمنته حق لاريب فيه، منها ما سمى الله في كتابه، ومنها مالا يعلم أسماءها وعددها إلا الله عز وجل .

الثانية : عدد الكتب السماوية المذكورة في القرآن .

بين الله عز وجل في القرآن أنه أنزل الكتب الآتية :

أحدها : صحف إبراهيم ﷺ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[الأعلى:١٨-١٩].

الثانية : التوراة، وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٤].

الثالث : الزبور، وهو الكتاب الذي أنزله الله على داود ﷺ: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[النساء:٤٤].

الرابع : الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى ﷺ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[المائدة:٤٦].

الخامس : القرآن وهو الكتاب الذي أنزله الله على محمد ﷺ للناس كافة: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة:٤٨].

الثالثة : حكم الإيمان والعمل بالكتب السماوية السابقة .

نؤمن بأن الله عز وجل أنزل هذه الكتب السماوية، ونصدق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة، ونعمل بأحكام ما لم ينسخ منها، مع الرضا والتسليم .

وما لم نعلم اسمه من الكتب السماوية نؤمن بها إجمالاً : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وجميع الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها منسوخة بالقرآن العظيم كما قال سبحانه : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة:٤٨].

الرابعة : حكم ما في أيدي أهل الكتاب من الكتب

ما في أيدي أهل الكتاب مما يسمى بالتوراة والإنجيل، لا تصح نسبته كله إلى أنبياء الله ورسله، فقد وقع فيهما التحريف والتبديل، كنسبتهم الولد إلى الله، وتأليه النصارى لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، ووصف الخالق بما لا يليق بجلاله، وإتهام الأنبياء ونحو ذلك من الكذب،فيجب رد ذلك كله، وعدم الإيمان إلا بما جاء في القرآن أو السنة تصديقه .

وإذا حدثنا أهل الكتاب فلا نصدقهم ولا نكذبهم، ونقول آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان ما قالوه حقاً لم نكذبهم، وإن كان ما قالوه باطلاً لم نصدقهم .

الخامسة : حكم اليهودية و النصرانية

الدين الحق الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل هو الإسلام، وهو الحق وكل ما سواه باطل : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران:١٩].

فليست اليهودية ولا النصرانية أديان سماوية، ولا يجوز أن يقال اليهودية دين موسى ﷺ، ولا النصرانية دين عيسى ﷺ.

واليهودية إنما حدثت بعد التوراة بقرون، وكذلك النصرانية.

بل اليهودية والنصرانية أديان مخترعة مبتدعة، مليئة بالتحريف، والتبديل، والبدع، والكفر، الذي يتنافى مع جلال الله وأسمائه وصفاته ودينه الحق : ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥].

وقد نفى الله عن إبراهيم ﷺ اليهودية والنصرانية، كما نفى عنه الشرك، فدل على أنهما ديانتا كفر أحدثهما الكفار بعده، فلا يليق بأبي الأنبياء ﷺ أن يوصف بهما : ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران:٦٧].

السادسة : حكم الإيمان والعمل بالقرآن الكريم

القرآن الكريم الذي أنزله الله عزّ وجلّ على خاتم الأنبياء وأفضلهم محمد ﷺ، هو آخر الكتب السماوية، وأعظمها، وأكملها، وأحكمها، أنزله الله تبيانًا لكل شيء، وهدىً ورحمةً للعالمين.

فهو أفضل الكتب،نزَل به أفضل الملائكة وهو جبريلُ ﷺ، على أفضل الخلق وهو محمدٌ ﷺ، على أفضل أمةٍ أُخرِجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها

وهو اللسان العربي : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وقال عز وجل : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

والقرآن الكريم كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الدعوة إلى الله، وكتاب الهداية إلى الحق، وكتاب العلم والأحكام، وكتاب الأجر والثواب، وأكثر الخلق يقرأونه لتحصيل الأجر، ويغفلون عن أعظم مقاصده : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

فيجب على كل أحدٍ الإيمان به، والعمل بأحكامه،والتأدّب بآدابه، ولا يَقبل الله العمل بغيره بعد نزوله، تكفّل الله بحفظه،فسَلِمَ من التحريف والتبديل، ومن الزيادة والنقصان : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩].

وقال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وقال عز وجل : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

السابعة: دلالة آيات القرآن الكريم

آيات القرآن الكريم فيها تبيانُ كل شيء، وهي إما خبر أو طلب .

والخبر قسمان:

إما خبرٌ عن الخالق وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، وهو الله عز وجل، كما قال سبحانه : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ

﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وإما خبرٌ عن المخلوق كالسماوات والأرض، والعرش والكرسي، والإنسان والحيوان، والجماد والنبات، والجنة والنار، وأخبار الأنبياء والرسل، وأتباعهم وأعدائهم، وجزاء كل فريق، ونحوِ ذلك من أخبار القرآن : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٧-٢٨].

والطلب قسمان :

إما أمرٌ بعبادة الله وحده، وطاعة الله ورسوله، وفعلِ ما أمر الله به كالصلاة والصيام، وغير ذلك من أوامر الله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء:٥٩].

وإما نهيٌ عن الشرك بالله، وتحذيرٌ مما حرّم الله كالربا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾[آل عمران: ١٠٣].

فلله الحمد والشكر، وله المنة والفضل، حيث أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وهدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمةٍ أُخرجت للناس: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) ﴾ [الحجر: ٨٧].

٣- الإيمان بالرسل

يشتمل الإيمان بالرسل على المسائل الآتية:

الأولى : صفة الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله عز وجل بعث في كل أمةٍ رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه، وأنهم جميعًا مرسلون صادقون، وقد بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، منهم من أعلمنا الله باسمه، ومنهم من استأثر الله بعلمه : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)** ﴾ [النحل:٣٦].

الثانية: حكم الإيمان بالأنبياء والرسل .

يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، ومن كفر بواحدٍ منهم فقد كفر بهم جميعًا، ويجب تصديق جميع ماصحّ عنهم من أخبارهم، والاقتداء بهم في صدق الإيمان،وكمال التوحيد، وحسن الخُلق، والعمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم وأفضلهم، المُرسَل للناس كافة،وإلى العالم قاطبة، محمد ﷺ: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)** ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)** ﴾ [النساء:١٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**

وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ [البقرة:١٣٦].

الثالثة: ما الفرق بين الرسول والنبي؟ .

الرسول هو من أوحى الله إليه بشرعٍ، وأمره بتبليغه إلى من لا يَعْلَمه، أو يَعلَمه ولكنه خالفه .

والنبي هو من أوحي الله إليه بشرعٍ سابق،ليُعلم مَن حوله مِن أصحاب ذلك الشرع، ويجدده، فكل رسولٍ نبي، ولا عكس .

والرسول والنبي إذا اجتمعا في آية فلكل واحد معناه، وإذا افترقا شَمِلَ كل واحدٍ معنى الاخر.

الرابعة : بَعْثُ الأنبياء والرسل .

لم تخْلُ أمةٍ من رسولٍ يبعثه الله تعالى بشريعةٍ مستقلة الى قومه، أو نبي يوحي إليه بشريعة مَنْ قبله، ليُجددها مِنْ بعده : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [المائدة:٤٤].

وقد امتنَّ الله على هذه الأمة،فبعث إليهم سيّد الأنبياء والرسل ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة:٤].

المسألة الخامسة : عدد الأنبياء والرسل .

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرون، منهم من بين الله أسماءهم في القرآن، وقص علينا أخبارهم، وهم خمسة وعشرون.

آدم ﷺ : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥].

وقال الله تعالى ذاكرا بعض أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٨٩].

وهؤلاء تسعة عشر .

العشرون: إدريس ﷺ : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم:٥٦].

الحادي والعشرون: هود ﷺ : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء:١٢٣-١٢٥].

الثاني والعشرون: صالح ﷺ : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء:١٤١-١٤٣].

الثالث والعشرون: شعيب ﷺ : ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الشعراء:١٧٦-١٧٨].

الرابع والعشرون: ذو الكفل ﷺ ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ

ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص:٤٨].

الخامس والعشرون: محمد ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من لم نعلم أسماءهم، ولم يقص الله علينا خبرهم، فنؤمن بهم إجمالاً : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر:٧٨].

وعن أبي أُمَامة رضي الله عنه قال، قال : أبو ذرّ رضي الله عنه ؛قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهَّ كَم وفاء عدّة الْأَنْبِيَاءُ ؟ ! قال:«مِائَةُ أَلْفٍ وأربعة وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ ثَلَاثُ مِائَةٍ وخمسة عَشَرَ جمًّا غَفِيرًا» أخرجه أحمد والطبراني (١).

السادسة : أُولو العزم من الرسل .

أُولو العزم من الرسل خمسة وهم :

نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وقد ذكرهم الله جميعا بقوله سبحانه : ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى:١٣].

المسألة السابعة : أول الرسل.

الأنبياء والرسل دينهم واحد، وهو الإسلام، وشرائعهم مختلفة، أولهم يبشر بآخرهم، ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم، ويؤمن به : ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٢٦٤٤) .

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [الصف:٦].

ونوح ﷺ أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض بعد أن حدث الشرك بعد آدم ﷺ بعشرة قرون، أرسله الله لقوم كافرين، ليدعوهم إلى الله، ويأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن الشرك : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران:٨١].

وقال الله تعالى : ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء:١٦٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة وفيه : « إن آدمَ ﷺ قَالَ اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ» متفق عليه(١).

الثامنة : آخر الأنبياء والرسل.

آخر الأنبياء والرسل محمد ﷺ،فلا رسول ولا نبي بعده إلى يوم القيامة : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ [الأحزاب:٤٠].

المسألة التاسعة : إلى من بعث الله الأنبياء والرسل؟

بعث الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أقوامهم خاصة، كما قال سبحانه : ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ [الرعد:٧].

وبعث الله محمداً ﷺ إلى الناس كافة، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضلهم،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم برقم (١٩٤).

فهو سيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، أرسله الله رحمة للعالمين : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

العاشرة : الحكمة من بعثة الأنبياء والرسل .

الحكمة من بعثة الأنبياء والرسل هي :

الأولى : دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [النحل:٣٦].

الثانية : بيان الطريق الموصل إلى الله، وهو الدين الحق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة:٢].

الثالثة : بيان حال الناس بعد الوصول إلى ربهم يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١ ﴾ [الحج:٤٩-٥١].

الرابعة : إقامة الحجة على الناس، كما قال سبحانه : ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ ﴾ [النساء:١٦٥].

الخامسة : رحمة الخلق، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

المسألة الحادية عشرة : صفات الأنبياء والرسل .

الأولى: جميع الأنبياء والرسل رجال من البشر، اختارهم الله عز وجل، واصطفاهم واجتباهم من بين سائر عباده، فضلهم الله بالنبوة والرسالة، وأيدهم بالآيات، وأكرمهم الله بالرسالة، وكلفهم بها، وأمرهم بإبلاغها إلى الناس، ليعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة ما سواه، ووعدهم على ذلك الجنة، وقد صدقوا وبلغوا عليهم الصلاة والسلام : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل:٤٣].

وقال الله تعالى : ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

الثانية : أمر جميع الأنبياء والمرسلين بالدعوة إلى الله، وعبادته وحده لاشريك له، وشَرعَ لكلّ قوم من الشرائع ما يُناسب أحوالهم:كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة:٤٨].

الثالثة: أن الله تعالى لمّا اصطفى الأنبياء والرسل، شرّفهم بالعبودية له، ووصفهم بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، كما قال عن محمدٍ صلى الله عليه

وسلم في مقام التنزيل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١].

وقال في عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف:٥٩].

الرابعة: أن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشرٌ مخلوقون، يأكلون ويشربون، ويَنْسَون وينامون، ويُصيبهم المرض والموت، وهم كغيرهم لا يملكون شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية، فلا يملكون النّفع والضرّ لأحدٍ إلا ما شاء الله، ولا يملكون شيئاً من خزائن الله، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلَعهم الله عليه، أرسلهم الله إلى خلقه مُبشِّرين ومُنذِرين .

قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾ [الأنعام:٥٠].

المسألة الثانية عشرة : خصائص الأنبياء والرسل

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أطهر البشر قلوباً، وأزكاهم عقولاً، وأصدقهم إيماناً، وأحسنهم أخلاقاً، وأكملهم ديناً، وأقواهم عبوديةً، وأكملهم أجساماً، وأحسنهم صورةً.

وقد خصَّهم الله عزّ وجلّ بخصائصٍ تمُيزهم عن غيرهم من البشر وهي:

الأولى : أن الله اصطفاهم بالوحي والرسالة : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج:٧٥].

وقال الله تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

الثانية: أنهم معصومون فيما يبلّغونه للناس من العقيدة والأحكام، ولو أخطأوا فالله عزّ وجلّ يَرُدَّهم إلى الحقّ والصواب كما قال سبحانه : ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ١-٥].

الثالثة: أنهم لا يُورَثون بعد موتهم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: « لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ». متفق عليه(١).

الرابعة: أنها تنام أعينُهم، ولا تنام قلوبُهم.

عن أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفيه قال أنس : «والنبي ﷺ نائمةٌ عيناه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم» أخرجه البخاري (٢).

الخامسة: أن الأنبياء والرسل يخَيّرون عند الموت بين الدنيا والآخرة،

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبيٍ يمرَض إلا خُيّر بين الدنيا والآخرة ». متفق عليه(٣).

السادسة: أنهم يُقبَرون حيث ماتوا .

عن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« لم يُقبَر نبيٌّ إلا حيث يموت» أخرجه احمد (٤).

السابعة: أنهم أحياء في قبورهم يُصلّون.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٧٣٠)، ومسلم برقم (١٧٥٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٥٨٦)، ومسلم برقم (١٤٤٤).

(٤) صحيح/ أخرجه احمد برقم (٢٧) .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي عِنْدَ الكثيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي في قَبْرِهِ». أخرجه مسلم[1].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يُصلُّون» أخرجه أبو يعلى بسند جيد[2].

الثامنة: أن أزواجهم لا تُنكحُ من بعدهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب:٥٣].

الثالثة عشرة: تفاضل الأنبياء والرسل.

الأنبياء سواء من جهة النبوة التي هي خصلةٌ واحدة لا تفاضل فيها، وإنما يكون التفاضل بين الأنبياء والرسل في زيادة الأحوال، والخصائص، والآيات، والألطاف.

ولهذا منهم رسلٌ، ومنهم أنبياء، ومنهم أولو العزم، ومنهم من اتخذه الله خليلاً، ومنهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات، ونحو ذلك من الفضائل.

وأفضلهم في كل ذلك سيِّد ولد آدم محمد ﷺ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء:٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٧٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٤٢٥).

وقال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء:١١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعبِ، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعِلت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا، وأُرسِلْتُ إلى الخَلقِ كافَّةً، وخُتِم بي النَّبيُّونَ » أخرجه مسلم (١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « لاَ تخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِياءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكانَ فِيمَنْ صُعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى ». متفق عليه(٢).

الرابعة عشرة: ثمرات الإيمان بالأنبياء والرسل.

من تلك الثمرات معرفة رحمة الله عزّ وجلّ بعباده، وعنايته بهم، حيث أرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده، وكيف يعبدونه، ويبيّنون ما للعباد من الثواب والعقاب: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

ومنها حمدُ الله وشكره على هذه النعمة، ومنها محبة الرسل، والثناء عليهم من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٢)، ومسلم برقم (٢٣٧٤).

غير إطراء، لأنهم رسلُ الله، قاموا بعبادته، وإبلاغ رسالته، والنُّصح لعباده، ورحمةِ خَلقه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾[الأحزاب:٣٩].

ومنها الاقتداءُ بهم فيما أرسلهم الله به من التوحيد، وصدق الإيمان، وحُسن الخُلق، وكمال الأدب، ودوام الذكر والشكر والطاعة لله عزوجل : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام:٩٠].

فلله الحمد والشكر على بِعثة الأنبياء والرسل إلى الأمم، يدعونَهم إلى عبادة الله وحده واجتناب عبادة ما سواه : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

البصيرة الخمسون

أركان الإيمان : الإيمان بالقدر

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : فقه أوامر الله عز وجل.

الثاني : أقسام أوامر الله عز وجل.

الثالث : فقه القدر.

الرابع : أركان الإيمان بالقدر.

الخامس : أنواع القدر.

السادس : أحكام القدر.

السابع : حكم الرضا بالقدر.

الثامن : ثمرات الإيمان بالقدر.

٥٠- أركان الإيمان : الإيمان بالقدر

١ - فقه أوامر الله عز وجل

أوامر الله عز وجل نوعان :

أوامر ملكية كونية .. وأوامر إلهية شرعية .

والأوامر الكونية ثلاثة أنواع :

الأول : أمر الخلق والإيجاد : وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بالخلق كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

الثاني أمر البقاء : وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بالبقاء، كما قال سبحانه: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾ [فاطر:٤١].

وقال الله تعالى : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥ ﴾ [الروم:٢٥].

الثالث: أمر التصريف والتدبير، والنفع والضر، والحركة والسكون، والحياة والموت، إلى آخره، وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن

﴿فَيَكُونُ ۝٦٨﴾ [غافر:٦٨].

أما الأوامر الشرعية الموجهة للإنس والجن فهي خمسة أنواع وهي :

أوامر التوحيد والإيمان، والعبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والأخلاق: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

وهذه الأوامر الشرعية موجهة من الله للثقلين الإنس والجن فقط: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وهي الدين الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل كتبه، وهي أعظم نِعم الله على خلقه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

وبمقدار قوة اليقين على أسماء الله وصفاته وأفعاله، وأوامره الكونية والشرعية، يأتي عند العباد الشوق والرغبة والتلذذ بامتثال أوامر الله الشرعية، وأسعد الناس بذلك أعظمهم معرفة بربهم، وهم الأنبياء، ثم من سار على هديهم : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩﴾ [محمد:١٩].

وبامتثال أوامر الله الشرعية، يفتح الله لنا بركات السموات والأرض في الدنيا، ويدخلنا الجنة في الآخرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وقال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

٢-أقسام أوامر الله عز وجل

أوامر الله عزوجل قسمان :

الأول: أوامر شرعية قد تقع من العبد، وقد يخالفها العبد بإذن الله، وهي كل ما أمر الله ورسوله به.

ومنها : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان:٢٢-٢٤].

الثاني:أوامر كونية لابد من وقوعها،ولا يمكن للإنسان مخالفتها ، وهي نوعان:

الأول : أمر رباني مباشر لازم الوقوع، فكل ما أراد الله وقوعه فلا بد أن يقع كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس:٨٢-٨٣].

الثاني : أوامر ربانية كونية وهي السنن الكونية التي تتكون بإذن الله من أسباب ونتائج يتفاعل بعضها مع بعض، ولكل سبب كوني نتيجة، ومن السنن الكونية:

قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال:٥٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦].

وهذه السنن الكونية يمكن لإبليس وأتباعه محاولة تسخيرها لتكون سببا في هلاك بعض الناس، وقد شرع الله لنا الاستغفار والتوبة والدعاء للنجاة من ذلك، والدعاء لجوء إلى الله الذي خلق السنن الكونية كلها كالماء والنار والهواء، فهو القادر على إبطال مفعولها، وتغيير نتيجتها، في أي وقت شاء، وكيف شاء، كما أبطل مفعول النار على إبراهيم ﷺ : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

٣- فقه القدر

القدر هو علم الله تعالى بكل شيء، وتقدير ذلك، وكتابته في اللوح المحفوظ.
والقدر سر الله في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.
وكل ما يفعله الله عز وجل ويقضيه ويقدره على خلقه، ففيه مصالح كثيرة، وحكم عظيمة، وكل ذلك في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان.
فما يفعله سبحانه من المعروف والإحسان، دال على كرمه ورحمته، وما يفعله من البطش والانتقام، دال على غضبه وسخطه.
وما يفعله من اللطف والإكرام دال على محبته ورأفته، وما يفعله من الإهانة والخذلان، دال على بغضه ومقته، وما يفعله بمخلوقاته من النقص ثم الزيادة والكمال، دال على كمال قدرته، ودال على وقوع المعاد: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج:٥-٧].

وأقدار الرب عز وجل نوعان:

الأول: ما يجريه الله في الكون من الخلق والرزق، والحياة والموت، والتصريف والتدبير، ونحو ذلك من الأوامر الكونية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام:٩٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

فهذه الأقدار العظيمة، يجريها الله أمامنا كل يوم، لنعلم بها كمال قدرة الله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وإحاطة علمه بكل شيء، فإذا عرفنا ذلك زاد إيماننا بالله، وزاد تعظيمنا له، وزاد حبنا له، فأطعناه وعبدناه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفنا ذلك آمنا بالله وحده وعبدناه وحده لا شريك له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: ما يجريه الله على الإنسان من خير أو شر، فهذا يكون بحسب عمله.

فمن آمن وعمل صالحا أسعده الله في الدنيا،ثم زاد سعادته عند الموت، ثم زاد سعادته في القبر، ثم تبلغ سعادته كمالها في الجنة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

ومن كفر وعصى الله شقي في الدنيا، ثم زاد شقاؤه عند الموت، ثم زاد عذابه في القبر، ثم ينال كامل العذاب في النار: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

وقال الله تعالى عن الكفار: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد:٣٣-٣٤].

فيجري قدر الله على الإنسان بحسب ما يصدر من الإنسان من خير وشر، أو طاعة أو معصية، أو إيمان أو كفر: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

﴿بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف:٩٦].

وأكثر الناس لا يعلمون سر هذه الأقدار، ولهذا تتراكم المصائب على أكثر الخلق، فيتوجهون إلى المخلوق في حلها، فلا ترتفع، بل تزداد، فيحصل اليأس والقنوط: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن:١١].

والحقيقة أن حلها بأيديهم، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

فإذا غيروا الكفر بالإيمان، والمعصية بالطاعة، والإساءة بالإحسان، أصلح الله أحوالهم فورا، وإن غيروا الخير بالشر، عذبهم الله بذنوبهم، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [الأنفال:٥٣].

أما المصائب فتارة تكون عقوبة على المعاصي، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠].

وتارة تكون تربية للعبد لتصفية توحيده مما شابهُ من الأكدار، كما قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وتارة تكون المصائب لتكفير سيئات العبد، ورفعة درجاته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ اللَّهُ بها مِن خَطاياهُ). متفق عليه(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما مِن مُسْلِمٍ يُشاكُ شَوْكَةً، فما فَوْقَها إلّا كُتِبَتْ له بها دَرَجَةٌ، ومُحِيَتْ عنه بها خَطِيئَةٌ) أخرجه مسلم (٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١)، ومسلم برقم (٢٥٧٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٢).

٤ - أركان الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر هو التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر، وكل شيء، فهو بقضاء الله وقدره، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

و أركان الإيمان بالقدر فهي أربعة:

الأول : الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملةً وتفصيلًا، سواء كان مما يتعلق بفعله سبحانه، كالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، ونحو ذلك، أو مما يتعلق بفعل المخلوقين، كأقوال الإنسان، وأفعاله، وأحواله، وكأحوال الحيوان والنبات والجماد، وكل شيء، فالله به عليم، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

الثاني : الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، من المخلوقات، والعوالم، والأحوال، والأرزاق، والآجال، كتب كميته وكيفيته، وزمانه ومكانه، فلا يتغير ولا يتبدل، ولا يزيد ولاينقص، إلا بأمره سبحانه : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كَتَبَ اللهُ مَقادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قالَ: وَعَرْشُهُ على الماءِ) أخرجه مسلم [١].

الثالث : الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله وإرادته، فكل شيء

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

واقع بمشيئة الله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، سواء كان مما يتعلق بفعله سبحانه كالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، ونحو ذلك، أو كان مما يتعلق بأفعال المخلوقين كالنيات، والأقوال، والأعمال، والأحوال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١١-١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٧-٢٩].

الرابع: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء.

خلق سبحانه جميع الكائنات بذراتها، وصفاتها، وحركاتها، لا خالق غيره، ولا رب سواه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦].

٥ - أنواع القدر

ماقدره الله وقضاه بالنسبة للإنسان نوعان:

الأول : ما قضاه الله وقدره من أعمال وأحوال خارج إرادة الإنسان، سواء كانت فيه كطوله وقصره، وحسنه ونوعه، وحياته وموته، أو وقعت عليه بغير اختياره كالمصائب والأمراض، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وغيرها من المصائب التي تارة تكون عقوبةً للعبد، وتارةً تكون امتحاناً له، وتارةً رفعةً لدرجاته، أوتكفيرِ سيئاته .

وهذه الأفعال التي تجري فيه، أو تقع عليه دون إرادةٍ منه، لا يُسأل عنها الإنسان، ولا يحاسب عليها، لأنها بغير اختياره .

ويجب عليه الإيمان أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، وعليه الصبر والرضا والتسليم، فما من حادثة في الكون إلا وللعليم الخبير الرحيم فيها حكمٌ وحكمةٌ، ورحمةٌ وإحسان: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قالَ اللهُّ عزَّ وجلَّ: يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ، بيَدِي الأمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ). متفق عليه(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنتُ خلفَ رسولِ الله ﷺ يومًا فقال يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ،احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كَتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).

يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ). أخرجه أحمد والترمذي [1].

الثاني : ما قضاه الله وقدّره من الأفعال التي يقدِر عليها الإنسان، ويفعلها بما وهبه الله من العقل والقدرة والاختيار،كالإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي، والإحسان والإساءة .

فهذه وأمثالها يحاسب عليها الإنسان، وبحسبها يكون الثواب والعقاب، لأن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وبيّن الحق من الباطل، ورغّب في الإيمان والطاعات، وحذّر من الكفر والمعاصي، وزوّد الإنسان بالعقل، وأعطاه القدرة على الاختيار، فيسلك ما شاء بمحض اختياره، وأي الطريقين اختار فهو داخلٌ تحت مشيئة الله وإرادته، إذ لا يقع في ملك الله شيءٌ بدون علمه ومشيئته وإرادته : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف:٢٩-٣٠].

وقال الله تعالى : ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:١٨-٢٠].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩].

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

٦ - أحكام القدر

تشتمل أحكام القدر على ثمان مسائل :

المسألة الأولى: متى يجوز الاحتجاج بالقدر؟

يجوز أن يحتج الإنسان بالقدر على المصائب، فإذا مرض الإنسان أو خسر، أو ابتُلي بمصائب بغير اختياره، فله أن يحتجّ بقدر الله، فيقول: قدّر الله وما شاء فعل، وعليه أن يصبر ويرضى إن استطاع، لينال الثواب العظيم من ربه، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

ولا يجوز أن يحتج الإنسان بالقدر على المعاصي، فيترك الواجبات، أو يفعل المحرمات، لأن الله أمر بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وأمر بالعمل، ونهى عن الاِتكال على القدر، ولو كان القدر حجةً لأحد لم يعذب الله المكذبين للرسل، كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء:١٢٣].

ومن رأى القدر حُجة لأهل المعاصي، يرفع عنهم الذمَّ والعقاب، فعليه ألاّ يذمّ أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه، ولا يفرّق بين من يفعل معه خيراً أو شراً، وهذا باطل مبنيٌّ على باطل، وجهل بالدين، وسفاهةٌ في العقل، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

المسألة الثانية: حكم فعل الأسباب:

الدين كله حِكَمٌ وأحكام، وعدلٌ وإحسان، وقضاءٌ وقدر، فما قدّره الله للعبد من خيرٍ أو شرٍ قدّره مربوطاً بأسبابه، فللخير أسبابه وهي الإيمان والطاعات، وللشرّ أسبابه وهي الكفر والمعاصي، والإنسان يعمل بمحضِ الإرادة التي قدّرها الله له، والاختيار الذي منحه الله له، ولا يصل العبد إلى ما كتب الله عليه وقدّره له من سعادة أو شقاء إلا بواسطة تلك الأسباب التي يفعلها باختياره، الذي منحه الله إياه، فلدخول الجنة أسبابٌ يجب فعلها، ولدخول النار أسبابٌ يجب تركها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٢٩-٣١].

وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

وعن علي رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يوم جَالِسًا وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ به، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: «ما مِنكُم مِن نَفْسٍ إلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ»، قالوا: يا رَسُولَ الله، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفلا نَتَّكِلُ؟ قالَ: «لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل:١٠]. متفق عليه[١].

المسألة الثالثة: حكم دفع القدر:

يُشرَعُ دفع القدر بالقدر فيما يأتي:

الأول: دفع القدر الذي قد انعقدت أسبابه ولمّا يقع، بأسباب أخرى من القدر

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٥)، ومسلم برقم (٢٦٤٧).

تقابله، كدفع العدو بقتاله، ودفع شدة الحر والبرد ونحو ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النحل:٨١].

الثاني:دفع القدر الذي قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله، كدفع قدر المرض بقدر التداوي، ودفع قدر الذنب بقدر التوبة، ودفع قدر الإساءة بقدر الإحسان وهكذا : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

المسألة الرابعة : مشيئة الله عامة لكل شيء .

فعل الخير والشر من العبد، لا ينافي نسبتهما إلى الله خلقًا وإيجادا، فالله خالق كل شيء ومن ذلك خلق الإنسان وأفعاله، ولكن ليست مشيئة الله عز وجل دليلًا على رضاه، فالكفر والمعاصي والفواحش كائنة بمشيئة الله، ولكن الله لا يحبها، ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضها وينهى عنها : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

وكون الشيء مبغوضًا ومكروهًا لا يخرجه عن مشيئة الله المتضمنة لخلق كل شيء، فلكل شيء خلقه الله حكمةٌ مقصودة واقعة على أساس تدبيره لملكه وخلقه سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر:٤٩].

المسألة الخامسة : حكم أفعال العباد.

أفعال العباد مخلوقة، فالله عز وجل خلق العبد، وخلق أفعاله، وعلم ذلك،

وشاءه وكتبه قبل وقوعه، فإذا فعل العبد خيرًا أو شرا انكشف لنا ما علمه الله وخلقه، وشاءه، وكتبه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر:٦٢].

وعِلم الله بفعل العبد علم انكشاف، علم معرفة وإحاطة، فالله قد أحاط بكل شيء علما، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وكون الله قد شاء وقوع المعاصي، فإن العاصي هو الذي أختارها، فإن الله لا يحب المعاصي، ولا يأمر بها، بل يبغضها ويكرهها ، وبنهى عنها : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾[الأعراف:٢٨-٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾[يونس:٦١].

وعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق (إِنَّ أَحَدَكُمْ يجْمَعُ خَلْقُهُ في بطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ في ذلك

عَلَقَةً مِثْلَ ذلك، ثُمَّ يَكونُ في ذلك مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ، فَوالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا) متفق عليه(١).

وأفعال الله عز وجل دائرة بين العدل والإحسان، لا يمكن أن يظلم أحدًا أبداً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

والإحسان أحب إليه من العدل، والعفو أحب إليه من الانتقام، فهو سبحانه اما أن يعامل عباده بالعدل، واما أن يعاملهم بالإحسان، فالمسيء يعامله بالعدل، كما قال سبحانه : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠].

والمحسن يعامله بالفضل والإحسان، كما قال سبحانه : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

المسألة السادسة : فقه الطاعات والمعاصي .

خلق الله عز وجل الجن والإنس مخيرين، فهم إما أن يؤمنوا، أو يكفروا، أو يطيعوا، أو يعصوا كما قال سبحانه : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

ومقصود الله عز وجل من خلقه توحيده، والإيمان به، وطاعته، وعبادته وحده لا شريك له بما شرع : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٣).

[الذاريات:٥٦-٥٨].

والطاعة تولد المنفعة، وتثمر الأخلاق الحسنة، والمعصية تولد المضرة، وتثمر الأخلاق السيئة . فالشمس، والقمر، والنبات، والحيوان، والبر، والبحر، أطاعت ربها، فخرج منها منافع كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى .

والأنبياء، والدعاة، والعلماء، لما أطاعوا الله، خرج منهم من الخير ما لا يحصيه إلا الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب:٧١].

وابليس وجنوده من الجن، والإنس، لما عصوا ربهم، وأبوا واستكبروا عن طاعة الله، خرج بسببهم من الشرور والفساد في الأرض ما لا يحصيه إلا الله تعالى وهكذا الإنسان إذا أطاع ربه خرج منه من الخير والمنافع له ولغيره ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وإذا عصى ربه خرج منه من الشر والمضار له ولغيره ما لا يحصيه إلا الله تعالى : ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝١٤﴾ [النساء:١٣-١٤].

آثار الطاعات والمعاصي:

جعل الله عز وجل للطاعات والحسنات آثارًا لذيذةً طيبةً محبوبة، لذتها فوق لذة المعصية بأضعافٍ مضاعفة، ترغيباً للمؤمنين في الاستكثار من الطاعات .

وجعل سبحانه للمعاصي والسيئات آثارًا وألآمًا مكروهة، تورث الحسرة والندم، وتربي على لذة فعلها بأضعافٍ مضاعفه، زجراً للناس عن المعاصي: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ۝١٧﴾ [الجن:١٧].

وما حصل لعبد حال مكروهٍ قط إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، والذنوب مضرة بالقلوب مثل السموم مضرة بالأبدان : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى:٣٠].

والله خلق الإنسان على الفطرة حسنًا جميلًا، فإن تلوث بالذنوب والخطايا نزع منه حسنه وجماله، وإذا تاب إلى الله عاد إليه حسنه وجماله، وبلغ كماله في الجنة ورافق رسله وانبياءه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٧٠].

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة:٤٠].

المسألة السابعة : فقه الحسنات والسيئات.

الحسنات قسمان :

الأول:حسنة سببها الإيمان والعمل الصالح،وهي الطاعة لله عزوجل ولرسوله ﷺ .

الثاني : حسنة سببها الإنعام الإلهي على الإنسان، بما يؤتيه الله من مال وصحة وعزة ونحو ذلك .

وهذه وهذه كلاهما من نعم الله على العبد : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

والسيئات قسمان :

الأول : سيئة سببها الشرك والمعاصي، وهي ما يصدر من الإنسان من شرك ومعصية : ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

الثاني: سيئة سببها الإبتلاء أو الإنتقام الإلهي كأمراض الجسم، وضياع المال، والخوف، والجوع، والهزيمة ونحو ذلك : ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة:١٥٦ -١٥٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى:٣٠].

فالحسنة بمعنى الطاعة لا تنسب إلا إلى الله، فهو الذي شرعها للعبد، وعلمه إياها، وأمره بفعلها، وأعانه عليها، وأثابه عليها .

والسيئة بمعنى المعصية لله ورسوله، إذا فعلها العبد بإرادته واختياره، مؤثرًا المعصية على الطاعة، فهذه السيئة تنسب للعبد فاعلها، ولا تنسب إلى الله، لأن الله لم يشرعها، ولم يأمر بها، بل حرمها، وتوعد عليها، كما قال سبحانه : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء:٧٩].

أما الحسنة بمعنى النعمة، كالمال، والولد، والصحة، والنصر، والعزة ونحو ذلك.

والسيئة بمعنى النقمة والابتلاء، كالنقص في المال، والأنفس، والثمرات، والهزيمة، ونحو ذلك .

فهاتان الحسنة والسيئة بهذا المعنى من عند الله، لأنه عز وجل يبلو عباده ابتلاءً، وانتقاما، ورفعة، تربية لعباده، كما قال سبحانه : ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء:٧٨].

وسبل دفع عقوبة السيئات.

إذا عمل المؤمن سيئةً فعقوبتها تندفع عنه بما يلي :

إما أن يتوب إلى الله فيتوب الله عليه، أو يستغفر الله فيغفر الله له، أو يعمل حسناتٍ تمحوها، أو يدعو له إخوانه المؤمنون، ويستغفرون له، أو يهدوا له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به، أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تكفر عنه ذنوبه،

أو يبتليه في البرزخ بمصائب فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة بما يكفر عنه، او يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يرحمه أرحم الراحمين، والله غفور رحيم ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه:٨٢].

المسألة الثامنة : فقه الهداية والإضلال.

الله عز وجل وحده له الخلق والأمر، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فالملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، وهو الحكيم الخبير: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء:٢٣].

ومن رحمته سبحانه أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأوضح السبل، وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهداية والطاعة، بالأسماع، والأبصار، والعقول، وبعد ذلك من آثر الهداية ورغب فيها، وطلبها، وعمل بأسبابها، وجاهد في سبيل تحصيلها، هداه الله إليها، وأعانه على تحصيلها، وتكميلها، وهذا من رحمة الله بعباده، وفضله عليهم، وإحسانه إليهم : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومن آثر الضلالة، ورغب فيها، وطلبها، وعمل بأسبابها تمت له، وولاه الله ما تولى، ولم يجد من الله صارفاً عنها، وهذا عدل الله : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء:١١٥].

٧- حكم الرضا بالقدر

الرضا بالقدر ثلاثة أقسام :

الأول: الرضا بالطاعات، وهذا واجب.

الثاني: الرضا بالمصائب، وهذا مستحب.

الثالث: الرضا بالكفر والفسوق والعصيان، فهذا لا يؤمر بالرضا به، بل يؤمر ببغضه وسخطه، فإن الله لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨-٣٠].

وهو سبحانه وإن خلق الشر، وهو لا يحبه، فإنه يفضي إلى ما يحبه، من التوبة والاستغفار، كما خلق الشياطين والمعاصي، فنحن نرضى بما خلق الله، أما نفس الفعل المذموم فاعله كالقتل والزنا والسرقة، فلا نرضى به، ولا نحبه.

فالأمر الواحد يُحب من وجه، ويبغض من وجه، كالدواء الكريه، فهو مكروه لكنه يفضي إلى محبوب : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة:٢١٦].

والطريق إلى الله أن نرضيه، بأن نفعل ما يحبه ويرضاه، ليس أن نرضى بكل ما يحدث ويكون، ولسنا مأمورين أن نرضى بكل ما قضاه وقدره، ولكننا مأمورون بأن نرضى بما أمرنا الله ورسوله أن نرضى به، ونكره ما أمرنا الله

ورسوله أن نكرهه : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات:٨].

وقضاء الله خيرًا أو شرًا له وجهان :

أحدهما: تعلقه بالرب، ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يرضى به العبد .

وقضاء الله كله خير وعدل، وحكمة ورحمة : ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

الثاني: تعلقه بالعبد، ونسبته إليه، وهذا منه ما يُرضى به كالايمان والطاعات، ومنه مالا يرضى به، كالكفر والمعاصي، وكذلك الله لا يرضاها، ولا يحبها، ولا يأمر بها : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾ [القصص:٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [الزمر:٧].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦].

٨- ثمرات الإيمان بالقدر

الإيمان بالقضاء والقدر مصدر الراحة، والطمأنينة،والسكينة، والسعادة لكل مسلم ومسلمة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

فالمؤمن يعلم أن كل شيء بقدر الله، فلا يعجب بنفسه عند حصول مراده، ولا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه لأنه يعلم أن ذلك كله بقدر الله، وهو كائن لا محالة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

وقال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١].

وعن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له.) أخرجه مسلم [1].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (عجِبتُ من قضاءِ الله للمُؤمِنِ، إنْ أصابَهُ خيرٌ حمِدَ اللهَ وشكَرَ، وإنْ أصابَتْهُ مُصيبةٌ حمِدَ اللهَ وصبَرَ، فَالمؤمِنُ يُؤْجَرُ في كلِّ شيءٍ، حتى في اللُّقْمَةِ يرفَعُها إلى في امْرأتِهِ)

أخرجه أحمد [1].

فالإيمان بالقدر يثمر للعبد طمأنينة النفس، وسكونها، ورضاها بما قدر الله العزيز الرحيم، وذاك مقصود الله من خلقه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة:٧-٨].

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٤ ﴾[الفتح: ٤].

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها انت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٤٩٢) .

البصيرة الحادية والخمسون

الصبر..أحكامه، وأنواعه، وثوابه

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه المصائب.

الثاني: أشد الناس بلاءً.

الثالث: فضائل الصبر.

الرابع: أنواع الصبر المشروع.

الخامس: شروط الصبر.

السادس: الأسباب المعينة على الصبر على المصائب.

السابع: ما يفعله المسلم عند المصائب.

٥١- الصبر..أحكامه، وأنواعه، وثوابه

١ - فقه المصائب:

المصيبة: هي كل مكروه يصيب الإنسان.

والمقصود من خلق النار، والمصائب، والأمراض، صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وتوجيه الناس إلى رب الناس، وتذكير العباد بنعم رب العباد، وجذب النفوس من دارالغرور إليدار السرور، وابتلاء العباد باختبار إيمانهم، ورفع درجاتهم، وزيادة حسناتهم، وتكفير سيئاتهم، وقوة صبرهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وما أصاب من مصيبة في النفس، والمال، والأهل، والولد، والكون، إلا بقضاء الله وقدره، سبق بذلك علمه، وجرى به قلمه، ونفذت بذلك مشيئته، واقتضت ذلك حكمته، لا مقدم لما أخّر، ولا مؤخّر لما قدم: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

وجميع المصائب والنعم، وكل شيء يجري في الكون، كله مكتوب في اللوح المحفوظ، قبل خلق الخلائق بخمسين ألف سنة: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ

أَلفَ سَنَةٍ، قَالَ وَعَرْشُهُ عَلى المَاءِ». أخرجه مسلم[1].

وجميع الخلائق في العالم العلوي والسفلي مملوكون لله عز وجل ، مدبَّرون بأمره ، ومسرعون إلى إرادته ، فإذا ابتلانا أرحم الراحمين بما يشاء، فقد تصرَّف الملك بمماليكه، فلا اعتراض على ما قضاه وقدَّره : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

والدنيا دار الامتحان والابتلاء والمصائب، خاصة موت الأحباب من الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، وفَقْد ثمرات الأفئدة ، وفلذات الأكباد، من البنين والبنات .

جبر الله مصيبة كل مسلم مصاب ، وأعظم أجره على ما أصابه ، ولا حَرَمه جزيل ثوابه ، وألهمه التسليم لأمر ربه، والرِّضى بقضائه، وأخلف عليه من مصابه أحسن الخَلَف، وشرح صدره بما يُرضي ربه ، ويبرِّد حرارة مصيبته : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

وأحسن الله عزاءكم يا أهل المصيبة ، وجبر مصيبتكم ، وغفر ذنوبكم ، ورفع درجاتكم، وجمعكم بمن فقدتم في الفردوس الأعلى ، فاصبروا واحتسبوا ، وأبشروا بما وعد الله عباده المؤمنين الصابرين، فالأرزاق مقسومة ، والأنفاس معدودة ، والآجال مقدَّرة : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

٢ - أشد الناس بلاءً

الدنيا دار الامتحان والابتلاء والعمل، والآخرة دار الجزاء بالثواب أو العقاب.

وأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل يُبتلى المؤمن على حسب دينه.

فمن كان دينه صلبًا اشتدّ بلاؤه، ومن كان بلاؤه أكثر وأشدّ، فثوابه أعظم وأكثر: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

وإنما كان الأنبياء والصالحون أشد بلاءً؛ لأنهم لو لم يبتلوا لتوهّم الناس فيهم الألوهية، وليهون على الناس الصبر على البلّية، ولأن من كان أشد بلاءً كان أشد تضرعًا إلى ربه، ومن كان أقرب إلى ربه كان بلاؤه أشد، ليكون ثوابه أعظم وأكبر، وأكثر وأكمل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

والصبر من أعظم ثمار الإيمان، لأنه شاقٌّ على النفوس؛ لما فيه من مجاهدة النفس، وحبسها عما تريد، ولهذا كان الصبر ضياء، وما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥-١٥٧].

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وأَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذىً وَلَا غَمٍّ حَتَّى

الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». متفق عليه[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: « يقول الله تَعَالى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَة ». أخرجه البخاري[2].

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ الله ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ: « الأنبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلى العَبْدُ عَلى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْباً اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابتُلِي عَلى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَة ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[3].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالمؤْمِنِ وَالمؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ». أخرجه الترمذي[4].

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٧٣).

(2) **أخرجه البخاري** برقم (٦٤٢٤).

(3) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٨)، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣) وهذا لفظه.

(4) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٩).

٣- فضائل الصبر

المؤمن يسأل ربه العافية، ولا يسأله البلاء، لأن العافية أقوى على عبادة الله .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

فإذا نزل بالمؤمن البلاء صبر عليه، واحتسب الأجر عليه من ربه، ومن صبر ودرّب نفسه على الصبر صبّره الله، وأعانه، ورضي عنه وأرضاه: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠].

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِي الله عَنْه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ ». متفق عليه[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ : دَخَلْتُ عَلى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أَجَلْ ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أَجَلْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا ». متفق عليه[٢].

ومن أراد الله به خيراً أصابه بالمصائب التي تُذكّره بربه، وتُذكّره بالموت، وتُذكّره بذنوبه، وتُذكّره بالتوبة، ويرفع الله بها درجاته، ويُكفّرعنه سيئاته، ويزيد

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٥٠٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٧) ، ومسلم برقم (٢٥٧١)، واللفظ له.

ثوابه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ [التوبة:٥١].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ» . أخرجه البخاري(١).

وأَمْر المؤمن كله خير ، في السراء والضراء ؛ كرامة له من ربه ، وموعظة له.

عَنْ صُهَيْب رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: « عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ » . أخرجه مسلم(٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبتي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا ، إِلَّا أَجَرَهُ الله فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا». أخرجه مسلم(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ». أخرجه البخاري(٤).

فالله عز وجل يحب الصابرين، والله عز وجل مع الصابرين، فهنيئًا وبشرى للمؤمنين الصابرين : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ [الروم:٦٠].

وبشِّر الصابرين:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٢٤٨).

إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ ليجازي كل عامل بما عمل، فاستقم، واصبر، واحتسب الأجر؛ تَنْعم بالأمن في الدنيا ، وعظيم الأجر في الآخرة ، ورضوان الرب عليك ، والفوز بمعيته ومحبته : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وبشّر الصابرين : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وبشِّر الصابرين : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر: ١٠].

وبشِّر الصابرين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وبشِّر الصابرين : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وبشِّر الصابرين : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ [النحل: ٩٦].

وبشر الصابرين : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) ﴾ [الشورى: ٤٣].

وبشر الصابرين : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر: ١-٣].

٤ - أنواع الصبر المشروع

الصبر المشروع ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على أداء الطاعات: كالوضوء والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج والجهاد وغيرها من أنواع العبادات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

الثاني: الصبر عن فعل المعاصي والمحرمات: كالصبر عن الزنا، وأكل الربا، وشرب الخمر، وسرقة الأموال وغيرها من المحرمات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣].

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [الزمر: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

ومن صبر على هذه الثلاثة ابتغاء وجه الله فهو الصابر حقًا: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

٥- شروط الصبر

الصبر المشروع ثلاثة أنواع :

صبر على أداء الطاعات .. وصبر عن المعاصي .. وصبر على أقدار الله المؤلمة.

ومن صبر على هذه الثلاثة ابتغاء وجه الله، فهو الصابر حقاً ، ومن استكمل شروط الصبر نال الثواب العظيم من ربه الكريم : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر:١٠].

وشروط الصبر الذي ينفع صاحبه ثلاثة :

الأول : إخلاص الصبر لله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرعد:٢٢-٢٤].

الثاني: عدم شكوى حاله للناس، بل يشكو حاله إلى ربه وحده، كما قال يعقوب ﷺ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٦ ﴾ [يوسف:٨٦].

الثالث : أن يكون الصبر في أوانه، لا بعد انتهاء زمانه.

عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي الله عَنْه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :«الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» .متفق عليه(١).

ومن استكمل شروط الصبر الثلاثة نال الثواب العظيم من ربه الكريم : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر:١٠].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٥٢) ، ومسلم برقم (٩٢٦)، واللفظ له.

٦- الأسباب المعينة على الصبر على المصائب

يعين على الصبر على المصائب ما يلي:

الأول: العلم بقدر الله السابق بالمصيبة، وأنها واقعةٌ لا محالة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

الثاني: معرفة جزاء الصبر على المصيبة؛ وهو حصول الثواب العظيم لمن صبر عليها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

الثالث: معرفة حق الله في تلك المصيبة؛ وهو الصبر، والرضى، والحمد، والاحتساب، والاسترجاع: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد:٢٢].

الرابع: العلم بأن الله قد ارتضاها له، والعبد حقًا من رضي بما رضي له به سيده.

الخامس: العلم بأنه رابحٌ في تلك المصيبة إما بتكفير سيئاته، أو رفع درجاته، أو تصفية توحيده: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

السادس: العلم بأن تلك المصيبة دواءٌ نافعٌ ساقه الله إليه؛ فليصبر وليحتسب.

السابع: العلم بأن تلك المصيبة ما جاءت لتهلكه؛ وإنما جاءت لتمتحن صبره، هل يصلح أن يكون من أولياء الله أم لا يصلح؟: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد:٣١]..

الثامن: أن يعلم أن في عاقبة هذا الدواء من العافية والشفاء، وتجريد التوحيد، ما لا يحصل بدونه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا

﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

التاسع: أن يعلم المسلم أن الله يربّي عبده بالسّراء والضرّاء ليستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال.

العاشر: أن يعلم أن الدنيا ليست جنةُ نعيم، ولا دار قرار، وإنما هي ممرٌّ تكليفٍ وابتلاء، لا تستقيم للعبد على حال، والآخرة هي دار القرار.

الحادي عشر: التأسي بأهل الصبر والثبات من الأنبياء والصالحين، وما لاقوه من ألوان الابتلاء، والاستعانة بالله أن يرزقه الصبر، وأن يكشف كربته، وأن يجبر مصيبته، وأن يستصغر المصيبة، ويعلم أن الله قادرٌ أن يصيبه بأعظم منها، وأن ربه جعلها في الدنيا لا في الدين، وجعلها في الدنيا لا في الآخرة.

الثاني عشر: اليقين بقرب الفرج، وحسن العاقبة، وحسن العِوَض عما فات، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.. وغير ذلك من الأسباب التي تعين على الصبر: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

وقال الله تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

٧- ما يفعله المسلم عند المصيبة

يجب على من أصابتهم مصيبة من أقارب الميت وغيرهم إذا علموا بموته: الصبر، ويسنُّ لهم الرضا بالقدر، والاحتساب، والاسترجاع .

والصبر: هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكّي، والجوارح عن المحرم، كلطم الخدّ، وشقّ الثوب ونحوهما:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت :سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» أخرجه مسلم [1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:« ما من الناس مسلم يُتَوَفى له ثلاثةٌ لمْ يَبْلغُوا الحُنْثَ إلا أَدخَلَه الله الجَنَّة بفضل رحمته إياهم« أخرجه البخاري [2].

والمؤمن إذا أصابته مصيبة صبر عليها، لينال عظيم ثوابها ، ويحمد ربه عليها ؛ لأنها موعظة له من ربه، وإن أراد كَشْفها أنزلها بالله ، وقدَّم الشكوى إليه ، وتضرع إليه، ليكشفها عنه ، وذلك من الدعاء الذي يحبه الله؛ لما فيه من إخلاص التوحيد، وصِدق الاضطرار، وقُرْب الإجابة : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

والبكاء المباح ، والحزن الجائز ، هو ما كان بدمع العين ، وحزن القلب ، من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٨) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٨١).

غير تسخط على أقدار الله ، وقد حصل هذا من أكمل الخلق نبينا محمد ﷺ .

عَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِي الله عَنْه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ:« وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبي إِبْرَاهِيمَ» ثُمَّ دَفَعَهُ إِلى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ أَبو سَيْفٍ ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ ، فَانْتَهَيْنَا إِلى أَبي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ قَدِ امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخاناً، فَأَسْرَعْتُ المَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ ، جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَأَمْسَكَ ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ ، فَقَالَ أَنسٌ : لَقَدْ رَأَيتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: « تَدْمَعُ الْعَيْنُ، ويَحْزَنُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، والله يَا إِبراهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ ».متفق عليه[1].

اللهم إنا نسألك الرضا بقضائك، والصبر على بلائك، ياأرحم الراحمين

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥)، واللفظ له.

بصائر الإسلام الكبرى

الباب السابع

ويشتمل هذا الباب على البصائر الآتية :

٥٢ - الموت : معناه، وعلاماته، وأحكامه.

٥٣ - حقوق الميت.

٥٤ - أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر.

٥٥ - أحوال اليوم الآخر [الجزء الأول].

٥٦ - أحوال اليوم الآخر [الجزء الثاني].

٥٧ - الإخلاص.. معناه، وأحكامه، وثمراته.

٥٨ - مقاصد الشريعة : معناها، وأقسامها، وثمراتها.

٥٩ - الابتلاء.. معناه، وأقسامه، وثمراته .

٦٠ - الطاعات..فضائلها،وأسبابها،وثوابها.

٦١ - المعاصي.. أسبابها، وأقسامها، وعقوباتها.

البصيرة الثانية والخمسون

الموت : معناه، وعلاماته، وأحكامه

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: الأحوال التي يمر بها الإنسان.

الثاني: فقه الموت.

الثالث: أحكام الموت.

الرابع: علامات حُسن الخاتمة.

الخامس: ما يُفعل بالمسلم إذا مات.

السادس: حكم النعي.

السابع: ما يفعله المصاب عند المصيبة.

الثامن: ما ينتفع به المسلم بعد موته.

٥٢- الموت : معناه، وعلاماته، وأحكامه

١- الأحوال التي يمر بها الإنسان

الإنسان يَرْكب طبقاً بعد طبق، ويتحول من حال إلى حال، سواء كان في الزمان، أو المكان، أو الأبدان، أو القلوب .

فأحوال الزمان تتقلب على الإنسان في الدنيا من ليل إلى نهار، ومن صباح إلى مساء، ومن أمن إلى خوف، ومن صحة إلى سقم، ومن سِلْم إلى حرب، ومن غنى إلى فقر، ومن فرح إلى حزن، ومن حياة إلى موت ونحو ذلك من التقلبات : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[النور:٤٤].

وأحوال المكان ينتقل الإنسان فيها كل يوم من منزل إلى منزل، ومن مكان إلى مكان، من بطن الأم إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبر، ومن القبر إلى الحشر، إلى أن تنتهي به المنازل في دار القرار، في الجنة أو النار: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ﴾[يونس:٢٢].

وأحوال الأبدان يَرْكب الإنسان فيها طبقاً عن طبق، فيكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم طفلاً، ثم شاباً، ثم شيخاً، ثم هرماً، ثم يموت، ثم البعث: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون:١٢-١٦].

وأحوال القلوب عجيبة، فتارة تتعلق بالله، وتارة تتعلق بالدنيا، وتارة تتعلق بالأموال، وتارة تتعلق بالرئاسة، وتارة تتعلق بالنساء والقصور ونحو ذلك من الشهوات : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ

مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وأعظم تعلقات القلب أن يكون معلقاً بالله عز وجل، مُؤْثراً مرضاة ربه في كل شيء، فيستخدم النفس والمال والدنيا من أجل تحقيق العبودية لله تعالى ، وتقديم مراد الله على مراد نفسه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وهذه أعظم الأحوال الأربعة، فعلى الإنسان أن يتفقد قلبه؛ ليحفظه من التعلق بغير الله، ويزكيه ويشغله بذكر الله، وطاعته، وعبادته، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال الله تعالى : {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: ٧٩].

وقال الله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

٢ - فقه الموت

الموت هو مفارقة الحياة، بخروج الروح من البدن .

والموت بيد الله وحده : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

وقال عز وجل : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ١-٢].

والبقاء لله وحده، وقد كتب الله الموت والفناء على كل مخلوق، ولا مفر لأحد منه، فالإنسان مهما طال أجله، فلا بد أن يموت، ليتبين الحي الذي يموت من الحي الذي لا يموت، وينتقل الإنسان من دار العمل إلى دار الجزاء : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

والقبر أول منازل الآخرة ، وهو إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار، وقد كتب الله الموت على كل حي من الخلق: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨].

وبعد الموت حساب، ثم جنة أو نار : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والموت مخلوق آت على كل حي من المخلوقات: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء: ٧٨].

فسبحان الحي الذي لا يموت، وكل ما سواه من الخلق يموت : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

ويجب على المسلم أن يتذكر دائماً الموت، لا على أنه فراق للأهل والأحباب ولذات الدنيا، فهذه نظرة قاصرة، بل على أن الموت فيه فراق للعمل والحرث للآخرة، وبهذا يستعد المسلم، ويزيد في عمل الآخرة، والإقبال على الله تعالى .

أما النظرة الأولى فتزيده حسرة وندماً وألماً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:٩-١١].

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَاتِ» .

أخرجه الترمذي وابن ماجه (١)

وإذا أراد الله قَبْض روح عبد بأرض، جعل له فيها حاجة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان:٣٤].

ويجب على المسلم أن يحسن الظن بالله تعالى عند الموت ؛ لقوله ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ» . أخرجه مسلم(٢).

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

٣- أحكام الموت

ما يفعله من أصابه مرض مَخُوف:

يجب على المريض أن يؤمن بقضاء الله، ويصبر على قدره، ويحسن الظن بربه، ولا يتمنى الموت، ويطلب الشفاء من الله وحده، وأن يؤدي حقوق الله تعالى، وحقوق الناس، وأن يكتب وصيته، ويسن أن يوصي إن كان موسراً لأقاربه الذين لا يرثونه بالثلث فأقل، وهو الأفضل، وأن يتداوى بمباح، وأن يتداوى المريض عند طبيب مسلم لا كافر، إلا إذا احتاج إليه، وأَمِن مكره.

وتسن عيادة المريض، وتذكيره التوبة، والوصية، وأداء الحقوق.

والسنة أن يشكو المريض حاله إلى ربه، وله أن يصف حاله لغيره على وجه الإخبار، لا على وجه التسخط كما قال يعقوب ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف:٨٦].

والنعم والمصائب رسائل تذكير ورحمة وإنذار للعباد: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

ما يقوله مَنْ حضره الموت:

عنعائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ -وأصْغَت إليه قبل أن يموت-، وهو مسند إليَّ ظهره، يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَأَلْحِقْني بِالرَّفيقِ الأعلى». متفق عليه[١].

حكم تمني الموت:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإنْ كَانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّياً لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٤٤).

خَيْراً لي، وَتَوَفَّني إذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لي». متفق عليه[١].

صفة الاستعداد للموت:

يجب على المسلم أن يستعد للموت، ويكثر من ذكره، ويستعد للقاء ربه.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذاتِ».

أخرجه الترمذي وابن ماجه [٢]

والاستعداد للموت يكون بالتوبة من المعاصي، وإيثارالآخرة، والخروج من المظالم، والإقبال على الله بأنواع الطاعات، واجتناب المحرمات، وحفظ الأوقات بالعمل الصالح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

حكم تلقين من حضرته الوفاة:

من حق المسلم على المسلم أن يعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات.

ويسن لمن شهد مَنْ حضرته الوفاة أن يُلقنه الشهادة، فَيذَكِّره بقول «لا إله إلا الله»، وأن يدعو له، ولا يقول في حضوره إلا خيراً، أمَّا تلقينه بعد الموت، أو بعد دفنه، فبدعة؛ لعدم ثبوته عن النبي ﷺ.

ولا بأس أن يحضر المسلم وفاة الكافر، ليعرض عليه الإسلام، ويقول له: «قل لا إله إلا الله».

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ

([١]) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨٠).

([٢]) صحيح/ أخرجه **الترمذي** برقم (٢٣٠٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥٨).

النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». أخرجه البخاري[1].

علامات الموت:

يُعرف موت الإنسان بانخساف صدغيه، وميل أنفه، وانفصال كفيه، واسترخاء رجليه، وشخوص بصره، وبرودته، وانقطاع نَفَسِهِ، وسكونه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٨٣-٩٦].

مكان وزمان الموت:

لا يعلم بمكان وزمان موت الإنسان إلا الله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

---

[1] أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦).

٤ – علامات حُسنِ الخاتمة

لحُسن الخاتمة علامات:

إحداها: نطق الميت بالشهادة عند الموت.

الثانية: موت المؤمن بعَرَق الجبين.

الثالثة: الاستشهاد أو الموت في سبيل الله.

الرابعة: الموت مرابطاً في سبيل الله.

الخامسة: الموت دفاعاً عن نفسه، أو ماله، أو أهله.

السادسة: الموت بذات الجَنب، أو بداء السل.

السابعة: الموت بالطاعون، أو بداء البطن، أو الغرق، أو الحرق، أو الهدم.

الثامنة: موت المرأة في نفاسها بسبب الولادة ونحو ذلك.

التاسعة: الموت وهو يؤدي عملاً صالحاً من ذكر، أو صلاة ، أو دعوة ونحو ذلك.

وكل ذلك ثابت في الأحاديث النبوية الصحيحة.

وليس للموت يوم الجمعة، أو يوم الاثنين، مزية على ما سواه من الأيام ، بل الموت في كل الأيام على حد سواء، فمن بلغ أجله، أتاه الموت، ليلاً أو نهاراً، صباحاً أو مساءً، في بلدة أو خارج بلده: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨].

٥ - ما يفعل بالمسلم إذا مات

إذا مات المسلم سُن تغميض عينيه، ويدعو عند تغميضه بقوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلانٍ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ، وَافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ، وَاخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ». أخرجه مسلم[١].

ثم يشد لحييه بعصابة، ويلِيِّن مفاصله برفق، ويرفعه من الأرض، ويخلع ثيابه، ويستره بثوب يستر عورته، ثم يغسله.

وعلى أوليائه المبادرة بقضاء دَيْنه، وتَنفيذ وصيته، وإسراع تجهيزه، والصلاة عليه، ودفنه في البلد الذي مات فيه، ويجوز لمن حضره ولغيرهم كشف وجه الميت، وتقبيله، والبكاء عليه، والدعاء له .

ويجب قضاء حقوق الله تعالى عن الميت إن كانت كالزكاة ، والنذر، والكفارة، وحَجة الإسلام، وتُقدَّم على حقوق الورثة في التركة ، وعلى الديون التي للناس، فالله أحق بالوفاء، ونفس المؤمن معلَّقة بدَينه، حتى يُقضى عنه.

ما يجب على زوجة الميت :

يجب على الزوجة أن تُحِدَّ على زوجها إذا مات أربعة أشهر وعشراً، ويجوز للمرأة أن تُحِدَّ على وفاة ولدها أو غيره من أقاربها ثلاثة أيام.

قال الله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤** ﴾ [البقرة:٢٣٤].

ومن مات في بلاد الكفر من المسلمين يُغسَّل ويُصلَّى عليه، ويُدفن في مقابر المسلمين هناك، فإن لم توجد مقابر للمسلمين نُقِل إلى بلاد المسلمين إن

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٢٠).

أمكن، فإن لم يمكن دُفن في فلاة من الأرض، ويخُفى قبره، لئلا يتعرض له الكفار بأذى.

والسنة أن يُدفنَ الإنسان حيث مات، ويجوز نقله إلى بلده إذا لم يكن فيه انتهاك لحرمته، أو تعرضه للتغيّر، لأن الله يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[التغابن:١٦].

ماذا يفعل بمن مات في البحر؟ :

من مات في البحر، وخُشيَ تغيره، غُسلَ، وكُفِّن، وصُلي عليه، وأُرْسبَ في الماء، وإن أمكن بقاءه بلا تغيُّر، انْتُظر به حتى يُدفن في المقبرة مع المسلمين .

٦ - حكم النعي

النعي: هو الإخبار بموت الإنسان .

والنعي على ثلاثة أقسام :

الأول: أن يُعلم أقارب الميت وأصدقاءه وجيرانه بموته، لكي يجتمعوا على تغسيله، والصلاة عليه، والدعاء له ، ودفنه، فهذا من النعي المشروع .

الثاني: أن يبعث من ينادي في الناس،إن فلاناً قد مات، فاشهدوا جنازته ، ومن ذلك ما يحصل في وسائل الإعلام المختلفة بالإخبار بموت فلان .

فهذا إن كان لمصلحة الميت لتُشهد جنازته ، ويصلى عليه ، ومن له دين على هذا الميت يأتي ليأخذ حقه،فهذا جائز ؛ لما فيه من مصلحة الميت ، وإبراء ذمته .

الثالث : أن يكون النعي شبيهاً بنعي الجاهلية، بذكر محاسن الميت، والصياح والنياحة ، فهذا نعي مذموم، منهي عنه .

حكم النياحة على الميت :

النياحة هي رفع الصوت بالبكاء على الميت .

يحرم على أقارب الميت وغيرهم النياحة على الميت، وهي أمر زائد على البكاء، والميِّت يُعذب في قبره بما نِيح عليه إن أوصى بذلك.

ويحرم عند المصيبة لطم الخدود، وشق الجيوب، وحَلْق ونَشْر الشعر، لما في ذلك من التسخط على قدر الله.

عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بريئ من الصالقة والحالقة والشاقة. متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٩٦)، ومسلم برقم (١٠٤).

٧- ما يفعله المصاب عند المصيبة

يجب على من أصابته مصيبة من أقارب الميت وغيرهم إذا علموا بموته الصبر، ويسن لهم الرضا بالقدر، والاحتساب، والاسترجاع.

والصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن المحرم كلطم الخد، وشق الثوب ونحوهما: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٧].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لي خَيْراً مِنْهَا ، إِلَّا أَجَرَهُ الله في مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا». أخرجه مسلم[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله الجنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ». أخرجه البخاري[٢].

ما يتبع الميت بعد موته:

عَنْ أَنَس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ». متفق عليه[٣].

حكم فعل القُرَب للميت:

فعل القُرَب من مسلم لمسلم حي أو ميت لا يجوز إلا في حدود ما ورد في

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢٤٨).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥١٤)، ومسلم برقم (٢٩٦٠).

الشرع فعله، مثل الدعاء له، والاستغفار له، والحج والعمرة عنه، والصدقة عنه، والصوم الواجب عمن مات وعليه صوم واجب كقضاء رمضان، أو صيام نذر .

وأما استئجار قوم يقرؤن القرآن، ويهدون ثوابه للميت، فهي بدعة محدثة، سواء كانت في المقبرة أو خارجها: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هَذا ما ليسَ منهُ فهو رَدٌّ ». متفق عليه(١).

حكم البكاء على الميت:

يجوز البكاء على الميت، إن لم يكن معه ندب أو نياحة، ودمع العين من الرحمة التي يجعلها الله في قلوب عباده الرحماء.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْراً لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَم، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ». ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَاإِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ». متفق عليه(٢).

ويحرم شق الثوب، ولطم الخد، ورفع الصوت بالندب والنَّوح.

عَنْ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتى رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِالرَّحَمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ، فَقَالَ: «أَقَدْ قَضَى؟» قَالُوا: لاَ، يَا

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥).

رَسُولَ اللهِ! فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللهِ بَكَوْا، فَقَالَ: «ألا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا (وَأشَارَ إِلَى لِسَانِهِ) أوْ يَرْحَمُ». متفق عليه[1].

ويسن أن لا يزيد البكاء على الميت أكثر من ثلاثة أيام.

عَنْ عَبْدِالله بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثلاثاً أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: «لاَ تَبْكُوا عَلى أَخِي بَعْدَ اليَوْمِ» ثم قَالَ: «ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي» فَجِيءَ بنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ فَقَالَ: «ادْعُوا لِيَ الحَلاَّقَ» فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُؤوسَنَا. أخرجه أبو داود والنسائي[2].

والميت يتألم ويتكدر في قبره إذا نيح عليه، وترك أهله الدعاء له، ولكنه لا يعاقب بفعلهم إلا إذا أوصاهم بالنياحة عليه: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾ [الأنعام:١٦٤].

وَعَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ». متفق عليه[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٠٤)، ومسلم برقم (٩٢٤).

(٢) **صحيح/ أخرجه** أبو داود برقم (٤١٩٢)، وأخرجه النسائي برقم (٥٢٢٧).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٩٢)، ومسلم برقم (٩٢٧).

٨- ما ينتفع به المسلم بعد موته

ينتفع المسلم بعد موته بما يلي:

الأول: دعاء المسلمين له: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ، بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ». أخرجه مسلم (١) .

الثاني: مايخلفه الميت من الأعمال الصالحة، والصدقات الجارية، والعلم النافع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». أخرجه مسلم (٢).

الثالث: ما يفعله أولاده من الأعمال الصالحة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ وَإِنَّ أَوْلاَدَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ». أخرجه أبو داود والترمذي (٣).

الرابع: قضاء الدين عنه، وقضاء الصوم عنه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ». متفق عليه(٤).

---

(١) **أخرجه** مسلم برقم (٢٧٣٣).

(٢) **أخرجه** مسلم برقم (١٦٣١) .

(٣) **صحيح/ أخرجه** أبو داود برقم (٣٥٢٨) ، وأخرجه الترمذي برقم (١٣٥٨).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٥٢)، ومسلم برقم (١١٤٧).

الخامس: أعمال البر التي كان سبباً في وجودها في حياته كبناء المساجد، وحفر الآبار، وتعبيد الطرق، ودور العلم، وتحفيظ القرآن، وإقامة المستشفيات، ونحو ذلك.

عَنِ جَرِير بنِ عَبدِالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». أخرجه مسلم [1].

السادس: الحج عنه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تحُجَّ، فَلَمْ تحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قال: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللهَ، فَاللهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ». أخرجه البخاري [2].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٥٢).

البصيرة الثالثة والخمسون

حقوق الميت

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: صفة غسل الميت وتكفينه.

الثاني: الصلاة على الميت.

الثالث: تشييع الميت.

الرابع : دفن الميت.

الخامس : أحكام تعزية أهل الميت.

السادس : أحكام زيارة القبور.

٥٣ - حقوق الميت

١ - صفة غسل الميت وتكفينه

السنة أن يُغسِّل الميت أعرف الناس بسنة الغسل، وله أجر عظيم إذا ابتغى بذلك وجه الله، وستر عليه، ولم يحدِّث بما رآه منه من مكروه.

والأَوْلى بغسل الرجل عند المشاحة وصيُّه ، ثم أبوه ، ثم جده ، ثم الأقرب فالأقرب من عصباته، ثم ذوو أرحامه .

والأَولى بغسل الأنثى وصيتها، ثم أمها، ثم جدتها، ثم الأقرب فالأقرب وهكذا، ويجوز لكلٍ من الزوجين غسل صاحبه .

ويجزئ غسل الميت ذكراً كان أو أنثى مرة واحدة تعمّ جميع بدنه، يغسل الرجل الذكور، وتغسل المرأة الإناث.

ويجوز للرجل أو المرأة غسل من له سبع سنين ذكراً كان أو أنثى.

ويَحضر غسل الميت الغاسل، ومن يُعينه على الغسل، ويكره لغيرهم حضوره من غير حاجة.

- **حكم غَسل الحرقى ونحوهم:**

إذا اجتمع مسلمون وكفار وماتوا بحريق ونحوه، ولم يمكن تمييزهم، غُسِّلوا، وكُفِّنوا، وصُلِّي عليهم، ودُفنوا بنية المسلمين منهم.

ومن تعذر غسله لاحتراق، أو تمزق ونحوهما، أو عُدِم الماء، كُفِّن بلا غسل، ولا وضوء، ولا تيمم، وَصُلِّي عليه.

وتشرع الصلاة على بعض أجزاء الميت كيد، ورِجل ونحوهما إذا تعذر الحصول على بقية البدن، أما العضو المقطوع من المسلم الحي بأي سبب فلا يُغَسَّل ولا يصلَّى عليه، وإنما يُلف في خرقة، ويُدفن في المقبرة.

وإذا مات رجل بين نسوة أجانب، أو ماتت امرأة بين رجال أجانب، أو تعذر غسل الميت، كُفِّن وصُلي عليه، ودُفِن بلا غسل.

وشهيد المعركة المقتول في سبيل الله لا يُغَسَّل، وما سواه من الشهداء يُغسَّل.

السقط إذا نزل من بطن أمه فله حالتان :

الأولى: أن ينزل من بطن أمه حياً أو ميتاً، قد تبين فيه خلق الإنسان، فهذا يُغسل ويُكفن، ويصلى عليه، ويدفن، وتكون أمه نفساء به.

الثانية : أن ينزل السقط ولم يتبين فيه خلق الإنسان.

فهذا يوارى بالتراب في أي مكان، ولا يُغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا تكون أمه نفساء به، وإن رأت الدم بسببه تغتسل مرة واحدة.

لا يجوز أن يُغَسِّل مسلم كافراً، أو يكفنه، أو يصلي عليه، أو يَتْبَع جنازته، أو يدفنه، بل يواريه بالتراب إذا عُدِمَ من يواريه من أقاربه.

ولا يشرع لأقارب المشرك من المسلمين أن يَتْبَعوا جنازته.

وصفة الغسل المسنون للميت:

إذا أراد أحد غَسل الميت، وضَعَه على سرير الغسل، ثم ستر عورته، ثم جَرَّده من ثيابه، ثم رفع رأسه إلى قرب جلوسه، ثم يعصر بطنه برفق، ويُكثر صب الماء، ثم يلف على يده خرقة أو قفازين وينجِّيه.

ثم ينوي غسله، ويوضئه ندباً كوضوء الصلاة بعد أن يضع على يده خرقة أخرى، ولا يُدخل الماء في فيه ولا أنفه، لكن يُدخل أصبعيه مبلولتين في أنفه وفمه.

ثم يغسله بالماء والسدر أو الصابون ، يبدأ برأسه ولحيته، ثم شقه الأيمن من عنقه إلى قدمه، ثم الأيسر كذلك، يَقْلبه على جنبه الأيسر، ويغسل شق ظهره الأيمن،ثم يَقْلبه على جنبه الأيمن، ثم يغسل جانبه الأيسر كذلك، ثم يغسله مرة ثانية وثالثة مثل الغسل الأول، فإن لم يُنْق زاد حتى ينقي وتراً، ويجعل في الغسلة

الأخيرة مع الماء كافوراً أو طيباً.

وإن كان شاربه طويلاً، أو أظافره طويلة، أَخَذ منها، ثم يُنَشَّف بثوب.

والمرأة يُجعل شعرها ثلاثة قرون، ويُسدل من ورائها، وإن خرج من الميت شيء بعد الغسل غَسَل المحل ووضَّأه، وحشى المحل بقطن.

ثم بعد غسل الميت يكفن الغاسل هذا الميت بالقماش.

وتكفين الميت :هو ستر بدنه بالثياب بعد الغسل.

ويجب تكفين الميت من ماله، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته من الأصول والفروع .

ويجب تكفين الميت بثوب واحد يستر جميع بدنه، والسنة أن يكون الكفن بثلاثة أثواب، لأنه السنة، ولأنه أكمل الستر.

ويسن أن يُكفَّن الرجل في ثلاث لفائف بيض جديدة، تُجمَّر بالبخور ثلاثاً، ثم تبسط بعضها فوق بعض، ويجعل الحنوط، وهو أخلاط من الطيب فيما بين اللفائف، ثم يوضع الميت على اللفائف مستلقياً على ظهره، ويجعل من الحنوط في قطن بين إليتيه، ويشد فوقه خرقة على هيئة سروال صغير يستر عورته، ويطيَّب ذلك مع سائر بدنه ، ثم يرد طرف اللفافة العليا من الجانب الأيسر على شقه الأيمن، ثم يرد طرفها الأيمن على الأيسر فوقها، ثم الثانية كذلك، ثم الثالثة كذلك ،ويجعل الفاضل عند رأسه، أو عند رأسه ورجليه إن زاد ، ثم يعقد عرضاً على اللفائف أحزمة لئلا تنتشر.

والمرأة كالرجل فيما سبق، ويكفن الصبي في ثوب واحد، والسنة في ثلاثة أثواب، لأنه أكمل في الستر.

والسقط إذا مات وله أربعة أشهر غُسِّل، وكُفِّن، وَصُلِّي عليه، ودُفن مع المسلمين.

وإذا خرج من الميت بعد تكفينه نجاسة لم يُعد الغسل ولا الوضوء؛ لما فيه من الحرج والمشقة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُفِّنَ في ثَلاثَةِ أَثوَابٍ يَمَانيَّةٍ بِيضٍ سَحُوليَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ. متفق عليه[١].

وشهيد المعركة المقتول في سبيل الله يُدفن في ثيابه التي استشهد فيها، ولا يغسل، ويستحب إن تيسر تكفينه بثوب أو أكثر فوق ثيابه إذا كان أستر له.

والمُحْرِم بحج أو عمرة أو بهما معاً إذا مات يُغَسَّل بماء وسدر أو صابون، ولا يُقَرَّب طيباً، ولا يُلبس مخيطاً، ولا يُغطَّى رأسه إن كان رجلاً؛ لأنه يُبعث يوم القيامة ملبياً على حالته، ولا يُقضى عنه بقية النسك، ويكفن في ملابسه التي مات فيها.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَجُلاً خَرَّ مِنْ بَعِيرِهِ، فَوُقِصَ، فَمَاتَ، فَقَالَ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّياً». متفق عليه[٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٤١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٦٨)، ومسلم برقم (١٢٠٦).

٢ - الصلاة على الميت

شهود الجنازة واتباعها فيه فوائد جَمَّة أهمها:

أداء حق الميت بالصلاة عليه، والشفاعة فيه، والدعاء له، وأداء حق أهله، وجبر خاطرهم عند مصيبتهم في ميتهم، والتعاون على البر والتقوى، وتحصيل الأجر العظيم للمشيِّع، وحصول العظة والاعتبار بمشاهدة الجنائز والمقابر وغير ذلك من الفوائد: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ». متفق عليه[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّه يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ». متفق عليه[٢].

حكم صلاة الجنازة:

صلاة الجنازة فرض كفاية، وهي زيادة في أجر المصلين، وشفاعة في حق الميتين، وشعيرة من شعائر الدين.

ويستحب كثرة المصلين عليها، وكلما كان المصلون أكثر وأتقى فهو أفضل.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٠)، ومسلم برقم (٢١٦٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧)، ومسلم برقم (٩٤٥).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لا يُشْرِكُونَ بِالله شَيْئاً إلا شَفَّعَهُمُ الله فيهِ». أخرجه مسلم(١).

وصفة الصلاة على الميت كما يلي:

يتوضأ من أراد الصلاة على الميت، ويستقبل القبلة، و يجعل الجنازة بينه وبين القبلة، ويجعل رأس الميت إن شاء عن يمينه، أو عن يساره.

والسنة أن يقوم الإمام عند رأس الرجل الميت، وعند وسط المرأة.

ويكبر أربعاً ، وأحياناً يكبر خمساً، أو ستاً، أو سبعاً، أو تسعاً، خاصة على أهل العلم والفضل، والصلاح والتقوى، ومَنْ لهم قَدَم صِدق في الإسلام، يفعل هذا مرة، وهذا مرة ؛ إحياء للسنة ، ويداوم على الأربع.

يكبر التكبيرة الأولى، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه، أو إلى فروع أذنيه، ثم يضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى على صدره كما سبق، ولا يستفتح، ثم يتعوذ ويسمي ويقرأ الفاتحة سراً، وأحياناً يقرأ معها سورة.

ثم يكبر الثانية ويقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ على إبْرَاهِيمَ، وَعَلى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ على مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ على إبْرَاهِيمَ، وَعَلى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ». متفق عليه(٢).

ثم يكبر الثالثة ويدعو بإخلاص بما ورد، ومنه:

١ - «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ على الإسْلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فتوَفَّهُ على الإيمَانِ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ» . أخرجه أبو داود وابن ماجه[1].

٢- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ (أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ)» . أخرجه مسلم[2].

٣-«اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ».أخرجه أبو داود وابن ماجه[3].

- وإن كان الميت صغيراً دعا بالدعاء السابق، ثم دعا لوالديه بالمغفرة والرحمة.

ثم يكبر الرابعة ، ويقف قليلاً يدعو بما شاء، ثم يسلم واحدة عن يمينه قائلاً : (السلام عليكم ورحمة الله)، وإن سلم ثانية عن يساره أحياناً فلا بأس.

ومن فاته شيء من التكبير قضاه على صفته، ويكون ما أدركه مع الإمام هو أول صلاته، فيقرأ الفاتحة ثم يكمل صلاته كما سبق، وإن خشي رفْعَ الجنازة تابَع التكبيرثم سلم، وإن لم يقضه وسلَّم مع الإمام فصلاته صحيحة إن شاء الله تعالى.

ورَفْع اليدين في التكبيرة الأولى على الجنازة سنة، وأما رَفْعها في باقي التكبيرات فيرفع تارة، ويترك تارة، ويكون الترك أكثر.

والسنة أن يُصلَّى على الميت جماعة، وألّا تنقص الصفوف عن ثلاثة، وإذا اجتمعت جنائز، فيسن أن يلي الإمام الرجال، ثم الأطفال، ثم النساء، ويُصلَّى عليهم جميعاً صلاة واحدة، ويجوز أن يُصلَّى على كل جنازة صلاة.

---

(1) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٢٠١)، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٤٩٨)، وهذا لفظه.

(2) أخرجه مسلم برقم (٩٦٣).

(3) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٢٠٢)، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٤٩٩)، وهذا لفظه.

ويكون الدعاء في صلاة الجنازة على حسب الميت، فالرجل كما سبق، ويُؤَنَّثُ الضمير مع الأنثى، ويُجْمَع الضمير إذا تعددت الجنائز، وإن كن نساء قال: اللهم اغفر لهن وهكذا، وإن كان لا يعلم المقدَّم ذكراً أو أنثى جاز أن يخاطب الميت أو الجنازة فيقول: اللهم اغفر له، أو اغفر لها.

وشهداء المعركة الذين قتلوا في سبيل الله الإمام مخير فيهم، إن شاء صلى عليهم، وإن شاء ترك، والصلاة أفضل، ويُدفنون في مصارعهم، وما سواهم من الشهداء كالغريق ، والحريق ونحوهم فهم شهداء في ثواب الآخرة ، لكن يُغَسَّلون، ويُكَفَّنون، ويُصَلَّى عليهم كغيرهم ، ويُدفنون في المقبرة.

وتشرع الصلاة على الميت المسلم ، بَرَّاً كان أو فاجراً ، لكن تارك الصلاة أبداً لا يُصلى عليه؛ لأنه كافر، والكافر لا تجوز الصلاة عليه.

وقاتل نفسه، والغال من الغنيمة، وأهل البدع غير المكفِّرة، يصلي عليهم المسلمون، ويَحْسن بالإمام وأهل الفضل ترك الصلاة عليهم، عقوبة لهم، وزجراً لغيرهم.

والمسلم الذي أقيم عليه حد الرجم، أو القصاص، يُغَسَّل، ويكفن، ويُصلى عليه صلاة الجنازة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ. أخرجه مسلم[1].

والسقط الذي له أربعة أشهر فما فوق، أو تبيَّن فيه خَلْق إنسان ، والميت الذي لم يوجد إلا بعض أعضائه يصلى عليه صلاة الجنازة ، ويُدفن في المقبرة.

فضل الصلاة على الجنازة، واتباعها حتى تُدفن:

السنة اتباع الجنازة إيماناً واحتساباً حتى يُصلى عليها ، ويُفرغ من دفنها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٧٨).

واتباع الجنائز سنة للرجال دون النساء، ولا تُصحب الجنازة بصوت، ولا نار، ولا قراءة، ولا ذِكر ولا غير ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمَاناً وَاحْتِسَاباً، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ». متفق عليه[1].

ويجوز للمسلم القادر السفر من أجل الصلاة على الميت من قريب، أو صديق، أو غيرهما؛ احتساباً وطلباً للأجر والثواب؛ لأن ذلك من اتباعه، وهو حق من حقوق المسلم على أخيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حَقُّ المُسْلِمِ على المسْلِمِ خَمْسٌ، رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ». متفق عليه[2].

ومكان الصلاة على الجنائز:

السنة أن يُصلَّى على الجنائز في مكان معدٍّ للصلاة على الجنائز، وهو الأفضل.

ويجوز أن يُصلَّى عليها في المسجد أحياناً، ومن فاتته الصلاة عليها في أحدهما صلى عليها حيث أدركها في المقبرة، أو خارجها، قبل الدفن، أو بعده.

ومن دُفن ولم يصلَّ عليه صُلِّي عليه في قبره، وإذا مات الميت وأنت أهل للصلاة، ومخاطب بالصلاة عليه وقت موته، ولم تصل عليه صلاة الجنازة، فالسنة أن تصلي عليه في قبره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَسْوَدَ أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ المَسْجِدَ

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٤٥).

(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٦٢).

فَمَاتَ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ، فقَالَ: « أَفلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ ، دُلُّونِي على قَبْرِهِ أَوْ قَالَ قَبْرِهَا » فَأَتى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا. متفق عليه[1].

وتسن صلاة الجنازة على الغائب الذي مات، ولم يُصَلَّ عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَعَى لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي اليَومِ الَّذِي مَاتَ فيهِ، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى المُصَلَّى، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيراتٍ. متفق عليه[2].

والسنة الإسراع بتجهيز الجنازة، والصلاة عليها، والذهاب بها إلى المقبرة، ودفنها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ». متفق عليه[3].

والمرأة كالرجل إذا حضرت الجنازة في المصلى أو المسجد، فإنه يشرع لها أن تصلي عليها مع المسلمين، ولها من الأجر مثل ما للرجل في الصلاة والتعزية، لكن النساء لا تصلي على الجنائز في المقبرة.

ما يقوله الميت إذا حُمل إلى المقبرة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ على أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالحةً قَالَتْ : قَدِّمُونِي ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالحةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَينَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ». أخرجه البخاري[4].

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٥٦).

(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٢٧)، ومسلم برقم (٩٥١) واللفظ له.

(3) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٤٤).

(4) **أخرجه البخاري** برقم (١٣١٤).

٣- تشييع الميت

صفة حمل الميت:

يَحمل الميت إلى المقبرة الرجال دون النساء، ويسن أن يكون المشاة أمامها وخلفها، والركبان خلفها، ولا ينبغي حمل الجنازة على سيارة إلا لعذر كبعد المقبرة، أو مشقة ونحو ذلك .

ويستحب للمسلم أن يقوم للجنازة إذا مرت به، ومن جلس فلا حرج عليه.

مكان دفن المسلم:

يُدفن المسلم في مقابر المسلمين، رجلاً كان أو امرأة، كبيراً أو صغيراً ، ولا يجوز دفنه في مسجد ، ولا في مقابر المشركين ونحوها .

مكان دفن الكافر:

من مات له قريب كافر فله أن يواريه بالتراب إن لم يوجد من يواريه من أقاربه، ويدفن في فلاةٍ من الأرض، بلا غسل، ولا تكفين، ولا صلاة، لأنه غير مسلم : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه:٥٥].

٤- دفن الميت

الأوقات التي لا يُدفن فيها الأموات، ولا يصلَّى عليهم فيها:

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيّ رضي الله عنه قَالَ: ثَلاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَنْهَانَا أنْ نُصَلِّيَ فيهِنَّ، أَوْ أنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ .أخرجه مسلم[١].

صفة دفن الميت:

السنة دفن الميت نهاراً ، ويجوز الدفن ليلاً ، ويقول مُدْخِله: « بِاسْمِ الله، وَعَلى سُنَّةِ رَسُولِ الله – وفي لفظ – وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ» .أخرجه أبو داود والترمذي[٢].

ويضعه في لحده على شقه الأيمن مستقبل القبلة ، ثم يَنْصب اللَّبِن عليه نصباً، ويُشَرِّك بينها بالطين، ثم يُدفن بالتراب، ويُرفع تراب القبر عن الأرض قدر شبر مُسَنَّماً.

والسنة دفن الميت بكفنه ، ولا يجوز دفنه في تابوت ؛ لما فيه من التشبه بالكفار ، فإن كان جسد الميت مهترئاً بالاحتراق ، أو مقطعاً ، أو كان أشلاء ممزقة ، جاز وضعه في صندوق ودفنه، ولا يجوز أن يدفن في القبر أكثر من واحد إلا لضرورة ككثرة القتلى، وقلة من يدفنهم، ويقدَّم في اللحد إلى القبلة الأفضل منهم .

ولا يشرع لأحد أن يحفر قبره قبل أن يموت، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه.

حكم البناء على القبر:

يحرم البناء على القبر، وتجصيصه، والوطء عليه، والصلاة عنده، واتخاذه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٣١).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٣٢١٣)، وأخرجه الترمذي برقم (١٠٤٦).

مسجداً، وإيقاد السرج عليه، ونثر الورود عليه، والطواف به، والكتابة عليه، واتخاذه عيداً.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

وقال النبي ﷺ: «مَن أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ». متفق عليه[١].

حكم بناء المسجد على القبر:

لا يجوز بناء مسجد على قبر، ولا يجوز دفن ميت في المسجد، لأن المسجد وقف لله عز وجل، فإن كان المسجد بُني قبل الدفن سُوِّيَ القبر، أو نُبِش إن كان جديداً، ودُفِن من فيه في المقبرة.

وإن بُني المسجد على القبر، فإما أن يُزال المسجد، وإما أن تُزال صورة القبر، وكل مسجد بني على قبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل.

ويجب تعميق القبر وتوسيعه، فإذا بلغ من يحفر أسفل القبر حَفر فيه مما يلي القبلة مكاناً بقدر الميت يوضع فيه الميت يسمى (اللحد)، وهو أفضل من الشق.

والسنة أن يُعمَّق القبر تعميقاً يمنع خروج الريح منه، وحفر السباع له.

ويجوز أن يحفر في قاع القبر حفرة في الوسط، يوضع فيها الميت، وهي الشق.

ثم يَنْصب عليه اللَّبِن، ثم يُدفن بالتراب.

والسنة دفن الميت نهارًا، ويجوز الدفن ليلًا، ولا يجوز أن يدفن في القبر أكثر من واحد إلا لضرورة، ككثرة القتلى، وقلة من يدفنهم.

ويجوز نقل الميت من قبره إلى قبر آخر إن كان هناك مصلحة للميت كأن يغمر قبره الماء، أو كانت هناك حاجة لنقله لمرور طريق ونحوه، ويجب نقله المقبرة إذا دفن في مسجد، أو قبر في مقابر الكفار، ونحو ذلك من الأسباب.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

فالقبور دُور الأموات ومنازلهم، ومحل زيارتهم، وهم قد سبقوا إليها، فلا يحل نقلهم من قبورهم إلا لمصلحة الميت، أو كانت حاجة لنقله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه:٥٥].

ويتولى إنزال الميت في قبره الرجال دون النساء، وأولياء الميت أحق بإنزاله، ويتولى إنزال المرأة من لم يجامع أهله في تلك الليلة، ويسن أن يُدخل الميت في قبره من عند رجلي القبر، ثم يُدخل رأسه سَلّاً في القبر، ويجوز إدخال الميت القبر من أيِّ جهة متيسرة.

حكم اتباع النساء للجنائز :

يشيع الأموات الرجال دون النساء، ولا يجوز للنساء اتباع الجنائز، لما عندهن من الضعف، والرقة، والجزع، وعدم تحمل المصائب، ولأنه يخرج منهن أقوال وأفعال محرمة تنافي الصبر الواجب .

ويسن لولي الميت أن يُعْلِم قبره بحجر ونحوه ؛ ليدفن إليه من يموت من أهله، ويَعرف بها قبر ميته عند زيارته.

ومن مات في البحر، وخُشي تغيره، غُسِّلَ، وَكُفِّنَ، وصُلِّي عليه، وأُرْسِبَ في الماء، وإن أمكن بقاؤه بلا تغير، انتُظِر به حتى يُدفن في المقبرة مع المسلمين.

حكم الموعظة عند القبر:

يسن الجلوس إذا وضعت الجنازة في المقبرة، وأثناء الدفن، ويسن تذكير الحاضرين أحياناً بالموت وما بعده من كبير القوم وعالمهم ، جالساً لا قائماً .

عَنْ عَليٍّ رَضِي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ في جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئاً فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » ثُمَّ قرأَ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ

﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الليل:٥-٦]. الْآيَةَ . متفق عليه(١).

ويسن بعد دفن الميت أن يقف من حضر على القبر، ويدعو له بالتثبيت، ويستغفر له، ويأمر الحاضرين بالاستغفار له ، وسؤال الله له التثبيت ، ولا يُلَقِّنه ؛ لأن التلقين عند الاحتضار قبل الموت ، ثم يعزي أهله ، ثم ينصرف.

عَنْ عُثمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ وَقفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بالتَّثبيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ». أخرجه أبو داود(٢).

ومن مات في بلاد الكفر يغسَّل، ويصلى عليه، ويُدفن في مقابر المسلمين هناك.

فإن لم توجد مقابر للمسلمين نُقل إلى بلاد المسلمين إن أمكن، فإن لم يمكن دُفن في فلاة من الأرض، ويُخفى قبره ؛ لئلا يتعرض له الكفار بأذى.

والسنة أن يدفن الإنسان حيث مات، ويجوز نقله إلى بلده إذا لم يكن فيه انتهاك لحرمته، أو تعرضه للتغير .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٤٧).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٣٢٢١).

٥- أحكام تعزية أهل الميت

التعزية :هي مواساة أهل الميت بما يخفف من حزنهم، والدعاء للميت والمصاب.

وتسن تعزية المصاب بالميت قبل الدفن أو بعده، فيقال لمصاب بميت مسلم:«إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» .متفق عليه[١].

وتسن تعزية أهل الميت، ولا حد لها، ويعزيهم بما يظن أنه يسليهم، ويكفّ من حزنهم في حدود الشرع ، ويرغِّبهم بما يَحملهم على الصبر والرضا، ويدعو للميت والمصاب المغفرة والرحمة .

ويسن للموسر والقريب أن يصنع لأهل الميت طعاماً، ويبعث به إليهم، ويكره لأهل الميت صنع طعام للناس واجتماعهم عليه إلا لحاجة كعدم من يصنع لهم طعاماً.

وتجوز التعزية في كل مكان، في المقبرة، والسوق، والمصلى، والمسجد، والبيت، والعمل ونحو ذلك.

ومن أحضر الماء في شدة حر لسقي الناس في المقابر عند الدفن والتعزية، فهو مأجور، لأن سقي الماء عبادة يؤجر عليها العبد .

ويجوز أن يجتمع أهل الميت في بيت أو مكان لأحدهم، فيقصدهم من أراد التعزية، ويعزيهم ثم ينصرف، وذلك أيسر لمن أراد أن يعزيهم من الرجال والنساء، خاصة في هذا الزمان الذي تباعدت فيه البيوت .

ولا يجوز لأهل الميت - رجالاً ونساء - تخصيص لباس معين للتعزية كالأسود مثلاً؛ لما فيه من التسخط على قضاء الله وقدره.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٢٣).

وتجوز تعزية الكفار من غير دعاء لميتهم، إن كانوا ممن لا يُظهر العداء للإسلام والمسلمين، تألیفاً لقلوبهم على الاسلام، فيقول له: أخلف الله عليك ونحوه.

حكم البكاء على الميت:

يجوز البكاء على الميت، إن لم يكن معه ندب أو نياحة، ودمع العين من الرحمة مما يجعله الله في قلوب عباده الرحماء.

ويحرم عند المصيبة شق الثوب، ولطم الخد، ورفع الصوت ونحوه، والميت يُعذَّب -أي يتألم ويتكدر- في قبره إذا نيح عليه بوصية منه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِي الله عَنْه: وَأَنتَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إنها رَحمَةٌ». ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لمَحْزُونُونَ». متفق عليه(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميِّتُ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ». متفق عليه(٢).

وعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلاثاً أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثم أَتاهُمْ فَقَالَ: «لا تَبْكُوا عَلى أَخِي بَعْدَ اليَومِ»، ثم قال: «ادْعُوا لي بَني أَخِي» فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ فقال: «ادْعُوا لي الحَلَّاقَ» فأمره فحلق رؤوسنا. أخرجه أبو داود والنسائي(٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٩٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٢٧).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٤١٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٢٢٧).

٦ - أحكام زيارة القبور

زيارة المسلم للقبور لها ثلاث مقاصد:

الأول: تذكر الآخرة، والاعتبار، والاتعاظ بالأموات.

الثاني: الإحسان إلى الميت بالدعاء له بالمغفرة والرحمة؛ لأنه يُسَرّ بذلك، ويفرح كما يفرح الحي بمن يزوره ويهدي إليه.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة الشرعية في زيارة القبور، وكسب الأجور: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

وتسن زيارة القبور للرجال؛ لأنها تذكِّر بالآخرة، والموت، وتُمنع منها النساء؛ لقلة صبرهن، وشدة جزعهن.

وزيارة الأموات تكون للاعتبار والاتعاظ، والسلام عليهم، والدعاء لهم، لا للدعاء عند قبورهم، أو التبرك بهم، أو بتراب قبورهم، فذلك كله من وسائل الشرك.

عَن بُرَيْدَةَ الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا». أخرجه مسلم(١).

وتجوز زيارة قبر من مات على غير الإسلام للعبرة فقط، ولا يدعو له، ولا يستغفر له، لأنه كافر.

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أمِّهِ فَبَكَى وَأبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أنْ أسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أنْ أزُورَ قَبْرَهَا فَأذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ». أخرجه مسلم(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٧٦).

حكم زيارة النساء للقبور:

زيارة المرأة للقبور من كبائر الذنوب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُور. أخرجه الترمذي وابن ماجه[1].

وإذا مرت المرأة في طريقها بالمقبرة بدون قصد الزيارة فيسن أن تسلم على أهل القبور، وتدعو لهم بما ورد من غير أن تدخلها كما أوصى النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بذلك إذا مرت بالقبور.

وزوار القبور أربعة أصناف:

الأول: أن يدعو الله للأموات، ويستغفر لهم، ويعتبر بحال الموتى، وتَذَكُّر الآخرة، فهذه زيارة شرعية، فيها أجر وثواب، واعتبار واتباع.

الثاني: أن يدعو الله تعالى لنفسه أو لغيره عند القبور معتقداً أن الدعاء عند القبور أفضل من المساجد، فهذه بدعة منكرة.

قال النبي ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ». أخرجه مسلم[2].

الثالث: أن يدعو الله تعالى متوسلاً بجاه أو حق فلان الميت كأن يقول: أسألك يا ربي بجاه فلان، فهذا محرم وبدعة؛ لأنه وسيلة إلى الشرك.

الرابع: ألّا يدعو الله تعالى، بل يدعو أصحاب القبور كأن يقول: يا نبي الله، أو يا ولي الله، أو يا فلان أعطني كذا أو اشفني ونحو ذلك، فهذا شرك أكبر؛ لأن من دعا غير الله فقد أشرك.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾** ﴾ [المؤمنون:١١٧].

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (١٠٥٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٥٧٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

والمقابر محل العظة والاعتبار، فلا يجوز التعرض لها لا بتشجير، ولا بتبليط، ولا إنارة، ولا بأي شيء من أنواع التجميل.

ما يقال عند زيارة القبور:

السنة اذا دخل الزائر المقبرة أن يقول:

«السَّلامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المؤْمِنِينَ وَالمسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ الله المسْتَقْدِمينَ مِنَّا وَالمسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَلَاحِقُونَ». أخرجه مسلم[1].

أو يقول: «السَّلامُ عَلَيكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمنينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لاحِقُونَ». أخرجه مسلم[2].

أو يقول: «السَّلامُ عَلَيكم أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المؤْمِنِينَ وَالمسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله لَلَاحِقون، أَسْأَلُ الله لَنَا وَلَكُمُ العَافيَةَ». أخرجه مسلم[3].

يفعل هذا مرة، وهذا مرة؛ إحياءً للسنة المشروعة.

نسأل الله لنا ولكم حسن اتباع السنة، وحسن الخاتمة.

ويسن للمسلم المشي حافياً بين القبور؛ لما فيه من التواضع، واحترام أموات المسلمين، ويكره المشي بالنعال بين القبور ما لم يكن هناك عذر يمنعه من خلع نعليه كشدة حرارة الأرض، أو وجود شوك يؤذيه، أما المشي في ساحة المقبرة بالنعال فجائز.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٧٥).

حكم دعاء الأموات:

يحرم على جميع الأحياء دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وكشف الكربات، والطواف على قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم، والذبح عند القبور، واتخاذها مساجد وكل ذلك من الشرك الذي توعد الله صاحبه بالنار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قال رَسولُ الله ﷺ في مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ الله اليَهُودَ وَالنَّصارَى، اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِد». قَالَتْ: فَلَوْلا ذَاكَ أُبرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أنهُ خُشيَ أنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً. متفق عليه[1].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل

اللهم توفنا وأنت راض عنا، واجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٣٠)، ومسلم برقم (٥٢٩) واللفظ له.

البصيرة الرابعة والخمسون

أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر

وتشتمل هذه البصيرة على المباحث الآتية:

الأول: ما هو اليوم الآخر؟

الثاني: أشهر أسماء اليوم الآخر.

الثالث: الإيمان باليوم الآخر.

الرابع: عظمة اليوم الآخر.

الخامس: ما يكون قبل اليوم الآخر.

السادس: علامات الساعة الصغرى.

السابع: علامات الساعة الكبرى.

٥٤ - أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر

١ - ما هو اليوم الآخر؟

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعثُ الله فيه الخلائق للحساب والجزاء .

سمي بذلك، لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة أبدا، ويستقر أهل النار في النار أبدا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٦٠-٦١].

واليوم الآخر حق لا ريب فيه، يجازى فيه الخلق بما عملوا من خير أو شركما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال عز وجل : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

٢- أشهر أسماء اليوم الآخر

اليوم الآخر له أسماء كثيرة، ومن ذلك :

١ - يوم القيامة:

سمي بذلك لما يقوم فيه من الأمور العظام، وقيام الناس فيه لرب العالمين : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧].

٢ - اليوم الآخر:

سمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة:١٨].

٣ - الدار الآخرة:

سميت بذلك لأنها الدار الآخرة التي يستقر فيها الإنسان أبد الآباد : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣].

٤ - الساعة:

سميت بذلك، لقربها، فإن كل آت قريب : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج:١].

٥ - القارعة:

سميت بذلك، لأنها تقرع القلوب بأهوالها وعرصاتها : ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا

ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ [القارعة:١-٤].

٦ - الصاخة:

سميت بذلك، لأنها تصخ الأسماع بأهوالها حتى تكاد تصمها : ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس:٣٣-٣٧].

٧ - الغاشية:

سميت بذلك، لأنها تغشى الناس وتغمهم بأهوالها.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية:١-٤].

٨ - الواقعة:

سميت بذلك، لتحقق وقوعها ووجودها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الواقعة:١-٣].

٩ - الحاقة:

سميت بذلك، لأنها حق لا شك فيه، وفيها يتحقق الوعد والوعيد : ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة:١-٤].

١٠ - يوم الفصل:

سمي بذلك، لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون : ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الصافات:٢١].

١١ - يوم الدين:

سمي بذلك، لأن الله يحاسب العباد فيه على أعمالهم، ويجازيهم في ذلك اليوم: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ١٩ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ٢٠﴾ [الصافات:١٩-٢٠].

١٢ - يوم البعث:

سمي بذلك، لأن الله يحيي فيه الأموات، ويبعثهم أحياء من قبورهم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦﴾ [الروم:٥٦].

١٣ - يوم الخروج:

سمي بذلك، لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم للحساب والجزاء.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ٤٢﴾[ق:٤٢].

١٤ - يوم الحسرة:

سمي بذلك، لشدة تحسر الكفار لعدم إيمانهم، وتحسر المؤمنين على قلة العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٩﴾ [مريم:٣٩].

١٥ - يوم الخلود:

سمي بذلك، لأن الناس يصيرون إلى دار الخلد، المؤمنون في الجنة، والكفار في النار.

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ٣٤﴾ [ق:٣٤].

وقال الله تعالى عن الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة:٣٩].

١٦ - يوم الحساب:

سمي بذلك، لأن الله يحاسب فيه عباده بأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ [غافر:٢٧].

١٧ - يوم الجمع:

سمي بذلك، لأن الله يجمع فيه العباد للحساب والجزاء.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورى:٧].

١٨ - يوم الآزفة.

سمي بذلك، لقرب وقوعه، فكل آت قريب.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر:١٨].

١٩ - يوم التغابن:

سمي بذلك، لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار، ويرثون نصيبهم من الجنة.

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [التغابن:٩].

٢٠ - يوم التناد:

سمي بذلك، لكثرة ما فيه من النداء كلٌّ باسمه.

قال الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر:٣٢].

٢١ - يوم التلاق:

سمي بذلك، لأنه يلتقي فيه الخالق بالمخلوق، ويلتقي فيه العباد بعضهم ببعض.

قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر:١٥].

٢٢ - يوم الوعيد:

سمي بذلك، لأنه اليوم الذي أوعد الله به الكفار والعصاة.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق:٢٠].

٢٣ - الطامة الكبرى:

سميت بذلك، لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع بأهوالها.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات:٣٤-٣٦].

هذه هي أشهر أسماء اليوم الآخر، وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، وشدة هوله، وفزع الخلائق فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١-٢].

٣- الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر، هو أحد أركان الإيمان الستة وهي :

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦].

وقال النبي ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) متفق عليه[1].

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به، مما يكون في ذلك اليوم العظيم، من البعث، والحشر، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، وغير ذلك مما يجري في عرصات يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء:٨٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥].

ويُلحق بذلك ما يكون قبل الموت، من علامات الساعة وأشراطها، وما يكون بعد الموت، من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، ومسلم برقم (٩).

٤ - عظمة اليوم الآخر

الإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان، وعليهما مع بقية أركان الإيمان مدار استقامة الإنسان وفلاحه، وسعادته في الدنيا والآخرة، ولأهمية هذين الركنين، يقرن الله بينهما كثيراً في آيات القرآن كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق:٢].

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

ويوم القيامة يوم عظيم هوله، شديد كربه، يشتد فيه الفزع والخوف، وتضطرب فيه القلوب، وتتزلزل فيه النفوس، يوم الحسرة والندامة، يوم الحساب والجزاء، يوم الفوز والخسارة، يومالإكرام والإهانة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم:١٤-١٦].

٥ - ما يكون قبل اليوم الآخر

يكون قبل يوم القيامة أمران عظيمان:

الأول: ما يكون قبل الموت، وهو أشراط الساعة الصغرى، ثم أشراط الساعة الكبرى

الثاني: ما يكون بعد الموت، وهو فتنة القبر، ونعيم القبر وعذابه.

فتنة القبر:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة.. - وفيه - قال النبي ﷺ : «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِيْنُكَ؟ فَيَقُولُ: دِيْنِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيْكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ...». أخرجه أحمد وأبو داود[١].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ». قال النبي ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً».

وَأَمَّا الكَافِرُ أَوِ المنَافِقُ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيْدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنيهِ، فَيَصِيْحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيْهِ إلا الثَّقَلَيْنِ». متفق عليه[٢].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٧٣٣)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٧٥٣)، وهذا لفظه.

(٢) متفق **عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٠).

نعيم القبر:

القبر روضة من رياض الجنة على أهل الإيمان والتقوى، ونعيم القبر للمؤمنين الصادقين في عبادة ربهم عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «... فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». أخرجه أحمد وأبو داود(١).

وعذاب القبر نوعان:

الأول: عذاب دائم لا ينقطع، وهو عذاب الكفار والمنافقين كما قال سبحانه عن فرعون وآله: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه(٢).

الثاني: عذاب له أمد ثم ينقطع، وهو عذاب عصاة الموحدين من المؤمنين.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٧٣٣)، وهذا لفظه، وأخرجه أبو داود برقم (٤٧٥٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٦٦)، واللفظ له.

فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه العذاب، أو ينقطع، بسبب رحمة الله، أو حصول مكفرات للذنوب ونحو ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ في قُبورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ : «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ، يَا رَسُولَ الله لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ : « لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا -أَوْ- إِلَى أَنْ يَيْبَسَا ». متفق عليه(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». أخرجه مسلم(٢).

ما ينجي من عذاب القبر:

ينجي المؤمن من فتنة القبر وعذابه وأهواله أمور كالشهادة في سبيل الله، والرباط في سبيل الله، ومن قَتَله بَطنه، ونحو ذلك من المنجيات.

مستقر الأرواح بعد الموت إلى قيام الساعة:

الأرواح في البرزخ متفاوتة تفاوتاً عظيماً، في النعيم أو العذاب، حسب الإيمان والكفر، وحسب التعدي والفجور.

فمنها أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء والرسل، وهم متفاوتون في منازلهم: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١).

ومنها أرواح في صورة طير يعلق في شجر الجنة، وهي أرواح المؤمنين.
ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وهي أرواح الشهداء.
ومنها أرواح محبوسة في القبر كالغالّ من الغنيمة.
ومنها ما يكون محبوساً على باب الجنة، بسبب دين عليه.
ومنها ما يكون محبوساً في الأرض، بسبب روحه السفلية.
ومنها أرواح تسبح في نهر الدم، وتلقم بالحجارة، وهم أكلة الربا.
ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني، ونحو ذلك من أحوال أهل البرزخ .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، فقال مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، قَالَ : فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللهَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فقَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ) أخرجه مسلم [1].

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٧) .

٦ - علامات الساعة الصغرى

علم الساعة:

العلم بوقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله، كما قال سبحانه : ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب:٦٣].

علامات الساعة:

أخبر النبي ﷺ بأمارات وعلامات تدل على قرب قيام الساعة، وهي علامات صغرى، وعلامات كبرى.

وعلامات الساعة الصغرى ثلاثة أقسام:

الأول: علامات وقعت وانتهت .

ومنها بعثة النبي ﷺ، وموته، وانشقاق القمر آيةً له ﷺ، وفتح بيت المقدس، وخروج نار من أرض الحجاز، كما قال سبحانه : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١﴾ [القمر:١].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَني الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً ».

أخرجه البخاري[١].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٧٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى». متفق عليه[١].

الثاني: علامات ظهرت، وما زالت مستمرة

ومنها ظهور الفتن، ظهور مدعي النبوة، انتشار الأمن، قبض علم الشرع، ظهور الجهل، كثرة الشرط وأعوان الظلمة، ظهور المعازف واستحلالها، ظهور الزنا، كثرة شرب الخمر واستحلالها، تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان، تباهي الناس في المساجد وزخرفتها، وكثرة الهرج وهو القتل، تقارب الزمان وإسناد الأمر إلى غير أهله، رفع الأشرار، ووضع الأخيار ، ويفتح القول، ويخزن العمل، وتقارب الأسواق، وظهور الشرك في هذه الأمة، وكثرة الشح، وكثرة الكذب، وكثرة المال، وفشو التجارة، وكثرة الزلازل، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن، وظهور الفُحش، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وارتفاع الأسافل، وبيع الحُكم، وتسليم الخاصة، والتماس العلم عند الأصاغر، وظهور القلم، وظهور الكاسيات العاريات، وكثرة شهادة الزور، وكثرة موت الفجأة، وعدم تحري الرزق الحلال، وعودِ أرض جزيرة العرب مروجا وأنهارا .

وتكليم السباع للإنس، وتكليم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهلُه بعده، وأن تُحاصر العراق، ويُمنع عنها الطعام والدرهم، ثم تُحاصر الشام ويُمنع عنها الطعام والدينار، ثم تكون هُدنة بين المسلمين والروم، ثم يغدر الروم بالمسلمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١١٨)، ومسلم برقم (٢٩٠٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسولَ الله ﷺ وهو مستقبلُ المشرقِ يقولُ: «أَلا إِنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلا إِنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

متفق عليه[1].

الثالث: علامات لم تظهر وستقع بلا شك، كما أخبر النبي ﷺ

ومنها انحسار نهر الفُرات عن جبل من ذهب، فتح القسطنطينية بدون سلاح، قتال اليهود ونصر المسلمين عليهم، خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه، ويدينون له بالطاعة، قلة الرجال، وكثرة النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد، نفيُ المدينة لشرارها ثم خرابها، هدم الكعبة على يد رجل من الحبشة يقال له ذو السويقتين، ثم لا تُعمر بعده، وذلك آخر الزمان، والله أعلم.

وجميع ما ذكرنا من هذه العلامات السابقة، ثبتت بالأحاديث النبوية الصحيحة عن النبي ﷺ، في كُتب الصحاح والسنن والمسانيد.

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٩٣)، ومسلم برقم (٢٩٠٥)، واللفظ له.

٧- علامات الساعة الكبرى

علامات الساعة الكبرى عشر:

عن حذيفة بن أَسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «مَا تَذَاكَرُوْنَ؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنَّهَا لَنْ تَقُوْمَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آياتٍ» فذكر الدخانَ، والدجالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوجَ ومأجوج، وثلاثةَ خسوفٍ، خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. أخرجه مسلم[١].

العلامة الأولى من علامات الساعة الكبرى : خروج الدجال:

الدجال رجل من بني آدم، يظهر في آخر الزمان ويدعي الربوبية، يخرج من المشرق من خراسان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلدا إلا دخله، إلا مسجد المقدس، والطور، ومكة، والمدينة، فلا يستطيع دخولها، لأن الملائكة تحرسها، ينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق.

وقت خروج الدجال:

عن عبدِاللهِ بن عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: كُنَّا قُعُوداً عندَ رسُول اللهِ فَذَكَرَ الفتنَ فأكثرَ في ذِكرهَا حَتَّى ذَكَرَ فتْنَةَ الأحلاسِ فَقالَ قائلٌ: يا رسُولَ اللهِ وما فتنةُ الأحلاسِ؟قالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّراء دَخَنُها من تحتِ قَدَمَي رَجُلٍ من أهلِ بيتي يَزعُمُ أَنَّهُ مني وَلَيْس مِني، وإِنَّمَا أوليائي المتقونَ، ثُمَّ يَصطَلحُ النَّاسُ على رجلٍ كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ، ثمَّ فِتنةُ الدُّهَيْماء لا تَدَعُ أحداً من هذِهِ الأمة إلا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٠١).

لَطَمَتْهُ لطمَة، فإذا قيلَ انقضَتْ تَمادتْ، يُصبحُ الرَّجُلُ فيها مؤمِناً ويُمْسي كافِراً، حتى يَصيرَ النَّاسُ إلى فُسطاطَينِ، فُسْطاطِ إيمانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيهِ، فإذا كانَ ذَاكُمْ فانتظرُوا الدَّجّال من يومِهِ أو منْ غَدِهِ». أخرجه أحمد وأبو داود[1].

فتنة الدجال:

خروج الدجال فتنة عظيمة، بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، فقد ثبت أن معه جنة ونارا، ناره جنة، وجنته نار، وأن معه جبال الخبز، وأنهار الماء، يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كالغيث إذا استدبرته الريح، يمكث في الأرض أربعين يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا، ثم يقتله عيسى بن مريم ﷺ عند باب لُد بفلسطين.

صفات الدجال:

حذرنا الرسول ﷺ من إتباع الدجال أو تصديقه، وبين لنا صفاته، لنحذر منه، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مسلم.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مَسِيْحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيْرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ، مَطْمُوسُ العَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا جَحْرَاءَ، فَإنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ». أخرجه أحمد وأبو داود[2].

مكان خروج الدجال:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجالَ - وفيه -: «إنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ فَعَاثَ يميناً وَعَاثَ شِمَالاً». أخرجه مسلم[3].

---

(1) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٦١٦٨)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٢٤٢) وهذا لفظه.

(2) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٣١٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه أبو داود برقم (٤٣٢٠).

(3) **أخرجه مسلم** برقم (٢٩٣٧).

الأماكن التي لا يدخلها الدجال:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمدِيْنَةَ». متفق عليه[1].

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ذكر الدّجّال - وفيه- قال: «وَلَا يَقْرَبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ، مَسْجِدَ الحرامِ، وَمَسْجِدَ المَدِينَةِ، وَمَسْجِدَ الطُّورِ، وَمَسْجِدَ الأَقْصَى» .أخرجه أحمد[2].

أتباع الدجال:

أكثر أتباع الدجال من اليهود، والعجم، وأخلاط من الناس، غالبهم من الأعراب، والنساء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ». أخرجه مسلم[3].

الوقاية من فتنة الدجال:

تكون الوقاية من فتنة الدجال بالإيمان بالله عز وجل، والتعوذ من فتنة الدجال خاصة في الصلاة، والفرار منه، وقراءة أول سورة الكهف.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»، وفي لفظ: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ». أخرجه مسلم[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٨١)، ومسلم برقم (٢٩٤٣).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٤٠٨٥).

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٢٩٤٤).

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٨٠٩) ورقم (٢٩٣٧).

العلامة الثانية من علامات الساعة الكبرى: نزول عيسى بن مريم ﷺ

بعد خروج الدجال، وإفساده في الأرض، يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم ﷺ، فينزل إلى الأرض عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، فيقتل الدجال، ويحكم بالإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، وتذهب الشحناء.

يمكث سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون، ثم يرسل الله ريحا باردة طيبة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، يتهارجون تهارج الحمر، ثم يأمرهم الشيطان بعبادة الأوثان، وعليهم تقوم الساعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوْشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا».

ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه:واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. متفق عليه[1].

العلامة الثالثة من علامات الساعة الكبرى: خروج يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج أمتان عظيمتان من بني آدم، وهم رجال أقوياء، لا طاقة لأحد بقتالهم، وخروجهم من أشراط الساعة الكبرى، يفسدون في الأرض، ثم يدعو عليهم عيسى بن مريم ﷺ وأصحابه فيموتون كما قال سبحانه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٥).

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال وأن عيسى ﷺ يقتله بباب لد... -وفيه- «إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّوْرِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيْهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِيْنَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ...».

أخرجه مسلم(١).

بعد نزول عيسى ﷺ وأصحابه إلى الأرض، يدعو الله، فيرسل الله عز وجل طيورا تحمل يأجوج ومأجوج، وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله المطر يغسل الأرض، ثم تنزل البركة في الأرض، وتظهر البقول والثمار، وتحل البركة في النبات والحيوان.

العلامات الرابعة والخامسة والسادسة: الخسوفات الثلاثة

الخسوفات الثلاثة من أشراط الساعة الكبرى، وهي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وهي لم تقع بعد.

العلامة السابعة من علامات الساعة الكبرى: الدخان

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى، كما قال سبحانه :

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٧).

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾ [الدخان: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَو الدُّخَانَ، أَو الدَّجَّالَ، أَوالدَّابَّةَ، أَوْخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ العَامَّةِ». أخرجه مسلم[1].

العلامة الثامنة من علامات الساعة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى، وهي أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي.

ومن أدلة خروجها .

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فيومئذ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾». متفق عليه[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَىً، وَأَيُّهمَا مَا كَانَتْ قَبلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً». أخرجه مسلم[3].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٣٥)، ومسلم برقم (١٥٧)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤١).

العلامة التاسعة من علامات الساعة الكبرى: خروج الدابة

خروج دابة الأرض في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة.

فتخرج فتَسِم الناس على خراطيمهم، تخطِم أنف الكافر، وتجلو وجه المؤمن، ومن أدلة خروجها .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل:٨٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إِيْمَانِهَا خَيراً، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ». أخرجه مسلم[1].

العلامة العاشرة من علامات الساعة الكبرى: خروج النار التي تحشر الناس

وهي نار عظيمة تخرج من المشرق، من اليمن من قعر عدن، وهي آخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، فتخرج من اليمن، ثم تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر في الشام.

كيفية حشر النار للناس؟:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ، وَرَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، ثَلاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، أَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، عَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، يَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا». متفق عليه[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٦١).

أول أشراط الساعة:

عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ومنها، ما أول أشراط الساعة ؟ فقال النبي ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِق إلَى المَغْرِبِ». أخرجه البخاري[1].

تتابع الآيات الدالة على قيام الساعة:

إذا ظهرت أشراط الساعة الصغرى، ثم ظهر أول أشراط الساعة الكبرى، تتابعت بعدها الآيات، يتلو بعضها بعضا، كما قال النبي النبي ﷺ: «الأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإذا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضاً». أخرجه الحاكم[2].

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، يا أرحم الراحمين.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

(2) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (٨٦٣٩).

البصيرة الخامسة والخمسون

أحوال اليوم الآخر

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : النفخ في الصور

الثاني : البعث والحشر

الثالث : أهوال يوم القيامة

الرابع : فصل القضاء يوم القيامة.

الخامس: الحساب والميزان.

السادس: الشفاعة.

السابع: الحوض.

الثامن: الصراط.

التاسع: دار القرار.

٥٥ - أحوال اليوم الآخر

١ - النفخ في الصور

الصور قرن كالبوق، يأمر الله عز وجل إسرافيل ﷺ أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يأمره أن ينفخ النفخة الثانية وهي نفخة البعث، فإذا الخلائق قيام ينظرون.

أحوال الخلائق عند النفخ في الصور:

قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾ [القمر:٧-٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨)﴾ [الزمر:٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)﴾ [يس:٥١-٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩)﴾ [النبأ:١٨-١٩].

مقدار ما بين النفختين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»

قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ. متفق عليه[1].

متى تقوم الساعة؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَومُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا في يَومِ الجُمُعَةِ». أخرجه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ العَرْشِ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ». أخرجه الحاكم[3].

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم برقم (٢٩٥٥)، واللفظ له.

(2) **أخرجه مسلم** برقم (٨٥٤).

(3) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (٨٦٧٦).

٢ - البعث والحشر

الدُّور التي يمر بها العبد:

الدور التي يمر بها الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث:

دار الدنيا.. ثم دار البرزخ في القبر.. ثم دار القرار في الجنة أو النار.

وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وَرَكَّبَ هذا الإنسان من بدن وروح، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، وجعل أحكام يوم القيامة من النعيم والعذاب على الأبدان والأرواح معاً: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤].

ما هو البعث ؟

البعث: هو إحياء الموتى حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية.

فيقوم الناس لرب العالمين، حفاةً عراةً غرلاً غير مختونين، ويُبعث كل عبد على ما مات عليه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤﴾ [يس:٥١-٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون:١٥-١٦].

صفة البعث:

ينزل الله من السماء ماءً فينبت الناس كما ينبت البقل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَومَ القِيَامَةِ». متفق عليه[1].

أول مَنْ ينشق عنه القبر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَومَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم[2].

مَنْ يُحشر يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم:٩٣-٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم برقم (٢٩٥٥)، واللفظ له.

(2) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٧-٤٩].

صفة أرض المحشر:

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم:٤٨].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَلى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيْهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ». متفق عليه(١).

صفة حشر الخلق يوم القيامة:

للحشر ثلاث حالات:

الأولى: حشر من القبور إلى محل القضاء، وهذا يكون بحشر الناس مشاة حفاة عراة غُرلاً إلى عرصات القيامة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ». متفق عليه(٢).

الثانية: حشر المؤمنين والكفار من محل القضاء إلى الجنة والنار كما يلي:

الأول: حشر المؤمنين.

يُحشر المؤمنون وفداً مكرمين إلى ربهم والجنة.

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم:٨٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢١)، ومسلم برقم (٢٧٩٠)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٧)، ومسلم برقم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر:٧٣].

الثاني: حشر الكافرين.

يُحشر الكافرون على وجوههم عمياً، وبكماً، وصماً، عطاشاً، زرقاً، مقرَّنين، يُحبس أولهم على آخرهم، فيساقون إلى النار مجتمعين.

قال الله تعالى عن الكافرين : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم:٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [طه:١٠٢]..

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [فصلت:١٩].

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات:٢٢-٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزمر:٧١-٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥١].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «أليسَ الَّذِي أمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيهِ في الدُّنْيَا، قَادِراً عَلى أنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟». متفق عليه(١).

الثالثة: حشر الدواب، والبهائم، والطيور.

يَحشر الله يوم القيامة الدواب، والبهائم، والوحوش، والطيور، ثم يحصل القصاص بين الدواب، فيقتص للشاة الجمَّاء من القرناء نَطَحَتْها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كوني تراباً.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ». أخرجه مسلم(٢).

لقاء الله في الآخرة:

كل إنسان سوف يلاقي ربه يوم القيامة بما عمل من خير أو شر، المؤمن والكافر، والبَر والفاجر، والمطيع والعاصي.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٦٠)، ومسلم برقم (٢٨٠٦) واللفظ له.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٢).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:١١-١٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». متفق عليه(١).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨٣).

٣- أهوال يوم القيامة

شدة أهوال يوم القيامة :

يوم القيامة يوم عظيم أمره، شديد هَوْلُه، يصاب فيه العباد بالرعب والفزع، وتشخص فيه أبصار الظَّلَمة، جعله الله عز وجل على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر، وعلى الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

وهذه صور من أهواله العظيمة.

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾
[الحج:١ -٢].

وقال الله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً
﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٥ -١٦].

وقال الله تعالى : ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾
[التكوير: ١ -٦].

وقال الله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ [الانفطار: ١ -٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ
مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ١ -٦].

وقال الله تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا
رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا

ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١-١١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى يومِ القِيامَةِ كأنَّهُ رأْيُ عيْنٍ فلْيَقْرأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾﴾». أخرجه أحمد والترمذي(١).

تبديل الأرض والسماء يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥١].

وقال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات؟

عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبرٌ من أَحبار اليهود.. -وفيه- فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ في الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ». وفي رواية: «عَلَى الصِّرَاطِ». أخرجه مسلم(٢).

شدة الحرارة في الموقف وهَوْله:

يجمع الله الخلائق بعد بعثهم في ساحة واحدة في عرصات القيامة؛ وذلك لفصل القضاء، حفاة عراة غرلاً، فتدنو الشمس في ذلك اليوم، ويذهب العرق

---

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٤٨٠٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٣٣٣)، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣١٥)، ورقم (٢٧٩١) عن عائشة رضي الله عنها.

سبعين ذراعاً، ويَعْرق الناس على قدر أعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القِيامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أنا المَلِكُ، أَينَ مُلُوكُ الأرْضِ؟». متفق عليه[١].

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يومَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تكُونَ مِنْهُم كَمِقْدارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ في العَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجَاماً» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. أخرجه مسلم[٢].

من يظلهم الله في الموقف:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِب وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصدَّقَ؛ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». متفق عليه[٣].

وعَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ». أخرجه أحمد وابن خزيمة[٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٦٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣١).

(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٣٣٣) وهذا لفظه، وابن خزيمة برقم (٢٤٣١).

مجيء الله جل جلاله لفصل القضاء:

يجيء الله جل جلاله يوم القيامة لفصل القضاء، فتشرق الأرض بنوره، وتَوْجل الخلائق لهيبته وعظمته وجلاله.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر:٢١-٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٣-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:٧٥].

٤ - فصل القضاء يوم القيامة

إذا حُشر الناس إلى ربهم يوم القيامة، وبَلغ العناء منهم مبلغاً عظيماً لشدة الهول، وصعوبة الموقف، يرغبون إلى ربهم في أن يحكم فيهم، ويفصل بينهم.

فإذا طال موقفهم، وعظم كربهم، ذهبوا إلى الأنبياء، ليشفعوا لهم عند ربهم، ليفصل بينهم.

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ [المرسلات:٣٨-٣٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَنا سَيِّدُ النَّاسِ يومَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فيُسْمِعُهُم الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَمَا لا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فيهِ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فيقول بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوْحِهِ، وَأَمَرَ الملائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلا ترى إلى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَومَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي» فيأتون نوحاً، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، فيعتذر كل واحدٍ، وكلهم يقولون: «إِنَّ رَبِّي قَدْ

غَضِبَ اليَومَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قبْلَه مِثْلَه، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مِثْلَه... نَفْسِي نَفْسِي».

ثم يقول عيسى: «اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيأْتونِّي فيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيْهِ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيْمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». متفق عليه[1].

ثم يفصل الله بين الناس، فتعطى الكتب، وتوضع الموازين، ويحاسب الناس، فآخِذٌ كتابه بيمينه إلى الجنة، وآخذ كتابه بشماله إلى النار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، واللفظ له.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٣-١٠٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥].

وعن أبي سَعِيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قال: «هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْواً». قُلْنَا: لا. قال: «فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إلا كَمَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَتِهِمَا». ثُمَّ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ في جَهَنَّمَ.

ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا. قال: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ في صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلا يُكَلِّمُهُ إلا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ

تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً، ثُمَّ يُؤْتَى بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَة، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ.

فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قال أبو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَؤُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠].

«فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلائِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى

جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ.

فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». متفق عليه[١].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم اعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وارفعنا ولا تضعنا، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا حي يا قيوم.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

٥- الحساب والميزان

الحساب: هو أن يوقِف الله عباده بين يديه، ويُعرِّفهم بأعمالهم التي عملوها، ثم يجازيهم حسب أعمالهم، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

كيفية أخذ الكتب:

ويعطى كل واحد من أهل الموقف كتاباً مكتوباً فيه ما عمل من خير أو شر.

فمنهم مَنْ يعطى كتابه بيمينه، وهم السعداء، ومنهم مَنْ يعطى كتابه بشماله من وراء ظهره، وهم الأشقياء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:٦-١٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة:١٨-٣٢].

نصب الموازين:

توضع الموازين يوم القيامة لحساب الخلائق، ويتقدم الناس واحداً واحداً للحساب، فيحاسبهم ربهم، ويسألهم عن أعمالهم، فإذا تم الحساب كان بعده وزن الأعمال بالميزان، وهو ميزان حقيقي له كفتان: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:٦-١١].

ما يُسأل عنه الناس يوم القيامة:

سوف يُسأل كل إنسان يوم القيامة عن أقواله، وأعماله، وجوارحه، وأمواله، وعن جميع أحواله، ثم يجازى بحسب ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص:٦٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص:٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء:٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر:٨].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف:٦-٧].

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاهُ». أخرجه الترمذي والدارمي(١).

كيفية الحساب:

المحاسبون يوم القيامة صنفان:

الأول: المؤمن يحاسب حساباً يسيراً وهو العرض؛ ليعرف فضل الله عليه في العفو والمغفرة والرحمة.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَومَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق:٧-٨].

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسابَ يَومَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ». متفق عليه(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدْنَى المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَل

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٥٤٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٦).

تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَى صَحِيْفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمنَافِقُونَ فَيُنَادِي بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ». متفق عليه(١).

الثاني: الكافر يحاسب حساباً عسيراً، ويُسأل عن كل صغيرة وكبيرة، فإن صدق حوسب بما أقرّ به، وإن حاول الكذب أو الكتمان فإنه يُختم على فمه، وتستنطق جوارحه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٥].

المحاسبون من الأمم:

الحساب يوم القيامة عام لجميع الناس، إلا من استثناهم النبي ﷺ، وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

والكفار يحاسبون، وتعرض عليهم أعمالهم يوم القيامة توبيخاً لهم.

وهم متفاوتون في العذاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلَّت سيئاته، ومن له حسنات من الكفار يُطْعَم بها في الدنيا عافية، أو مالاً، أو رخاءً، ويوم القيامة يدخل النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

وأول مَنْ يحاسب من الأمم يوم القيامة أمة محمد ﷺ، وأول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة من الأعمال الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨)، واللفظ له.

عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا». أخرجه مسلم(١).

كيفية الوزن:

توزن أعمال العباد يوم القيامة من حسنات أو سيئات، فمن رجحت حسناته فاز، ومن رجحت سيئاته هلك، يوزن العامل وعمله وصحيفة عمله؛ إظهاراً لعدله سبحانه بين جميع عباده، وأثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حُسن الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٨-٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وقال: «اقْرَؤُوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥]. ». متفق عليه(٢).

حكم أعمال الكفار في الآخرة:

الكفار والمنافقون لا تُقبل قُرَبُهُم وطاعاتهم؛ لفقدها شرطها، وهو الإيمان، وأعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، وينادى بهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود:١٨].

وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٨٥).

﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم:١٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٢-٢٣].

رؤية الأعمال:

تُعرَض أعمال العباد عليهم يوم القيامة، ويَرى المرء عمله وهو يباشره، صغيراً كان أو كبيراً، خيراً كان أو شراً كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

حكم الأطفال يوم القيامة:

أطفال المؤمنين يدخلون الجنة كما يدخلها الكبار على صورة أبيهم آدم ﷺ، وكذلك أطفال المشركين، ويتزوجون كما يتزوج الكبار، فضلاً من الله ورحمة .

ومن مات ولم يتزوج من النساء أو الرجال، فإنه يتزوج في الآخرة، فليس في الجنة أعزب: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس:٥٥-٥٦].

٦ - الشفاعة

الشفاعة: هي التوسط للغير لجلب منفعة، أو دفع مضرة.

أقسام الشفاعة:

الشفاعة يوم القيامة قسمان:

الأول : شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهي أنواع:

الأولى: شفاعته ﷺ العظمى في أهل الموقف، ليُقضى الله بينهم، فيشفع فيهم، ثم يقضي الله بينهم، وهي المقام المحمود له كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩].

الثانية: شفاعته ﷺ في أناسٍ من أمته، فيدخلون الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفاً، حيث يقول الله له: أَدْخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن - كما سبق - .

الثالثة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم، ليدخلوا الجنة.

الرابعة: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

الخامسة: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه في النار.

السادسة: شفاعته ﷺ أن يُؤْذَن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

الثاني : شفاعة عامة للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء، والملائكة، والمؤمنين.

وهي الشفاعة فيمن استحق النار من المسلمين أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

قال الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النجم:٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً». متفق عليه(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُشَفَّعُ الشَّهِيْدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ». أخرجه أبو داود(٢).

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله في الشفاعة كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له كما قال سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النجم:٢٦].

والكافر لا شفاعة له، فهو مخلد في النار، لا يدخل الجنة، ولو فُرض أن أحداً شفع له لم تنفعه الشفاعة كما قال سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨ ﴾ [المدثر:٣٨-٤٨].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٩)، واللفظ له.

(٢) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٢٥٢٢).

طلب شفاعة النبي ﷺ:

من أراد شفاعة النبي ﷺ فليطلبها من الله تعالى كأن يقول: اللهم ارزقني شفاعة نبيك ﷺ، ويُتْبع ذلك بالعمل الصالح الموجب لها من إخلاص العبادة للهِ وحده، والصلاة على النبي ﷺ، وسؤال الوسيلة له.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ». أخرجه البخاري[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفاعَتي يَومَ القِيامَةِ) أخرجه البخاري [2].

[1] **أخرجه البخاري** برقم (٩٩).

(٢)**أخرجه البخاري.**

٧- الحوض

خلق الله عز وجل لكل نبي حوضا، وحوض نبينا ﷺ أعظمها، وأحلاها، وأكثرها واردين يوم القيامة،يشرب منه كل من آمن بالنبي ﷺ ومات على ذلك.

صفة حوض النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر:١-٣].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيْرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيْحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبداً» .متفق عليه(١).

وفي لفظ: «عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» .أخرجه مسلم(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«إِنَّ قَدْرَ حَوضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيْهِ مِنَ الأَبَارِيق كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» متفق عليه(٣).

مَنْ يُطرد عن الحوض:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حتى أنظر مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وسيؤخذُ أناسٌ دُوني، فأقول: يَا رَبِّ مِنِّي ومن أُمَّتِي، فيُقال: أما شعرتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ والله ما بَرِحوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ». متفق عليه(٤).

اللهم ارزقنا شفاعة نبيك ﷺ،والشرب من حوضه شربةً هنيئةً لا نظمأ بعدها أبدا.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٩٣) ، ومسلم برقم (٢٢٩٣)، واللفظ له.

٨ - الصراط

الصراط: هو الجسر المنصوب على ظهر جهنم، يعبر المسلمون عليه إلى الجنة.

مَنْ يمر على الصراط:

الذين يمرون على الصراط هم المسلمون فقط.

أما الكفار والمشركون فتتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا من الأصنام والشياطين ونحوهما من الآلهة الباطلة، فترِد النار مع معبودها أولاً، ولا تمر على الصراط.

ثم يبقى بعد ذلك من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقاً أم منافقاً، وهؤلاء الذين يُنصب لهم الصراط.

ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود، والنور الذي يعم المؤمنين فقط، فيعود المنافقون إلى الوراء إلى النار، ويعبر المؤمنون الصراط إلى الجنة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢-١٥].

ويكون المرور على الصراط بعد الحساب، ووزن الأعمال، والفراغ منها، ثم يضطر الناس إلى المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

صفة الصراط، والمرور عليه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - في حديث الرؤية وصفة الصراط - وفيه - : قيل يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: «دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فِيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلالِيبُ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بنَجْدٍ، فِيْهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَينِ، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيْدِ الخيلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ في نَارِ جَهَنَّمَ». متفق عليه(١).

أول مَنْ يعبر الصراط:

أول من يَعبُر الصراط محمد ﷺ وأمته، ولا يَعبُر الصراط إلا المؤمنون، فيُعطَون نورهم على قدر إيمانهم وأعمالهم، ثم يمرون على الصراط بحسب ذلك، وتُرسَل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». متفق عليه(٢).

ماذا يكون للمؤمنين بعد عبور الصراط؟

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ المؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حَتَّى إذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ في الدُّنْيا». أخرجه البخاري(٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٣) **أخرجه البخاري** برقم (٦٥٣٥).

٩ - دار القرار

مراحل حياة الإنسان:

الإنسان يركب طبقاً بعد طبق، وينتقل من محل إلى محل، خلقه الله أولاً من التراب، ثم انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة، ثم إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظام، ثم كسى الله العظام لحماً، ثم أنشأه الله خلقاً آخر، ثم أخرجه إلى الدنيا للعمل، ثم ينتقل بالموت إلى القبر، ثم يحييه الله ويسوقه إلى المحشر، ثم إلى دار القرار في الجنة أو النار.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

وقال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩)﴾ [الانشقاق:١٩].

دار القرار:

الدنيا دار العمل، والآخرة دار الجزاء، لكن لا ينقطع العمل والسؤال إلا بعد دخول دار القرار في الجنة أو النار.

أما في البرزخ، وعَرَصات القيامة، فلا ينقطع ذلك كسؤال الملكين الميت في قبره، ودعوة الخلائق إلى السجود لله يوم القيامة، وامتحان المجانين، ومن مات في الفترة.

ثم يحكم الله بين العباد حسب إيمانهم وأعمالهم،ثم يساقون إلى دار القرار، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)﴾ [الشورى:٧].

وقال الله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج:٥٦-٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم:١٤-١٦].

فالدنيا دار الفناء والزوال، والآخرة هي دار القرار، في الجنة أو النار.

فالمؤمنون مخلدون في جنات النعيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

أما الكفار والمشركون والمنافقون فهم مخلدون في نار الجحيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (إذا صارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إلى الجَنَّةِ، وأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ، جِيءَ بالمَوْتِ حتَّى يُجْعَلَ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ، ويَزْدادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ.) متفق عليه(١).

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

البصيرة السادسة والخمسون

الإخلاص.. معناه، وأحكامه، وثمراته

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه الإخلاص

الثاني: لوازم الإخلاص

الثالث: أبواب الإخلاص

الرابع: درجات الإخلاص

الخامس: كيف يتحقق الإخلاص ؟

السادس: ثمرات الإخلاص

السابع: نواقض الإخلاص

الثامن: عقوبات ترك الإخلاص

٥٦-الإخلاص.. معناه، وأحكامه، وثمراته

١ - فقه الإخلاص

الإخلاص هو تنقية الشيء مما سواه

والإخلاص شرعا، هو إفراد الله بالعبادة، وتصفية العمل من كل شوب وشرك، ورياء ونفاق : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

والإخلاص هو نِسيان رؤية الخلق بدوام رؤية الخالق، الذي بيده وحده ملكوت كل شيء : ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

والإخلاص أن يفعل العبد العبادة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيم الناس له، وتوقيرهم له، ولا جلب نفع ديني أو دنيوي، ولا دفع ضَرَرٍ دنيوي : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر:٣].

والإخلاص تفريغ القلب لله، وتطهيره مما سواه، ولزوم تقواه .

والإخلاص اسم لسورة من القرآن الكريم، تعدل ثلث القرآن، وهي سورة الإخلاص : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

والإخلاص أَصْلُ قبول الأعمال الصالحة، وهو سر بين العبد وربه لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا إنسان فيحسده.

وجميع الأعمال الصالحة، حتى تكون مقبولة عند الله عز وجل، لا بد لها من شرطين :

الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له .

الثاني: اتباع السنة الواردة في هذا العمل : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

فكل عمل لابد أن يخْلُص من ثلاثة أمور :

الأول: أن يخلص العمل من جميع شوائب الشرك والرياء .

الثاني: أن يخلص العمل من البدع بأنواعها .

الثالث: أن يخلص العمل من المعاصي بأنواعها : ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾**﴾ [النساء:١١٥].

وكما نجتهد ليكون العمل خالصا لله وحده، كذلك يجب أن نجتهد ليكون العمل صَوابًا على سنة رسول الله ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

فكل عمل لا يُقبل عند الله إلا إذا كان خالصا لوجه الله عز وجل، صوابا على طريقة رسول الله ﷺ، وهذا هو أحسن العمل، وكل ما سواه مردود، كما قال سبحانه : ﴿**تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾**﴾ [الملك:١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وحقيقة الاخلاص، أن تكون نية العبد فيما يقوم به من فعل، أو قول، أو ترك، وجه الله وحده، لا يريد به سمعة، ولا رياء، ولا رفعة عند أحد، ولا خوفا من

أحد، ولا جلب مصلحة، ولا دفع مضرة: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وقال الله تعالى فى الحديث القدسى : «أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» أخرجه مسلم (١).

والإخلاص هو روح كل عبادة، من صلاةٍ، وزكاةٍ، وصوم، وحج، ودعاءٍ، وذكرٍ، ودعوةٍ، وتعليم وغير ذلك من العبادات.

وبدون الإخلاص تفقد العبادة روحها، وتنقلب على فاعلها إثمًا : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان:٩].

وقال عز وجل : ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

ومن أخلص لله في جميع أحواله، خَلَّصَهُ الله من كل ما يضره، وحبب إليه كل ما يُحبه الله ويرضاه : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص:٤٥-٤٧].

فكل عمل، إذا كان خالصا لله، ولم يكن صوابًا على سنة رسول الله، لم يقبل. وكل عمل إذا كان صوابًا على سنة رسول الله، ولم يكن خالصا لله عز وجل، لم يُقبل.

والعملُ المقبول فقط، هو ما كان خالصا لله وحده، صوابًا على سنة رسول الله ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

٢ - لوازم الإخلاص

من أعظم لوازم الإخلاص المحبة لله، والتعظيم له، والذل له، والخوف منه، والرجاء له، والافتقار إليه، والخشوع بين يديه، والخشية له.

الأول: المحبة لله عز وجل:

فبقدر محبة الله تكون قوة إخلاص العمل له: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة:١٦٥].

الثاني: التعظيم لله عز وجل:

فبقدر معرفة الله يكون تعظيمه وبقدر تعظيمه وتكبيره تكون قوة إخلاص العمل لله وحده: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالث: الذل لله عز وجل:

فبقدر معرفة العزيز تكون قوة الذل له وبقدر الذل له تكون قوة إخلاص العمل له: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

الرابع: الخوف من الله عز وجل:

فمن عرف الله القوى العزيز الجبار خاف منه وبقدر الخوف تكون قوة إخلاص العمل له: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

الخامس: الرجاء لله عز وجل:

فمن عرف رحمة الله رجاه، وسأله حاجاته، ووقف ببابه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

وبقدر قوة الرجاء يكون إخلاص العمل لله عز وجل : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

فالرجاء قائد يقود المسلم إلى أنواع العبادات، والطاعات، والقربات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

والخوف زاجر، يزجر المسلم عن المعاصي، والفواحش، والمُحَرَّمات : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

السادس: الافتقار إلى الله عز وجل:

فمن عرف ربه بالغنى، افتقر إليه في كل حال. وبقدر الافتقار يكون إخلاص العبادة لله وحده : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

السابع: الخشوع بين يدي الله عز وجل:

وبقدر العلم بالله تكون قوة الخشوع بين يديه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:١-٢].

الثامن: الخشية لله عز وجل:

فمن عرف الله حقاً امتلأ قلبه بخشيته وتقواه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

٣- أبواب الإخلاص

الإخلاص يدخل فى جميع أبواب الدين كما يلى :

الباب الأول: الإخلاص فى النية

فكسب العبد من الأعمال الصالحة يكون بقلبه، ولسانه، وجوارحه،والنية أعظم الأقسام الثلاثة.

قال الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى». متفق عليه[١].

وقال النبى ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ». أخرجه مسلم [٢].

وكما أن الله صفى لنا الحليب من نجاستين : نجاسة الفرث، ونجاسة الدم، حتى صار لبنا خالصا، سائغا للشاربين ؛ فكذلك، نحن يجب أن نصفى العمل لله من نجاسة الشرك، بإخلاص العمل لله وحده، وتصفيته من نجاسة البدع، باتباع سنة محمدٍ ﷺفى كل أمر : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

وقال النبى ﷺ: « قال الله تعالى : أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» أخرجه مسلم [٣].

والنية عمل قلبى بين العبد وربه،لا يعلمها إلا الله وحده، فقد يتصدق إنسان غنى بمال عظيم، ليُقال إنه كريم، أو محسن ؛ أو ليحظى بمكانة عند ملك أو وزير أو مدير ؛ أو ليكسب خِدْمَةَ مَن تصدق عليه ونحو ذلك من المصالح

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

الدنيوية، وقد يتصدق آخر بمال عظيم كذلك، ابتغاء مرضات الله، ليَكُفَّ يَدًا عن السؤال؛ أو ليحفظ على بائس عفته وحياءه ؛ أو لمجرد امتثال أمر الله بالإنفاق ؛ أو ابتغاء الأجر والثواب.

فالعمل من الاثنين واحد وهو التصدق بالمال، ولكن اختلفت درجته باختلاف النية الباعثة عليه وفي هذا وهذا، يقول الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ ﴾ [البقرة: ٢٦٤-٢٦٥].

وقد يُصلى أحد أمام الناس، ليَسِمُوه بالصلاح، أو يَكِلُوا إليه عملًا ماليًا يُطلق فيه يده باختلاس .

وآخر يصلى قيامًا بالواجب الذي فرضه الله عليه، وإرضاءً لربه، وتطهيرًا لنفسه من الذنوب.

فهذان عملهما واحد وهو الصلاة، لكن عملهما وأجرهما يختلف بحسب النية الباعثة عليه.

والرجل يقاتل شجاعةً، أو رياءً، أو لِيُرى مكانه، أو للمَغْنَم.

وآخر يقاتل نُصرة لله، وإعلاءً لكلمة الله، ودفاعًا عن المسلمين، ابتغاء مرضات الله. فهل يستويان ؟ وهل كلاهما يُقاتل في سبيل الله ؟

عن أبى موسى الأشعري، أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن القتال فى سبيل الله عز وجل فقال : «الرَّجلُ يُقاتِلُ غَضَبًا، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً». قال : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إليه، وما رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّه كانَ قَائِمًا، فَقالَ: «مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهَّ هى العُلْيَا، فَهو فى سَبيلِ اللهَّ عزَّ وجلَّ» متفق عليه[1].

وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعةً، ويُقاتل حمية، ويُقاتِلُ رياءً، أَيُّ ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: « مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ الله هى العليا فهو فى سبيل الله» متفق عليه[2].

وقال رسول الله ﷺ: « إنَّ أوَّلَ الناس يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ، فأُتِيَ بهِ، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفَها، قال : فما عمِلْتَ فيها ؟ قال : قاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتَ، قال : كذبْتَ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ لِيُقالَ جريءٌ، فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ فى النارِ، ورجلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعلَّمَهُ، وقَرَأَ القُرآنَ، فأُتِيَ بهِ فعَرَّفَهُ نِعمَهُ، فعَرَفَها، قال : فما عمِلْتَ فيها ؟ قال : تعلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمْتَهُ، وقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قال : كذبْتَ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ عالمٌ، وقرأْتَ القُرآنَ لِيُقالَ : هو قارِئٌ فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ فى النارِ، ورجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليْهِ، وأعْطاهُ من أصنافِ المالِ كُلِّهِ، فأُتِيَ بهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، قال : فمَا عمِلْتَ فيها ؟ قال : ما تركْتُ من سبيل تُحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلَّا أنفقْتُ فيها لكَ، قال: كذبْتَ ولكنَّكَ فعلْتَ لِيُقالَ : هوَ جَوادٌ، فقدْ قِيلَ : ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ، ثمَّ أُلْقِيَ في النارِ» أخرجه مسلم [3].

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٣)، ومسلم برقم (١٩٠٤).
(2) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٣)، ومسلم برقم (١٩٠٤).
(3)أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥) .

والنية تقع على معنيين :

أحدهما تمييز المقصود بالعمل، هل هو الله وحده لا شريك له أم غيره ؟ أم الله وغيره ؟ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وهذه النية هى التى يتكلم عنها علماء التوحيد والإيمان فى أبواب التوحيد والإيمان.

الثانى: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صوم رمضان عن صيام التطوع، وتمييز الزكاة الواجبة من صدقة التطوع، وتمييز العبادات من العادات كتمييز غُسل الجنابة من غسل التبرد والتنظف ونحو ذلك.

وهذه النية هى التى يتكلم عنها الفقهاء فى أبواب الأحكام.

الباب الثانى: الإخلاص فى التوحيد.

فكلمة التوحيد لا إله إلا الله،هى أساس الدين كله:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:٥].

والتوحيد مفزع أولياء الله وأعدائه.

أما أولياء الله، فينجيهم التوحيد من كُرَب الدنيا والآخرة، ولذلك فزع إليه جميع الأنبياء والرسل وأتباعهم، فأنجاهم الله من العذاب، ونصرهم على من عاداهم

كما قال سبحانه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال سبحانه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

أما أعداء الله، فينجيهم التوحيد من كُرَب الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

فكلمة التوحيد لا إله إلا الله هى أصل الدين، ومفتاح الجنة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

ومن أخلص توحيده لله فاز بالأمن والهداية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام:٨٢].

فكلمة التوحيد هي مفزع الخليقة، ونجاتها من كرب الدنيا والآخرة،ما دعا بها مكروب إلا فَرَّج الله كربه،وما دعا بها خائف إلا أَمَّنه الله،وما دعا بها فقير إلا أغناه الله،وما دعا بها مريض إلا شفاه الله،وما دعا بها جاهل إلا علمه الله : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

الباب الثالث : الاخلاص فى الصدق.

الصدق خُلُقٌ عظيم،والكذب خُلُقٌ ذميم،والصادق يُراقب الله فى كل حال،ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نكون دائما مع الصادقين، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

والصدق يكون فى النية، ويكون فى القول، ويكون فى العمل، ويكون فى التوبة، ويكون فى العبادات، ويكون فى المعاملات : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

والصدق أصل جميع أعمال البر والخير،والكذب أصل جميع أعمال الشر والفساد.

قال النبىﷺ: « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» متفق عليه(١).

الباب الرابع: الإخلاص فى الأعمال.

فمن أخلص عمله لله عز وجل فرج الله كربه، واستجاب دعاءه، وقبل عمله : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال : « خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المطَرُ، فَدَخَلُوا فِى غَارٍ فِى جَبَلٍ، فَانْحطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ادْعُوا اللهَّ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّى كَانَ لى أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِىءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِىءُ بِالحِلاَبِ فَآتِى بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِى الصِّبْيَةَ وَأَهْلِى وَامْرَأَتِى، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ : فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِى وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ : فَفُرِجَ عَنْهُمْ .

وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّى كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ : لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : اتَّقِ اللهَّ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ : فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ .

وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِى حَقِّى، فَقُلْتُ : انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ بِي ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا

لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا، فَكُشِفَ عَنْهُمْ » متفق عليه[١].

فهؤلاء الثلاثة أخلصوا عملهم لله من قبل،ولما دعوا الله استجاب دعاءهم، وفرج كربتهم .

فهذه حال المخلصين في أعمالهم في الدنيا،وأما في الآخرة، فالجزاء من جِنس العمل، فمن أراد وجه الله في الدنيا، أكرمه الله برؤية وجهه في الجنة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

لهذا أمر الله رسولهﷺ أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه الله فقال : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الباب الخامس: الإخلاص فى الدعاء.

الإخلاص فى الدعاء من أعظم أسباب تفريج الكربات، وزوال الشدائد: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

وقال سبحانه عن الكفار : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥].

---

[١] متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٢)، ومسلم برقم (٢٧٤٣).

وقال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» أخرجه الترمذي [1].

وأصل جميع الأعمال هو إخلاص العمل لله وحده لا شريك له .

وضد الإخلاص الشرك، والنفاق، والرياء : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وإخلاص التوحيد لله عز وجل شجرة فى القلب، وفروعها الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، وثمرها الحياة الطيبة فى الدنيا، والنعيم المُقيم فى الآخرة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩) .

٤ - درجات الإخلاص

الإخلاص على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى : إخراج رؤية العمل عن العمل، والخلاص عن طلب العِوَض على العمل، وعدم الرضا بالعمل الذي قام به : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر:١١].

فبالأولى يُشَاهد العبد منة الله عليه بالعمل الصالح : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وبالثانية يعلم أنه عبد محض لله عز وجل. والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عِوَضًا : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة:١٥٦].

وبالثالثة يُطالع العبد عُيوبه وآفاته وتقصيره فى العمل، فلا يرى عمله يليق بجلال الله وقدره: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧].

الدرجة الثانية : الخجل من العمل، مع بذل المجهود في فعله على الوجه المشروع، حياءً من الله، وخوفًا منه، ورجاءً له: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

فالمؤمن يجمع إحسانًا في مخافةٍ، وحُسن ظنٍّ بربه، وسوء ظن بنفسه : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور:٢١].

الدرجة الثالثة : إخلاص العمل بالعمل المشروع فقط، وعدم العمل ببدعة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

وقال النبي ﷺ: « مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ ». متفق عليه[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

٥ – كيف يتحقق الإخلاص ؟

يتحقق الإخلاص بأمور :

الأول : الدعاء بأن يرزقه الله الإخلاص فى النية، والقول، والعمل : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

الثانى : أن يعلم العبد يقينًا بأنه عبدٌ محض، والعبد لا يستحق على خدمة سيده شيئا، لأنه يخدمه بمقتضى العبودية.

وما يناله العبد من سيده من الأجر والثواب والإكرام، فذلك تفضلٍ من ربه وإحسان إليه، لا معاوضةً عن العمل : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة:١٢٠].

الثالث : مشاهدة العبد منة الله عليه، وإحسانه إليه، وأنه بالله لا بنفسه، وأن كل خير حصل عليه، فهو بفضل الله وحده : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

الرابع : مطالعة العبد عيوبه، وتقصيره، وآفاته، وما في عمله من حظ للنفس والشيطان، والتفات القلب كثيرا إلى ما سوى الله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون:٤ –٧].

الخامس : تذكير النفس بما أمر الله به من إصلاح القلب، وإصلاح العمل، وحرمان المُرائي من الأجر : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧–١٠].

السادس : تذكير النفس بعظمة الله وكبريائه، وعظمة نعمه وإحسانه ليأتى فى القلب حب الله، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

السابع : الخوف من مقت الله تعالى إذ اطلع على قلبه، وهو مُنْطَوٍ على العُجْب، والكبر، والرياء، والنفاق : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة:٢٣٥].

الثامن : الإكثار من العبادات الخفية كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خاليا من خشية الله، وإخفاء الطاعات، وعدم التحدث بها: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥].

التاسع : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكمال علمه وقدرته، ليأتى فى قلب العبد إخلاص العبادة لله وحده : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

العاشر : تذكر الموت، وأهواله، وسكراته، وماذا بعده.

قال النبي ﷺ: « أَكْثِروا من ذِكْرِ هَادِمِ اللذَّات». أخرجه الترمذي وابن ماجه (١)

الحادي عشر : أن يعلم عاقبة الرياء، وأنه مفسد للعمل، موجب للعذاب : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وقال عز وجل : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون:٤-٧].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥٨).

الثانى عشر : التخلص من حظوظ النفس،فلا يجتمع الإخلاص فى القلب، وحب المدح، والثناء، والشهرة، والطمع فيما عند الناس : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

الثالث عشر : مجاهدة النفس على الإخلاص، وبذل الجهد فى دفع خواطر الرياء، وحمل النفس على إخلاص كل عمل لله وحده : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل : ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر:١١-١٢].

الرابع عشر : الحرص على مجالس الذكر، والوعظ، ومصاحبة أهل الإخلاص والإيمان، واجتناب مجالس الغفلة والمعاصى، فالصاحب ساحب إلى خير أو شر : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

الخامس عشر : الخوف من الشرك، والرياء، والنفاق : ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن:٤٦].

٦ - ثمرات الإخلاص

ثمرات الاخلاص كثيرة من أعظمها:

الأولى: لما كان القلب أشرف أعضاء البدن، كان من نصيبه أشرف الأعمال القلبية، من التوحيد، والإخلاص، والإيمان، والتقوى، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والاخباث، والحب، والتوكل، والإنابة، والافتقار إلى الله وغير ذلك من أعمال القلوب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

فبصلاح القلوب بالإيمان، تصلح الجوارح بالأعمال الصالحة، ثم تصلح الأحوال،وبذلك تطيب حياة المسلم فى الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل:٩٧].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وإذا فُقِدَ الإخلاص، بطلت الأعمال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

الثانية: الإخلاص سبب لدخول الجنة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

وقال النبى ﷺ: «مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا الله، دَخَلَ الجَنَّةَ» أخرجه مسلم (١).

الثالثة: بالإخلاص ينال العبد أجر الغازى فى سبيل الله وإن كان فى بيته، إن كان معذورًا.

قال النبى ﷺ حين عودته من غزوة تبوك:«إنَّ أقوامًا خلْفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا حبسهم العُذْر » متفق عليه(٢).

وقال ﷺ: «إن بالمدينة لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كانُوا مَعَكُم حَبَسَهُمُ المَرُضُ» متفق عليه(٣).

الرابعة: بالإخلاص ينال المؤمن أجر الشهداء،فصاحب النية الصادقة الخالصة ينال منازل الشهداء، وإن مات على فراشه.

قال النبى ﷺ « مَنْ سأَلَ اللهَّ تَعالَى الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ بلَّغهُ اللهُ منازِلَ الشُّهَداءِ وإنْ ماتَ على فِراشِهِ» أخرجه مسلم (٤).

الخامسة: بالإخلاص والعمل الصالح يتحقق النصر على الأعداء : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤٠-٤١].

وقال النبي ﷺ: « إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ» أخرجه البخاري (٥).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩)، ومسلم برقم (١٩١١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩)، ومسلم برقم (١٩١١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٩) .

(٥) أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٦).

وقال النبىﷺ: « إِنَّما يَنصرُ اللهُ هذِهِ الأمَّةَ بضَعيفِها، بدَعوتِهم وصَلاتِهم، وإخلاصِهم» أخرجه النسائي [1].

السادسة: بالإخلاص يُكرم العبد بشفاعة النبى ﷺ.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال: «أسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتى يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ» أخرجه البخاري [2].

السابعة: الإخلاص يقلب المُباحات إلى طاعات، يُؤجر عليها العبد.

قال الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى». متفق عليه[3].

وقال النبىﷺ: « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بهَا وجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حتَّى ما تجْعَلُ فى فَم امْرَأَتِكَ». أخرجه البخاري [4].

الثامنة: أن الإخلاص يُخلص العبد من كيد الشيطان، كما قال الله عز وجل عن يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

---

(١) صحيح/ **أخرجه** النسائي برقم (٣١٧٨).

(٢) **أخرجه البخاري برقم (٩٩).**

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٤) **أخرجه البخاري برقم (٥٦).**

٧- نواقض الإخلاص

نواقض الإخلاص على درجتين :

الأولى : أن يتعلم العبد العلم لا يريد به وجه الله، وإنما يتعلمه ليُصيب به عَرَض الحياة الدنيا من جاه، أو منصب، أو مكانة، أو يترفع به أمام الناس، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، ليمدحه الناس على ما وصل إليه من العلم، فيُقال هو عالم. وكذلك من يعمل الأعمال الصالحة، لا ليتقرب بها إلى الله، وإنما ليُصيب بها شيئا من المقاصد الدنيوية. وقد قال الله في هؤلاء : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس:٧-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

الثانية : أن يعمل المسلم العمل لله، ثم يُداخله شيء من العُجْب، والرياء.

فإن جاهده ودفعه فهو مؤمن مخلص ؛ وإن استرسل معه، ورااى فى بعض أعماله، وأخلص فى بعضها، كان ما راآى فيه حابطا مردودا، وما أخلص فيه فهو عمل صالح مقبول، وأصحاب هذه الدرجة أخف إثما من أصحاب الدرجة الأولى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٢].

وأعظم نواقض الإخلاص هو الشرك، والنفاق، والرياء، والعُحب : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

وقال عز وجل : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون:٤-٧].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وقال ﷺ: « قال الله تعالى : أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» أخرجه مسلم (١).

ومن علامات الرياء :

الأول : أن ينشط الإنسان فى العبادة أمام الناس، ويكسل عنها إذا كان وحده.

الثانى : أن يجتهد فى العبادة إذا مدحه الناس، ويترك العبادة أو يكسل عن الأعمال الخيرية إذا ذمه الناس.

الثالث: أن يُحافظ على الحُرُمات أمام الناس، فإذا كان بمفرده انتهك الحرمات، واستباح المحرمات.

الرابع : أن تكون عبادته أمام الناس أقوى منها إذا كان بمفرده.

الخامس : أن يُحب فى قلبه مدح الناس له، وثناءهم عليه، ويفرح بإعجابهم به.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

٨- عقوبات ترك الإخلاص

من ترك الإخلاص وقع في الشرك، والنفاق، والرياء، فحبط عمله، وخسر دنياه وآخرته، وحُرم الجنة، وأُدخل النار: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

وقال النبي ﷺ: « من سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ » متفق عليه[١].

وقال النبي ﷺ: « مَن طلب العلم ليُجارِيَ به العلماءَ، أوْ ليُمارِيَ بهِ السفهاءَ، ويصرِفَ بهِ وجوهَ الناس إليه، أدخلَهُ اللهُ النار » أخرجه الترمذي[٢].

وقال رسول الله ﷺ: « إنَّ أوَّلَ الناس يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ، فأُتِيَ بهِ، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ لِيُقالَ جريءٌ، فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ فى النارِ، ورجلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعلَّمَهُ، وقرَأَ القُرآنَ، فأُتِيَ بهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمْتَهُ، وقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقرأْتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ فى النارِ، ورجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليْهِ، وأعْطاهُ من أصنافِ المالِ كُلِّهِ، فأُتِيَ بهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، قال: فمَا عمِلْتَ فيها؟ قال: ما تركْتُ من سبيل تحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلَّا أنفقْتُ فيها لكَ، قال: كذبْتَ ولكنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هوَ جَوادٌ، فقدْ قِيلَ: ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ، ثمَّ أُلْقِيَ في النارِ» أخرجه مسلم[٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٣٤)، ومسلم برقم (٢٩٨٦).

(٢) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

فهؤلاء الثلاثة أول من تُسَعَّرُ بهم النار، لأن أعمالهم رياءً، وسمعةً.

فهؤلاء ظاهر أعمالهم أن أعمالهم صالحةً جليلةً، ولكنهم استحقوا النار، لفساد نياتهم.

فهؤلاء بسبب عدم إخلاصهم فى أعمالهم استحقوا النار، لما فى قلوبهم من إرادة غير الله بأعمالهم : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

اللهم اهدِنا فِيمَن هديت،وعافنا فيمن عافيت،وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

اللهم ارزقنا الإخلاص فى القول والعمل .

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

البصيرة السابعة والخمسون

مقاصد الشريعة : معناها، وأقسامها، وثمراتها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه مقاصد الشريعة الإسلامية

الثاني: أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية

الثالث: أهم مقاصد العبادات في الشريعة

الرابع: أهم مقاصد المعاملات في الشريعة

الخامس: أهم مقاصد الأخلاق في الشريعة

السادس: أصول مقاصد الشريعة الإسلامية

السابع: ثمرات معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية.

٥٧- مقاصد الشريعة: معناها، وأقسامها، وثمراتها

١- فقه مقاصد الشريعة الإسلامية

مقاصد الشريعة الإسلامية هي الغايات والأهداف التي قصدها الشارع من وضعه للشريعة، والمعاني الملحوظة عند كل خبر من أخبارها، وعند كل حُكْمٍ من أحكامها، والمصالح التي جاءت الشريعة بتحقيقها للأمة في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فالدين كله رحمة، وكله حكمة، وكله عدل، وكله إحسان، وكله أمن، وكله خير: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتُذَكِّرُ العبد بربه العظيم: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

والصيام يُثْمِرُ تقوى الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

والزكاة تطهر النفوس من البُخْل وتزكيها بالبذل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة:١٠٣].

وتطهر الزكاة نفوس الفقراء من الحسد، وتطهر المجتمع من العدوان، وتطهر المال من حق الغير فيه، وتنمي المال وتزيده: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة:٢٧٦].

وعبادة الله وحده تُثمر تقواه في كل حال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فأوامر الله ورسوله كلها حِكمة، وكلها رحمة، وكلها حدود لسلامتك وسعادتك في الدنيا والآخرة، لا قيودا تقيد حريتك وحركتك.

فالفقيه من فهم مقاصد الأوامر والنواهي على أنها فلاح ونجاة للعبد مما يضره، لا على أنها قيود تقيد حريته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

فالفقيه في الدين حقًا هو من عرف الحُكم والحِكمة منه، فأداه لله بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه[١].

والعبد كلما ارتقى إيمانه بالله لم يبحث عن عِلَّةِ الأحكام ؛ لأنه يعلم أن ربه الحكيم الرحيم أمر به، فامتثل أمر سيده، لأنه أمر به : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فكل أمر قدري له حكمة ومقصد، وكل أمر شرعي له حكمة ومقصد، وكل نهي شرعي له حكمة ومقصد، وكل عِلم له مقصد، وكل عمل له مقصد، وكل خُلق حسن له مقصد، وكل عبادة لها مقصد، وكل معاملة لها مقصد، وكل حكم له حكمة، وكل نص شرعي له حكمة ومقصد : ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

﴿فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود:١].

وما أصاب من أصاب من علماء الأمة إلا لمعرفتِهِ بمقاصد الشريعة،وما أخطأ من أخطأ من طلبة العلم إلا لجهله بمقاصد الشريعة،وما زَلَّ مَنْ زَلَّ من العلماء إلا بسبب ما خفي عليه من مقاصد الشريعة، وجهله بأحكامها : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وأعظم فضيلة في هذا الدين العظيم أنها تعتمد على الوازع الداخلي في القلب، كما قال الله عن الأنبياء : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأعظم نَقِيصَةٍ في النُّظُمِ سِوَاه أنها تعتمد على الرادع الخارجي.

فإذا انقطع الكهرباء عن مدينة في بلاد الكفر، تُرتكب مئات الألوف من الجرائم، في ليلة واحدة،أما المؤمن فيمنعه وازعه الإيماني الداخلي في قلبه من ارتكاب الجرائم في الليل أو النهار : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

والشريعة هي كل ما شرعه الله تعالى لعباده، وكل ما شرعه الله له حكمة ومقصد. فالإيمان له مقصد، والتقوى لها مقصد، والعلم له مقصد، والعبادات لها مقصد، والمعاملات لها مقصد، وهكذا: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:١٢].

ومقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى ثلاثة :

الأول :حفظ الضرورات،وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وحفظ النسل، وحفظ الأمن .

وبحفظ هذه الضرورات يسعد الناس في حياتهم،وبإهمال هذه الضرورات يشقى الناس في حياتهم : ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه:١٢٥-١٢٦].

الثاني : تحقيق الحاجيات،وهي الأمور التي يحتاجها الناس في حياتهم، مثل النقود والمكاسب المشروعة : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة:٢٩].

الثالث : التحسينات، وهي الأمور التي تُحَسِّنُ الحياة، مثل حُسن الخلق، وقضايا الزينة، وقضايا النظافة، ووسائل المعيشة المتجددة التي تُعين الإنسان على الاستفادة مما خلقه الله عز وجل كالصناعات النافعة، ووسائل البناء، والزراعة ونحو ذلك مما يسهل أمور المعيشة.

وأعظم هذه المقاصد تحقيق العبودية لله وحده، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وكذا إسعاد الناس في الدنيا والآخرة، ورفع الحرج عنهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١﴾ [فصلت:٣٠-٣١].

ومن عرف مقاصد الدين كَبَّرَ الله وحده، وسأل الله وحده، ودعا الله وحده، وحَمِدَ الله وحده، وأحب الله وحده، وعبد الله وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ

﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

ومقاصد الشريعة الإسلامية هي الأسرار والغايات والحِكَم التي وضعها الشارع لتحقيق عبودية الله وحده، وتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

فالشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق ثلاثة أمور عظيمة:

الأول: تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

الثاني: تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

الثالث: جلب المصالح، ودفع المفاسد، فبفعل الأوامر تتحقق المصالح، وبترك المناهي تدفع المفاسد: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧].

ومعرفة هذه المقاصد العظيمة تزيد إيمان العبد، وتملأ قلبه بعظمة الله، ومحبته، وحمده، وشكره، وخوفه، ورجائه، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

٢ - أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية

مقاصد الشريعة هي الأهداف والغايات التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في حياة الناس، ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

ومقاصد الشريعة الإسلامية تنقسم إلى قسمين :

الأول : المقاصد العامة.

وهي تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له. ويتم ذلك بالإيمان بالله، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وعبادة الله بموجب ذلك، بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وبذلك تتحقق مصالح الخلق جميعا في الدنيا والآخرة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

الثاني : المقاصد الخاصة.

وهي الأهداف التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في مجال خاص من مجالات الحياة، كنظام كسب الأموال، وإنفاقها، وتكوين الأسرة الصالحة، ونظام التكافل الاجتماعي، وغيرها مما ورد في أحكام الشريعة ورغب الله الأمة جمعاء في التعاون على تحقيقه، كما قال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

ومصالح الناس من حيث الأهمية على ثلاث درجات :

الأولى : الضروريات، وهي ما لا يستغني الناس عن وجوده في حياتهم أبدا، وحياتهم بدونه جحيم لا يُطاق،ويأتي على رأس ذلك، حفظ الكُلِّيَاتِ الخمس وهي :

حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ النفس، وحفظ المال.

وقد جاء الإسلام بحِفْظِ هذه الضرورات وحمايتها بإيجاب الحدود والعقوبات على من تعرض لها بسؤ : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقال عز وجل : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾ [البقرة:١٨٧].

الثانية : الحاجيات، وهي ما يحتاج الناس إليه لتحقيق مصالح هامة في حياتهم،يُؤدي غيابها إلى المشقة، والحرج، واختلال نظام الحياة، كما في أحكام البيوع والإجارة، وأحكام الزواج، والأموال وغيرها من المعاملات التي تُنظم حياة الناس في كل زمان ومكان.

الثالثة : التحسينات، وهي ما يتم به تحسين وتجميل حياة الناس، مثل : الاعتناء بجمال الملبس، وتحسين المأكل، والمشرب، وتحسين المركب، والمسكن، وغير ذلك من محاسن العادات التي تُسهل للناس أمور حياتهم مثل : وسائل والتبريد والتدفئة، وأنواع الصناعات المختلفة، من الأجهزة والآلات التي تُسهل على الناس أمور حياتهم : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف:٣٢].

٣- أهم مقاصد العبادات في الشريعة

أهم مقاصد العبادات :

الأول : توجيه القلوب للتوجه إلى الله وحده في كل شيء، في تحصيل المصالح، ودفع المفاسد، وجلب الخير، ودفع الشر : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

فجميع العبادات تربط المسلم بربه. فهو يُكبر الله، لما يرى من عظمة جلاله وجماله، ويحمده وحده، لما يرى من عظمة نِعَمِهِ وإحسانه، ويحبه، لما يراه من لُطْفِهِ وإحسانه إلى عباده،ويسأله وحده، لما يراه من غِناه وكرمه، ويستعين بالله وحده لما يراه من عظمة قدرته وقوته، ويستغفره، لما يعلمه من حبه للعفو والمغفرة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وكل ذلك ظاهر في أنواع الأذكار والأدعية، وأنواع العبادات من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج : ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

الثاني: دوام الافتقار إلى الله وحده في كل حال.

في حال الغنى والفقر، وحال العافية والمرض، وحال الأمن والخوف، وحال السِّلم والحرب، وحال الرخاء والشِّدَّة : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

الثالث : معرفة كمال رحمة الله بعباده، ورفع الحرج عنهم، وعظيم الإحسان إليهم، والرفق بهم، وذلك ليحبوه ويشكروه على نِعمة التخفيف والتسهيل والتيسير: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

ففي الصلاة أباح الله للمسلم المُسافر قصر الصلاة الرباعية، والجمع بين الصلاتين،وإن كان المسلم مريضا أباح الله له الجمع بين الصلاتين رِفقا به، ودفعا للمشقة عنه : ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء:١٠١].

وفي الزكاة، جعلها الله لا تجب إلا على الغني، إذا مَلَكَ نِصابًا، وحال عليه الحَوْل.

وفي الصيام أباح الله للمريض والمُسافر الإفطار في رمضان والقضاء فيما بعد.

وفي الحج جعله الله على المُستطيع ماليا وبدنيا : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧].

ومن كمال رحمة الله بعبده أن العبد إذا كان مريضا أو مسافرا، كتب الله له كل ما كان يعمله صحيحا، مقيما، رحمة من الله وفضلًا.

قال النبي ﷺ: «إذا مرِضَ العبدُ أو سافرَ كتبَ لَهُ من العملِ ما كانَ يعملُهُ صحيحًا مقيمًا» أخرجه البخاري (١).

الرابع: تهذيب النفوس، وتطهير القلوب.

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦) .

فالعبادات تهذب النفوس، وتطهر القلوب وتزكيها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد:٢٨].

ففي الصلاة، قال سبحانه : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وفي الزكاة، قال سبحانه : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ [التوبة:١٠٣].

وفي الصوم، قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

وفي الحج، قال سبحانه : ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [البقرة:١٩٧].

الخامس : الحث على وحدة الأمة اعتقادًا وعملًا وأخلاقًا.

فقد شرع الله الأذان للصلوات الخمس كل يوم خمس مرات، تذكيرا بالشهادتين، ودعوة الناس إلى الخير، والصلاة التي تجمع الأمة على عبادة الله وحده.

وحث الإسلام على أداء العبادات جماعة، ورفع الله شأن القيام بها جماعة.

ففي الصلاة شُرعت الصلاة جماعة، وبين الرسول ﷺ أن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبعٍ وعشرين درجة، أو خمسٍ وعشرين درجة.

وفي الصيام يصوم المسلمون جميعا شهرًا واحدًا هو رمضان، في وقت واحد، ويُفطرون في وقت واحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

وفي الزكاة يقف الأغنياء بجانب الفقراء،فيحصل بين الجميع تكافلٌ وتعاونٌ ومودةً ورحمة،وتتحقق بينهم الأخوة والمحبة التي تُثمر الأمن والسعادة للجميع.

وفي الحج يقف الحجاج في وقت واحد، ومكان واحد، ومناسك واحدة، ولباس واحد، وتلبية واحدة، وعبادة واحدة، تذكيراً بنعمة التوحيد.

وهكذا الأذكار للجميع واحدة،والأدعية للجميع واحدة. والأخلاق للجميع واحدة، للرجال، والنساء، والكبار، والصغار، والأغنياء، والفقراء: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء:٩٢].

السادس: تأكيد مبدأ المساواة من خلال العبادات التي فرضها الله على الجميع كالوضوء، والصلاة، والصوم، والحج، والأذكار، والأدعية.

فهذه العبادات تجب على الجميع من الرجال، والنساء على حَدٍّ سواء،والزكاة تجب على من ملك النصاب منهم،والحج يجب على المُستطيع من الرجال والنساء: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

ومن مقاصد الصلاة تحقيق العبودية لله وحد، والخشوع لله، والخشية له، والانكسار بين يديه، والتذلل له، والاستعانة به.

ومن ذلك تهذيب السلوك، وتحقيق الألفة والمحبة بين المصلين، وتعليم الجاهل ما يجهله من أحكام الصلاة عِلْمِيًّا وعَمَلِيًّا، وتعلم الصبر على الشدائد، ومحو ذنوب العبد وخطاياه.

فالصلوات الخمس كفارة لما بينها إذا اجتنبت الكبائر،وكذلك الجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان.

ومن ذلك حصول طمأنينة النفس بذكر الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد:٢٨].

ومن مقاصد الزكاة تحقيق العدالة بين الناس، ومواساة الفقراء، وتطهير قلوب الأغنياء من البُخْل، وتطهير قلوب الفقراء من الحسد، وتطهير المال من حق الفقراء فيه، وتحقيق المحبة والأخوة بين الناس : ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ [التوبة:١٠٣].

ومن مقاصد الصيام كَفُّ النفس عن الرفث، والسوء، والفواحش، والإسراف في الشهوات التي تُقعدُ العبد عن الطاعات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة:١٨٣].

وكَفُّ النفس كذلك عن أذى الناس.

قال ﷺ: «من لم يدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بِهِ ، فليسَ للهِ حاجةٌ بأن يدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ» أخرجه البخاري (١).

ومن مقاصد الصيام صحة الجسد، باستفراغ المواد الفاسدة من المعدة بتقليل الطعام والشراب أثناء الصوم، وتعويد النفس على السخاء والبذل في رمضان، وتعويدها على الصبر على العبادة ، والصبر عن محبوبات النفس، لتقوى على أداء محبوبات الرب من الصلاة، والقيام، وتلاوة القرآن، والأذكار والأدعية، والبذل والإنفاق، وتحصيل الأجر والثواب من خلال أنواع العبادات .

(١)أخرجه البخاري برقم (١٩٠٣).

قال النبي ﷺ: قال الله عز وجل في الحديث القدسي : « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصَّوْمَ، فإنَّه لي وأنا أجْزِي به» متفق عليه[1].

ومقاصد الحج كثيرة ومنها إعلان التوحيد في المناسك، وإظهار التعبد لله وحده، وإخلاص العبادة له، وتعظيم شعائر الله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢].

ومن التيسير ورفع الحرج عن الأمة إيجاب الحج على المُستطيع فقط : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧].

ومنها تعليم الجاهل بأمور دينه، حين يلتقي العالم بالناس، ويعظهم ويعلمهم أمور دينهم : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

ومنها، تحقيق مقاصد مالية من البيع والشراء في هذا الموسم العظيم، كما قال سبحانه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة:١٩٨-١٩٩].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (١١٥١).

٤ - أهم مقاصد المعاملات في الشريعة

الأصل في جميع العبادات بالنسبة إلى المُكلف هو التعبد لله بها دون النظر إلى المعاني والعِلل : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

والأصل في المعاملات والعادات التعليل والنظر إلى المعاني،وما من أمر من أوامر الله إلا وله حكمة، ومصلحة تنصلح بها حال العبد في الدنيا والآخرة، ويسعد بها العبد في الدنيا والآخرة. فالدين ركنان :

عبادة الحق وحده لا شريك له، والإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦].

فالعبادة فيما بين العبد وربه كالصلاة والصوم والأذكار والأدعية وغيرها من الشعائر والعبادات .

والإحسان إلى الخلق فيما بين العبد وغيره من الخلق كالبيع والشراء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وغير ذلك من المعاملات بين البشر : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

ومن أهم مقاصد الشريعة في المعاملات :

الأول : التعبد لله وحده بامتثال أوامر الله ورسوله في كل معاملة.

فكما يجب علينا امتثال أوامر الله في العبادات، كذلك يجب علينا امتثال أوامر الله في المعاملات، فالكل عبادة لله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

الثاني : أن يكون المال رائجا بين الناس، وشائعا بينهم جميعا،لا مذخرا عند البعض دون البعض الآخر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء:٢٩].

ومن أجل المحافظة على هذا المقصد وتسهيله، شرع الله عقود المعاملات من البيع، والشراء، والإجارة، والشركات، وعقود التجارة، والصناعة، والزراعة، وغيرها من المعاملات كعقود الرهن، والتوثيق، والوصايا، والنفقات، والمواريث، والهبات، والعطيات، لتسهيل رواج المال بين الناس، واستفادة بعضهم من بعض، وانتقال الأموال من يد إلى يد،فينتفع الجميع بأنواع الأموال، ولا يكون المال متداولا بين الأغنياء فقط : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧].

الثالث : حرية الكسب والتملك في كل شيء مباح، ليستغني به العبد عما سواه ويُعف به نفسه، ويحُسن به إلى غيره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

فالعبادة لها وقت، والدعوة لها وقت، والكسب له وقت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة:٩-١٠].

وصاحب المال حرٌّ في التصرف فيما يَملكُه بما يحُقق مصالحه، وينفع غيره، ولا يضر غيره : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ [البقرة:٢٧٤].

الرابع : منع الحِيَل في المعاملات.

والتَّحَيُّل الممنوع هو ما منعه الشرع، مثل أن يهب ماله قبل أن يمضي الحَوْل بيوم، لئلا يُعطي زكاته، ثم يسترده بعد ذلك.

ومن شرب المخدر، ليُغْمَى عليه وقت الصلاة، فلا يُصليها.

ومن فرق أمواله من الحيوان، لئلا تجب فيها الزكاة مجتمعة، وغير ذلك من الحيل التي منعها الشارع أو عاقب عليها، لما فيها من الأضرار، وتعطيل الحقوق.

الخامس : استفادة الناس بعضهم من بعض، وإتاحة الفرصة للجميع لاستفادة بعضهم من بعض،فهذا يملك المال الكثير، ولا يلك القدرة على العمل، وهذا يملك القدرة ولا يملك المال، وهذا طبيب، وهذا مهندس، وهذا عامل، وهذا معلم، وهذا تاجر، وهذا صانع، وهذا مزارع، وهذا فقير، وهذا عاجز، وهذا غني، وإباحة المعاملات الشرعية بين طبقات الناس فيه رواج المال بينهم، واستفادة بعضهم من بعض.

السادس : دخول الناس في الإسلام من خلال المعاملات الإسلامية بين المسلمين وبين غيرهم،فيَرَوْنَ في تلك المعاملات العدل، والصدق، وعدم الغش والكذب، وتحري الحلال من الكسب، وجمال أخلاق الإسلام، والسماحة في البيع، والشراء، والقضاء.

قال النبي ﷺ: «رَحِمَ الله امرءًا سَمْحًا إذا بَاع، سَمْحًا إِذَا اشترى، سَمْحًا إذا اقْتَضَى» أخرجه البخاري [1].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

٥ - أهم مقاصد الأخلاق في الشريعة

حُسن الخُلق زينة القلوب، كما أن حُسنَ اللباس زينة الأبدان، وحُسن الأزهار والثمار زينة الأشجار: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف:٢٦].

وحُسن الخُلُق من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية،فهو من أعظم الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ويعيش بها بين خلقه.

قال النبي ﷺ: «إنَّ من خياركم أحسنُكم أخلاقًا» متفق عليه[١].

ومكارم الأخلاق كلها حلوة، وأشدها مرارة، وأعظمها ثواباً، أربع هي:

أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فليس هناك شيء يُزين الإنسان، ويرفع درجته عند الله، ويُعلي مكانته عند الناس مثل حُسن الخلق. كما أثنى الله عز وجل على رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ [القلم:٤].

وحُسن الخلق مفتاح القلوب، ومفتاح الجنة، ومفتاح كل خير.

وجِماع حسن الخلق أن يتحلى الإنسان بالصفات الجميلة التي يحبها الله كالإيمان، والإحسان، والتقوى، والحِلْمُ، واللطف، والصدق، والصبر، والكرم، والعفو، والرحمة، والرفق، والتواضع، والسماحة، وغير ذلك من الصفات التي يحُبها الله عز وجل .

---

[١] متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩)، ومسلم برقم (٢٣٢١).

فالله مؤمن، يحُب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محُسن، يحُب الإحسان، وأهل الإحسان، والله عفو، يحُب العفو، وأهل العفو، والله تواب، يحُب التوبة، وأهل التوبة، والله شكور، يحُب الشكر، وأهل الشُّكر، والله كريم، يحُب الكرم، وأهل الكرم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فمقصود الرب من خلقه تحصيل صفاته، والتخلق بها، والتعبد لله بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والله سبحانه اشترى أهل الصفات الحسنة، وأصحاب الأخلاق العظيمة وهم الذين وصفهم الله بأحسن الصفات، وجزاهم على ذلك الجنة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

ثم ذكر صفاتهم بقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

وحُسن الخُلق ينقسم إلى قسمين:

الأول: حُسن الخلق مع الخالق، وذلك بتوحيده، والإيمان به، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وعبادته بموجب ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثاني : حُسن الخُلُقِ مع الخَلْقِ، وذلك بالإحسان إليهم، وبذل المعروف لهم، وَكَفِّ الأذى عنهم، والصبر على أذاهم، والرفق بهم، وإكرامهم بأنواع الإحسان من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنُّصح لهم، وتعليمهم شرع الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

فالدين ركنان : عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق : ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣].

وهذا وهذا، كله عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، وينال عليها الأجر العظيم من ربه الكريم، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال النبي ﷺ: «إن المؤمن لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ» أخرجه أبو داود(١).

وقال النبي ﷺ: « إنَّ مِن خِيارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أخلاقًا» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: « إنما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق» وفي روايةٍ «صالحَ الأخلاقِ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب(٣)

والخُلُق الحسن أعظم شيء في الميزان.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩)، ومسلم برقم (٢٣٢١).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البخار في الأدب برقم (٢٧٣) .

قال النبي ﷺ: « ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ»
أخرجه الترمذي وأبوداود (١)

وأحسن الناس أخلاقا هم الأنبياء والرسل، وأحسن الأنبياء والرسل أخلاقا هو نبينا ﷺ ، الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا،وكان خُلُقُهُ القرآن.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: كان خُلُقُه القرآنَ.
أخرجه مسلم (٢).

يتأدب بآدابه، ويأتمرُ بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويُحِلُّ حلاله، ويحُرِّمُ حرامه، ويُصدِّقُ أخباره. فهو قُدْوَةُ أمته في هذا الجانب : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

والأخلاق في الإسلام تقوم على الدين والإيمان بالله عز وجل.

فبدون إيمانٍ حقيقي تصدرُ عنه الأخلاق تُصبح الأخلاق مصلحيةً أو دُنيويةً لا قيمة لها عند الله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِّ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِّ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه(٣).

فالإيمان دون خُلُقٍ حسن شجرة يابسة لا ظل لها ولا ثمرة.

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٢)، وأخرجه أبوداود برقم (٤٧٩٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٧٤٦) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧).

قيل للنبي ﷺ: إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي في النار» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد (١).

فأهم مقاصد الأخلاق في الإسلام، أن يعيش الانسان مؤمنا بربه، معظما له، محبا له، شاكرا له، مستعينا بمولاه، متوكلا عليه، خاشعا له، سائلا له، مستجيبا لأمره، عابدا له، معظما لأوامره وشعائره، متصفا بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأن يقتدي كذلك بصفات الأنبياء والمرسلين من الرحمة، والإحسان، والصدق، والصبر، والحِلْم، والعفو، وكمال الإيمان والتقوى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله عز وجل عن الأنبياء: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء:٩٠].

وأن يكون قدوة للناس في الخير، والفضائل، والمحاسن، والآداب.

ولهذا بعث الله الأنبياء جميعا بمكارم الأخلاق، ومدح رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بحُسن خُلُقِه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

وروح الدين هو كمال اليقين على الله في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ وعبادته بموجب ذلك: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد رقم (٩٦٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٨١).

وروح الرسالة هو حُسْنُ الخُلُق، وروح الأخلاق رحمة الخلق : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فكمال اليقين على لا إله إلا الله يمنع كل أحد أن يضرك،وحُسن الأخلاق يمنع العبد أن يضر أحدًا. وحُسن الأزهار، والثمار، والمخلوقات، تذكير للعبد بمحاسن الأقوال، والأعمال، والأخلاق : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾ [الكهف:٧].

وجمال الأخلاق يجعل الإنسان أجمل من الأزهار والثمار على الأشجار.

وحسن الخلق من أعظم أسباب المغفرة ودخول الجنة : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٦ - أصول مقاصد الشريعة الإسلامية

أصول مقاصد الشريعة الإسلامية هي :

الأول: تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

الثاني : حفظ الضروريات الخمس للناسوهي :

حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.

الثالث : جلب المصالح، ودرأ المفاسد، وتقرير حرية الانسان، وكرامته، وحقوقه، وواجباته .

الرابع : إعمار الأرض وإصلاحها وفق منهج الله : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود:٦١].

الخامس : تحقيق مبدأ التيسير، والسماحة، والسهولة. ونفي الحرج عن الناس : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج:٧٨].

وقال عز وجل : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

السادس: تحقيق العدالة والمساواة بين الناس في العبادات، والمعاملات، والأخلاق : ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

السابع: تزكية النفوس بالعلم، والإيمان، والتقوى، وإتمام مكارم الأخلاق، ومحاسنها : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

وقال عز وجل : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وقال النبي ﷺ: «إنما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد (١).

الثامن : التأليف بين قلوب الأمة، وجمعها على الحق والهدى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

التاسع : تمكين الأمة الإسلامية، واستخلافها في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

العاشر : إصلاح حال الإنسان، ليسعد في الدنيا والآخرة وذلك بإصلاح عقيدته، وعبادته، ومعاملاته، وأخلاقه، وإصلاح ظاهره وباطنه، وإصلاح أحوال الفرد والأسرة، والمجتمع والأمة : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد رقم (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣).

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢].

الحادي عشر : رفع الضرر والإضرار عن كل فرد من الأمة.

قال النبي ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» أخرجه ابن ماجه (١).

الثاني عشر : الدعوة إلى تكوين أمة أسوة للبشرية في إيمانها، وتوحيدها، وأقوالها، وأفعالها، وأخلاقها، وآدابها، وطريقة حياتها : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثالث عشر : دوام الارتقاء في العلم، والعمل، والخُلق، وبذل الجهد في سبيل معرفة الله، من خلال النظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات الشرعية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِى ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

الرابع عشر : شرع الله الجهاد في سبيل الله، وإقامة القصاص، والحدود، لصد عدوان المعتدين، وإزالة الظلم والظالمين، وعقوبة المفسدين والمجرمين،

---

(١) حسن/ أخرجه ابن ماجه برقم (٢٣٤٠).

وحماية الإسلام والمسلمين، ليتوفر الأمن للمؤمنين، ويزول الظلم عن المظلومين: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣].

وقال عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة:١٧٩].

الخامس عشر: تحويل حياة الناس من حياة البهائم، والسباع، والشياطين، إلى حياة الأنبياء، والمرسلين، والملائكة المقربين: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

٧-ثمرات معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية

الأولى : الوصول إلى حقيقة الإيمان بالله عز وجل، وحُسن التعبد له بما أمر به وما نهى عنه، بكمال الحب لله، والتعظيم له، والذل له : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثانية: تحقيق التوحيد لله، وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الثالثة : معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية، تملأ القلب إيمانا، وتوحيدا، وتعظيما لله، وحبا له، وشكرا له على عظيم نعمه المادية والروحية : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الرابعة : معرفة مقاصد الشريعة تُقوي إيمان العبد بربه، وتُحصِّنه من الانحرافات والاتجاهات السيئة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

الخامسة : معرفة مقاصد الشريعة تُعطي المسلم القناعة التامة بربه ودينه، فيؤدي العبد الواجبات والمستحبات، ويجتنب المحرمات والمكروهات، ابتغاء مرضات الله : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

السادسة : معرفة مقاصد الشريعة تجعل المسلم يُسارع إلى كل عمل صالح يُقربه إلى ربه، ويدعو إلى الله وإلى دينه على بصيرة ويقين جازم بأن هذا هو الحق وحده : ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

السابعة : معرفة مقاصد الشريعة تثمر للعبد إخلاص العبادة لله وحده، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

الثامنة : معرفة مقاصد الشريعة تثمر معرفة حِكمة الأحكام الشرعية،فيؤديها العبد لله عن حب، ويقين، وتذلل، وتعظيم لله عز وجل: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨] .

التاسعة : معرفة مقاصد الشريعة تشعل في قلب العبد سِراج التوحيد والإيمان. فيرى الحق حقا ويتبعه، ويأمر به، ويرى الباطل باطلا، ويجتنبه، ويحذر منه : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد:١٩-٢٠].

العاشرة : معرفة مقاصد الشريعة تجعل العبد يؤمن بأن الله ما خلق شيئا إلا لحكمة، وما أمر بشيء إلا لحكمة، وما نهى عن شيء إلا لحكمة، وما قدر شيئا إلا لحكمة. وأن أفعاله سبحانه في منتهى الحكمة، والرحمة، والعدل، والإحسان : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجاثية:٢٢].

وذلك يُثمر الإيمان بالله، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

ومن علم ذلك آمن بمن خلق ذلك ، وصدق أخباره، وامتثل أوامره.

الحادية عشرة : معرفة مقاصد الشريعة سلاح يحارب به العبد وساوس الشيطان، ويدفع كل شبهة وشك في أحكام الله، وأفعاله، وأوامره، ونواهيه : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ

ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠].

الثانية عشرة : معرفة مقاصد الشريعة تسكب في القلب الطمأنينة، وتملؤه بالسكينة، وتدفعه إلى حب الله، وتعظيمه، والتوكل عليه، والشكر له، وحسن الظن به : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [الفتح: ٤].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

البصيرة الثامنة والخمسون

الابتلاء.. معناه، وأقسامه، وثمراته

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه الابتلاء .

الثاني: حكمة الابتلاء .

الثالث: أنواع الابتلاء .

الرابع: أحوال الناس عند نزول البلاء .

الخامس: أسرار الابتلاء .

السادس: ثمرات الابتلاء .

السابع: أسباب نزول البلاء .

الثامن: وسائل دفع البلاء.

٥٨- الابتلاء.. معناه، وأقسامه، وثمراته

١ - فقه الابتلاء

الله عز وجل هو العظيم في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، الحكيم الخبير في أقداره وأحكامه، وفي مَنْعِهِ وعطائه، وفي ثوابه وعقابه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

والابتلاء سنة ماضية في خلقه، فالحياة الدنيا كلها ابتلاء واختبار: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء:٣٥].

والابتلاء ميراث النبوة. فمن قل حظه من الابتلاء قل حظه من ميراث النبوة.

فأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه في نفسه، وماله، وأهله، وولده، ويُبتلى في دينه، ويبتلى في صبره وصدقه، ويبتلى في شهواته، ويبتلى فيما يحب، وفيما يكره.

ومن ابتلاه الله في هذه الدنيا فصبر أكرمه ربه بسبع كرامات:

الأولى: أنه صار في معية الله، ومن صار في معية الله فاز ولم يخسر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣].

الثانية: أن هذا الابتلاء محدود، فإذا خسرت مالي، فصحتي موجودة، ما زلت آكل وأشرب، ما زلت أتنفس، ما زلت آمنا على نفسي وأهلي، ما زال عقلي موجودًا، ما زالت عيني تُبصر، وأذني تسمع، ويدي تتحرك، ورجلي تمشي:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر:٦١].

الثالثة: أن هذا الابتلاء جاء في الدنيا لا في الدين، فالمال يذهب ويأتي، والصحة تذهب وتأتي، والطعام يذهب ويأتي.

أما الدين فإذا خسره الإنسان فلن يربح لا في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

الرابعة: أن هذا الابتلاء كان في الدنيا ولم يكن في الآخرة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة:٢١].

الخامسة: أن الابتلاء يورث الانكسار بين يدي الله، ويثمر الصبر، والله يُحب أهل التواضع وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران:١٤٦].

السادسة: أن الله أصابني بمصيبة، وهو قادر أن يصيبني بأعظم منها: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة:١٥٥].

السابعة: أن المبتلى يرجو الثواب على مصيبته إذا صبر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

والبلاء والابتلاء يُطلقان على مسمى واحد، هو الاختبار والامتحان بالخير أو الشر، والسراء أو الضراء: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨﴾[الأعراف:١٦٨].

والله حكيم عليم، يبتلي عباده بالخير والنعم، ليمتحن شكرهم، ويبتلي بعضهم بالشر والمكاره، ليمتحن صبرهم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:٢-٣].

والبلاء والابتلاء اسم لِمَا يُبتلى به العبد من الغنى والفقر، والصحة والمرض، والأمن والخوف، والقوة والضعف، والقدرة والعجز، والبأساء والضراء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤﴾ [البقرة:٢١٤].

والابتلاء هو الاختبار والامتحان في كل ما ينزل بالعبد من خير أو شر.

فقد يكون الابتلاء والاختبار بالعطاء، فالمال ابتلاء، والعلم ابتلاء، والعافية ابتلاء، والولد ابتلاء، وكثرة الأرزاق ابتلاء، والأمن ابتلاء، والتوفيق ابتلاء، وغير ذلك من النِّعَم التي يبتلي الله بها بعض عباده، ليختبر العبد بذلك؛ هل ستزيده إيمانًا، وقرباً من الله، وشكرًا له، أم تجعله عبدًا يتكبر ويتعالى بها على الناس؟: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾[الأنبياء:٣٥].

وقد يكون الابتلاء بالمنع، والحرمان، والمكروهات، من الفقر، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، والخوف، والمرض، وغير ذلك من

المصائب والشدائد، التي يبتلي الله بها بعض عباده ليختبر العبد بذلك، هل يصبر عليها العبد لينال أجر الصابرين، أم يسخط من ذلك، ويشكو ربه إلى خلقه ؟ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

فكل الناس مبتلى في هذه الدنيا، إما بالسراء ليشكر، أو مبتلى بالضراء ليصبر.

والله يُحب من عباده الشكر عند السراء، والصبر عند الضراء، والصبر والشكر من أعظم عبادات القلوب كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [لقمان:٣١].

وكل أحد مبتلى بالصدق أو الكذب، فمن صدق نجا، ومن كذب هلك : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وكل أحد في هذه الدنيا مبتلى، فهو إما أن يُؤمن أو يكفر، أو يوحد أو يشرك، أو يطيع أو يعصي، أو يتقي أو يفجر، أو يفوز أو يخسر : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان:٢-٣].

فالابتلاء سنة الله في خلقه : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٣٠].

الابتلاء سنة الله في خلقه، وكله حكمة، ورحمة، ورفعٌ، وتطهير للمؤمنين، وعقوبة للكافرين، وتذكير للغافلين.

وقد ورد الابتلاء في القرآن في أكثر من ثلاثين آية، فالابتلاء من الله لعباده سنة دائمة، وليس حالة عابرة.

والابتلاء للمؤمنين ليزداد إيمانهم، ويصفو توحيدهم، وتقوى نفوسهم، وترتفع

درجاتهم، وتكفر سيئاتهم، وتمحص ذنوبهم، ويكمل يقينهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

والابتلاء للكافرين تذكير لهم بربهم ليؤمنوا به، وفتنة لبعضهم، وعقاب لمن أصر على الكفر منهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٥)﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

وقال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود:١٠٢].

وقال سبحانه عن فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)﴾ [الزخرف:٥٥].

فيُصيب الله أمة الإسلام بالمصائب بسبب ذنوبها، لتتوب إلى ربها. ويصيب الكفار بما يُصيبهم عقوبةً لهم على إعراضهم عن الحق، ولعلهم يتوبون إليه.

وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين اختصاص المؤمن غالبا بنزول البلاء، تعجيلًا لعقوبته في الدنيا، لتكفير سيئاته، أو رفع درجاته.

فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل حسب دينه.

أما الكافر والمنافق فيعافى، ويُصرف عنه البلاء غالبًا، وتُؤخر عقوبته في الآخرة، لأنها أشد وأنكى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة:٥٥].

وقال عز وجل: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ (١٩٦) مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٩٧)﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

٢- حكمة الابتلاء

الابتلاء من الله لعباده تربية وتزكية، وتنقية وتصفية، ومذاقات تذاق ولا توصف. والله حكيم خبير، يبتلي عباده ليُربي ويهذب، لا لينتقم ويعذب.

ومن حكم الابتلاء :

الأولى: أن الابتلاء كفارة لذنوب العبد التي فعلها في الدنيا، لئلا يُقابل بها ربه يوم القيامة، ويُعذب بها في النار.

قال النبي ﷺ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أَذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ» متفق عليه[1].

وقال النبي ﷺ: «مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[2]

فليس بفقيهٍ من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، لأن البلاء يذكرك بالله فتتوب إليه، والرخاء يُطغي ويُلهي، وينسيك الله : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق:٦-٧].

الثانية: أن البلاء دليل على حب الله لعبده، والله لا يفعل بحبيبه إلا ما يسره، وينفعه، ويصلحه، ويسعده والعبد لا يتضجر من فِعل حبيبه به أبدًا : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١].

وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» أخرجه الترمذي [3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠)، ومسلم برقم (٢٥٧٢).

(٢)**صحيح/ أخرجه** الترمذي برقم (٢٣٩٩)، وأخرجه أحمد برقم (٧٨٥٩).

(٣) **صحيح: أخرجه** الترمذي برقم (٢٣٩٦) .

وقال النبي ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُصِبْ منه» أخرجه البخاري [(١)]

الثالثة: أن البلاء يرفع العبد المؤمن إلى الدرجات العلا في الجنة.

فقد تكون للعبد المنزلة العالية في الجنة، فما يبلغها بأعماله الصالحة، فلا يزال الله يبتليه بما يكره، حتى يُبلغه إياها بصبره على ذلك البلاء: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

وقال النبي ﷺ: «إن العبد ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها» أخرجه أبو داود [(٢)].

وكم في باطن البلية من نعمٍ كثيرةٍ تستوجب من العبد شكر ربه.

فاحمد الله أن البلية لم تكن أعظم منها، واحمده أنها كانت في الدنيا لا في الآخرة. واحمده أنها كانت في الدنيا لا في الدين. واحمده إذ رزقك ربك الصبر عليها. واحمده لما وفقك من استرجاع لما ترجو من الثواب عليها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٧].

فكم في البلية من نعم خفية. وليس معنى هذا أن نتمنى البلاء، بل علينا أن نسأل الله العفو والعافية. فإذا نزل بنا بلاءٌ من ربنا صبرنا، ورضينا، وشكرنا مولانا: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٠٩٠).

الرابعة: أن البلاء يُذَكِّر العبد بنعم الله التي قد نسي شكر الله عليها من العافية، والهداية، والأمن، والرزق، والولد، فيتوب إلى ربه، ويُقبل على طاعة مولاه، ويجتنب معاصيه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

الخامسة: أن البلاء يُذَكِّر العبد بمن هو أشد منه بلاء. فيشكر الله على خفة البلاء، وصغر المصيبة. ومن ذكر بلاء غيره هانت عليه مصيبته، وأحس بلُطف الله به : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

السادسة: أن الابتلاء يميز الله به بين المؤمنين والمنافقين، وبين الصابر والجازع، وبين الصادق والكاذب : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

السابعة: أن الابتلاء قد يكون عقوبة على بعض الذنوب، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠].

الثامنة: أن الابتلاء يكون لزيادة الحسنات، ورفع الدرجات، وإظهار الصفات المحمودة، كما في ابتلاء الأنبياء وأتباعهم ؛ حيث يظهر صبرهم، وحلمهم، وصدقهم، وكمال رحمتهم لأممهم : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١].

وقال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد في بلاءه وإن كان في دينه رقة ابتلي على

قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي والدرامي(١).

التاسعة: أن البلاء يكون أحيانا عقوبةً للمؤمن على بعض الذنوب التي لم يتب منها، وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

العاشرة: أن الله يبتلي عباده بالسراء والضراء، لينال العبد المؤمن أجر الصابرين، وأجر الشاكرين، ويسعد بمحبة الله للشاكرين والصابرين.

قال رسول ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» أخرجه مسلم(٢).

فالمؤمن الذي أصابته النعمة والسراء فشكر ربه، فاز بحب الله، وزيادة الخير: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم:٧].

والمؤمن الذي أصابته الشدة والضراء فصبر، فاز بحب الله، ونال أجر الصابرين: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

ففي باطن الابتلاء بالسراء أو الضراء ثواب مدخر، أو تطهير معجل، أو تنبيه من غفلة، أو تعريف بقدر نعمة، أو رفع لمنزلة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٢٨٩)، وأخرجه الدرامي برقم (٢٧٨٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

٣- أنواع الابتلاء

ابتلاء البشر أنواع هي :

الأول: ابتلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والهدف منه كشف كمال النبي، وكشف صبره، وكشف رحمته، وكشف صدقه، وكشف جمال أخلاقه، وذلك لا ينكشف إلا بقوة الابتلاء.

والأنبياء يُبتلون لرفع منزلتهم، والتأسي بهم، وعدم اعتقاد الألوهية فيهم : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال النبي ﷺ: « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل حسب دينه » أخرجه الترمذي والدرامي[١].

الثاني: ابتلاء المؤمنين لدفعهم إلى المزيد من الأعمال الصالحة، ورفعة درجاتهم في الآخرة، وتكفير سيئاتهم.

فالمؤمن العاصي، البلاء يرفع له درجة استقامته، ويدفعه إلى الاستكثار من التوبة، والاستغفار، والأعمال الصالحة، ويحمله على التوبة من جميع الذنوب الماضية : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

الثلث: ابتلاء غير المؤمنين ردعٌ وقَصم، فيردع الله الكافر بمصيبة تدفعه إلى التوبة، فإن لم يستجب الكافر قصمه الله، كما قال سبحانه عن فرعون وجنوده وغيرهم من الكفار : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٢٨٩)، وأخرجه الدرامي برقم (٢٧٨٣) .

ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٣٩-٤٠].

والله سبحانه حكيم عليم، يبتلي عباده بالنعم المتنوعة، لينظر من يشكر، ومن يكفر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم:٧].

ويبتلي الله بالمصائب المتنوعة لينظر من يصبر، ومن يجزع، ومن يتوب من ذنبه من عباده : ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف:١٦٨].

والله إذا أحب عبدًا ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن رضي العبد اصطفاه، فصار من المصطفين الأخيار.

والله حكيم عليم ابتلى الناس بثلاثة أمور :

ابتلاهم بالشهوات البهيمية، وابتلاهم بالأوامر الشرعية، وابتلاهم بالمصائب القدرية.

فواجبنا نحو الشهوات البهيمية، أن نأخذ من الطيبات بقدر الحاجة، ونشكر الله بقدر الطاقة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

وواجبنا نحو الأوامر الشرعية، أن نقوم بها بقدر الطاقة، فنفعل الأمور بحسب الاستطاعة، ونجتنب المناهي مطلقاً : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل : ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ [البقرة:٦٣].

وواجبنا نحو المصائب القدرية أن نصبر عليها، ونرضى بها، ونحمد الله عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال عز وجل : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن:١١].

وقال عز وجل : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة:٥١].

وكذا الله يبتلينا بعدونا الشيطان، وبالنفس الأمارة بالسوء، لنكون دائما حذرين، مجاهدين للشيطان الذي يأمر بكل شر، وينهى عن كل خير : ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس:٦٠-٦٢].

وقال عز وجل : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف:٢٧].

ولنكون كذلك حذرين من النفس الأمارة بالسوء : ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

ونجتهد لتزكية النفوس بالإيمان والاعمال الصالحة : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

وكذلك ابتلانا الله بأنواع الشهوات، لينظر من يُقدم ما يحُبه ربه من الإيمان، والأعمال الصالحة على ما تحبه نفسه من أنواع الأموال الشهوات: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (١٥)﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وينقسم الابتلاء من حيث المادة إلى عدة أقسام.

هذا مبتلى بنقص في الأموال، وهذا مبتلى بفقد الأولاد، وهذا مبتلى بنقص الثمرات، وهذا مبتلى بالجوع، وهذا مبتلى بالفقر، وهذا مبتلى بالمرض، ونحو ذلك من الأسباب الظاهرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة: ١٥٥].

وهذا مبتلى بالغنى، وهذا مبتلى بالفقر، وهذا مبتلى بالنعم، وهذا مبتلى بالمصائب: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وينقسم الابتلاء من حيث الأشخاص إلى أقسام كثيرة.

فالزوج مبتلى بزوجته، والزوجة مبتلاه بزوجها، والأب مبتلى بولده، والولد مبتلى بأبيه، والجار مبتلى بجاره، والحاكم مبتلى برعيته، والرعية مبتلاه بالحاكم، والمدرس مبتلى بطلابه، والطلاب مبتلون بمدرسهم، والغني مبتلى بالفقير، والفقير مبتلى بالغني، والكبير مبتلى بالصغير، والصغير مبتلى بالكبير، وهكذا في سائر أنواع الأشخاص: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ (٥٣)﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

فالدنيا دار الابتلاء، والاختبار، والامتحان، والعمل، والآخرة دار الجزاء والحساب، ودار الثواب والعقاب : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢-٣].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٦-٨].

ويكون الابتلاء كذلك في مجال الأنفس، من حيث الصحة والسقم، والجاه والخمول، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والسعادة، والشقاوة.

ويكون الابتلاء كذلك في الأموال من حيث الفقر، والغنى، والعوز، والرفاهية : ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والابتلاء بالنسبة لمن يقع عليه أنواع :

الأول : الابتلاء الشخصي: وهو كل ما يصيب الإنسان في نفسه، وأهله، وماله من السراء والضراء : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٢-٣].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

الثاني : الابتلاء الاجتماعي: وهو أن يبتلي الله الناس بعضهم ببعض، إما برفع بعضهم فوق بعض درجات : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٦٥].

وإما أن يبتليهم ربهم بتفاوتهم في حظوظ الدنيا من الرفعة والضعة، أو الغنى والفقر، ونحو ذلك : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

الثالث : الابتلاء الجماعي: وهو ما يُصيب الأمة بأسرها، من رغد العيش أو ضيقه، وما يصيب الأمم من الزلازل والبراكين، والفيضانات، والأعاصير، وغيرها من الابتلاءات كفساد المياه، والهواء، والزروع، والثمار، وخراب البيوت، وانتشار الأمراض، وغير ذلك مما يكون سببه ما يقترفه الناس من المعاصي، وما يرتكبونه من الآثام والفواحش : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١].

وقال النبي ﷺ : «يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن قد مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقص المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يَمْنَعُوا زكاة

أموالهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولم يَنْقُضُوا عهدَ الله وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم، فأَخَذوا بعضَ ما كان فيَ أَيْدِيهِم، وما لم تحكُمْ أئمتُهم بكتابِ الله عزَّ وجلَّ ويتخيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم» أخرجه ابن ماجة والحاكم(١).

الرابع : الابتلاء التكليفي، وهو الابتلاء بحمل الأمانة، وهو عام لكل إنسان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣].

وهذا أعظم أنواع الابتلاء، وهو المقصود من خلق الإنسان، وبه يحصل شرفه، وعزته، وفلاحه، ونجاته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:٢-٣].

ومن رحمة الله بعباده ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي الشرعية رحمة بهم، وحِمِيَةً لهم من الضرر، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به من التكاليف ؛ لأنه هو الغني وحده عن كل ما سواه، ولا بخلًا منه عليهم بما نهاهم عنه مما يضرهم، لأن كل الخلق فقراء إليه، وهو الغني الحميد، سبحانه : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج:٦٤].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠١٩)، وأخرجه الحاكم برقم (٨٦٢٣) .

وقال عز وجل : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥].

ومن رحمته بعباده، أن نغص عليهم الدنيا، وكدَّرها عليهم، لئلا ينشغلوا بها، ويسكنوا إليها، ويطمئنوا إليها، ليرغبوا في النعيم المُقيم في دار جواره، وساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧].

فمنعهم برحمته ليُعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم، ثم أحياهم ليسعدهم، ويكرمهم بأنواع الكرامات : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢].

والبلاء له صور كثيرة مختلفة :

بلاء في النفس، وبلاء في العقل، وبلاء في الأهل، وبلاء في الولد، وبلاء في المال، وبلاء في الدين.

فالبلاء في البدن مخلوف، والبلاء في العقل يُرفع به التكليف، والبلاء في المال والأهل مُعوض.

وأعظم ما يبتلى به العبد في دينه، وأشد الناس بلاء الأنبياء والرسل، ثم الأمثل فالأمثل من المؤمنين.

ولعظمة مقام الابتلاء، وما يثمره للعبد من الخيرات والبركات والأجور، جمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أنوعًا كثيرةً من أنواع البلاء والإبتلاء.

فابتلي النبي ﷺ في نفسه، وموت أبويه، وابتلي في ماله، وابتلي بموت أولاده الذكور وهم صغار، وابتلي في بناته، وابتلي في دينه، وابتلي في عداوة قومه له واخراجه من بلده، فصبر، واحتسب، وأحسن الظن بربه، ورضي بحكمه، وسلم لأمره، وامتثل أوامره، ولم يتجاوز حدوده، وبلغ شرعه، وعلم دينه، رُغْمَ هذه الشدائد والابتلاءات، والله يقول له : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠].

فصار بحق أعظم قدوة يحتذى به، ويقتدي به كل مبتلى في دينه ودنياه : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

فمن آمن بالله واتقاه، أسعده الله في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن ربه ودينه، عذبه الله في الدنيا والآخرة بكل شيء كما قال سبحانه : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

وأقسى أنواع العذاب، أن يُعذِّب الله الكافر بما يحُب من العافية، والمال، والولد ؛ لأن الإنسان إذا عُذب بما يكره من المرض والخسائر تَرك، وإذا عُذِّب بما يحُب لا يندم، ولا يتوب، ولا يتذكر : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

فيُعذَّب الكافر بعقوق ولد يحُبه، ويُعذب بأموال يخسرها، ويُعذب بزوجة يحبها وهي تكرهه.

والله سبحانه لطيف بعباده، رحيم بهم، رفيق بهم، محسن إليهم بأنواع الإحسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء:٤٠].

وما أصاب العبد فبسبب ذنوبه، وما يعفو الله عنه أكثر: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠].

وكل حسنة من الله وحده، وكل سيئة من العبد نفسه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ٧٩﴾ [النساء:٧٩].

والناس بعد المصائب قسمان:

الأول: أن تكون المصائب سببًا للتوبة والرجوع إلى الله، والاستغفار من تقصير العبد في عبادة ربه، وتقصيره في بره لوالديه، والإحسان إلى خلقه.

فهذا الابتلاء رحمة من الله، وخير له من ربه: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم:٤١].

الثاني: أن يكون هذا البلاء يُشغل العبد الليل والنهار، ويورثه الهم، والحزن، وسوء الظن بالله، فهذا شر من عدو الله إبليس: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأنعام:٤٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج:١١].

والابتلاءات والمصائب كلها خير، وسببها أمران:

أحدهما : الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الإنسان، سواء كانت كفرًا، أو شركًا، أو كبيرةً، أو صغيرة، أو معصيةً : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠].

الثاني : إرادة الله عز وجل رفعة درجات العبد المؤمن الصابر. فيبتليه بالمصيبة ليرضى، ويشكر، ويصبر، لينال أجر الصابرين، وأجر الشاكرين.

قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغهَا بعملِهِ ابتلاهُ اللهُ في جسدِهِ أو في مالِهِ أو في ولدِهِ» أخرجه أبو داود [١].

وقد اجتمع السببان في قوله صلى الله عليه وسلم : «ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِن شَوْكَةٍ فَما فَوْقَها إلَّا رَفَعَهُ اللهُ بها دَرَجَةً، أوْ حَطَّ عنْه بها خَطِيئَةً» متفق عليه[٢].

أما الكافر، فما نزل به من البلاء فهو عقوبة له، وتذكير له، وموعظة لغيره، كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤ ﴾ [الرعد: ٣٤].

وقال عز وجل : ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾[التوبة:٥٥].

والمؤمن إذا كان فاسقًا، ظاهر الفسق، فإن الله يعاقبه بمصيبة تدفعه إلى التوبة إلى ربه : ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء:١٢٣].

وإذا كان المؤمن صالحًا، ممتثلًا لأوامر ربه، مستقيمًا على شرعه، ليس بينه وبين ربه إلا العبودية الحقة، وليس بينه وبين خلقه إلا الرحمة والإحسان .

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٠٩٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠)، ومسلم برقم (٢٥٧٢).

فهذا يغلب على الظن أن ابتلاءه لرفعة درجاته عند ربه. فله عند الله منزلةٌ لم يبلغها بعمله، فيبتليه الله، ليصبر ويصل إلى تلك الدرجة.

وعلامات الابتلاء لرفع الدرجات، وجود الرضا بالقضاء، وطمأنينة النفس، والسكون للأقدار حتى تنكشف: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

وعلامة الابتلاء لتكفير السيئات، وجود الصبر الجميل من غير شكوى، ولا جزع، ولا ضجر، ولا تهاون في أداء العبادات والطاعات: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

فكل بلاء ومصيبةٍ للعبد، هو له أجر وخير إن هو صبر واحتسب، وكل ابتلاءٍ ومصيبةٍ للعبد، هو له شر وسوء إن هو جزع وتسخط ولم يصبر: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٣].

وعلى العبد أن يتهم نفسه دائما بالذنب، والتقصير، والخلل، والزلل. فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

وعلى العبد أن يُحسن الظن بربه دائما، وعلى كل حال، في حال السراء والضراء، وحال الشدة والرخاء، فهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وهو أهل التقوى، وأهل المغفرة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر:٢٢].

٤ - أحوال الناس عند نزول البلاء

الناس عند نزول البلاء أربعة أقسام:

الأول: المحروم من الخير، وهو الذي يقابل البلاء بالتسخط، وسوء الظن بالله، واتهام القدر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١].

الثاني: المؤمن المُوَفَّق، وهو الذي يُقابل البلاء بالصبر، وحسن الظن بالله عز وجل. فينال بلك أجر الصابرين؟: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

الثالث: المؤمن الراضي، وهو الذي يقابل البلاء الذي حل به بالرضا والتسليم، وهذه درجة أعلى من الصبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

وقال ﷺ: «عَجباً لأمرِ المُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خيراً لَه، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ» أخرجه مسلم (١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

الرابع: المؤمن الحامد الشاكر، وهو الذي يُقابل البلاء الذي حل به بحمد الله وشكره على ما قضاه وقدره، فهو صابر على ما قدره الرحمن الرحيم عليه، راض بما نزل عليه من ربه، شاكر لمولاه على ما ساق إليه من هذا البلاء الذي يرفع به درجته، ويكفر به سيئاته، ويُذكره بربه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة:٥١].

وهذه أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، وفي ذروتها الأنبياء والرسل، ثم الصالحون من المؤمنين.

وهؤلاء هم الذين اشتراهم الله وهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

وأعظم نعم الله على عباده هو الدين الذي يسعدون به في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

والعافية والأرزاق نِعَمِ من الله عز وجل، يبتلي بها عباده، والناس في ذلك أربعة أقسام:

الأول: من لا يعرف النعمة، ولا يشعر بها عند وجودها إلا عند زوالها عنه.

فهؤلاء حظهم من هذه النعمة الندم والتحسر عليها عند زوالها.

الثاني: الذين يعرفون النعمة بوجودها، لكنهم لا يعرفون من أين جاءتهم، فيظنون أنها من كدهم وجهدهم، وميراثهم ممن سبقهم.

فهؤلاء لم يعرفوا أن هذه النعمة من الله عز وجل.

فهم راسبون في الامتحان والابتلاء. ومن هؤلاء قارون الذي أتاه الله أموالًا عظيمةً: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

ولكنه قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

فكانت عقوبته: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص:٨١].

الثالث: الذين يعرفون النعمة بوجودها، ولكنهم منشغلون بالنعمة عن شكر من أنعم بها عليهم. فهم مشغولون بالأموال والأهل عن شكر الله، فالدنيا هي التي تأمرهم وتنهاهم، وتمنعهم من عبادة ربهم.

فهم مأسورون للدنيا، يزينونها، ويزخرفونها، ويتمتعون بها. وهؤلاء كالأعراب الذين قالوا: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح:١١].

وقد حذرنا الله من هذه الحال، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون:٩].

الرابع: الذين يعرفون النعمة بوجودها لا بزوالها، ويعرفون أنها من عند الله، لا من عند أنفسهم، ولا ينشغلون بها عن شكرها، ولا تشغلهم عن امتثال أوامر ربهم، بل يستعينون بها على عبادة ربهم، ويحفظون أوقاتهم بامتثال أوامر الله في كل وقت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

فهؤلاء هم المؤمنون المُوفقون، الذين عرفوا من أنعم عليهم، وشكروا نعمته عليهم، واستعانوا بها على عبادة ربهم، والإحسان إلى خلقه.

وهؤلاء هم أقل الناس، كما قال سبحانه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

وكذلك، الله يبتلي عباده بالشر، ليمتحن صبرهم، ويكفر سيئاتهم، ويرفع درجاتهم: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال عز وجل: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف:١٦٨].

وهؤلاء منهم من يشكو حاله إلى ربه، فيفرج كُربته، ومنهم من يشكو حاله إلى الناس، فهم يشكون القادر إلى غير القادر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

٥ - أسرار الابتلاء

سر الابتلاء وروحه أن الله يبتلي عباده بالمصائب، والأمراض، والآلام، والمكروهات، لصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وتوجيه النفوس إلى الملك القدوس، وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور، ومن الدار الفانية إلى الدار الباقية: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك:١-٢].

ومن حكم الابتلاء، وأسراره:

الأولى: تمييز المؤمن الصادق من الكاذب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:٢-٣].

الثانية: تمييز المؤمن الصابر من الجازع: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة:٢١٤].

وقال عز وجل: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد:٣١].

الثالثة: تمييز المؤمن من الكافر: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام:٥٣].

الرابعة: إعداد الإنسان لحمل المهام الكبيرة، فالله سبحانه يُربي رسله، وأنبياءه، والصالحين، لحمل أمانة هذا الدين، وإبلاغها للناس: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ [الدخان:٣٢].

وقال النبي ﷺ«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه» أخرجه الترمذي والدارمي(1).

الخامسة: البناء والتوجيه، فالأمة المسلمة تُبتلى بأنواع من الشدائد، والمحن، والصعوبات، لتتربى على الصبر، وتحمل مشاق الدعوة في كل حال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾ [البقرة:157].

السادسة: المحاسبة والتقويم، فما حدث في غزوة أحد كله بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، وكشف به المنافقين، ممن كان يُظهر الإسلام بلسانه، ويُخفي الكفر في قلبه، وبين الله فيه للمؤمنين أنه لابد مع الإيمان بالله من طاعة رسول الله فيما أمر به، وفيما نهى عنه؛ وإلا حصل الفشل والخلاف والنزاع، فحلت بالمؤمنين المصيبة كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)﴾ [آل عمران:152].

فسبحان من يبتلي رسله، وأولياءه بالسراء والضراء، ليربيهم، ويهذبهم، ويرقيهم، ويكفر سيئاتهم، ويرفع درجاتهم، ويزيد إيمانهم، ويقوي عزائمهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)﴾ [البقرة:243].

---

(1) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (2389)، وأخرجه الدارمي برقم (2783).

٦- ثمرات الابتلاء

البلاء والابتلاء نِعمة عظيمة من نعم الله على خلقه، جعله الله اختبارًا لهم، وتمحيصًا لذنوبهم، ورفعةً لدرجاتهم، يميز الله به بين الصادق والكاذب، والمؤمن من المنافق، والصابر من الجازع: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال الله عز وجل: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وأكمل الناس إيمانا أشدهم ابتلاءً.

قال النبي ﷺ «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد في بلاءه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي والدارمي[١].

وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» أخرجه الترمذي [٢].

ومن ثمرات الابتلاء العظيمة ما يلي:

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٨٩)، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦).

الأولى : أن البلاء يُذَكِّر العبد بربه فيدعوه، ويسأله كشف المكروه، ويدفعه إلى حُسن التضرع والانكسار بين يدي ربه، والتوبة إليه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢].

وقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام:٤٣].

الثانية : أن البلاء يكفر ذنوب العبد، ويمحو سيئاته.

قال النبي ﷺ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ» متفق عليه[1].

وقال رسول الله ﷺ: « مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» أخرجه الترمذي [2].

الثالثة : أن البلاء مع الصبر يرفع درجات العبد ومنزلته يوم القيامة : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

الرابعة : الابتلاء نعمة من الله على عباده، لا انتقام منهم، فبه يغسل ذنوبهم، ويكفر سيئاتهم، ويرفع درجاتهم، ويطهر صحائفهم من الذنوب والمعاصي.

قال النبي ﷺ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ» متفق عليه[3].

الخامسة : أن البلاء يثمر للعبد تحقيق العبودية لله عز وجل، فيعلم المؤمن أن ما

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١)، ومسلم برقم (٢٥٧٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم(٢٣٩٩) .

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١)، ومسلم برقم (٢٥٧٢).

أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

وقال سبحانه : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

السادسة : أن المبتلى يفوز بمعية الله له.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي :

«يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني، قالَ: وكيفَ أَعُودُكَ وأنت رَبُّ العالمين ؟ قالَ : أما عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، ولو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَني عِنْدَهُ؟» أخرجه مسلم (١).

السابعة : أن الصبر على البلاء يُثمر عظيم الأجر والثواب : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

الثامنة : أن البلاء يُشعر العبد بتفريطه في حق الله، واتهام النفس ولومها : ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠].

التاسعة : أن البلاء يُذكِّر المؤمن بالموت، ويجعله يبصر الدنيا على حقيقتها، ويبصر الآخرة على حقيقتها، فيبادر إلى التوبة، والاستكثار من الأعمال الصالحة : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

العاشرة : أن البلاء يثمر للعبد قوة الإيمان بقضاء الله وقدره، واليقين بأن الأمور

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

والأحوال كلها بيد الله وحده، وأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله وحده : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة:٥١].

الحادية عشرة : أن البلاء يذكر العبد بأهل المصائب والمحرومين، والإحساس بآلامهم، فيشكر ربه على عظيم نعمائه عليه : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

الثانية عشرة : أن البلاء يُقوي صلة العبد بربه، فيكثر من الحمد، والشكر، والتوبة، والاستغفار : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

الثالثة عشرة : البلاء فرصة للتفكير في عيوب النفس، وأخطاء العبد فيما مضى، وما يجب لله عز وجل، وذلك يثمر حُسن الاستقامة على أوامر الله : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

الرابعة عشرة : البلاء أعظم درس يحقق للعبد حقيقة التوحيد، والإيمان، واليقين، والتوكل : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة:٥١].

والابتلاءات تُطلع العبد عمليًا على حقيقة نفسه، ليعلم أنه عبد ضعيف، فقير، عاجز، محتاج، لا حول له ولا قوة إلا بربه القوي العزيز، ليتوكل عليه وحده، ويستعين به وحده، ويعبده وحده، ويسأله وحده. ولولا أن الله يداوي عباده بأدوية المحن، والابتلاءات، والمصائب لطغوا، وبغوا، وعتوا، واستكبروا : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:٢-٣].

الخامسة عشرة: البلاء يخرج العُجْبَ والكِبْرَ من النفوس، ويجعلها أقرب إلى التواضع والتسليم لله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فالبلاء يستفرغ الأدواء المُهلكة من القلب ويزينها بالإيمان، وإخلاص التوحيد، وكمال التواضع لله وحده، وصدق التوكل على الله وحده: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

السادسة عشرة: أن البلاء يربي المؤمنين، ويُعدهم للمهام العظيمة، والأمور الكبيرة من الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، وتعليم شرعه، والصبر على كل ذلك ابتغاء مرضات الله.

فالله سبحانه ربى النبي ﷺ وأصحابه في مكة، ثم استعملهم بعد صبرهم في المدينة، فكانوا خير الناس للناس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

السابعة عشرة: الابتلاءات تكشف للمؤمن حقيقة الدنيا وزينتها، وأنها متاع الغرور، وأن الآخرة هي دار القرار، ودار الحياة السعيدة للمؤمنين: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧].

الثامنة عشرة : أن البلاء يدفع الإنسان إلى الأعمال الصالحة، والشوق إلى لقاء الله والجنة، فلن تشتاق إلى الجنة إلا إذا ذقت مرارة الدنيا، فإذا ذقت مرارة المحن والبلاء والتعب، اشتقت إلى الراحة، والجنة، والنعيم المقيم : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (١٥)﴾ [آل عمران:١٤-١٥].

التاسعة عشرة : الابتلاء يذكر العبد بنعم الله عليه من الصحة، والعافية، والغنى، والأمن، والولد، وغير ذلك من النعم التي تمتع بها العبد مدة طويلة، ولم يقدرها حق قدرها، ولم يشكر ربه عليها.

فالمصائب تذكره بالنعم والمُنعم، وتكون سببا في كثرة الحمد، والشكر، والتوبة، والاستغفار، والإنابة : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ [آل عمران:١٠٣].

العشرون : أن البلاء يثمر للمبتلى معرفة الصَّدِيقِ الحقِّ من صديق المصلحة. فالشدائد يعرف بها المؤمن صديقه من عدوه، وتظهر له حقائق الناس ومعادنهم: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾ [محمد:٤-٦].

ونزول البلاء بالمؤمن المُقَصِّر، وكثرة وقوعه عليه، وتنوعه عليه، من أعظم النعم عليه، لأنه تكفير لسيئاته، ورفعةً لدرجاته، وتعجيلًا لعقوبته في الدنيا قبل الآخرة. وبلاء الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

قال النبي ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا ، وإذَا أرادَ اللهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتَّى يوافيَ بِه يومَ القيامة» أخرجه الترمذي وأبو يعلى(١).

فعلى المؤمن المُقصر، وكلنا مقصر ومفرط، علينا جميعا أن نستحضر نعمة البلاء، ونحمد الله عليها، ونصبر ونحتسب، لننال أجر الشاكرين، وأجر الصابرين. ونكثر من التوبة والاستغفار، ونسعى في تقوية الإيمان، وتصحيح العمل، والتخلص من المظالم الحسية والمعنوية، وتطهير أموالنا من الشبهات والمحرمات، واتهام النفس، ولومها على التقصير في حق الله، وحقوق عباده :

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التحريم: ٨].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨].

فهذه أهم ثمرات الابتلاء، وثمرات الابتلاء كثيرة وعظيمة لا يعلمها إلا الله الذي أحاط بكل شيء علما.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦)، وأخرجه أبو يعلى برقم (٤٢٥٤) .

٧- أسباب نزول البلاء

الناس صنفان، ولكل صنف حُكْمٌ يختص به:

الصنف الأول: الكمل من المؤمنين، وهم الذين كَمُل إيمانهم بربهم، وصدقوا أخباره، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وعبدوه بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء، والرسل، ثم من آمن بهم من الصديقين، والشهداء، والصالحين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

فهؤلاء نزول البلاء عليهم من باب الرفعة والكرامة، وليزيد إيمانهم، وتقوى عباداتهم ولتعلوا منازلهم في الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾[النساء:٦٩-٧٠].

الصنف الثاني: أهل التقصير من المؤمنين، من أهل الزلات في القول والعمل، والخائضين في الشبهات والشهوات، المتهاونين بأداء الفرائض، المتساهلين في الأمانات، المطلقين ألسنتهم في القيل والقال، والغيبة والنميمة، كحال عامة المسلمين من العصاة المجاهرين بالمعاصي.

فهؤلاء نزول البلاء بهم من باب تكفير سيئاتهم، وغسل ذنوبهم، وجبر كسورهم، وتذكيرهم بالله، ليتوبوا إليه.

قال النبي ﷺ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا

أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ» متفق عليه[1].

وهذا الصنف كثير في المسلمين، والناس فيه ما بين مُقِلٍّ ومستكثر، والغالب في نزول البلاء على هؤلاء أنه عقوبة، وتمحيص، وتكفير للسيئات، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام:٤٣].

وأسباب نزول البلاء على هذا الصنف هي:

ظُلْمُ العباد، والتسلط على حقوقهم، وكثرة الذنوب، والاستخفاف بها، والمجاهرة بالمعاصي والفواحش، والركون إلى الظَّلَمَة، ونُصرة وإعانة أهل الفساد، وأكل الحرام، والتحايل على المحرمات، وازدراء المؤمنين والشماتة بهم، وتعيير المسلمين، واتهامهم بما ليس فيهم، وعقوق الوالدين، وقطع صلة الأرحام، والإصرار على المعاصي، والركون الى الدنيا، والغفلة عن الآخرة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٢-٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠].

أما الكفار فنزول البلاء بهم تذكير لهم بربهم ليؤمنوا به، وإن لم يؤمنوا وأصروا على كفرهم، أخذهم الله أخْذَ عزيز مقتدر، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وقال عز وجل فيمن كفر وأصر على كفره: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠].

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١)، ومسلم برقم (٢٥٧٢).

٨- وسائل دفع البلاء

أهم وسائل دفع البلاء ما يلي:

الأولى: الإيمان بالله، وحُسن التوكل عليه في كل حال.

فالله وحده هو الذي بيده مقاليد الأمور كلها، بيده النفع والضر، وبيده العطاء والمنع، وبيده الصحة والسُّقْم، وبيده الغنى والفقر، وبيده الأمن والخوف: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

فتوكل على الله في رفع البلاء، فهو الذي يأتي بالبلاء، وهو الذي يزيده، وهو الذي يرفعه، وهو الذي يُزيله وحده لا شريك له: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

الثانية: الإكثار من تلاوة كتاب الله عز وجل، وتدبر آياته، والانتفاع بمواعظه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

فالقرآن حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، فيه الرحمة والهدى، والشفاء من جميع الأسقام، والأمراض البدنية والقلبية، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾ [فصلت:٤٤].

الثالثة: الإكثار من الصدقة على الفقراء والمساكين، والصدقة شفاء من الأدواء والأسقام، وهي تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.

وأكثر أدواء الإنسان ناشئة عن آثامه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

كما أن الصدقة تزيد في العمر، وتبسط على الإنسان الرزق: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

الرابعة: صلة الرحم دواء لكثير من الأدواء والأسقام البدنية والنفسية، خاصة بر الوالدين، والإحسان إليهما: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقال النبي ﷺ: «مَن أَحبَّ أن يُبسَطَ له في رزقِه، وأن يُنسأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه» متفق عليه(١).

الخامسة: الإحسان إلى الجار، وإكرامه، وكف الأذى عنه، كما قال سبحانه: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ» متفق عليه[1].

السادسة: التبرؤ من الحوْلِ والقوة، وتفويض الأمر إلى الله في كشف الكربات، ودفع البليات، وزوال المكروهات، وحصول الخيرات: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

وقال عز وجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

وقال عز وجل: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

السابعة: الإكثار من الاستغفار والتوبة إلى الله من جميع الذنوب: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال عز وجل: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٢].

فما نزل بلاءٌ من السماء إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

الثامنة: الإكثار من ذكر الله عز وجل، والإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولزوم سنته في كل حال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

التاسعة: الإكثار من دعاء الله لرفع البلاء، وإزالة الكرب، والهم، والغم، والضيق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

وقال النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري(١).

وقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن العَجزِ والكَسَلِ، والهَمِّ والحَزَنِ، والجُبنِ والبُخلِ، وضَلَعِ الدَّينِ وغَلَبَةِ الرِّجالِ» أخرجه البخاري (٢).

وقال النبي ﷺ: «اللهم إني عبدُكَ، وابنُ عبدِكَ، وابنُ أَمَتِكَ، ناصيتي بيدكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألكَ بكلِّ اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسكَ أو أَنْزَلْتَه في كتابِك، أو عَلَّمْتَه أحدًا من خَلْقِكَ أو استأثرتَ به في علمِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

الغيبِ عندك أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذهابَ همِّي» أخرجه أحمد (١).

العاشرة: الاستقامة على الدين ظاهرا وباطنا، قولا وعملا، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه ابتغاء مرضات الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فاحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده اتجاهك، ييسر أمورك، ويدفع عنك ما تكره، ويسعدك بما تحب في الدنيا والآخرة: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج:٣٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها يا أرحم الراحمين .

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم (٣٧١٢) .

البصيرة التاسعة والخمسون

الطاعات..فضائلها،وأسبابها،وثوابها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : فقه الطاعات .

الثاني : فضائل المداومة على الطاعات .

الثالث :حكم الطاعات .

الرابع : أقسام الطاعات .

الخامس :الأسباب المعينة على المداومة على الطاعات.

السادس : ثواب أهل الطاعات.

٥٩ - الطاعات.. فضائلها، وأسبابها، وثوابها

١ - فقه الطاعات

الطاعة هي الانقياد لما يؤمر به العبد دون ممانعة.

والطاعة لا تكون إلا بعد أمر بالفعل أو الترك .

والطاعة شرعًا : هي امتثال أوامر الله عز وجل، واجتناب نواهيه، ابتغاء مرضات الله عز وجل، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل .

والطاعة من الإيمان فمن لم يطع الله ورسوله فقد كفر : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:٣٢].

والفرق بين الطاعة والعبادة :

أن الطاعة أوسع من العبادة، فالطاعة تكون لله، ولرسوله، وتكون لولاة الأمر، وللمؤمنين، وتكون للوالدين وغيرهم في غير معصية الله .

أما العبادة فهي حقٌّ خالصٌ لله وحده لا شريك له، يفعلها العبد خالصةً لله عز وجل، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل .

والعبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال والأخلاق الظاهرة والخفية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

وجميع أنواع الطاعات تكون عبادةً لله إذا فعلها العبد مؤمنًا بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، يفعلها العبد يرجو ثواب الله، ويخاف عقابه، ويقصد بتلك الطاعات التقرب إلى الله وحده لا شريك له .

وإذا كانت الطاعة رياءً وسمعةً لا يقصد بها وجه الله، فتكون طاعةً في محلها، لكن لا تكون عبادةً لله، لأنه لم يقصد بها وجه الله .

وهكذا طاعة ولاة الأمر فيما فيه مصلحة أو دفع مضرة، إذا فعلها لله، ليعينهم على الخير، وعلى دفع الضرر، فإنها تكون عبادةً لله عز وجل، وهكذا طاعة ولاة الأمر في الأمور المباحة، والنافعة، والواقية من الشر، تكون عبادةً لله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

وطاعة الله عز وجل، وطاعة الرسول ﷺ،هما الأصل العام لكل أنواع الطاعات، وكل طاعةٍ تتنافى مع طاعة الله ورسوله فلا اعتبار لها، فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾ [التغابن:١٢].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان:٥٢].

فصحة جميع الأعمال أن تكون مربوطةً بطاعة الله ورسوله، ومن خالف هذا الأصل العظيم بطل عمله: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد:٣٣].

والله عز وجل بعث الأنبياء والرسل، ليطاعوا فيما يأمرون به، وماينهون عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٦٤].

ويتفرع على طاعة الله ورسوله طاعة الحكام المسلمين الذين يحكمون بما أنزل الله، لما في ذلك من المصالح العظيمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

والطاعة مأخوذةٌ من التطويع، كما يقال النار تطوع الحديد أي تلينه .

فالإيمان بالله وحده لا شريك له يطوع قلب المؤمن لطاعة الله عز وجل وعبادته، وينشط نفسه لطاعة الله وعبادته وحده لا شريك له، ويجعلها سهلة الانقياد لشرع الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والعبادة حقٌ محضٌ لله وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وأما الطاعة فتكون لله، ولغيره من الأنبياء والرسل، وتكون لأولياء الأمور ما لم يأمروا بمعصية، وتكون للوالدين ما لم يأمروا بمعصية، وتكون من الأولاد للوالدين، وتكون من الزوجة لزوجها ... وهكذا.

وكل ذلك يسمى عبادةً يؤجر عليها المسلم.

وتحرم كل طاعةٍ تخالف أمر الله ورسوله ﷺ، ولا طاعة لأي مخلوقٍ في معصية الله ورسوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

٢ -فضائل المداومة على الطاعات

للطاعات فضائلُ عظيمةٌ منها :

الأولى : أن الطاعات هي أحب الأعمال إلى الله عز وجل.

قال النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللهَّ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تملُّوا ، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهَّ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ » متفق عليه[١].

الثانية :أن الطاعات هي وصية الله لأنبيائه ورسله . كما قال الله سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

وقال الله عز وجل عن عيسى ﷺ : ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم:٣١].

الثالثة : أن الطاعات من أعظم صفات المؤمنين : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

الرابعة : أن الطاعات سببٌ لمحبة الله عز وجل للعبد.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي : (مَن عادى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) أخرجه البخاري [٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١)، ومسلم برقم (٧٨٥).

(٢)**أخرجه البخاري** برقم (٦٥٠٢).

الخامسة : أن الطاعات سببٌ لوقاية العبد من الغفلة التي تجره إلى المعاصي : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾ [الأعراف:٢٠٥].

السادسة : أن الطاعات سبب لنجاة العبد من الشدائد : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [الأنبياء:٨٨].

وقال عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ [الأعراف:٩٦].

السابعة : أن الطاعات سبب لمحو الذنوب عن العبد : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾ [هود:١١٤].

وقال النبي ﷺ : «صَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بينَهُنَّ إذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ» أخرجه مسلم [(١)].

الثامنة : أن الطاعات سبب لزيادة الإيمان، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ [محمد:١٧].

وقال النبي ﷺ : (عليْكُم بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجنَّةِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرّى الصِّدْقَ حتّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٣).

صِدِّيقًا) متفق عليه[1]

التاسعة :أن الطاعات سبب لدوام الأجر عند العجز والضعف.

قال النبيﷺ :(إذا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا) أخرجه البخاري[2].

العاشرة : أن الطاعات سبب لحسن الخاتمة، لأن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٩].

الحادية عشرة : أن الطاعات من أعظم أسباب دخول الجنة، ورضوان الله عز وجل : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

الثانية عشرة : أن الطاعات سببٌ للفوز العظيم، ورفعة الدرجات في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦).

٣-حكم الطاعات

الأصل في المسلم أن يفعل الطاعات ابتغاء مرضات الله عز وجل، بأن تكون عباداته، وطاعاته خالصةً لله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

وفعل الطاعات هي الدين كله: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران:٣٢].

ومن فعل العبادة أو الطاعة لقصد الحصول على مقاصد دنيوية، فله في ذلك حالتان:

الأولى: أن يكون مبتغاه وقصده الحصول على مصالح دنيوية.

فيصلي من أجل رياضة البدن، ويتصدق بنية الشفاء أو المدح، ويصوم لأجل الحمية، ويحج عن غيره طلبًا للمال، ويجاهد في سبيل الله من أجل الغنيمة وإظهار الشجاعة ونحو ذلك: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

فهذا قد حبط عمله، لأن الباعث له على تلك الأعمال هو تحصيل المصلحة الدنيوية فقط.

فلا يكون عمله عبادة، بل يكون معصيةً موبقةً لصاحبها، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود:١٥-١٦].

الثانية: أن يكون مبتغاه وقصده وجه الله عز وجل، ويقصد مع ذلك تحصيل الحظوظ الدنيوية المباحة، التي تترتب على العمل الذي يقوم به.

كمن صام لله، ويقصد مع ذلك حفظ صحته، وكمن حج لله، ونوى مع ذلك التجارة، وكمن زكى ماله، وقصد مع ذلك حصول البركة والنماء في ماله، وكمن تصدق لله، ونوى مع ذلك حصول الشفاء من مرضه، وكمن جاهد في سبيل الله، وقصد مع ذلك الحصول على الغنائم، وكمن وصل رحمه لله، ونوى مع ذلك طول العمر، وسعة الرزق .

فهذا يختلف الحكم فيه بحسب قوة الباعث على العمل، فإن كان الباعث الأقوى والأغلب هو ابتغاء وجه الله، وطلب الأجر من الله والتعبد لله وحده، فهذا قد فاته كمال الأجر، ولكن لا يضره تحصيل الدنيا والخير إذا كان قصده وجه الله والدار الآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة:١٩٨].

واما إن كان الباعث الأقوى هو تحصيل المصلحة الدنيوية، فلا ثواب له في الآخرة، وإنما ثوابه ما حصّله من الدنيا، ويخشى عليه أن ياثم، لأنه جعل القيام بالعبادة وسيلة لتحصيل الدنيا الحقيرة : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

وقال النبي ﷺ : «إِنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى، فَمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها، أوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ» متفق عليه[1].

وإن تساوى عنده الأمران، فلم تغلب عليه نية التعبد لله، ولا نية غير التعبد، فالأقرب أنه لا ثواب له، كمن عمل لله، ولغير الله : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن حكمة الله ورحمته بعباده، أن جعل في الطاعات ثوابًا معجَّلًا، هو من بركة تلك الطاعات والعبادات: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وذكر سبحانه لعباده تلك المنافع، ترغيبًا لهم في القيام بها، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، مما يجعل النفوس تفرح بها، وتتطلع إليها، وتقصدها.

والله سبحانه من كرمه أنه يعطي عباده إذا قصدوا وجهه حسناتٍ في الدارين: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٣٤].

وقال عز وجل عن أوليائه: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

وقال عز وجل: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وبهذا نعلم أن من فعل العبادة أو الطاعة خالصةً لوجه الله، قاصدًا أجر الله وثوابه فقط، أكمل وأفضل وأكثر أجرًا ممن قصد مصلحةً في الدنيا ولو تبعا: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢].

٤ -أقسام الطاعات

الطاعات أقسام كثيرة، فكل ما أمر الله ورسوله بفعله فهو طاعة، وكل ما نهى الله ورسوله عن فعله فهو معصية، والطاعات أقسامها كثيرة:

الطاعات من حيث الوقت ثلاثة أقسام :

الأول : الطاعات اليومية، سواءً كانت واجبةً أو مستحبة .

فالطاعات الواجبة يوميًا هي الصلوات الخمس جماعةً في المسجد، والوضوء لها، وأداؤها في أوقاتها، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، كلٌ بحسبه وقدرته، ونحو ذلك من أنواع الطاعات الواجبة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

والطاعات المستحبة يوميًا مثل : السواك عند الوضوء والصلاة، والسنن الرواتب، وسنة الضحى، وصلاة الوتر، وقيام الليل، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار اليوم والليلة، وأذكار دخول المنزل، والخروج منه، وأذكار دخول المسجد، والخروج منه، وأذكار الطعام والشراب، وأذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار دخول الخلاء، والخروج منه، وإجابة المؤذن، والأذكار دبر الصلوات الخمس، والإكثار من ذكر الله، والإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من أنواع الطاعات اليومية المستحبة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

الثاني : الطاعات الأسبوعية، سواءً كانت واجبةً أو مستحبة .

فالطاعات الواجبة كصلاة الجمعة في يوم الجمعة، والمستحبة كقراءة سورة الكهف يوم الجمعة أو ليلتها، والاغتسال ليوم الجمعة، وصوم يوم الإثنين من كل أسبوع، ونحو ذلك .

الثالث : الطاعات الشهرية، كصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل أن يصوم الأيام البيض من كل شهر، وهي : الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر .

الرابع : الطاعات السنوية، وهي صيام رمضان من كل سنة، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، وإخراج الزكاة لمن وجبت عليه .

الخامس : طاعات موسمية،ومنها صلاة التراويح في رمضان جماعة في المسجد، واعتكاف العشر الأواخر من رمضان، وصيام ستة أيام من شوال، وصيام يوم عاشوراء مع يومٍ قبله أو بعده، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، والإكثار من الأعمال الصالحة في العشر الأول من شهر ذي الحجة، وصلاة العيدين .

السادس : طاعات لها أسباب خاصة، فتشرع إذا وجد سببها:

ومنها تحية المسجد، وعيادة المريض، وتشميت العاطس، والسلام على من لقيت، ورد السلام، واتباع الجنائز، وصلاة الجنازة، وتشييع الجنازة، ودفن الميت، وصلاة الكسوف، وصلاة الاستسقاء، والإصلاح بين المتخاصمين، والصبر على البلاء والأذى، وإكرام الضيف، وإطعام الجائع، وإعانة المحتاج، وركعتي الوضوء.... ونحو ذلك من ذوات الأسباب .

السابع : طاعات مطلقة، مثل صلاة التطوع ركعتين ركعتين في الليل أو النهار ونوافل الصيام كأن يصوم يومًا ويفطر يوما، ونوافل الصدقات، والعمرة النافلة وحج التطوع، وتلاوة القرآن، وذكر الله، والصلاة على النبي ﷺ، وأنواع الأدعية، والأذكار، والاستغفار، وإفشاء السلام، وصلة الأرحام، وغيرها .

الثامن : طاعاتٌ مقيدةٌ سواءً كانت فرضًا أو نفلا .

فالواجبة كالصلوات الخمس مقيدةٌ بأوقاتها، وصيام رمضان مقيدٌ بدخول شهر رمضان، والحج مقيدٌ بأشهر الحج، والزكاة مقيدةٌ بملك النصاب، ومضي الحول، والجهاد في سبيل الله مقيدٌ بوجود سببه .

والطاعات المستحبة كركعتي الوضوء، وتحية المسجد، وصلاة الضحى، وصلاة التهجد، وصلاة الكسوف، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الاستخارة، وصلاة التراويح، وصلاة الجنازة، ونحو ذلك من أنواع الطاعات المقيدة.

والطاعات من حيث الجهر بها ثلاثة أقسام :

الأول : طاعات يشرع الجهر بها كالأذان، وشهود الجمعة والجماعة، والتلبية في الحج، والتكبير في العيدين، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والنصح لكل مسلم وأمثالها .

فهذه وأمثالها يشرع للمسلم الجهر بها علانية، لأنها من شعائر الإسلام الظاهرة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

الثاني : طاعات يكون إسرارها أفضل من الجهر بها، مثلاالإسرار بالذكر والدعاء، والقراءة في صلاة المنفرد، وإخفاء الصدقة إلا لسبب، وأمثال ذلك .

الثالث : طاعاتٌ تخفى تارةً، وتظهر تارةً، فيظهرها من وسع الله عليه إذا أراد أن يقتدي به الأغنياء، ويخفيها إذا خاف على نفسه العجب والرياء : ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة:٢٧١].

وتنقسم الطاعات بالنسبة لمحلها إلى ثلاثة أقسام :

الأول : طاعات القلب، وأعظمها الإيمان بالله، وتوحيده، وتعظيمه، وتكبيره، وحبه، وتمجيده، وحمده، والثناء عليه، والتوكل عليه، والإخبات له، والافتقار إليه، والتواضع له، والخشية له، والانكسار بين يديه، والحياء منه، والأُنس به، والاستعانة به : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

الثاني : طاعاتٌ باللسان،وأعظمها الإكثار من ذكر الله، وحمده، وتسبيحه، وتكبيره، وتلاوة كتابه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ،والأذكار، والأدعية، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله، وحسن الكلام مع الناس، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والأذان، والإقامة للصلوات الخمس...، وأمثال ذلك من أنواع الطاعات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب:٧٠].

وقال عز وجل : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل:٨].

وقال عز وجل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

ومن ذلك النصح لكل مسلم، والإصلاح بين الناس : ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

وقال النبي ﷺ : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لمَنْ؟ قالَ: للهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ.) أخرجه مسلم (١).

الثالث : طاعاتٌ بالجوارح،وأعظمها الصلاة، والزكاة، والعمرة والحج، والجهاد في سبيل الله، والإحسان الى الخلق بأنواع الإحسان : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وقال عز وجل : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وتنقسم الطاعة من حيث هي إلى ستة أقسام .

الأولى: طاعة الله ورسوله طاعةً مطلقة في كل أمرٍ ونهي : ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣٢].

الثانية: طاعة ولاة الأمر من العلماء الربانيين، والحكام المسلمين، وهي طاعةٌ مقيدةٌ بطاعة الله ورسوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥) .

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق أبدا، إنما الطاعة في المعروف .

قال النبي ﷺ : (السَّمْعُ والطَّاعَةُ على المَرْءِ المُسْلِمِ فِيما أحَبَّ وكَرِهَ، ما لَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فإذا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعَةَ.) متفق عليه[١].

الثالثة : طاعة الوالدين في غير معصية الله، وهي أعظم عبادةٍ أمر الله بها بعد عبادة الله وحده، كما قال سبحانه : ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

فإذا أمر الوالدان بما يخالف أمر الله ورسوله فلا سمع ولا طاعة، مع صحبة طيبة، وخدمة حسنة : ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان:١٥].

الرابعة : طاعة إخوانك المؤمنين الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والناصحين الصادقين : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور:٥١-٥٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٥)، ومسلم برقم (١٨٣٩).

وقال عز وجل : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

ويتفرع على ذلك طاعة الزوجة لزوجها في غير معصية الله، وطاعة الولد لوالده في غير معصية الله،.. ونحو ذلك من الطاعات المأمور بها شرعًا .

فهذه الطاعات مأمورٌ بها شرعًا، وهي عبادةٌ من العبادات التي يؤجر عليها المسلم .

الخامسة :طاعة الكفار والمشركين والمنافقين .

وهذه الطاعة محرمةٌ على جميع المسلمين كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب:٤٨].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب:١].

السادسة: طاعة السادة والكبراء، الذين يصدون عن سبيل الله، ويتبعون أهواءهم.

وطاعة هؤلاء محرمة على كل مسلم ومسلمة : ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ [الأحزاب:٦٧-٦٨].

وقال عز وجل : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان:٥٢]. .

وهؤلاء في عذاب النار يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٦].

وتنقسم طاعة الله ورسوله من حيث المأمور به شرعًا إلى أربعة أقسام :

الأول : الطاعات المتعلقة بالفرد المسلم، سواء كان ذكرًا أو أنثى، وهي جميع العبادات والمعاملات المتعلقة بالفرد، كالأمر بالوضوء، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والأدعية، والأذكار.. وغيرها من أنواع الطاعات .

والأمر بالصدق في المعاملات، والسماحة في البيع والشراء، وأداء الأمانات وقضاء الديون، وحسن الجوار، وإكرام الضيف : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧].

الثاني : الطاعات المتعلقة بالأسرة، وحسن المعاشرة بين الزوجين، وتربية الأولاد على مكارم الأخلاق، والإنفاق بالمعروف، وأحكام المواريث، وأحكام النكاح والطلاق والرجعة ونحو ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن:١٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء:٣٤].

الثالث:الطاعات المتعلقة بالأمة جمعاء من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله، والإحسان بالقول والفعل، والتعاون على

البر والتقوى : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال عز وجل : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال عز وجل : ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

الرابع :الطاعات المتعلقة بالحاكم، من وجوب طاعته في غير معصية الله، والجهاد معه في سبيل الله، والقيام معه بالدعوة إلى الله، والحكم بما أنزل الله، وتنفيذ حدود الله، وتعليم شرع الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عز وجل : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: ٢٦].

وقال عز وجل : ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

وتنقسم الطاعات من حيث الفعل إلى قسمين:

الأول: فعل ما أمر الله ورسوله به من أنواع الطاعات والعبادات، مثل الإيمان بالله، والصلوات فرضها ونفلها، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والأدعية والأذكار، وبر الوالدين، وصلة الرحم ... ونحو ذلك من أنواع الطاعات المأمور بها شرعًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

الثاني: ترك ما نهى الله ورسوله عنه من أنواع الكبائر والمحرمات، مثل ترك الربا والزنا والفواحش، وترك الغيبة والنميمة، وشهادة الزور، وترك السب والشتم، وشرب الخمر، وترك الكذب والفسوق والمعاصي، وترك الظلم والعدوان، وقتل النفس بغير حق،ونحو ذلك: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال عز وجل: ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

ففعل الأوامر، واجتناب المناهي، كل ذلك عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى الل.

فالشريعة كلها قائمةٌ على تصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب المناهي: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل:٣٦].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وتنقسم الطاعات من حيث نوعها إلى واجبات ومستحبات.

فالواجبات هي الفرائض والحقوق التي يجب أداؤها، كالصلوات الخمس، والزكاة لمن يملك النصاب، وصوم رمضان، والحج لمن استطاع إليه سبيلا.

والحقوق: أعظمها حق الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، وحق الوالدين، وحقوق الأقارب، والجيران، وعموم المسلمين، ... ونحو ذلك، كما قال سبحانه: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾ [النساء:٣٦].

والمستحبات هي السنن التي ليست بواجبة، فمن فعلها أخذ أجرها، ومن تركها فلا إثم عليه، وهي كل ما سوى الفرائض والحقوق، مثلاالسنن الرواتب، وصلاة النوافل المطلقة والمقيدة، والصدقات، وصوم التطوع.. ونحو ذلك.

قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ

بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ» أخرجه البخاري[1] .

وجميع الفرائض والواجبات، والسنن والمستحبات، مأمورٌ بها شرعًا، وكمال الثواب بحسب كمال الأعمال : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال عز وجل : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال النبي ﷺ : «ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسائِلِهِمْ، واخْتِلافُهُمْ على أَنْبِيائِهِمْ » متفق عليه[2].

وتنقسم الطاعات من حيث الفعل إلى قسمين:

الأول: طاعاتٌ ظاهرة، مثلالصلاة والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، وتلاوة القرآن، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الناس بالقول والفعل والمال : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨)، ومسلم برقم (١٣٣٧).

مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

الثاني :طاعات باطنة في القلب، مثل الإيمان بالله، وحب الله، وخشية الله، والتوكل على الله، والافتقار إلى الله، والحياء من الله، وتقوىالله، وتعظيم الله، وتعظيم شعائره : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وتنقسم الطاعات من حيث نوعها إلى قسمين :

الأول : طاعات بين العبد وربه، مثلأنواع العبادات من الاذكار، والأدعية، والصلوات الخمس، والصوم، والحج والعمرة، وحب الله، وتكبيره، وتمجيده، والثناء عليه، وحمده وشكره، وسؤاله واستغفاره، وتسبيحه وتقديسه، والافتقار إليه، والتوكل عليه : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثاني : طاعات بين العبد وغيره من الناس، مثل الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الناس، والصبر على أذاهم، وكف الأذى عنهم : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

وتنقسم الطاعات من حيث قبولها عند الله إلى قسمين:

أحدها: طاعاتٌ مقبولةٌ عند الله، وهي التي يفعلها العبد خالصةً لله عز وجل يبتغي بها وجه الله وحده، ويفعلها موافقةً لما جاء به النبي ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

الثاني: طاعاتٌ مردودةٌ، وهي ما كانت غير خالصةٍ لله عز وجل، ولو كانت موافقةً لما جاء به النبي ﷺ، أو كانت خالصةً لله، لكنها مخالفةٌ لهدي النبي ﷺ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن أحدَث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» متفق عليه[1].

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

٥ - الأسباب المعينة على المداومة على الطاعات

للثبات على الطاعات، والمداومة عليها في كل وقت، أسباب أهمها :

الأول : تقوية الإيمان بالله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمته وجلاله، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة ثوابه وعقابه : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة:٩٨].

وقال عز وجل : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

الثاني : معرفة ثمرات الطاعات، وعظمة ثوابها عند الله عز وجل : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧١-٧٢].

الثالث : معرفة عقوبة المعاصي، وشدة انتقام الله من العصاة، فمن عرف عقوبة المعاصي ابتعد عنها، ومن عرف ثواب الطاعات سارع إليها : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء:١٣-١٤].

وقال عز وجل: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابع: لزوم البيئة الإيمانية التي تزيد الإيمان، والأعمال الصالحة، والانقطاع عن البيئات الغافلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

الخامس: الإكثار من ذكر الله في كل وقت، فمن ذكر الله أحبَّه وكبَّره، وحمده وشكره، ومجَّده، وأطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

السادس: الاطلاع على سيرة النبي ﷺ والاقتداء به في حسن أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

السابع : سؤال الله الهداية، وعدم الزيغ عن الحق : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران:٨].

وقال النبي ﷺ لمعاذ : (أُوصيكَ يا مُعاذُ، لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ أنْ تَقولَ: اللَّهُمَّ أعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عِبادتِكَ) أخرجه أحمد وأبو داود (١).

الثامن : العزيمة الصادقة على فعل الطاعات، والثبات عليها .

قال النبي ﷺ : (يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ) أخرجه الترمذي (٢)

التاسع : الاقتصاد في العبادة، وعدم الإثقال على النفس بكثرة الأعمال التي تشق على النفس، وتفضي إلى السآمة والملل من العبادة .

سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعْمَالِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ قَالَ: أدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ) متفق عليه(٣).

وقال النبي ﷺ : (اكلُفُوا من الأعمالِ ما تُطيقُونَ)أخرجه البخاري (٤).

وحذر النبي ﷺ أمته من الغلو والتشدد في الدين فقال ﷺ : (إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ.) أخرجه البخاري (٥).

وقال النبي ﷺ : (لِيُصَلِّ أحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ.) متفق عليه(٦).

العاشر : قراءة القرآن بفهم وتدبر وتعقل، فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [الإسراء:٩].

---

(١)صحيح: أخرجه أحمد برقم (٢٢٠٣٠)، وأخرجه أبوداود برقم (١٥٢٢) .

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٢٢) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٥)، ومسلم برقم (٧٨٣).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦)، ومسلم برقم (٧٨٢).

(٥)أخرجه البخاري برقم (٣٩).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٥٠)، ومسلم برقم (٧٨٤).

الحادي عشر :صحبة الأخيار الذين يعينون على طاعة الله ورسوله، ويؤدون الفرائض والسنن كما جاءت عن النبي ﷺ ، فإن المسلم ينشط بالطاعة إذا رأى إخوانه يقومون بها، ويشعر بالخجل إذا رآهم يسارعون إلى الطاعات وهو مقصر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

الثاني عشر : الإكثار من ذكر الموت، فمن أكثر من ذكر الموت نشط في عمله، ولم يغتر بكثرت عمله، وبادر إلى كل عمل صالح، وابتعد عن كل عمل سيء .

قال النبيﷺ: (أكثِروا من ذكرِ هادمِ اللَّذَّاتِ) أخرجه الترمذي وابن ماجه (١)

الثالث عشر :الخوف من الله، والخوف من عقابه، والوجل من العمل مهما كثر : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

الرابع عشر : البعد عن المعاصي بأنواعها، فإن المعصية تجر إلى أمثالها، والطاعة تجر إلى أختها، ومن عقوبة المعصية أنها تحرم العبد لذة الطاعة، ومن ثم يترك العبد الطاعة، ويشتغل بالمعصية : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩].

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥٨) .

٦ - ثواب أهل الطاعات

المؤمن حقًا هو كل من آمن بالله، وصدَّق أخباره، وأخلص له العبادة، وأطاع الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

واتبع الرسول ﷺ في كل ما جاء به: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف:١٥٨].

وجزاء من آمن بالله ورسوله، وأطاع الله ورسوله، أن يكرمه الله بكرامات عظيمة في الدنيا والآخرة.

ومن إكرام الله لأهل طاعته في الدنيا ما يلي:

الأولى: الحياة الطيبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

الثانية: الأمن والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

الثالثة: الفلاح: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون:١-٢].

والفلاح هو الفوز بالمرغوب، والنجاة من المرهوب.

الرابعة: الخلافة في الأرض: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور:٥٥].

الخامسة: الطمأنينة والسكينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

السادسة : المحبة بين المؤمنين : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

السابعة : حصول البركات : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦].

الثامنة : النصر والتمكين في الأرض : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

وغير ذلك من أنواع الكرامات التي خص الله بها أولياءه وأهل طاعته في الدنيا : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧١].

ومن إكرام الله لأهل طاعته في الآخرة ما يلي .

الأولى: رضوان الله عليهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة:٧-٨].

الثانية: رؤية الله جل جلاله في الجنة : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

الثالثة: القرب من الرب عز وجل في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر:٥٥].

الرابعة: سماع كلام الرب : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب:٤٤].

وقال عز وجل : ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٨].

الخامسة: سلام الملائكة على أهل الجنة : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

السادسة: دخول الجنة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

السابعة: النجاة من النار : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥].

الثامنة: الخلود في نعيم الجنة : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

التاسعة : الخلود الأبدي في النعيم الأبدي : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

العاشرة : السلامة من جميع الآفات والأمراض، والتمتع بأنواع النعيم واللذات والشهوات : ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام:١٢٧].

وقال عز وجل عن الجنة : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧١].

وغير ذلك من كرامات وإكرام الكريم لأوليائه، وأهل طاعته : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٧٠].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين .

اللهم أرنا الحق حقا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه .

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام .

البصيرة الستون

المعاصي.. أسبابها، وأقسامها، وعقوباتها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه المعاصي.

الثاني: حكمة الابتلاء بالمعاصي.

الثالث: أسباب الوقوع في المعاصي.

الرابع: أقسام المعاصي.

الخامس: خطر ذنوب الخلوات.

السادس: سُبُلَ السَّلامة من ذنوب الخلوات.

السابع: أعظم المعاصي .

الثامن: آثار المعاصي .

التاسع: عقوبات المعاصي .

العاشر: سبل الوقاية من المعاصي.

٦٠- المعاصي.. أسبابها، وأقسامها، وعقوباتها

١ - فقه المعاصي

المعاصي جمع معصية، والمعصية: هي كل ما نهى الله ورسوله عنه، والعاصي: من تعدّى حدود الله بارتكاب ما نهى الله عنه، أو ترك ما أمر الله به، سواء كان ذلك بالقلب أو اللسان أو الجوارح.

والمعصية: هي مخالفة أمر الله تعالى بفعل محظور، أو ترك مفروض.

وفعل المحظور، مثل شهادة الزور، وعقوق الوالدين، وظلم العباد.

وترك المحظور، مثل ترك الصلاة، وترك صيام رمضان، ومنع الزكاة، ونحو ذلك: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر/ ٧].

والمعاصي: هي الذنوب والآثام والسيئات التي نهى الله ورسوله عن فعلها مِن ترك واجب، أو فعل محرم، ومن كل قولٍ أو فعلٍ أو خُلق نهى الله ورسوله عنه.

والمعاصي عكس الطاعات؛ والمعصية: هي ارتكاب الذنوب والمنهيات والمحرمات التي جاء الشرع بالزجر عنها، بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة/ ١٨٧].

أو جاء الشرع بالنهي عن تجاوزها بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ﴾ [البقرة/ ٢٢٩].

وكلما زادت معرفة العبد بربه بادر إلى الاستكثار من الطاعات، وسارع إلى ترك المعاصي، تعظيمًا لله، وحبًا له، وحياءً منه، وخوفًا منه، ورغبةً فيما عنده، وذلك من أعظم علامات الإيمان الصادق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك/ ١٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

وقال النبي ﷺ: « لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، فَلِذلكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، ولَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ، فَلِذلكَ مَدَحَ نَفْسَهُ » أخرجه البخاري [١].

وقال النبي ﷺ: «المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عنْه» متفق عليه[٢]

فأفضل العبادة أداء الفرائض، واجتناب المعاصي، ابتغاء مرضاة الله .

وأعمال البِرِّ يفعلها البرّ والفاجر، ولا يجتنب المعاصي إلا صِدّيق،

وترك المعاصي واجب على العبد في جميع أحواله وإلّا وقع في الحرام، فالمؤمن مطالب بجهاد النفس التي تأمره بالسوء والمعاصي، ومطالب بجهاد الشيطان الذي يأمره بالفحشاء والمنكر، وإذا غفل العبد عن ذلك جرّته النفس إلى أنواع المعاصي والمحرمات، وساقه الشيطان إلى فعل الفواحش والمنكرات : ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف/ ٥٣].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٦]. .

ومن فعل ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا ثم تاب توبة صادقة تاب الله عليه، فإن عاد إليه، وندم على فعله، ثم تاب توبةً نصوحًا تاب الله عليه؛ لأن الله توابٌ رحيم يتوب على من تاب من الذنوب العظيمة، والكبيرة والكثيرة : ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٠).

وقال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

ومن الناس من يخلط بين التوحيد والشرك، وبين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين السيئات والحسنات، يخلطون عملًا صالحًا بآخر سيئًا: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة/ ١٠٢].

فهؤلاء من رحمة الله أن ترك لهم باب التوبة مفتوحًا، ليتوبوا إلى ربهم من ذنوبهم، بل أمرهم بذلك فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

وأخبر أن من لم يتُب منهم فهو ظالم لنفسه ولغيره: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

ومن فضل الله ورحمته أن جعل الحسنات يُذهبن السيئات، وعدَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وجعل التوبة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب، فمن اعترف من العصاة بذنبه، وتاب إلى الله منه، وعزم على عدم العودة إليه، تاب الله عليه، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

والعمل السيء لا يُبطل ثواب العمل الصالح، بل قد يقضي العمل الصالح على العمل السيء، كما قال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود/ ١١٤].

والناس درجات في العلم والعمل، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، وفضل الله على المؤمنين واسعٌ لا حدَّ له، لأنه الغفّار الذي يغفر لمن زلَّ،

وعصى، وأذنب، واستغفر، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه/ ٨٢].

والمؤمنون على ثلاث درجات، ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات ، وكلهم في الجنة كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٤].

اللهم اجعلنا ممن إذا أطاع شكر، وإذا عصى استغفر، وإذا ابتلي صبر : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

٢- حكمة الابتلاء بالمعاصي

الله عز وجل حكيمٌ خبيرٌ، خلق بني آدم لعبادته وحده، وابتلاهم بالأوامر والمناهي، وامتحنهم بالنعم والمصائب، ليبلُوَهم أيهم أحسن عملا : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

وقال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فالله ما ابتلى إلا ليُعافي، وما منع إلا ليُعطي، وما قبض إلا ليبسط : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وحكمة ابتلاء الله لعباده بالذنوب والمعاصي يجمعها ثلاثة أمور هي:

إصلاح علاقة العبد بربه، وإصلاح علاقة العبد مع نفسه، وإصلاح علاقة العبد مع غيره من الخلق .

الأول: إصلاح علاقة الإنسان بربه عز وجل، ويتجلى ذلك في أمور منها :

حصول التوبة إلى الله عز وجل من جميع الذنوب والمعاصي؛ ليحصل للمؤمن كمال السعادة في الدنيا والآخرة، والتوبة أحب شيء إلى الله عز وجل، والله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب إليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ولهذا أوجب الله التوبة على جميع عباده المؤمنين، لأنهم لا يمكن لهم أن يسلموا من المعاصي، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون فقال : ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

والتوبة أعظم عبادة، وأول عبادة قام بها آدم صلى الله عليه وسلم وزوجه وهو في الجنة، فتاب الله عليه : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

وقال عز وجل : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة/ ٣٧].

وكمال بني آدم في هذه الدنيا يكون بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والمعاصي، وكماله في الآخرة: يكون بالفوز بالجنة والنجاة من النار : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

وقال عز وجل : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

وتوبة العبد إلى ربه، وقبول الرب لها، يثمر في قلب العبد ثمرات عظيمة من حب الله، ورؤية رحمته، وشهود لطفه، وحمده وشكره، والرضا عنه، والحياء منه، والانكسار بين يديه، وحلاوة الاعتذار إليه .

وإذا وقع الإنسان في المعصية شهد نفسه مثل إخوانه الخطائين، وأن الجميع في أمسّ الحاجة إلى مغفرة الله ورحمته، وإلى عفوه وإحسانه ولطفه : ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

ومن حكمة الابتلاء بالمعاصي، أن الله يحب أن يتفضَّل على عباده ويتمَّ نعمه عليهم، ويريهم مواقع كرمه وبرّه وإحسانه، فيحسن إلى من أساء، ويغفر لمن أذنب، ويعفو عمن ظلم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

ومن حكمة الابتلاء بالذنوب، ظهور آثار أسماء الله الحسنى في خلقه وأمره، فالله رحيم يرحم عباده، رزاق يرزق خلقه، وغفار يغفر الذنوب، وعفو يعفو عن المسيء، ولو لم يكن من عباده من يعصي ويذنب ليتوب عليه، ويغفر له، ويعفو

عنه، ويرحمه، لم تظهر آثار أسمائه الحسنى لعباده : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

ومن حكمة وقوع المعاصي، أن الله يُعرِّف عباده كمال عزته بقضائه وقدره، ونفوذ مشيئته في خلقه، فلا مفرًا لأحد منه : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن/ ١١].

ومن حكمة الابتلاء بالمعاصي، تعريف العباد بحاجتهم إلى حفظ الله، وعنايته، ورعايته، ومعونته ليقفوا ببابه : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

ومنها: حصول الاستعانة والاستعاذة بالله، والدعاء و التضرع، والإنابة والمحبة، والرجاء والخوف : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ومنها: أن الله يستخرج بهذا النوع من الابتلاء تحقيق كمال العبودية لله عز وجل بتكميل مقام الذلّ، والانقياد، والتسليم لله عز وجل .

فأكمل الخلق عبودية أكملهم ذُلًّا لله، وانقيادًا له، وطاعةً له، وحباً له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وذلّ المعصية يثمر أنواعًا من العبودية لله عز وجل، من التودّد والرضى، والتوبة والاستغفار، والصبر، والندم على ما أسلف من الذنوب .

والعبد إذا شهد صلاحه شَمَخَ بأنفه، وتعاظمت نفسه، فإذا ابتلي بالذنب رأى عون ربه، وتصاغرت إليه نفسه، وذَلّ لربه، وخضع لمولاه، وهذه أعظم أنواع العبودية : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ومنها: تعريف العباد بسعة رحمة الله، وسعة مغفرته، وسعة حلمه، وسعة عفوه، وسعة كرمه، وعظيم ستره؛ فلولا الابتلاء بالذنب، لما ظهر للعباد سعة حلم الله

على العصاة، وستره عليهم، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر/ ٦١].

ومن حكمة الابتلاء بالذنوب والمعاصي، حصول التوبة والإنابة والمحبة، والفرار إلى الله عز وجل، فرُبَّ ذنبٍ أهاجَ في قلب صاحبه أنواعًا من العبوديات العظيمة من الخوف والخشية لله، والوجل منه، والإنابة إليه، والتوبة إليه، والمحبة والإيثار، والفرار إلى الله ما لا يُهيّجه كثير من الطاعات .

وكم من ذنبٍ كان سببًا لاستقامة العبد، وفراره إلى الله، وبُعده عن رِقِّ الغيّ والمعاصي : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وقال الله عز وجل : ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء/ ١٩].

وجديرٌ بمن كانت هذه أفعاله بخَلقه أن يكون الحب كله له، وأن تكون العبادة كلها له، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ومنها: أن العبد إذا شهد ذنوبه ومعاصيه وتفريطه في حق الله، رأى القليل من النعم كثيرةً، و رأى الكثير من عمله الصالح قليلًا، وذلك يُثمر له كمال التواضع لله، والحياء منه، والخشية له، والإنابة إليه، والرضى عنه، والطمأنينة بذكره، والاستكثار من الطاعات، والتوبة من المعاصي والسيئات : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

الثاني : من حكمة الابتلاء بالمعاصي إصلاح علاقة العبد بنفسه:

فيحملُ نفسه على طاعة الله، واجتناب معاصيه، ويتَّكِلُ على ربه وحده، ويفوض أموره كلها إلى الله، فالعبد ضعيفٌ لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولولا عون الله له وتوفيقه له، لخُذِلَ من جهة نفسه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وقال عز وجل : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وقال عز وجل: ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

الثالث: إصلاح علاقة العبد بالخلق:

وذلك بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والتعاون على البرّ والتقوى، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وأن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة/ ٧١].

وقال عز وجل : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة/ ٢].

وقال النبي ﷺ: «المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا» متفق عليه (١)

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

وقال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه (١).

ومن أجل تحصيل هذه الأخوة فالمؤمن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٦].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

٣- أسباب الوقوع في المعاصي

يقع العبد في المعاصي لأمور كثيرة منها:

الأول: ضعف الإيمان بالله، والجهل بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وعدم معرفة عظمة قدرته، وسعة علمه، والجهل بعظمة ملكه وسلطانه، والجهل بأنواع نعمه وإحسانه، والجهل بوعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

الثاني: عدم معرفة العبد الحكمة التي خلقه الله من أجلها، والغاية التي ينبغي أن يعيش من أجلها، وهي عبادة الله وحده لا شريك له بقلبه ولسانه وجوارحه، بكمال الحب والتعظيم والذلّ لله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٧-٥٨].

ومن عرف تلك الحكمة وقف في محراب عبودية الله في كل أوقاته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

الثالث: تعلق القلب بالشهوات، فالعبد العاصي لا يرى ساعة المعصية إلا لذة الذنب، وتزيين الشيطان له، ولو كان يرى الله عز وجل، ويرى ثوابه للطاعة، ويرى عقابه للمعصية، لما عصى ربه، واقتحم محارمه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وقال عز وجل: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩].

الرابع: الجهل بالله، والجهل بأمره ونهيه، والجهل بثوابه وعقابه.

فمن عرف ربه أحبه وكبّره وعظّمه، وحمده وشكره، وأطاعه ولم يعصِه، وذكره ولم ينسَه، واتقاه ولم يخالف أمره، ورغب في ثوابه، وخاف من عقابه، كما قال الله عز وجل عن الأنبياء الذين هم أعرف الخلق بالله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الخامس: الإصغاء لوسوسة الشيطان في تزيين المعاصي، والمحرمات والفواحش، والشيطان هو العدو الأول للإنسان، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، يستدرج الإنسان من المباحات، إلى الصغائر، إلى الكبائر، حتى يخرجه من الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٦].

والشيطان يستدرج الإنسان إلى الكفر والشرك والمعاصي من ثلاث جهات هي: الإسراف في المباحات، والغفلة عن ذكر الله، وتَكلُّف مالا يعنيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة/ ١٦٨-١٦٩].

السادس: الاغترار بعفو الله عن العصاة، وأن الله غفور رحيم، يعفو ويصفح، ويغفر الذنوب، ويتجاوز عن السيئات.

وهؤلاء يتعلَّقون بحبال الأماني، ويتجاوزون حدود الله، وينسون أن الله عز وجل كما أنه غفور رحيم لمن تاب وأناب؛ فهو عزيز جبار ينتقم ويعاقب كل من عصى واستكبر : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

وقال عز وجل : ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

السابع: القنوط من رحمة الله، فبعض العصاة يستعظمون ذنوبهم، وييأسون من غفران الله لذنوبهم، لأنهم أفنوا سنوات طويلة من أعمارهم مضيّعين للفرائض، مُتَّبعين للشهوات، مُتعدّين لحدود الله، غارقين في المحرمات والرذائل، فيظن الواحد منهم أنه هالك لا محالة، وأنه سيدخل النار قطعًا، فيحمله ذلك على الاستمرار في فعل المعاصي، وتسليم نفسه للشيطان يجرّها حيث شاء إلى أنواع المعاصي : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء/ ٣٨].

وهذا وأمثاله قد نسي أن مغفرة الله أوسع من ذنوبه وإن كثُرت، وأن رحمة الله وسعت كل خطيئة وإن كبُرت : ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

الثامن: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، فبعض الناس يقول: ما دام كل شيء بقدر الله، فالله إذا شاء هداني فاهتديت، ولو لم يشأ أن يهديَني فلن أهتدي.

وهذه حجةٌ باطلةٌ يقصد بها العاصي الهروب من مواجهة نفسه بالحقيقة، فالله خلق كل شيءٍ بقدر، لكنه أمرنا بطاعته، ونهانا عن معصيته، ووعد من أطاعه بالجنة، وتوعَّد من عصاه بالنار : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٤].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

التاسع: الاغترار بطول الأمل: فكثيرٌ من العصاة يظنون أن الحياة ستطول، وأن الموت لا يزال بعيدًا، وأن في العمر مُتسعًا لمزيد من اللهو واللعب، واتباع الهوى والشهوات، والتمتع بالمحرمات .

وطول الأمل يجرُّ الإنسان إلى المعاصي، ويجعله غافلًا عن حقائق تهمه في حياته ومماته.

ومنها حقيقة الموت؛ فلا يستعد له بالأعمال الصالحة، وحقيقة البعث يوم القيامة، وحقيقة المرور على الصراط، وحقيقة العرض على الله، وحقيقة الخلود في الجنة أو النار، فطول الأمل يُنسي العبد هذه الحقائق العظيمة فيعصي الله، لأنه مغترٌّ بطول الأمل : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر/ ٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لايَزالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شابًّا في اثْنَتَيْنِ: في حُبِّ الدُّنْيا، وطُولِ الأَمَلِ» أخرجه البخاري [١].

العاشر: الاعتماد على حسن النيّة، فكثيرٌ من العصاة يحتجون على انحرافهم ومعاصيهم وتقصيرهم عن القيام بفرائض الإسلام بحسن نواياهم، وأنه ما دام أن القلب سليم، والنية صالحة، فلا تضرُّ المعصية، ولا يضرُّ ترك الفريضة .

وهذا فهمٌ خاطئ زينه إبليس لأوليائه ليعصوا ربهم به، وإنما العبد مأمور بإصلاح ظاهره وباطنه معًا على حدٍ سواء : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٢٠) .

الحادي عشر: الجهل بنعم الله على العبد، وقلة الحياء من الله، فينسَى العبد العاصي ربه الذي خلقه وصوره، وأطعمه وسقاه، وأكرمه وهداه، فيعصيه بنعمه التي أنعم بها عليه ليطيعه، ولا يَذكُر أنه يسكن في ملك الله، ويأكل من رزق الله؛ ألا يستحي العاصي من ربه الذي أنعم عليه بكل نعمة أن يعصيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

الثاني عشر: استصغار الذنب، وعدم استحضار عقوبة الذنب، فالعاصي لو استحضر عظمة الذنب، واستحضر عقوبة الذنب، لما عصى الله أبدًا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

إلى غير ذلك من الأسباب التي يزيِّنها الشيطان للإنسان حتى يقع في معصية الله، إما بترك واجب، أو فعل محرم، كما قال الله عن إبليس: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١﴾ [النساء/ ١١٨-١٢١].

٤ - أقسام المعاصي

المعاصي والذنوب هي كل شر، وهي سببٌ لغضب الله، وسخَطِه، وعقابه، وعذابه : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٤].

وأصول المعاصي قسمان:

ترك المأمور به شرعًا، وفعل المنهي عنه شرعًا .

فالأول: كترك الصلاة والصيام ونحوهما من الطاعات المأمور بها شرعاً .

والثاني: كأكل الربا والسرقة ونحوهما من المعاصي و المحرمات، والعبد المؤمن مأمورٌ بطاعة الله، منهيٌّ عن معصيته : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣٢].

وتنقسم الذنوب من حيث أصلها وبواعثها الى أربعة أقسام:

الأول: الذنوب الملكية: وهي أن يتعاطى العبد من صفات الرب ما لا يليق بالعبد؛ كالعلو والعظمة، والتكبر والجبروت، واستعباد الناس، والتعالي عليهم، وإذلالهم، وغير ذلك من صفات التعالي والاستعباد للناس .

فمن اتصف بشيء من تلك الصفات أذله الله، وقصمه، وأهانه، وعاقبه : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ [الحج/ ١٨].

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: «الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمَن نازعَني واحدًا منهُما قذفتُهُ في النَّارِ» أخرجه أبو داود وأحمد [١].

وفي مقدمة هؤلاء المتكبرين والمفسدين إبليس من الجن، وفرعون من الإنس : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠٩٠)، وأخرجه أحمد برقم (٩٣٥٩) .

وقال عز وجل عن إبليس : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

الثاني: الذنوب الشيطانية: وهي الذنوب التي يتشبَّه فيها العبد بالشيطان، فيكون ضالًا مضلًا، وفاسدًا ومفسدًا، ومن تلك الذنوب والمعاصي:

الغش والكذب، والحقد والحسد، والخداع والمكر، والكيد، والإسراف والتبذير، وتزيين المعاصي والآثام والفواحش، والابتداع في الدين، وتغيير خلق الله، والدعوة إلى الشرك والبدع، والمعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن، كما قال الله عز وجل عن الشيطان : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء/ ١١٧-١٢١].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٦-٢٧].

وكل هذه الصفات من أعمال الشيطان، فمن قارفها فقد تشبَّه بالشيطان الرجيم : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء/ ٣٨].

وقد حذرنا الله من كيد الشيطان ومكره بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس/ ٦٠-٦٢].

الثالث: الذنوب السبعية: وهي الذنوب التي يتشبَّه فيها العبد بالحيوانات المفترسة، والوحوش الضارية، وذلك يتناول أنواعاً من الذنوب منها .

الغضب والعدوان، والظلم والبغي، والتعدي على أنفس الناس، وأعراضهم، وأموالهم، وحقوقهم، والجور عليهم.

ومنها: القتل بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل ظلمًا وعدوانًا، وترويع الناس واستباحة الحرمات : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠].

فمن قارف شيئًا من هذه الصفات، فقد تشبَّه بالوحوش الضارية، والحيوانات المفترسة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

الرابع: الذنوب البهيمية: وهي الذنوب التي يتشبَّه فيها الإنسان بالبهائم ومنها : الشره والحرص على شهوة البطن والفرج، فلا هم له إلا قضاء شهوة بطنه وفرجه، ويتولد من هذه الشهوة أنواعًا من الذنوب، من الزنا وفعل الفواحش، والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، والشح والبخل، والأنانية وعدم المبالاة بالغير، وغير ذلك مما ينتج عن شهوة البطن والفرج : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٤٤].

وأكثر الناس يعصي الله بالذنوب البهيمية لسهولتها، وقدرة كل إنسان عليها، وأقلّهم من يعصي الله بالذنوب السبعية، لعدم قدرة بعض الناس عليها، وأقلّ منهم من يعصي الله بالذنوب الإبليسية لتفاوت الناس بالقدرة عليها ، وأقل منهم من يعصي الله بالذنوب المَلَكية لعدم قدرة كل أحد عليها .

وجميع الذنوب يغفرها الله إلا الشرك لمن مات ولم يتب منه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾ [النساء/ ٤٨].

والذنوب والمعاصي تنقسم من حيث الأمر والنهي إلى قسمين:

الأول: فعل المحظور: كالربا وشرب الخمر، والزنا، ونحو ذلك .

الثاني: ترك المأمور: كترك الصلاة أو الصوم، أو بر الوالدين، ونحو ذلك .

وتنقسم الذنوب من حيث الحقوق إلى قسمين:

الأول: ترك الحقوق الواجبة لله: كأنواع العبادات والطاعات والقربات.

الثاني: ترك الحقوق المتعلقة بحقوق العباد: كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الوالدين، والأقارب، وغيرهم، وأداء الحقوق كالدَّين ونحوه.

وتنقسم المعاصي من حيث حجمها إلى كبائر وصغائر:

والكبائر من أخطر الذنوب، وأضرُّ ما يكون على العبد في دينه ودنياه، فكل مصيبة تنزل بالعبد، وكل بلاء يحصل له، إنما ذلك أثر من آثار الذنوب والمعاصي، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى/ ٣٠].

وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ ﴾ [الروم/ ٤١].

فالكبائر لا يكفّرها إلا التوبة النصوح : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء/ ٣١].

وقال عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم/ ٨].

والكبائر: جمع كبيرة: وهي كل ما كبُر من المعاصي والذنوب، وهي كل ذنب أو معصية حدّد لها الشرع عقوبة في الدنيا كحد الزنا، وحد السرقة، والقصاص بقتل النفس ظلمًا، أو توعَّد الله العاصي عليها بغضبٍ أو سخطٍ أو لعنةٍ، أو نارٍ أو عذابٍ أو حربٍ؛ كأكل الربا وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، والغيبة والنميمة، وأكل أموال الناس بالباطل، وقتل النفس بغير حق: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وصغائر الذنوب ما سوى ذلك من اللمم ومحقرات الذنوب التي إذا كثرت أهلكت العبد، ومن أصرَّ على الصغائر التحق بأهل الكبائر : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم/ ٣١-٣٢].

ومن رحمته عز وجل أنه يغفر الصغائر برحمته، ويغفر الكبائر بالتوبة: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء/ ٣١].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

والكبائر درجات من حيث القبح والشناعة، وعِظم الجرم، وشدة العقوبة.

فأكبر الكبائر هو الإشراك بالله، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء/ ١١٦].

ومنها: قتل النفس بغير حق، والزنا كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠].

ومنها: السبع الموبقات.

قال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ» متفق عليه [1].

وأهل الكبائر من عموم المسلمين إلا من مات مشركًا ولم يتُب.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

فأهل الكبائر لا يُخلَّدون في النار، ومن استحق منهم النار ودخلها سيُخرجه الله منها بعد أن ينال نصيبه من العذاب، أو يعفو عنه أرحم الراحمين، أو يشفع فيه أحد المؤمنين..

وتنقسم المعاصي من حيث فعلها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: معاصي القلب: من الكفر والشرك، والنفاق، و الرياء، والكبر، والعجب، والحسد، والاحتقار، وأمثالها.

الثاني: معاصي اللسان: من الغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، والكذب، والسبّ، والشتم، وأمثالها.

الثالث: معاصي الجوارح: فكل جارحة من جوارح الإنسان إما أن تطيع الله أو تعصيه كالعينين والأذنين، واليدين والرجلين: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣-٦٤].

والكبائر والمعاصي والذنوب إذا مات صاحبها من غير توبة ثلاثة أقسام:

الأول: ذنبٌ لا يغفره الله عز وجل، وهو الشرك بالله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء/ ٤٨].

الثاني: ذنبٌ صاحبه تحت المشيئة، والعفو عنه من ربه أقرب، وهو ما كان بين العبد وربه من حقوق الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء/ ١١٦].

الثالث: ذنبٌ لا يترك الله منه شيئًا، وهي المظالم التي تكون بين العباد .

فهذا يحتاج في الدنيا الاستحلال من صاحبه، وردُّ المظالم إن كانت، وفي الآخرة يؤخَذ من حسنات الظالم، وتردُّ على المظلوم، فإن لم يبق للظالم

حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، وطرحت على الظالم، ما لم يُرضِ الله المظلوم بمنِّه وكرمه

قال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّار» أخرجه مسلم (١).

وتنقسم المعاصي من حيث فعلها إلى قسمين:

الأول: المعاصي الظاهرة: كالزنا، وشرب الخمر، وحلق اللحى، وقتل النفس بغير حق، و العدوان على الخلق، وكترك الصلاة والصوم وأمثال ذلك من المعاصي الظاهرة .

الثاني: المعاصي الخفية: وهي ما يفعله العاصي من الذنوب في الخلوة حين يكون مختفيًا عن أنظار الناس، فيظهر أمام الناس بمظهر العبد الصالح، وإذا اختفى عن الناس انتهك محارم الله، وتجاوز حدوده، نسأل الله عز وجل السلامة من المعاصي الظاهرة، والمعاصي الباطنة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

٥- خطر ذنوب الخلوات

إذا أراد المسلم أن يعرف قوة توحيده وإيمانه، وتصديقه، فليراقب نفسه في الخلوات .

فالإيمان لا تظهر قوته في صلاةِ ركعتين، أو صدقةٍ بدرهمين، أو تسبيحتين؛ إنما تظهر قوته في مجاهدة النفس على ترك ما تحبه النفس من الشهوات المحرّمة في الخلوات : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات/ ٤٠-٤١].

وقال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تحَابَّا في اللهِ اجْتَمعا عليه وتَفرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه [١].

إن المؤمن حقًا من إذا خلا بالمُحرَّم، وقَدِرَ عليه، وتيسر له، تذكّر أن الله السميع البصير العليم الخبير يراه ويسمعه، فاستحى من ربه أن يعصيه وهو يراه، وخجل من ربه أن يعصيه بنعمه، وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويتمتع بعافيته: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن/ ٤٦].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

يا من إذا خلا بنفسه اقتحم المعاصي والفواحش، والكبائر والمنكرات!

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٤٢٣)، ومسلم برقم (١٠٣١).

أما علمت أن الله عليمٌ بذات الصدور؟ بصيرٌ بما اجترحته الجوارح من الذنوب والآثام؟ : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف/ ٨٠].

لا يكُنِ الله العظيم السميع البصير أهون الناظرين إليك!، وأبعد المشاهدين لك: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

أتستحي من الناس، ولا تستحي من رب الناس؟ : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة/ ١٣].

أتغلق الأبواب!، وتطفئ الأنوار!، وتخلو بما حرم الله!، بلا خوف ولا حياء ولا خجل ، أما علمت أن الذي خلق النور والظلام يراك؟

أما علمت أن السميع البصير يسمع القريب والبعيد؟ : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

يا من تذنب في الخلوات ولا تبالي، إن كنت تعتقد أن الله لا يراك فقد كفرت!، وإن كنت تعتقد أنه يراك وأنت تعصيه فما أقلّ حياءك! وما أشدّ وقاحتك! وما أعظم جناياتك! : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

أما علمت أن من نسي ربه في الخلوات، تخلّى عنه ربه في أحرج الأوقات؟، وعرض عليه قبائحه في أشد الساعات؟، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

يا من زيّن الشيطان لك ذنوب الخلوات، أما علمت أن خوفك من رؤية الناس لك وأنت تعصي ربك في السر، أعظم عند الله من المعصية؟ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

أما علمت أن من خان الله في السر هتك الله ستره في العلن؟ : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك/ ١٣].

والأعمال كلها مسجلةٌ في كتابٍ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا أظهرها الله على قسمات وجهه، وفلتات لسانه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ، فمن غرق في معاصي السرّ والخلوات، ولمح نفور الصالحين منه، وتباعد المخلصين منه، فليراجع أعمال سِرِّه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

فالعبد حقا من استوت سريرته وعلانيته أمام ربه، ومن ساءت سريرته، وحسنت علانيته كان بمثابة نصف عبد؛ لأنه لم يُكمِل العبودية الكاملة الظاهرة والباطنة لربه العظيم، وتقوى الله عز وجل تكون بصلاح الظاهر والباطن في سِرّ أمرك وعلانيته، والتقوى في السرِّ أصعب، لكنها أعظم أجرًا، لأن الحامل عليها، والدافع لها، خشية الله وتقواه، والخوف منه وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

وأما تقوى العلانية فقد يدفع إليها أحيانًا خوف الفضيحة بين الناس.

يا من يعصي الله في الخلوات، أما علمت أن سيئاتك في الخلوات، تنسف أعمالك الصالحة بين الناس؟

عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «لا عَلِمْتُ أَقْوامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبالِ تِهامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَباءً مَنْثُورًا .. قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ.

قَالَ: " أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا» أخرجه ابن ماجة (١).

ويدخل في هؤلاء المنافقون، وأهل الرياء، ومن يُظهر الصلاح وهو ليس كذلك: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء/ ١٤٢].

وأخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف/ ٢-٣].

ومن ساء عمله في السرّ، ساءت خاتمته، وهي عقوبة إلهية تدل على عدم صدق العبد، وإيثار رضا الناس على رضا رب الناس، وحياؤه من الخلق، وعدم حيائه من الخالق الذي يعلم السر وأخفى.

وذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وذنوب السرّ سبب فتنة العبد في دينه، وخاتمة السوء تكون بسبب دسيسة فاسدة باطنة بين العبد وربه.

وكما أن للعمل الصالح في السر مكانة عظيمة عند الله، لأنه لا يعلم به إلا الله، فكذلك لذنوب السر والخلوات خطر عظيم على عبادات وطاعات وحسنات العبد؛ لأن العاصي جعل ربه أهون الناظرين إليه، وخاف من الناس، ولم يخف من ربه العليم الخبير: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة/ ٧٨].

وظهور العبد بمظهر العبد الناسك أمام الناس، ثم في خلوته ينتهك محارم الله بلا خوف ولا خجل ولا حياء من الله، لا يعني أن المجاهرة بالمعاصي أمام الناس مأذون بها شرعًا.

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢٤٥).

إن المعاصي والفواحش كلها محرمة في السر والعلن، والمجاهر بالمعصية مرتكب لإثمين، إثم المعصية ذاتها، وإثم المجاهرة بها .

قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتي مُعافىً إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه» متفق عليه[1].

فذنوب السر والخلوات تأكل الحسنات الكثيرة، وتحبط الأعمال الصالحة العظيمة يوم القيامة، وتُنذر بعقوبة دنيوية عاجلة قد تكون رادعة، ألا وهي الفضيحة في الدنيا بكشف ما أسرّوه، وإظهار ما أخفوه عن الناس .

إن ذنوب السرّ والخلوات دليل على ضعف إيمان العبد، وبرهان قاطع على عدم إجلال الله وتعظيمه في قلب العبد، ودليل على تقديم تعظيم الخلق وخشيتهم على تعظيم الله وخشيته : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور/ ٥٢].

يا مذنبًا في خلوته! يا جاهلًا بربه!، استحييت من الناس، ولم تستح من رب الناس، وراقبت الناس، ولم تراقب رب الناس، وخفت من الناس، ولم تخف رب الناس، وخشيت من الناس كخشية الله، بل أشد خشية، وتجرأت على معصية ربك جرأة ما تجرأت مثلها على معصية أميرك أو مديرك!! : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

إن الذنوب والمعاصي، خاصةً ذنوب الخلوات، تُسقط العبد من عين الله، ومن سقط من عين الله لم يُفلح.

إن تكرار ذنوب السرّ والخلوات يُنبت اليأس في قلوب العصاة، فيستمرون على المعاصي، وينقطعون عن التوبة، وذلك يؤدي إلى موت القلب، فلا يحزن على

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

ما فاته من الطاعات، ولا يندم على ما فعله من المعاصي، وإذا تليت عليه آيات ربه ولّى وأعرض مستكبرًا كأنه لم يسمع : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان/ ٧].

وهذا دليل على غضب الرب، ونسيانه لهذا العبد العاصي، ومن نسي الله فلم يراقبه أنساه الله نفسه، فخسر الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩].

وذنوب السرّ والخلوات هي التي يستحي العبد من الناس أن يروه عليها، من النظر إلى الصور المحرمة، أو فعل الفاحشة، أو شرب الخمور، أو سماع الغناء والطرب، أو محادثة محرمة، وأمثال ذلك من ذنوب الخلوات : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء/ ١٠٨].

يا من تعصي الله في الخلوات، إذا غابت عنك عين أمك وأبيك، أو غابت عنك عين أختك وأخيك، أو غابت عنك عين بنتك وابنك، أو غابت عنك عين جارك وصديقك، فإياك إياك أن تغيب عنك عين ربك السميع البصير! : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج/ ٧٠].

فإياك أن تعصي من لا يخفى عليه مثقال ذرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة/ ٧].

٦ - سُبل السلامة من ذنوب الخلوات

أهم أسباب السلامة من ذنوب الخلوات ما يلي:

الأول: زيادة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فمن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله العظيمة امتلأ قلبه بالإيمان بالله، وعرف لله قدره وعظمته، وعرف جلاله وجماله.

ومن عرف ذلك أطاع الله ولم يعصه في سره أو جهره، لأن تعظيم الله يورث الحياء منه، والهيبة له، والخشية منه، والخوف من عقوبته، وكثرة الاستغفار له، والتوبة إليه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

الثاني: دوام مراقبة الله في السر والعلن، فمن تيقَّن أن الله رقيب عليه يراه في جميع أحواله، ويراقبه في سره وعلانيته، وفي ليله ونهاره، خاف منه، وسارع إلى طاعته، وفرَّ من معصيته.

ودوام المراقبة لله هو الذي يهيج الخوف في قلب العبد، فلا يعصي ربه: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَّ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ غَفورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]

وقال عز وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن/ ٤٦].

الثالث: التوبة الفورية من جميع الذنوب الظاهرة والباطنة، فالتوبة واجبة من جميع الذنوب، والتوبة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

والتوبة من أعظم العبادات، ولهذا أمر الله بها جميع المؤمنين: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

الرابع: دعاء الله عز وجل أن يرزقك خشية الله في السر والعلانية، وأن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن.

فالأول: دعاء وِقائي كما قال النبي ﷺ في دعائه:" وأسألُكَ خشْيتَكَ في الغيبِ

والشهادَةِ ". أخرجه أحمد والنسائي [1].

والثاني: دعاء علاجي كما قال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اغفِر لي ذنبي كُلَّهُ دِقَّهُ، وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخرَهُ وعلانيتَهُ وسِرَّهُ» أخرجه مسلم [2].

الخامس: أَقْلِلْ من الخلوة، ولا تجلس وحدك، فبعض المعاصي تستثار بالخلوة، فيقوى سُلطان الشيطان على العبد، فتتحرك شهوته لارتكاب المعاصي التي يستحي منها العبد ببن الناس: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء/ ٣٨].

السادس: تذكر أنك ستقف بين يدي ربك، وأنك سوف تُسأل وتُحاسب على ما عملت يوم القيامة، وسوف تُسأل عن معاصي السرّ التي أخفيتها عن الناس، وجاهرت بها ربَّ الناس: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣].

وقال عز وجل: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف/ ٤٩].

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» متفق عليه [3].

وهذا التفكر جديرٌ بأن يدفع العبد إلى أن يحسن سريرته، ويصلح خلوته، ويتقي الله في سرّه وعلانيته..

السابع: تذكَّر أن من يحترمك لو رآك على الذنب سيحتقرك، فاستحِ من الله أعظم من حيائك من الناس، والإنسان بفطرته يستحي من فعل القبيح بحضرة الناس، والله عز وجل أحق أن يُستحيا منه، ويُخاف منه، وبدل أن تكون الخلوة

---

(١) سنده جيد/ أخرجه أحمد برقم (١٨٣٥١)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٣)، ومسلم برقم (١٠١٦).

طريقه إلى حب الله، وحلاوة مناجاته، إذا بالشيطان يجر العاصي إلى الخلوة، لتكون جارفة له إلى المعصية، وسخط الرحمن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة/ ١٦٨-١٦٩].

الثامن: لزوم الصحبة الصالحة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، والإنقطاع عن الأهل فالصاحب ساحب إلى خير أو شر: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

وقال النبي ﷺ:" أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يفشو الكذبُ حتى يحلفَ الرجلُ ولا يُستحلفُ، ويشهد الشاهدُ ولا يُستشهدُ . ألا لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ . عليكمْ بالجماعةِ، وإياكم والفرقةَ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ وهو من الاثنينِ أبعدُ . من أراد بحبوحةَ الجنةِ فلْيلزمِ الجماعةَ . من سرَّتهُ حسنتُه وساءتْه سيئتُه فذلكمُ المؤمنُ". أخرجه الترمذي (١).

وكلما كانت الصحبة الصالحة أصلح، كان الشيطان أبعد وأضعف وأدحض : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة/ ١١٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت.

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل، يا أرحم الراحمين .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٥) .

٧- أعظم المعاصي

أعظم المعاصي، وأكبر الكبائر، وأخطر الذنوب، وأكبر السيئات،بَيَّنَهَا الله في كتابه العظيم، وبَيَّنَهَا الرسول ﷺ في سنته، لِنَحْذَر منها، ونُحَذِر منها، ونتجنبها، ونبتعد منها. ومن ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ

﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

وقال النبي ﷺ: « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا : يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ : الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبائِرِ؟ ثَلاثًا، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْرَاكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ» متفق عليه (٢).

وقال النبي ﷺ عندما سئل : أيُّ الذَّنْبِ أكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قالَ : «أنْ تدعو للهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ». قال : ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ : «ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ مَخافَةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ»، قالَ : ثُمَّ أيّ؟ قالَ : «أنْ تُزانيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ. فأنْزَلَ اللَّهُ عز وجل : {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إلَهًا آخَرَ} ، الآية » متفق عليه (٣)

وتتفاوت الذنوب، والمعاصي، والكبائر، في شناعتها وقُبْحِها وعقوبتها. والشرك بالله أعظم الذنوب على الإطلاق كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

والشرك هو مساواة غير الله بالله، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ وجعل شريك له في عبادته، وعقوبته أشد العقوبات : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)، ومسلم برقم (٨٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٦١)، ومسلم برقم (٨٦).

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. وتركها بالكُلِّيَة ذنب عظيم، يُخرج العبد من الإسلام.

قال ﷺ: «العهدُ الذي بيننَا وبينَهم الصلاةُ ، فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ» أخرجه أحمد والترمذي (١).

وقال ﷺ: « بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» أخرجه مسلم (٢).

والغيبة والنميمة من أشد الذنوب التي تُفسد الأمة، وتمزق الشَّمْل، وتأكل الأخضر واليابس، وتهوي بصاحبها في النار، وهي من الكبائر التي لا يُكفرها إلا التوبة.

قال النبيﷺ: « أتدرون ما الغيبة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال : إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» أخرجه مسلم (٣).

وقال ﷺ: « أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا : المُفْلِسُ منا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ : إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ» أخرجه مسلم (٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم (٢٢٩٨٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

ومن أعظم الذنوب بعد الشرك بالله عز وجل عقوق الوالدين، وقطع صلة الرحم، ووأد البنات : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء:٣١].

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [التكوير:٨-٩].

وقال النبي ﷺ: « إنَّ اللهَّ حَرَّمَ عليْكُم : عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ووَأْدَ البَناتِ، ومَنْعًا وهاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ : قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ» متفق عليه [١].

وقال النبي ﷺ: « إنَّ اللهَّ خَلَقَ الخَلْقَ، حتَّى إذا فَرَغَ مِن خَلْقِهِ، قالتِ الرَّحِمُ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: نَعَمْ، أما تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ؟ قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَهو لَكِ قالَ رَسولُ الله ﷺ: فاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ » متفق عليه [٢].

وقال النبي ﷺ: « لا يدخل الجنَّةَ قاطعٌ » متفق عليه [٣].

وجِناية قتل النفس بغير حق من أعظم الجرائم والجنايات التي توجب غضب الله، ولعنته، وعذابه : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٩٢)، ومسلم برقم (٥٩٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٠)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

٨- آثار المعاصي

هذه أهم آثار المعاصي على العبد :

الأول : حرمان العلم، فالعلم نور يقذفه الله في القلب، والمعاصي تطفئ ذلك النور.

الثاني : الوحشة التي تحصل للعاصي فيما بينه وبين ربه.

الثالث : الوحشة التي تحصل بين العاصي وبين الناس.

الرابع : أن المعاصي تُقَصِّر العمر، وتمحق بركته.

الخامس : أن المعاصي توهن القلب والبدن.

السادس : حرمان الطاعات، وحرمان لذة العبادات.

السابع : أن العاصي يحُِسُّ بِظُلمة في القلب كما يحس بظلمة الليل.

الثامن : أن المعاصي سبب لتعسير أمور العاصي.

التاسع : أن العاصي يحُرم الرزق. فالعبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه.

العاشر : أن المعاصي تجلب أمثالها من المعاصي، حتى يَعُزُّ على العبد مفارقتها، أو الخروج منها، فمن عقوبة السيئة، السيئة بعدها، ومن ثواب الحسنة، الحسنة بعدها.

الحادي عشر : أن المعاصي تُضعف القلب عن إرادة الطاعات، وتُقوي إرادة المعاصي، وتضعف إرادة التوبة من الذنوب شيئًا فشيئًا، لأن القلب قد تعوَّدَ عليها.

الثاني عشر : أن كثرة المعاصي، والاستمرار عليها، يسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة لا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا يستحيي من فِعْلها بينهم.

وقال النبي ﷺ: « ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت. »أخرجه البخاري [١]

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٣).

الثالث عشر : أن المعاصي سبب لهوان العبد على ربه، وسقوطه من عينه. وإذا هان العبد على الله، لم يكرمه أحد من الناس: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج:١٨].

الرابع عشر : أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب ويكررها حتى تهون عليه وتصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك.

الخامس عشر : أن المعاصي تُفسد العقل، وتطفئ نور البصيرة في القلب.

السادس عشر : أن المعاصي يعود شُؤمها على العاصي، وغيره من الناس والدواب : ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم:٤١].

السابع عشر : أن المعاصي تورث الذل، كما أن الطاعات تورث العز. فذل المعصية لا يُفارق قلب العاصي، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

الثامن عشر : أن كثرة المعاصي سبب للطبع على قلب صاحبها، فلا يذكر ربه، ولا يهتم بطاعته : ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين:١٤].

التاسع عشر : حرمان العاصي من دعوة الرسول ﷺ، فإن الله أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، كما قال سبحانه : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

العشرون : أن المعاصي تُذهب الحياء من الله.

والحياء أصل كل خير، وعدم الحياء أصل كل شر، ومن فقد الحياء تلبس بكل معصية، وفارق كل معصية .

الحادي والعشرون : أن المعاصي تُزيل النعم، وتُحِلُّ النِّقَم .

فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنبه.

الثاني والعشرون : أن المعاصي تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه وما اختار، وتخليته بين نفسه وشيطانه حتى ينسى نفسه، ويخسر دنياه وآخرته .

وهذا هلاك لا تُرجى معه نجاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

الثالث والعشرون: أن المعاصي تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فتأثير الذنوب في القلوب أشد من تأثير الأمراض في الأبدان.

فلا يزال القلب معلولًا، مريضًا، لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، حتى يتوب إلى ربه.

الرابع والعشرون: أن كل معصية من المعاصي ميراث عن أمة من الأمم السابقة التي أهلكها الله بسبب ذنوبها، فليحذر العبد مما يوجب هلاكه.

الخامس والعشرون: أن الطاعات أغذية نافعة، والمعاصي سموم مُهلكة، وأفعال قبيحة، ضارةٌ بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

٩ - عقوبات المعاصي

عقوبات المعاصي تكون في الدنيا، وفي القبر، ويوم القيامة.

ومن أعظم عقوبات المعاصي في الدنيا ما يلي :

الأولى : أن المعاصي تورث العاصي سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق.

الثانية : أن المعاصي تورث صاحبها قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وخمول الذكر، وإضاعة الأوقات، ونُفرة الخلق منه.

الثالثة : أن المعاصي تورث فاعلها قسوة القلب، وضيق الصدر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وحرمان السعة في الرزق، وكثرة الهم والغم، ولزوم الخوف والحزن.

الرابعة : من عقوبات المعاصي ما يُصاب به العصاة من الأمراض، والأسقام، والأوجاع، والآلام، بسبب معاصيهم وذنوبهم، لعلهم يتوبون.

الخامسة : العقوبات الشرعية التي تُقام على العصاة بسبب جرائمهم ومعاصيهم، كل بحسبه، سواء كانت قصاصًا في النفس، أو الأطراف ؛ أو كانت حدًا من حدود الله كحد الزنا، وحد السرقة، وحد قطاع الطريق، وحد البغاة ؛ أو كانت تعزيرا كجلد شارب الخمر، وقتل مروج المخدرات، ونحو ذلك من عقوبات المعاصي.

السادسة : العقوبات القدرية في الأبدان، والزروع، والثمار، والخسوف، والزلازل، والصواعق المحرقة، والبراكين المدمرة، والعواصف المهلكة، والأمراض الفتاكة : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

وقال عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وكما فعل الله بالكفار الذين استكبروا عن الحق، وكذبوا الرسل : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠].

وغيرُ ذلك من الأمراض البدنية والقلبية التي تُصيب العصاة بسبب الزنا، واللواط كالإيدز ونحوه.

السابعة : كثرة الأمراض النفسية بين العصاة، تجعلهم في شقاءٍ دائمٍ، وكآبةٍ مؤلمة، ووسوسة، وخوفٍ، وحزنٍ، وضيقٍ، وضنك : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

وتجعل العاصي يُقْدِم أحيانًا على الانتحار، وهذا النوع من العصاة يعيشون في رعب دائم، ووسوسة مستمرة، وضيق، وهلع .

فهذا ينتحر، وهذا يُطلق زوجته، وهذا يُشرد أولاده، وهذا يهجر أقاربه، وهذا يقتل أباه أو أمه أو ولده أو قريبه، وهذا يعيش معزولًا عن الناس لا يشهد جمعة، ولا جماعةً ولا مناسبةً، فإنا لله وإنا إليه راجعون : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠].

وقال عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

الثامنة : ومن عقوبات المعاصي فقدان الأمن، وخوف الناس بعضهم من بعض، والخوف على الأنفس، والأموال، والأولاد، وتسليط الأعداء على ديار المسلمين، وسفك الدماء بين المسلمين، وذلك كله بسبب كثرة الانحرافات

والمعاصي إلى غير ذلك من أنواع العقوبات في الدنيا : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

وعقوبات الذنوب والمعاصي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول: عقوبات الذنوب في الدنيا، مثل عقوبة الربا، وعقوبة الزنا، وعقوبة الرشوة، وعقوبة أكل أموال الناس بالباطل، وعقوبة شهادة الزور، وعقوبة الغيبة والنميمة، وعقوبة عقوق الوالدين، وعقوبة قطع صلة الأرحام، وعقوبة الظلم، وغير ذلك من العقوبات للكبائر والجرائم والفواحش : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وتنقسم عقوبات الدنيا إلى قسمين :

الأول : عقوبات عاجلة :

فآكل الربا ربما فقد أولاده وزوجته وأمواله في حياته عقوبة عاجلة، مع ما يدخره الله له من العذاب في القبر وفي الآخرة إن لم يتب: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة:٢٧٥].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

ومن ذلك عقوبة الزنا، فمن فَعَل الفاحشة بأعراض الناس، فُعِلَ بأحد أهله الزنا عقوبة معجلة، إلى جانب إقامة الحد عليه: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾ [الإسراء:٣٢].

ومن ذلك عقوبة العقوق، فمن عق والديه، سلط الله عليه أولاده فعقوه، وهو أحوج ما يكون إليهم : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء:١٢٣].

وكذا من ظلم الناس، وأكل حقوقهم، سلط الله عليه من يأخذ ما في يده، ويذله ويقهره : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠].

الثانية : عقوبات آجلة :

فكم من أهل الذنوب والمعاصي من انتكس بعد استقامته في نهاية عمره، ومنهم من نسي القرآن بعد أن كان يحفظه، ومنهم من خسر أمواله بعد أن أفنى عمره في جمعها من حلال وحرام، ومنهم من يتمنى الموت على الحياة بسبب الهم وضيق الصدر، وتلك عقوبات تليها عقوبات من الله للعصاة المجرمين : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١ ﴾ [السجدة:٢١].

وربما اجتمعت تلك العقوبات العاجلة والآجلة على العبد في حياته.

فتراه كثير الفتن والمحن، عظيم الهم والغم، عظيم البلاء والابتلاء، عقوبة للسيء من أقواله وأفعاله وأخلاقه : ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾ [التوبة:٥٥].

الثاني: عقوبات في القبر،ففي القبر تُنَعم أرواح، وتُعَذب أرواح، حتى قيام الساعة. وكان ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر لشدة هوله، فكان يقول :«اللَّهُمَّ

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» متفق عليه (١).

وأمر ﷺ أمته أن يتعوذوا بالله من عذاب القبر في كل صلاة بعد التشهد الأخير، فقال ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» أخرجه مسلم (٢).

فكل أحد سوف يُعَذب بما فعل من الكبائر والمعاصي والفواحش، في الدنيا **وفي القبر ويوم القيامة، إن لم يتب من ذنوبه**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

الثالث: العقوبات في يوم القيامة.

العقوبات يوم القيامة أنواع كثيرة، بحسب الذنب، وتكرار الذنب، وللصغائر عقوبات، وللكبائر عقوبات، وللفواحش عقوبات، وللقلوب عقوبات، وللجوارح عقوبات، وللأبدان عقوبات، علاوة على نار جهنم التي يُخَلد فيها كل كافر ومشرك ومنافق: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٨٨).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

وأما عقوبات عصاة المؤمنين، الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فهي درجات تختلف بحسب معاصيهم، وهم درجات في العذاب، وهم تحت مشيئة الله، إن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، وإن شاء غفر لهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٢].

فمن هؤلاء العصاة من يحرمهم الله من كلامه وتزكيته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة:١٧٤-١٧٥].

وهذا يشمل العلماء الذين يكتمون الحق، ويوثرون الحظ العاجل من الدنيا، فيكتمون العلم لمصلحة دنيوية، أو لهوى، أو لطمع، أو لخوف.

وهؤلاء لهم عذاب أليم شديد يوم القيامة، ويلعنهم الله، وتلعنهم جميع المخلوقات إلا من تاب قبل موته.

ومن هؤلاء المُسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

قال النبي ﷺ: « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ خَابُوا وَخَسِرُوا، قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ، وَالْمَنَّانُ» أخرجه مسلم (١).

ومنهم المشرك وقاتل النفس بغير حق عمدا، والزناة والزواني : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].

ومن ذلك قتل المُعاهَد، والنساء الكاسيات العاريات.

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَد مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أخرجه البخاري (٢).

وقال النبي ﷺ: «صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا» أخرجه مسلم (٣).

ومن عصاة المؤمنين مانعي الزكاة : ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٢٨).

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

ومن هؤلاء من غَصَبَ أرضًا بغير حق.

قال النبي ﷺ: « مَن أَخذَ مِنَ الأَرْضِ شيئًا بغيرِ حَقِّهِ خُسِفَ به يومَ القِيَامَةِ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ» أخرجه البخاري (١).

ومنهم الغَال من الغنيمة: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومنهم من كان له زوجتان لم يعدل بينهما.

قال النبي ﷺ: « مَنْ كانتْ له امرأتان يميل لإحداهما عن الأخرى جاء يومَ القيامةِ وشِقُّه مائل» أخرجه أحمد وأبو داود (٢).

ومنهم من سأل الناس أموالهم تَكَثُّرًا من غير حاجة.

قال رسول الله ﷺ: « مَن سَأَلَ النَّاسَ أَمْوالَهُمْ تَكَثُّرًا، فإنَّما يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» أخرجه مسلم (٣).

وغير هؤلاء من عصاة المؤمنين الذين ماتوا ولم يتوبوا من معاصيهم، فهؤلاء تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم أخرجهم إلى الجنة .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٤).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد برقم (٧٩٣٦)، وأخرجه أبو داود برقم (٢١٣٣) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠٤١) .

١٠- سبل الوقاية من المعاصي

للوقاية من المعاصي أسباب وسبل كثيرة منها :

الأول : الإكثار من ذكر الله عز وجل، فإن من أدام ذكر الله عز وجل أطاعه ولم يعصه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٢].

الثاني : العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة.

فمن عرف عِلْم الله وإحاطته بالعبد لم يعصه، ومن تيقن أن الله يسمعه إذا تكلم، ويراه إذا فعل لم يعص ربه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

ومن عرف شدة عقابه لمن عصاه لم يعصه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

الثالث : قراءة القرآن وتدبره، لمعرفة عظمة من نعبد، وما يجب له من التوحيد، والإيمان، والعبادة، والطاعة : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

الرابع : النظر والتفكر في الآيات الكونية، في السماء والأرض وما بينهما وما عليهما من المخلوقات العظيمة، التي تملأ القلب بالإيمان، وتملؤه بعظمة الله، وكبريائه، ومحبته، وحمده، وحُسن طاعته، والبعد عن معصيته : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال عز وجل: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال عز وجل: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

والنظر في الآيات الشرعية، والآيات الكونية، من أعظم روافد الإيمان التي تزيد الإيمان، وإذا زاد الإيمان أحب العبد ربه، وكبره، وعظمه، وحمده، وشكره، وأطاعه ولم يعصه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الخامس: حفظ الأوقات بأنواع العبادات، والطاعات، والاشتغال بالدعوة إلى الله، وتعليم وتَعلُّم شرع الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال الله عز وجل: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

السادس : التفكر في حُسن ثواب الطاعات، وسوء عاقبة المعاصي، وأن المعاصي تعقبها الحسرة، والندم، والعذاب يوم القيامة : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

السابع : النظر في حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من صدق الإيمان، وحسن الأخلاق، والمسارعة إلى الطاعات، والبعد عن المعاصي، والحذر من السيئات ؛ خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ،الذي كان أحسن الخلق خَلْقًا وخُلُقًا، وكان خُلُقُهُ القرآن، يتأدب بآدابه، ويُصدق أخباره، ويعمل بأحكامه، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه ؛ وذلك للاقتداء به، واتباعه في توحيده، وإيمانه، وأقواله، وأفعاله، وأخلاقه.

قال عز وجل عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل عن النبي ﷺ : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

الثامن : النظر فى عاقبة الطغاة، والعصاة، والمجرمين، والمفسدين، وكيف أخذهم الله بذنوبهم، وانتقم منهم، وعاقبهم بمعاصيهم : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وقال عز وجل عن الطغاة والمفسدين والمجرمين من الأمم السابقة لما كذبوا رسلهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠].

ومن عَرَفَ ذلك خاف من عقوبة المعاصي، وأقبل على الطاعات، واجتنب المعاصي، وخاف من ربه واتَّقاه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

التاسع : محاسبة النفس على اتباع الهوى والمعاصي.

فهل يليق بالعبد أن يسكن فى مُلك الله، ويأكل من نعم الله، أن يعصيه بنعمه، وربه الذي خلقه، ورزقه، وهداه؟ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر:١٨-٢٠].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨].

ومن أراد أن يعصي الله فليسأل نفسه هذه الأسئلة :

هل يستطيع أن يسكن في مُلْك أحد غير ملك الله؟

وهل يستطيع أن يأكل من رزق أحد غير رزق الله؟

وهل يستطيع أن يعصي الله في مكان لا يراه فيه الله؟

وهل يستطيع إذا جاءه مَلَك الموت أن يستأذنه ليتوب من معاصيه، ثم يقبض روحه؟

وهل يستطيع إذا ساقته الملائكة إلى جهنم أن يمتنع منهم ولا ينقاد لهم ؟

وجواب ذلك كله، أن العاصي لا يقدر على شيء من ذلك أبدًا، فإن الأمر كله لله، فعليه أن يستحيي من ربه، ولا يعصيه بنعمه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

العاشر : الحياء من الله، والخوف منه، والتوبة إليه.

فمن يسكن في مُلْك الله، ويأكل من رزقه، يجب عليه أن يُطيع من خلقه ورزقه وهداه، ويستحيي من معصيته، ويخاف من عقوبته : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد:١٦-١٧].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة:٧٤].

فلنتب إلى الله جميعًا من جميع الذنوب والمعاصي، لنسلم من عقوبتها، ونفوز بالجنة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ
إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ [التحريم:٨].

وقال عز وجل : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾
[النور:٣١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾
[الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾
[البقرة:٢٠١].

اللهم إننا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع: ويشتمل على ما يلي	٧
٢٥ - النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه	٧
١ - صفات المنافقين في القرآن	٧
٢ - صفات المنافقين في السنة	١٩
٣ - أنواع النفاق	٢٠
٤ - حكم النفاق والمنافقين	٢١
٥ - عقوبات المنافقين	٢٢
٦ - كيف يتخلص الإنسان من النفاق؟	٢٤
٢٦ - فقه الأبصار والبصائر	٣٠
١ - معنى البصر والبصيرة	٣٠
٢ - الفرق بين البصر والبصيرة	٣٣
٣ - أقسام البصيرة	٣٥
٤ - تفاوت الناس في البصيرة	٣٦
٥ - درجات البصيرة	٤٧
٦ - طرق تحصيل البصيرة	٥٢

الموضوع الصفحة

٧- ثمرات البصيرة.................................... ٥٦

٨- جزاء أهل البصيرة.................................... ٦٠

٩- الأمور التي تضعف البصيرة.................................... ٦١

١٠- أسباب طمس البصيرة.................................... ٦٣

٢٧- فقه اليقين.................................... ٦٦

١- أبواب الدين ٦٦

٢- معنى اليقين.................................... ٦٩

٣- منزلة اليقين ٧٢

٤- درجات اليقين.................................... ٧٧

٥- أقسام اليقين.................................... ٧٩

٦- أركان اليقين.................................... ٨١

٧- أبواب تحصيل اليقين.................................... ٨٤

٨- صفات أهل اليقين.................................... ٨٦

٩- اليقين المحمود، واليقين المذموم.................................... ٩١

١٠- ثمرات اليقين.................................... ٩٣

٢٨- القراءة بين العبادة والثقافة.................................... ٩٨

١- فضل القراءة النافعة.................................... ٩٨

الموضوع **الصفحة**

٢ - خصائص القراءة النافعة..١٠١
٣- آداب القراءة النافعة ١٠٤
٤ - أقسام القراءة ١٠٩
٥ - أقسام القراء..١١٣
٦ - طرق القراءة النافعة..١١٦
٧- الأسباب التي تعين على الإقبال والحب للقراءة................١٢٢
٨- ثمرات القراءة النافعة وتشمل ما يلي ١٢٥
١ - ثمرات قراءة وتدبر القرآن الكريم. ١٢٥
٢ - ثمرات القراءة بشكل عام..١٢٩
٢٩ - **الفتوى تأصيل وتطبيق (١)**..١٣٦
١ - فقه الإفتاء..١٣٦
٢ - تأصيل الإفتاء..١٣٩
٣- الأصول التي تقوم عليها الفتوى..١٤٢
٤ - مجالات الفتوى..١٤٤
٥ - الفتوى في الماضي والحاضر ١٤٥
٦ - صفات ومؤهلات المفتي..١٤٦
٧- أسباب الضلال في الفتاوى..١٥٠

الموضوع	الصفحة

٣٠- الفتوى تأصيل وتطبيق (٢).................... ١٦٢
١ - آداب المفتي ١٦٢
٢ - آداب المستفتي ١٦٥
٣- الفتوى بين الواقع والواجب ١٦٧
٤- أصول النهوض بالفتوى ١٦٩
٥- فقه التيسير في الفتوى.................... ١٧١
٣١- الوقت أمانة وتجارة (١).................... ١٨٢
١- حكمة خلق المكان، والزمان، والإنسان. ١٨٢
٢- قيمة الوقت. ١٨٥
٣- أقسام الناس في الاستفادة من الأوقات. ١٩٠
٤- الوقت أمانة وتجارة. ١٩٥
٥- أسباب إضاعة الأوقات. ١٩٩
٦- حسن إدارة الأوقات بالأعمال الصالحة. ٢٠٥
٧- فقه الاستفادة من الأوقات. ٢١٣
٣٢- الوقت أمانة وتجارة (٢).................... ٢١٦
١- أقسام الوقت. ٢١٦
٢- أحوال عُمر الإنسان. ٢١٨

الموضوع الصفحة

٣- كيف نحافظ على أوقاتنا. ٢٢٦
٤- أهم الأعمال التي تستثمر بها الأوقات. ٢٣٧
٥- أفضل أوقات الأعمال الصالحة. ٢٤٢
٦- أسعد الناس من حفظ وقته بأحسن الأعمال........ ٢٤٤
٣٣- عظمة الله بين صفات الجلال والجمال........ ٢٥٢
الباب الخامس: ويشتمل على ما يلي ٢٦٧
٣٤- معرفة الله بين صفات الجلال، وصفات الجمال........ ٢٦٩
١- صفات الجلال والجمال لله عز وجل ٢٦٩
٢- أبواب معرفة الله عز وجل ٢٧١
٣- العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله........ ٢٧٤
٣٥- توحيد الله بين صفات الجلال وصفات الجمال........ ٢٨٦
١- صفات الجلال، والجمال لله سبحانه ٢٨٦
٢- دلائل وحدانية الله عز وجل ٢٨٨
٣- توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته........ ٢٩٢
٣٦- ذكر الله عز وجل أعظم العبادات........ ٣٠٨
١- فضائل ذكر الله عز وجل........ ٣٠٨
٢- فضائل مجالس الذكر. ٣١٢

الموضوع الصفحة

٣- فقه ذكر الله عز وجل................................... ٣١٣

٤- عظمة ذكر الله عز وجل................................. ٣١٨

٥- أقسام الذكر والذاكرين................................. ٣٢٢

٦- حقيقة الذكر.. ٣٢٧

٧- كيفية الذكر... ٣٣٢

٣٧- ذكر الله أنواعه، وآدابه، وثمراته.......................... ٣٣٤

١- أنواع ذكر الله عز وجل.................................. ٣٣٤

٢- أفضل الذكر... ٣٣٨

٣- آداب ذكر الله عز وجل.................................. ٣٤٢

٤- أوقات الذكر... ٣٤٧

٥- خصائص الذكر.. ٣٤٨

٦- ثمرات ذكر الله عز وجل................................. ٣٤٩

٧- عقوبات ترك الذكر.. ٣٥٢

٣٨- حلاوة الإيمان، أسبابها، وثمارها، وموانعها................ ٣٥٦

١- فقه سعادة الإنسان.. ٣٥٦

٢- فقه حلاوة الإيمان... ٣٥٨

٣- فقه حقائق الإيمان وحلاوته............................... ٣٦٢

الموضوع الصفحة

٤- سبل تحصيل حلاوة الإيمان ولذة العبادة. ٣٦٧

٥- ثمرات حلاوة الإيمان. ٣٦٩

٦- أسباب الحرمان من حلاوة الإيمان. ٣٧٣

٧- صفات المحروم من حلاوة الإيمان........................ ٣٧٨

٣٩- أحسن حياة ٣٨٢

١- فقه الحياة في الإسلام. ٣٨٢

٢- أصول الحياة في الإسلام. ٣٨٦

٣- فقه حقيقة الدنيا والآخرة. ٣٩٣

٤- قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة. ٤٠٤

٥- أقسام الناس في الدنيا. ٤٠٦

٦- صفات المسلم في هذه الحياة. ٤٠٨

٧- أحسن حياة. ٤١٢

٤٠- الإحسان .. معناه، ومحاسنه، وآثاره ٤٢٠

١- عظمة حسن الإسلام. ٤٢٠

٢- فقه معنى الإحسان. ٤٢٨

٣- فضائل الإحسان. ٤٣٣

٤- أنواع الإحسان. ٤٣٥

الموضوع **الصفحة**

٥ - فقه الحسن والأحسن. ٤٣٩

٦ - خزائن الحُسن. ٤٤٨

٧ - فقه حسن الخلق. ٤٥٠

٤١ - الإحسان أقسامه، ودرجاته، وثوابه ٤٥٨

١ - أقسام الإحسان. ٤٥٨

٢ - درجات الإحسان. ٤٦٥

٣ - دوائر الإحسان إلى الخلق. ٤٦٧

٤ - ميادين الإحسان. ٤٦٩

٥ - كيفية الإحسان. ٤٧١

٦ - جزاء الإحسان ٤٧٥

٤٢ - حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام ٤٧٨

١ - الحقوق والواجبات التي أكرم الله بها الإنسان. ٤٧٨

٢ - أنواع الحقوق التي أكرم الله بها الخلق. ٤٨٧

٣ - أهم الحقوق التي أعطاها الله للإنسان. ٤٩٤

٤ - خصائص حقوق الإنسان في الإسلام. ٤٩٧

٥ - جزاء من أحسن أداء الواجبات. ٥٠١

٦ - حكم الاعتداء على حقوق الإنسان. ٥٠٣

الموضوع **الصفحة**

٧- عقوبة الإسلام للمعتدين..٥٠٧

الباب السادس: ويشتمل على ما يلي..٥٠٩

٤٣ - حسن الظن .. معناه ،وأقسامه ،وثمراته..٥١١

١ - معنى حسن الظن بالله عز وجل..٥١١

٢ - فقه حسن الظن بالله عز وجل..٥١٣

٣- مراتب حسن الظن بالله عز وجل..٥١٩

٤ - الأسباب المعينة على حسن الظن..٥٢٠

٥ - أقسام حسن الظن..٥٢٣

٦ - أقسام سوء الظن بين الناس..٥٢٦

٧- آفات سوء الظن بالناس..٥٢٧

٨- أسباب سوء الظن بين الناس..٥٣٠

٩ - ثمرات حسن الظن..٥٣٢

٤٤ - النية.. معناها، وأحكامها، وأقسامها(١)..٥٣٨

١ - فقه النية..٥٣٨

٢ - منزلة النية..٥٤٢

٣- حكمة مشروعية النية..٥٤٧

٤ - وقت النية..٥٤٨

الموضوع	الصفحة

٥- شروط النية..٥٤٩

٦- أقسام النية..٥٥٠

٧- حكم الجهل بالنية..٥٥٤

٨- أحوال قلب النية..٥٥٦

٩- مبطلات النية..٥٥٧

٤٥-النية.. فضائلها، وإخلاصها، ودرجاتها، وثمراتها(٢)..................٥٦٠

١- فقه البصَر والبصيرة..٥٦٠

٢- فضائل النِّيَّة الصَّالحة..٥٦٣

٣- كثرة الأجور بتعدُّد النِّيَّات...٥٦٩

٤- علامات إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ....................................٥٧٤

٥- درجات إخلاص النِّيَّة...٥٧٧

٦- ثمرات إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ......................................٥٨٠

٤٦-الاستقامة.. معناها، وأحكامها، وثمراتها...........................٥٨٤

١- فقه الاستقامة..٥٨٤

٢- منزلة الاستقامة..٥٨٦

٣- فضائل الاستقامة...٥٨٨

٤- وسائل الاستقامة...٥٩٠

الموضوع الصفحة

٥- درجات الاستقامة ٥٩٨
٦- علامات أهل الاستقامة ٦٠٢
٧- معوقات الاستقامة ٦٠٦
٨- ثمرات الاستقامة ٦٠٨
٤٧- التوبة.. أحكامها، ومراتبها، وثمراتها ٦١٦
١- فقه التوبة ٦١٦
٢- منزلة التوبة ٦١٨
٣- حكم التوبة ٦٢٠
٤- فضائل التوبة ٦٢٣
٥- شروط التوبة ٦٢٦
٦- أقسام التوبة ٦٢٩
٧- علامات التوبة ٦٣٢
٨- مراتب التوبة ٦٣٤
٩- الوسائل المعينة على التوبة ٦٣٩
١٠- ثمرات التوبة ٦٤٢
٤٨- أركان الإيمان الإيمان بالله عز وجل ٦٤٦
١- أركان الإيمان الإيمان بالله عز وجل ٦٤٦

الموضوع	الصفحة

٢ - قوة رابطة الإيمان بالله عز وجل. ٦٤٧

٣ - أركان الإيمان بالله عز وجل. ٦٤٨

٤ - أسباب زيادة الإيمان بالله عز وجل........................ ٦٥٤

٤٩ - أركان الإيمان الإيمان بالملائكة والكتب والرسل........................ ٦٦٢

١ - الإيمان بالملائكة ٦٦٢

٢ - الإيمان بالكتب ٦٦٧

٣ - الإيمان بالرسل........................ ٦٧٣

٥٠ - أركان الإيمان الإيمان بالقدر........................ ٦٨٦

١ - فقه أوامر الله عز وجل. ٦٨٦

٢ - أقسام أوامر الله عز وجل. ٦٨٨

٣ - فقه القدر. ٦٨٩

٤ - أركان الإيمان بالقدر. ٦٩٢

٥ - أنواع القدر. ٦٩٤

٦ - أحكام القدر. ٦٩٦

٧ - حكم الرضا بالقدر. ٧٠٥

٨ - ثمرات الإيمان بالقدر........................ ٧٠٧

٥١ - الصبر..أحكامه، وأنواعه، وثوابه........................ ٧١٠

الموضوع **الصفحة**

١ - فقه المصائب. ٧١٠

٢ - أشد الناس بلاءً. ٧١٢

٣ - فضائل الصبر. ٧١٤

٤ - أنواع الصبر المشروع. ٧١٧

٥ - شروط الصبر. ٧١٨

٦ - الأسباب المعينة على الصبر على المصائب. ٧١٩

٧ - ما يفعله المسلم عند المصائب.. ٧٢١

الباب السابع: ويشتمل على ما يلي.. ٧٢٣

٥٢ - الموت معناه، وعلاماته، وأحكامه.. ٧٢٥

١ - الأحوال التي يمر بها الإنسان. ٧٢٥

٢ - فقه الموت. ٧٢٧

٣ - أحكام الموت. ٧٢٩

٤ - علامات حُسن الخاتمة. ٧٣٢

٥ - ما يُفعل بالمسلم إذا مات. ٧٣٣

٦ - حكم النعي. ٧٣٥

٧ - ما يفعله المصاب عند المصيبة. ٧٣٦

٨ - ما ينتفع به المسلم بعد موته.. ٧٣٩

الموضوع الصفحة

٥٣ - حقوق الميت........................ ٧٤٢

١ - صفة غسل الميت وتكفينه. ٧٤٢

٢ - الصلاة على الميت. ٧٤٦

٣ - تشييع الميت. ٧٥٢

٤ - دفن الميت. ٧٥٣

٥ - أحكام تعزية أهل الميت. ٧٥٧

٦ - أحكام زيارة القبور........................ ٧٥٩

٥٤ - أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر........................ ٧٦٤

١ - ما هو اليوم الآخر؟ ٧٦٤

٢ - أشهر أسماء اليوم الآخر. ٧٦٥

٣ - الإيمان باليوم الآخر. ٧٧٠

٤ - عظمة اليوم الآخر. ٧٧١

٥ - ما يكون قبل اليوم الآخر. ٧٧٢

٦ - علامات الساعة الصغرى. ٧٧٦

٧ - علامات الساعة الكبرى........................ ٧٧٩

٥٥ - أحوال اليوم الآخر........................ ٧٨٨

١ - النفخ في الصور........................ ٧٨٨

٢ - البعث والحشر........................ ٧٩٠

الموضوع **الصفحة**

٣- أهوال يوم القيامة.. ٧٩٦
٤- فصل القضاء يوم القيامة.................................. ٨٠٠
٥- الحساب والميزان.. ٨٠٥
٦- الشفاعة.. ٨١١
٧- الحوض... ٨١٤
٨- الصراط... ٨١٥
٩- دار القرار.. ٨١٧
٥٦- الإخلاص.. معناه، وأحكامه، وثمراته.................. ٨٢٠
١- فقه الإخلاص... ٨٢٠
٢- لوازم الإخلاص.. ٨٢٣
٣- أبواب الإخلاص.. ٨٢٥
٤- درجات الإخلاص... ٨٣٤
٥- كيف يتحقق الإخلاص ؟..................................... ٨٣٥
٦- ثمرات الإخلاص.. ٨٣٨
٧- نواقض الإخلاص.. ٨٤١
٨- عقوبات ترك الإخلاص....................................... ٨٤٣
٥٧- مقاصد الشريعة معناها، وأقسامها، وثمراتها............ ٨٤٦
١- فقه مقاصد الشريعة الإسلامية............................... ٨٤٦

الموضوع	الصفحة

٢- أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية........................ ٨٥١
٣- أهم مقاصد العبادات في الشريعة........................ ٨٥٣
٤- أهم مقاصد المعاملات في الشريعة........................ ٨٥٩
٥- أهم مقاصد الأخلاق في الشريعة........................ ٨٦٣
٦- أصول مقاصد الشريعة الإسلامية........................ ٨٦٩
٧- ثمرات معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية........................ ٨٧٣
٥٨- الابتلاء.. معناه، وأقسامه، وثمراته........................ ٨٧٨
١- فقه الابتلاء ٨٧٨
٢- حكمة الابتلاء ٨٨٣
٣- أنواع الابتلاء ٨٨٧
٤- أحوال الناس عند نزول البلاء ٨٩٩
٥- أسرار الابتلاء ٩٠٣
٦- ثمرات الابتلاء ٩٠٥
٧- أسباب نزول البلاء ٩١٢
٨- وسائل دفع البلاء........................ ٩١٤
٥٩- الطاعات..فضائلها،وأسبابها،وثوابها........................ ٩٢٠
١- فقه الطاعات ٩٢٠
٢- فضائل المداومة على الطاعات ٩٢٣

الموضوع	الصفحة

٣- حكم الطاعات ٩٢٦
٤ - أقسام الطاعات ٩٢٩
٥ -الأسباب المعينة على المداومة على الطاعات. ٩٤٣
٦ - ثواب أهل الطاعات........ ٩٤٧
٦٠ -المعاصي.. أسبابها، وأقسامها، وعقوباتها........ ٩٥٢
١ - فقه المعاصي. ٩٥٢
٢ - حكمة الابتلاء بالمعاصي. ٩٥٦
٣- أسباب الوقوع في المعاصي. ٩٦٢
٤ - أقسام المعاصي. ٩٦٧
٥ - خطر ذنوب الخلوات. ٩٧٥
٦ - سُبُلَ السَّلامة من ذنوب الخلوات. ٩٨١
٧- أعظم المعاصي ٩٨٤
٨- آثار المعاصي ٩٨٨
٩ - عقوبات المعاصي ٩٩١
١٠ - سبل الوقاية من المعاصي........ ٩٩٩
فهرس الموضوعات........ ١٠٠٥